

المعهد الخديفي للأبحاث والمغربية
بيت المغرب

ازهاج الناصب في اجتناب عيبك

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ السلساني

ضبطه وحققه وعلق عليه

عبد الحفيظ الشلبي

المدرس بالمدارس الأميرية

أبراهيم الأبياري

المدرس بالمدارس الأميرية

مصطفى التيقا

المدرس بجامعة فؤاد الأول

الناشر

طبعة دار الفنون والدراسات

المعهد الخيفي للأبحاث والمخبرية
بيت المغرب

أزهار الناض في اجتماعك

١٩٤٢
تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ السليمانى

ضبطه وحققه وعلق عليه

عبد الحفيظ شلبي

المدرس بالمدارس الأميرية

أبراهيم الأبياري

المدرس بالمدارس الأميرية

مصطفى السقا

المدرس بجامعة فؤاد الأول

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٣٩ - ١٣٥٨ م



صورة صاحب السمو الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهدي العلوي خليفة جلالة ملك
المغرب الأقصى ، وباعت النهضة العالمية ، ومؤسس المعهد الخليلي بتطوان
وبيت المغرب بمصر ، ومن آثار سموه نسر هذا الكتاب

مقدمة الناشرين

كتاب «أزهار الرياض في أخبار عياض» ، من خير ما ألف في أدب المغاربة ، نرجو أن نشر بنشره آية فخر من مجد علماء الإسلام ، وأن نضيف إلى الأدب العربي الخالد ، صفحة مُشرقة من الأدب المغربي الزاهي الألوان ، وأن نضع بين يدي العلماء والنقاد خير الوثائق وأنفس المصادر التي يُعتمد عليها في تاريخ الآداب .

أما مؤلفه فهو حافظ عصره في علوم الدين ، وحُجة زمانه في علوم الدنيا ، وخاتمة أدياء المغرب ، الذي جمع الشعر والكتابة والخطابة ، والمحاضرة والمسامرة ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، صاحب «نفع الطيب» وغيره من الكتب الممتعة . تُوِّفي سنة إحدى وأربعين وألف للهجرة بالقاهرة .
وأما المؤلف في ترجمته وسيرته فهو قاضي المغرب الأجل ، وحافظه الأكبر ، الإمام الطائر الصيت ، عياض بن موسى اليحصبي السبتي صاحب الشفاء ومشارك الأنوار وكثير من المصنفات الجليلة في الدين وعلوم اللغة والنحو والأنساب . تُوِّفي سنة ٥٤٤ هـ براكش .

وكتاب أزهار الرياض في أخبار عياض ، هو كصنوه نفع الطيب ، في أخبار لسان الدين بن الخطيب ، كلاهما قد تضمن ترجمة واسعة خِصبة النواحي ، لعلم مفرد من أفضاذا الرجال في المغرب والأندلس ، وقد استطاع مؤلفهما أبو العباس المقرئ أن يجعل كلا من صاحبي الترجمة مركزا لدائرة معارف تاريخية وأدبية ، تحوى أخبار عصره ومصره ، لا ، بل تستوعب كثيراً من أخبار الأجيال التي تعاقبت في الأندلس والمغرب إلى زمان وجوده ، وهما لذلك جديران أن يُعدَّتا من أعظم الأركان التي يقوم عليها تاريخ تلك البلاد .

وبين الكتابين وجوه من الشبه ، وتشابه في المزاج ، لا نريد إحصاءها في هذه المقدمة الموجزة ، وبحسبنا أن نذكر هنا المنهج الذي انفردا به دون أكثر كتب التراجم العربية القديمة ، فإن مؤلفنا الشيخ المقرئ يرسم للترجمة خطة واضحة ، ويرتب عناصرها ترتيباً حسناً ، ويتغلغل في التفاصيل ويتعمق ، ويتتبع أخبار المترجم حتى قبل ولادته ، ويتجسس عن أوليته وأسرته ، ويبحث عن نشأته في صباه وشبابه وكهولته ، ثم يذكر شيوخه الذين أخذ العلم عنهم ، في كثير من التفصيل والعناية بذكر مؤلفاتهم ، ويخص بالعناية النتاج الأدبي للمترجم ، ويذكر تأليفه ، وتصرفه في الحياة ، وعمله في خدمة السلطان ، ووفاته ، وآراء الناس فيه .

منهج المؤلف في أزهار الرياض ونفح الطيب متأثر تأثراً ما بمنهج لسان الدين ابن الخطيب في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ، فإن هذه الكتب تشابه في العناصر التي تتألف منها الترجمة ، وفي أسلوب الإنشاء ، إلا أن لسان الدين كان أميل إلى مجانبة الاستطراد الذي فشا في تواليف المقرئ ، وطبعاً بهذا الطابع الخاص .

ألف المقرئ كتاب أزهار الرياض في مدينة فاس ، في المدة التي بين سنتي ١٠١٣ و ١٠٢٧ للهجرة ، إذ كان قد نزع عن وطنه لأسباب سياسية ، واتخذ فاس مقراً له ، وكان الباعث له على تأليفه رغبة أهالي بلده تلمسان في التعريف بالقاضي عياض ، عالم المغرب الأوسط وقاضيه الأشهر ، وقد ألم في هذه الترجمة بكثير من شئون بلاد الأندلس ، وذكر طائفة من أخبار لسان الدين بن الخطيب وأحوال المسلمين في عصر الجلاء عن الأندلس ، على سبيل الاستطراد ، ثم ألف كتاب نفح الطيب بعد سنة ١٠٢٨ في القاهرة ، استجابة لرغبة بعض أعيان دمشق وعلماؤها في التعريف بلسان الدين بن الخطيب ، فذكر كثيراً من شئون

الأندلس في تفصيل وترتيب عجيبين . ومن أجل هذا يظهر للمتأمل أن المؤلف كان مضطراً أن يكرر في نفع الطيب طائفة من الأخبار التي ذكرها من قبل في أزهار الرياض ، لبعده ما بين الأفقين اللذين ظهر فيهما الكتابان .

وقد يمتاز أزهار الرياض ، فوق لشماله على ترجمة القاضي عياض ، بطائفة كبيرة من الأخبار والنصوص المغربية والأندلسية ، التي لم ترد في نفع الطيب ولا في غيره من الكتب المطبوعة حتى الآن ، وإنما بادت أصولها ، أو هي لا تزال سرا مطويا في خزائن الكتب لم تنشره المطابع بعد . ولذلك يُعد نشر هذا الأثر الجليل اليوم ثروة جديدة تضاف إلى ما سبق نشره من آثار المغرب والأندلس في عالم الدراسات العربية .

وكان الفضل في إخراج هذا الكتاب الجليل ، على هذا الوضع الأنيق ، « لمكتب التبادل الثقافي » التابع للمعهد الخليفي بتطوان ، الذي أسسه سمو الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المرهري ، فقد اختط خطة موفقة في نشر الكتب النفيسة ، التي تحيي آثار السلف ، وكان هذا الكتاب با كورة أعماله ، وأول نمازه . ولما عهد إلينا في تحقيق هذا الكتاب ، بالأسلوب العلمي الذي يجري عليه علماء المشرقيات ، قنشنا عما يوجد من أصوله المخطوطة والمطبوعة في دار الكتب المصرية ، فعرثنا منه على النسخ الآتية :

الأولى : النسخة المخطوطة المرموز لها في حواشي هذه الطبعة بالحرف (ط) ، ورقمها في دار الكتب المصرية (٢٠١٣ تاريخ) وهي في ألف ومئة وسبعين صفحة ، من القطع المتوسط ، طول الجزء المكتوب في كل منها عشرون سنتيمتراً وعرضه عشرة . وهي مخطوطة بخطوط مختلفة ، فالست والأربعون صفحة الأولى بخط مغربي جميل ، وما بعدها إلى صفحة ١٠٥٨ بخط نسخي معتاد ، ويتلو ذلك

الثالثة : النسخة المحفوظة بالخزانة التيمورية في دار السكتب المصرية ، ورقها (٧٩٤ تاريخ) ، وهي في أربعة أجزاء :

الجزء الأول منها هو المطبوع بتونس المقدم ذكره ، المرموز إليه في حواشي طبعتنا بالحرف (ت) .

والجزء الثاني مخطوط يحتوي على بقية الروضة الأولى ، وتبقى منها بقية تأتي في الجزء الثالث .

والجزء الثالث يتضمن بقية الروضة الأولى كلها وتنتهي في الصفحة ٤٣ ، والروضة الثانية كلها إلى الصفحة ١٠٥ ، ثم الروضة الرابعة جميعها إلى نهاية هذا الجزء في صفحة ٤٤٢ .

والجزء الرابع يحوى الروضة الرابعة من أوله إلى الصفحة ٣٠٥ ثم الخامسة إلى الصفحة ٤٥٠ .

وهذا الجزء ينتهى بآخر رحلة أبى عبد الله المقرئ . وفى نهايته بخط المرحوم أحمد تيمور باشا ما نصه :

« والروضة السادسة والسابعة والثامنة تأتي فى جزء خامس » . وليس لهذه النسخة جزء خامس فى الحقيقة ، وهى أجود خطأً من النسخة (ط) .

وجاء فى آخرها أيضاً أنها نقلت من نسخة قديمة فى مكتبة الملك الظاهر بدمشق ، وأن كاتبها هو محمد صادق فهمى المالح سنة ١٣٤٥ هـ

والنسخ الثلاث من هذه الأصول متشابهة فى كثرة ما بها من الخطأ والتحرير والكلمات الغامضة ، التى تصعب قراءتها أو تحارفى فهمها العقول .

وقد جعلنا النسخة (ط) أساساً للطبع ، وعارضنا بها الجزء الأول المطبوع بتونس ، وأثبتنا ما وجدناه من خلاف بينهما بالزيادة والنقص ، وصححنا الأخطاء

اللغوية والنحوية والهجائية الكثيرة ، ولم نكتف بهذا ، بل كنا نفتش عن كل خبر في مظانّه من الكتب المطبوعة ، مثل نفع الطيب للمؤنّف ، والإحاطة لابن الخطيب ، وتاريخ ابن خلدون ، والاستقصا للسلاوى ، كما كنا نلجأ في شرح الكلمات الأندلسية والمغربية التي لم ترد في المعجمات العربية ، إلى تكملة المعجمات العربية للعلامة دُوزى ، وجعلنا كل ملاحظتنا حواشى في أسفل صفحات الكتاب إشاراً لتعجيل الفائدة للقارى . ولم نشرح من مفردات الألفاظ إلا ماظننا أنه يعمض على القارى المتوسط ، وما اعتقدنا أن معجراته ليست في أيدي جميع الناس ، وتركنا بعد ذلك الفرصة لذهن القارى ، لينشط إلى البحث عما يروم البحث عنه من معانى الأشعار ، ولم نشرح شيئاً من ذلك إلا ما كان ضروريا لا بد منه .

وقد وضعنا في الهوامش الجانبية الخارجية عناوين للمعاني الجزئية ، لتجزئة الموضوع الواحد المطول ، إلى عناصره التي يتألف منها ، وفي ذلك إراحة للذهن ، وتفصيل لمجمل الموضوع ، وتنبيه على مواضع الانتقال : ووضعنا في الهوامش التي في الجهة الداخلية أرقام صفحات النسخة المخطوطة المرموز إليها بالحرف (ط) أمام السطر الذي تبدأ عنده الصفحة الجديدة من الأصل المخطوط ، لتسهيل المضاهاة على من أراد أن يتتبع ذلك الأصل ، ويعارض به طبعته هذه . وقد عملنا لهذا الجزء فهرس مُنوّعة ، تيسيراً للبحث والمراجعة .

والله نسال أن يوفق المعهد الخليلي ويوفقنا إلى إخراج البقية من أجزاء هذا السفر الجليل ، إنه أكرم مسئول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ما

مصطفى السقا ابراهيم اليبيارى عبد الحفيظ شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

[مقدمة المؤلف]

[٢] الحمد لله الذى أَعْلَى مراتب العلماء الأعلام ، وزَكَّى منهم العقولَ الرَّاجِحَةَ والأحلامَ ، وَمَنَحَهُمْ مَا تَرْتَقِصُ عَنْ جَمْعِهَا^(١) المَحَابِرُ والأقلامَ ؛ وَمَفَاخِرَ طَارَت كلِّ مَطَارٍ . وجعل معاليهم زاهرة زاهية ، وأضواء فُهِمِهِمْ نامية سامية ، وأنواء^(٢) عُلُومِهِمْ هَامِعة هَامِية^(٣) ؛ بِوَاكِفِ الأمطارِ^(٤) ، وَأَطْلَعَهُمْ عَلَى دَفَائِقِ الأسرارِ . وَهَدَاهُمْ وَهَدَى بِهِمْ إِلَى تَرْتِيبِ المَدَارِكِ ، وَتَقْرِيبِ المَسَالِكِ ؛ وَجَلَّى بِمَشَارِقِ الأنوارِ مِنْ مَعَارِفِهِمْ وَأَدَابِهِمْ ، عَمَّنْ تَمَسَّكَ بِأَذْيَالِهِمْ وَأَهْدَاهُمْ ، غِيَابَ الجَهْلِ الحَوَالِكِ^(٥) ؛ فَأَضَاءَتِ الأَطْفَارِ . وَعَرَفَهُمُ المَقاصِدَ الحِسانَ ، وَالوَسائِلَ المُعْتَبَرةَ والإِلماعَ^(٦) ، بِأصولِ الرِّوَايةِ والسَّماعِ ؛ وَالإِعلامِ ، بِمُحدُودِ قِوَاعِدِ الإِسلامِ ؛ وَأرشدَهُمْ إِلَى التَّنْبِيهاتِ المُسْتَنْبَطةِ السَّامِيةِ الأخطارِ ؛ حَتَّى رَفَلُوا مِنْ حُلُلِ التَّحْقِيقِ السَّابِغَةِ ، فِي مَطَارِفِ^(٧) وَبُرُودِ ؛ وَوَرَدُوا مِنْ مَنَاهِلِ التَّوْفِيقِ السَّائِغَةِ ، كلِّ عَذْبٍ

(١) فى ت : « عن فهمها » .

(٢) الأنواء : النجوم ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى

ظهورها ، فيقولون مثلا : مطرنا بنوء الثريا .

(٣) هامة هامية : أى تسيل فى غزارة وانصباب .

(٤) واكف الأمطار : هاطلها .

(٥) غياهب الجهل : ظلماته . والحوالك : الشديدة السواد .

(٦) الإلماع : التنويه والإشارة .

(٧) المطارف : أردية من خز مربع ذى أعلام ؛ الواحد : مطرف كمنبر ومقعد .

برُود^(١)؛ وتَسَمَّوا من حُجَجِ الحقِّ البالغهِ ، الروضِ المعطارِ ؛ واجتَنَوْا
 أزَاهِرَ^(٢) ، أضحَتْ مُنِيَّةُ الطالبِ ، وبُغِيَّةُ الرائدِ^(٣) ؛ واجتَلَوْا^(٤) جواهرَ^(٥) ، نُظِمَتْ
 منها الدُّررُ والفَرَائِدُ ؛ في أجيادِ^(٦) الأسطارِ . فإنَّ أمَّهُم ناقصٌ عَدِيمٌ ، ألْفَى لَدَيْهِم
 الغُنِيَّةَ والإِكْمَالَ ؛ أو قَصَدَهُم عَلِيلٌ سقيمٌ ، وجَدَّ في يَدَيْهِم الشِّفاءَ ، فنالَ غايَةَ
 الآمالِ ، وظَفِرَ بِمُنْتَهَى الأوطارِ^(٧) . والصلاة والسلام على سَيِّدِنَا ومولانا مُحَمَّدٍ
 أَفْضَلِ العالَمِينَ بإِطلاقِ ، سِرِّاجِ المُريدينِ ، وكنزِ العارِفِينَ ، الذي لا يُحْشَى
 معه إِملاقٌ ، مُحَمَّدُنا العُظْمَى ، ووسيلتنا الكُبْرَى عندَ الملكِ الخلاقِ ؛ صاحبِ
 المُعْجِزاتِ الباهره ، التي اهتدى بها ذَوُو الأَفْكارِ ، والآياتِ الظاهره ، التي
 حصلَ بها التَّمييزُ^(٨) لَمَنْ لَهُ أَسْتَدْكارٌ ؛ المُوطَأُ الأَكْنافِ^(٩) والأخلاقِ ، المُنتَقَى
 منَ أعْظَمِ الذِّخائرِ ، وأنْفَسِ الأَعْلاقِ^(١٠) ، المُخْتارِ منَ قَبْلِ نِشْأَةِ آدَمَ والكَونِ

(١) البرود: البارود .

(٢) في ط : « أزهارا » .

(٣) الرائد : الذي يتقدم القوم يبصر لهم السكلاً ومساقط الغيث .

(٤) اجتلى : نظر .

(٥) في ت : « بواهر » .

(٦) في ت : « بأجياد » .

(٧) الأوطار : جمع وطر « بالتحريك » ، وهو الحاجة .

(٨) في ت : « التمهيد » .

(٩) الموطأ الأكناف : الكريم الدمث الأخلاق .

(١٠) الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من كل شيء .

وقد ذكر المؤلف هنا — على سبيل التورية — أسماء طائفة من الكتب ، للقاضي
 عياض وغيره ، وهي : « الروض المعطار » ، في أخبار المعطار « لأبي عبد الله الحميري ؛
 و « منية الطالب » ، لأعز المطالب « لم يعلم مؤلفه ؛ و « بغية الرائد » ، لما تضمنه حديث
 أم زرع من الفوائد ؛ و « الغنية » و « الإكمال لكتاب المعلم » ، في شرح صحيح
 مسلم « ، وهذه الثلاثة للقاضي عياض ؛ و « سراج المريدين » لأبي بكر بن العربي .
 و « كنز العارفين » لم يعلم مؤلفه ؛ و « الذخائر والأعلاق » ، في آداب النفوس
 ومكارم الأخلاق « لأبي عبد الله الباهلي الإشبيلي ؛ و « الموطأ » للإمام مالك .
 و « المنتقى » اسم لعدة كتب .

لم تفتح له أغلاق ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، الَّذِينَ لُنَجْوَهُمْ فِي
سَمَاءِ الْحَقِّ أُتِّلِقَ ؛ صَلَاةً وَتَسْلِيمًا دَائِمِينَ ، مَا أَنْشَأَتْ فِي ثَنَائِهِ الْأَحْمَدِيَّ ،
وَأُنْشَدَتْ بِفَنَائِهِ الْحَمْدِيَّ ، الْقَصَائِدُ وَالْأَبْيَاتُ وَالْأَشْطَارُ . وَبَعْدُ (١) :

[٣]

فَيَقُولُ أَحْمَدُ ذُو الْقُصُورِ الْمَقْرِيُّ إِذَا انْتَسَبَ (٢)

جَبَرَ الْمُهَيْمِنُ صَدْعَهُ وَوَقَاهُ سَيِّئًا مَا اكْتَسَبَ

وَحَبَّاهُ مِنْحَةً مُؤْمِنٍ مُحَضَّ الْعِبَادَةَ وَأَحْتَسَبَ (٣)

وَأَسَدَى إِلَيْهِ مِنَ الْمَوَاهِبِ أَسْنَاهَا ، وَمِنَ الْعَوَاقِبِ حُسْنَاهَا :

إِنَّهُ لَمَّا سَبَقَ الْقَضَاءُ وَجَرَّتِ الْأَقْدَارُ ، بَارَتْحَالِي عَنِ الْوَطَنِ الْمَحْبُوبِ
وَالْقَرَارِ ، بَعْدَ أَنْ شَمِمْتَ عَرَارُهُ (٤) النَّجْدِيَّ وَلَا أَشْجَانَ وَلَا أَكْدَارَ (٥) ، فِي عَشِيَّةٍ
لَمْ يَكُنْ بَعْدَهَا مِنْ عَرَارٍ ؛ وَنَزَحْتُ عَنْ بَلَدٍ ، بِهِ الْوَالِدُ وَمَا وَلَدٌ ؛ مَحَلَّ قَطَعِ
التَّمَامِ (٦) ، وَفَتَحَ السَّكَّامَ (٧) ، سَقَى اللهُ عَهَادَهُ (٨) صَوَّبَ الْغَيَّامِ :

بَلَدٌ تَحَفَّتْ بِهِ الرِّيَاضُ كَأَنَّهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَالرِّيَاضُ عِدَارُهُ (٩)

(١) في ت : « أما بعد » .

(٢) القصور : العجز .

(٣) محض العبادة : أخلصها . واحتسب : نوى بعمله وجه الله .

(٤) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ؛ يشير إلى قول الصمة الفشيري :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيبة من عرار

(٥) في ط : « بعد أن شممت عرارة النجد من الأشجان والأكدار » ؛ ولا يستقيم

بها الكلام .

(٦) التمام : خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين بزعمهم .

يريد بقطع التمام : وقت أن شب وترعرع .

(٧) السكَّام : أغظية الزهر . يريد وقت تفتح زهرة صباح .

(٨) يريد « بالعهاد » : جمع عهد ، وهو الزمان . وفي كتب اللغة أن العهاد جمع العهد ،

وهو المطر بعد المطر . أما العهد للزمان فجمعه عهود .

(٩) العذار : جانب اللحية . وهذا البيت والذي بعده لسان الدين بن الخطيب .

وكأنما واديه معصمٌ غادٍ ومن الجسور المحكيات سواره
 وكان ذلك وغصن النشاط يانع^(١)، وبرؤد الشباب قشيب؛ وشمل النفس
 مجتمع دون مانع، وكأس^(٢) الأنس مخرج بتسنيم القرب وشيب^(٣)؛ وفؤد^(٤)
 الرأس غير خاضع ولا خانع، إذ^(٥) لم تطرق ساحتها ولم تجس خلاله جيوش
 المشيب؛ حلت الحضرة الفاسية — حاطها الله — حيث المجالس غاصه، بالعامه
 والخاصه؛ والمساجد أهله معموره، والمشاهد بالزوار معموره؛ وحل المعارف
 فضفاضه، والعوارف^(٦) الجليله مفاضه؛ حضرة ديباجها ربيعي، وامتزاجها
 بالنفوس طبيعي، ولم لا، وقد نظمت المفاخر ونسقتها، وجمعت المآثر ووسقتها،
 جادت بها غر السحب^(٧) وسقتها:

بلادُ بها الحصباءُ دُرٌّ وترُّبُها عَيْرٌ وأنفاسُ الرِّياحِ شُمُولٌ^(٨)
 تسلسلُ منها ماؤها وهو مُطلقٌ وصحَّ نَسِيمُ الرِّوَضِ وهو عَلِيلٌ
 فألقتُ بها عصا التَّسْيِيرِ، وقاها اللهُ من الآفاتِ والأغيارِ، وأقتنيتُ في
 ذلك سننَ بعضِ سلفي الأخيارِ؛ إذ كان أشهرَ أسلافنا الشيخُ الإمامُ — صاحبُ
 التصانيفِ الشهيرةِ، التي اقتادت المحاسنَ بزمامِ؛ القاضي الأشهرِ، العلامةِ

(١) الأصل في البنغ: نضج الثمار.

(٢) في ط: «وكأن».

(٣) تسنيم: ماء في الجنة. وشيب: خلط (بالبناء للمجهول فيها). ولعله راعي
 المضاف إليه فذكر الفعلين.

(٤) الفؤود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. ويريد بخضوعه وخنوعه: إيماله
 من كبر وضعف.

(٥) في ط: «إذا» وهو تحريف.

(٦) العوارف: جمع عارفة، وهي المعروف.

(٧) في ت: «السحاب».

(٨) العبير: الزعفران، أو هو أخلاط الطيب. وانشمول: الحُر، أو ما برد منها.

الأظهر ، سيدي أبو عبد الله محمد [بن محمد ^(١)] بن أحمد المقرئ القرشي ،
التَّمَسَانِي النشأة والقبر ، أفاضَ اللهُ سِجَالاً ^(٢) الرحمة على مَشْوَى ذلك الحَبْر -
انتقلَ إليها أيامَ السلطانِ المرحومِ أبي عِنانِ فارس ، فولاهُ قضاءَ جماعتها ، وبَنَى
له ^(٣) المتوكَّليةَ أعظمَ المدارس ، حَسْبَها ذَكَرَهُ غيرُ واحدٍ من أهلِ الفهارس ،
وأشارَ إليه الوزيرُ ابنُ الخَطِيبِ في كتابِ « الإحاطة » التي أُحْيَتِ من التاريخِ
الرَّسْمِ المَدَّارِس .

ولم تزل كُتُبُ الأَقاربِ والإِخوانِ تردُ على ، وَتَثْنِي عِنانَ أَعْتَمائِها إلى ؛
وَتَكَرَّرَ وتَعَدَّدَ ، وتَنتابُ وتَتَرَدَّدُ ، وتتنوِّعُ وتَتَجَدَّدُ ؛ فأرتاحُ إليها ارتياحَ
الغُصْنِ عندَ هزَّتِهِ ، وأحِنُّ إليها حَنِينِ كُثْمِيرٍ إلى مَعاهدِ عَزَّتِهِ :

يا مَنْ يُذَكِّرُنِي حَدِيثَ أَحَبَّتِي طابَ الحديثُ بِذِكْرِهِمْ وَيَطِيبُ
أَعْدِ الحديثَ عَلَيَّ مِنْ جَنبَاتِهِ إِنَّ الحديثَ عَنِ الحَبِيبِ حَبِيبٌ ^(٤)
وكثيراً ما يجرُّكَ ذلكَ مِنِّي كَأَنَّ شوقَ ، شَبَّ عَمْرُهُ عَنِ الطُّوقِ ^(٥) ؛ وأجدُ
من لَواعِجِ الأَوَّارِ ^(٦) ، ما وجدَهُ الفَرزْدَقُ عِنْدَ ^(٧) مُبايِنَةِ النُّوارِ ^(٨) :

[٤]

(١) زيادة عن الإحاطة ونفع الطب .

(٢) جمع سجل ، وهي الدلو الضخمة المملوءة بالماء .

(٣) في ت : « وبذله » وهو تحريف .

(٤) جنباته : نواحيه .

(٥) أي جاوز حد الاحتمال ؛ مأخوذ من المثل : « كبر عمرو عن الطوق » . قاله

جذيمة لعمر بن عدى ، ابن أخته رقاش ، حين رأى عليه طوقاً من ذهب كان له

في صغره ، وقد طوقته به أمه بعد غيبة غابها عنها ، في حديث طويل ، ذكره

الميداني في أمثاله وصاحب القاموس في مادة « طوق » .

(٦) لواعج الأوار ، أي حرق نار الشوق .

(٧) في ت : « من » .

(٨) يشير إلى ندم الفرزدق لما طلق امرأته النوار في قوله :

ندمت ندامة الكسبي لما غدت مني مطلقه نوار

بَلَدُ الْجَزَائِرِ مَا أَمَرَ نَوَاهَا كَلِفَ الْفَوَادِ بِحُبِّهَا وَهَوَاهَا
يَا عَاذِلِي فِي حُبِّهَا كُنْ عَاذِرِي يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاوُهَا وَهَوَاهَا

والحنين إلى الوطن مجال لكل حُرٍّ ومضمار!

إِيَّاهِ أَحَادِيثَ نَعْمَانٍ وَسَاكِنِهِ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَسْمَارُ
وَلَيْسَ بُمُسْتَنْكَرٍ حَنِينُ النَّابِ ^(١) إِلَى عَطْنِهِ ^(٢) ، وَالْمَرْءُ إِلَى مَحَلِّ نَشَأَتِهِ وَوَطْنِهِ .
وَقَدْ رَوَيْنَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَنِينِ سَيِّدِ الْوُجُودِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ
إِلَى مَكَّةَ ، مَا لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ عَنِ الْعُلُومِ بِمَعْزِلٍ . وَمِنَ الْأَبْيَاتِ السَّائِرَةِ :
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهِ الْفَتَى ^(٣) وَحَنِينِسه أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ
وَرَبِّ ذِكْرِي أَثَارَتِ الْأَشْوَاقَ وَحَرَّ كَتَمِهَا ، وَأَنْشَبَتِ النَّفُوسَ فِي حَبَائِلِ
الْبُوسِ وَتَرَكْتَهَا ؛ وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ بَكَى لِفَقْدِ الْمَشَاهِدِ ، وَأَهْتَمَّ لِتُبْعَدِ الْمَعَالِمِ
وَالْمَعَاهِدِ :

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا مَرَاتِعُ الْأَنْفَى وَعَهْدُ صِحَابِي
وَيَا سَرَّحَةَ الْحَيِّ أَنْعَمِي فَاطْمَأْنِنِي سَكَبْتُ عَلَى مَثْوَاكِ مَاءَ شَبَابِي
فَلِلَّهِ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ ، مَا أَهْبَجَ حُبِّيَّاهَا ! وَحَاطَ ^(٤) بَعَيْنَ كَلَاءَتِهِ تِلْكَ الْمَشَاهِدَ ،
مَا أَطْيَبَ ^(٥) رِيَّاهَا ، حِينَ بَاكَرَهَا الْوَسْمِيُّ ^(٦) وَحَيَّاهَا :

- (١) النَّابُ : النَّاقَةُ الْمَسْنُونَةُ ؛ وَهِيَ مُؤَثَّثَةٌ . وَقَدْ أَعَادَ الضَّمِيرُ عَلَيْهَا مَذْكَرًا ، كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْأَصْلِ ، وَهُوَ النَّابُ مِنَ الْعَظْمِ ، فَهُوَ مَذْكَرٌ فِي الْأَشْهُرِ .
(٢) الْعَطْنُ : وَطَنُ الْإِبِلِ وَمِزْكِيهَا حَوْلَ الْمَاءِ .
(٣) كَذَا فِي طَوْدِيَوَانَ أَبِي تَمَّامٍ . وَفِي ت : « كَمْ مِنْ مَنْزِلٍ كَانَ يَأْتِيهِ الْفَتَى » .
(٤) فِي ت : « وَبَعَيْنَ كَلَاءَتِهِ » .
(٥) فِي ت : « فَمَا أَطْيَبَ » .
(٦) الْوَسْمِيُّ : مَطَرُ الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّهُ يُسَمَّى الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ . وَيَلِيهِ « الْوَلِيُّ » وَهُوَ الْمَطَرُ الثَّانِي .

حَيًّا تَلِيسَانَ الْحَيَا فَرُبُّوعِهَا صَدَفٌ يَجُودُ بِدُرِّهِ الْمَكْنُونِ^(١)
 مَا شِئْتَ مِنْ فَضْلِ عَمِيمٍ إِنْ سَقَى أَرْوَى وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَعْمُونِ
 أَوْشِئْتَ مِنْ دِينٍ إِذَا قَدَحُ الْهُدَى أَوْزَى وَدُنْيَا لَمْ تَكُنْ بِاللُّدُونِ^(٢)
 وَرَدَّ النَّسِيمُ لَهَا بِنَشْرِ حَدِيقَةٍ قَدْ أَزْهَرَتْ أَفْنَانُهَا بِفُنُونِ^(٣)
 وَإِذَا حَبِيبُهُ أُمَّ يَحْيَى أَنْجَبَتْ فَلِهَا الشُّفُوفُ عَلَى عُيُونِ الْعُونِ^(٤)

طالما ذكّرت الأبلّة وشعب بوان^(٥)، وأنست صروف الزمان الخوان،
 وأنبتت أزهار أنس ذات ألوان، وثمار نخل من القرب^(٦)، صنوان وغير
 صنوان^(٧)، والشمل مجتمّع بالجيران^(٨) والإخوان؛ والروض مطلول
 النبات^(٩)، مخضّر العذبات^(١٠)، مخضّل الجنّبات^(١١)، مفوّف الحمائل^(١٢)،

(١) الحيا : المطر . وهذه الأبيات لسان الدين بن الخطيب .

(٢) أوري : أنار وأضاء .

(٣) نسر الحديقة : ما ينتشر عنها من رائحة طيبة .

(٤) حبيبة أم يحيى : عين ماء بتلسان ماؤها عذب . (عن هامش الأصل المخطوط) .

والشفوف : الرقة . والعون : البقرالوحشى . أى أن ماءها أصفى وأرق من

عيون العون .

(٥) الأبلّة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة . وشعب بوان : بفارس ، وهو والأبلّة

من متزهات الدنيا ، التى سار ذكرها .

(٦) فى ت : « من العزب » .

(٧) الصنوان : المجتمعة ، أو التى أصلها واحد .

(٨) فى ت : « بالأقارب » .

(٩) مطلول النبات : مندى بماء الطل .

(١٠) العذبات ، أى أطراف الأغصان .

(١١) مخضّل : مبتل . والجنّبات : النواحي ؛ أى إنه غير جاف ولا متصوح .

(١٢) مفوّف : فيه بياض . والحمائل : جمع خميّة ، وهى الأرض ذات النبات ؛ يصف

نبات هذه الحمائل وقد ظهر عليه النور الأبيض .

مُتَضَوِّعَ الشَّامِلِ^(١) ؛ مُنْسَابِ الْمَاءِ ، مُنْجَابِ السَّمَاءِ^(٢) ؛ وَالغُصُونِ مُتَأَوِّدَةً
الْأَعْطَافِ^(٣) ، دَانِيَةِ الْجَنَى وَالْقَطَافِ ، وَالنَّسِيمِ يَعْْبَقُ نَشْرًا ، وَالجَوِّ يَتَأَلَّقُ رَوْنَقًا
وَبَشْرًا ؛ فَتَقْصُرُ عَنْهُ أَوْصَافُ ذَوِي^(٤) الْإِنْصَافِ :

وَالزَّهْرُ حَيَّانًا بِمَغْرٍ بِاسْمِهِ وَالنَّهْرُ قَابِلَنَا بِقَلْبٍ صَافِي
وَلَا لِي الْأَنْدَاءِ^(٥) فِي الْغَدِيرِ غَرْفِي ، وَدَمُوعِ النَّهْرِ لَا تَرْهَقًا^(٦) ؛ وَالزَّهْرُ
يَسْقُطُ ، وَأَكْفَ الرِّيحِ تَكْتَبُ ، وَالغَيْمُ يُنْقَطُ :

كَأَنَّ أَكْفَ الرِّيحِ تَكْتَبُ أُسْطَرًا عَلَى النَّهْرِ إِلَّا أَنْ أَحْرَفَهَا زُرْقُ
فَتَفْتَحُنِي عَلَيْهِنَ الْغُصُونُ قُدُودَهَا لَتَقْرَأَهَا جَهْرًا مِنَ الْوَرَقِ الْوَرُقِ^(٧)
وَالْوَرَقَاءُ تَهْتَفُ لِفَقْدِ إِيَّافِ نَازِحٍ ، فَتَهَيِّجُ شَجْوَ الْجَادِّ وَالْمَازِحِ :

[٥]

رُبَّ وَرَقَاءٍ هَتَفَ بِالضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنِّ
ذَكَرَتْ إِيَّانَا وَدَهْرًا صَالِحًا فَبَكَتْ شَجْوًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فُبَكَتْنِي رَبِّمَا أَرْقَهَا وَبُكَاهَا رَبِّمَا أَرْقَنِي
فَإِذَا تَبَدَّوْنِي أَسْعِدْهَا وَإِذَا أَبَدَّوْهَا تُسْعِدْنِي^(٨)
وَلَقَدْ تَبَكَّيْتُ فَمَا أَفْهَمَهَا وَلَقَدْ أَبْكَيْتُ فَمَا تَفْهَمْنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالشَّجَا أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالشَّجَا تَعْرِفُنِي

(١) التضوع : انتشار الرائحة الطيبة . والشامل : جمع شمال وهي الريح . أي أن الرياح

تذيعت معطرة بأريج هذا الروض .

(٢) كذا في ط . ومنجاب السماء ، أي سماؤها صافية . وفي ت : « منجاب » .

(٣) متأودة : تهتز وتميل . والأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب .

(٤) في ت « ذى » .

(٥) كذا في ت . وفي ط : « الأنواء » . وهي النجوم ، وقد يراد بها المطر .

(٦) لا ترهقا (بالهمز وسهل) : لا تسكن .

(٧) الورق : الحماة ؛ الواحدة : ورقاء .

(٨) أسعدها : أعينها على البكاء .

فَأَكْرِمُ بِهَا مِنْ ذَاتِ طَوْقٍ ، عَبَّرَتْ عَمَّا فِي ضَمِيرِهَا مِنْ جَوِّى وَشَوْقٍ ،
فَسَاقَتْ لَوَاعِجَ الْأَفْكَارِ أَى سَوْقٍ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الصَّبِّ فَرَقٌ ، عِنْدَ ذَوَى الذَّوْقِ :

وَتَرَنَّمَتْ ذَاتُ الْجَنَاحِ بِسُحْرَةٍ بِالْوَادِيَيْنِ فَهَيَّجَتْ أَشْوَاقِي
وَرَفَا تَعَلَّمَتِ الْبُكَاءَ وَالْبَتَّ مِنْ يَعْقُوبَ وَالْأُلْحَانَ مِنْ إِسْحَاقِ (١)
أَنَّى تَضَاهِينِي هَوَى وَصَبَابَةٌ وَأَسَى وَفَرَطَ جَوِّى وَفَيْضَ مَا قَى (٢)
وَأَنَا الَّذِى أُمْلِي الْهَوَى مِنْ خَاطِرِي وَهِيَ الَّتِي تُنْثَلِي مِنَ الْأَوْرَاقِ

فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ تَمْزِيقِ ذَلِكَ الْإِهَابِ ، وَحُصُولِ شَمْلِهِ فِي يَدِ الْإِتْتِهَابِ ،
وَإِنْشَادِ لِسَانِ حَالِهِ عِنْدَ الذَّهَابِ :

أَلَا إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ يَوْمٌ وَوَلِيَّةٌ (٣) يَكْرُرَانِ مِنْ سَبَبْتِ عَلَيْكَ إِلَى سَبَبْتِ
فَقُلْ لَجْدِيدِ الْعَيْشِ لَا بُدَّ مِنْ بَلِيٍّ وَقُلْ لِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ لَا بُدَّ مِنْ شَتِّ (٤)

وَهَكَذَا الدُّنْيَا إِخْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ ، وَإِقْرَارٌ وَإِنْكَارٌ (٥) ، وَإِعْلَانٌ وَإِسْرَارٌ ؛
تَعْنَى كُلِّ رَبْعٍ عَامِرٌ (٦) ، وَتَبَدُّدِ شَمْلِ كُلِّ مَأْمُورٍ وَأَمْرٍ :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّونِ إِلَى الصِّفَا أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْهُ بِمَكَّةَ سَامِرٌ (٧)
بَعْدَمَا نَعَمْنَا بِرُهَةٍ مِنْ [الزَّمَانِ ، فِي ظِلَالِ (٨)] الْأَمَانِ ؛ وَقَطَعْنَا نُبْذَةً مِنْ

(١) يعقوب : هو يعقوب النبي والد سيدنا يوسف عليهما السلام . وإسحاق : هو

ابن إبراهيم الموصلي ؛ من شيوخ المغنين في الدولة العباسية .

(٢) تضاهيني : تشاكيني . والمآقى : مجارى الدموع من العيون .

(٣) في ت : « ألم تر أن الدهر يوم ولية » .

(٤) شت : تفرق .

(٥) في ط : « وإنكار وإقرار » .

(٦) تعنى : تطمس وتغير ، والربع : المنزل والدار .

(٧) الحجون والصفا : جبلان بمكة . وهذا البيت لعمر بن الحارث بن مضاخ .

(٨) زيادة عن ت .

الشباب ، في مواطن الأحاب ؛ ما بين دراسة ودراسة ورواية ، وممارسة أمور
تُبعد عن طرق الغواية ؛ وتحبير طُروس ، وملازمة دروس ، ومثول بين يدي
أشياخ مجالستهم نامية الغُروس ؛ وخصوصاً شيخهم الذي [فضله^(١)] لا يفتقر إلى
دلالة ، عَمَّا مُفْتِيَهَا سِيدِي سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُقَرِّيِّ ، شَكَرَ اللهُ خِلَالَه ، فهو شيخ
أولئك^(٢) الأعلام الذين وَرَثُوا العِلْمَ عن غَيْرِ كَلَالَه^(٣) ، وَعَمَّرُوا رُبُوعَ المَجْدِ ،
وَتَقَيَّئُوا ظِلَالَه ، وَأَرشَدُوا إلى سُبُلِ الهُدَى ، وَأَزاحوا عن الضلاله ، وَعَمَّرتْ
أَرْضُهُم بِكُلِّ مَجْدٍ وَجَلَالَه ، وَإِنْ نَبَتْ^(٤) بِي لَأَعْنِ جَفْوَةٌ وَمَلَالَه ؛ فَأَهَّا عَلَى
ذَلِكَ العَصْرَ مَا أَبْهَأَ وَأَجْمَلَه ! وَأَتَمَّه وَأَكْمَلَه ؛ عَصْرِيكَادُ يُكَلِّمُنَا فِيهِه المَجَادُ ،
وَتَرَوِينَا التَّمَادِ^(٥) ؛ وَتُحَيِّينَا العَشِيَّاتِ وَالبُكْرَ ، وَلَا تَنْتَابِنَا التَّعَالَمَاتِ وَلَا الفِكْرَ ؛
فَإِنْ سَأَلْنَا فَعَمَّنَه فِي الحَقِيقَةِ ، وَإِنْ صَرَّحْنَا أَوْ كَنِينَا ، فَنَعْنِي حِمَاهُ وَعَقِيقَه :

نُسَائِلُ عَنِ ثُمَامَاتٍ بِحُزْوَى وَبِأَنَّ الرَّمْلَ يَعْلَمُ مَا عَيْنِنَا^(٦)
وَقَدْ كَشِفَ العِطَاءُ فَمَا نُبَالِي أَصْرَحْنَا بِذِكْرِي أَمْ كَنِينَا
وَلَوْ أَنِّي أَنَادِي يَا سَلِيمِي لَقَالُوا مَا أَرَدْتَ سِوَى لَيْبِنِي
أَلَا لِلَّهِ طَيْفٌ كَانَ يَسْقِي بِكَاسَاتِ الكَرَى زُورًا وَمِينَا
فَأَمْسِينَا كَأَنَّا مَا افْتَرَقْنَا وَأَصْبَحْنَا كَأَنَّا مَا التَّمِينَا

[٦]

وَكُنَّا نَحْسِبُ أَنَّ الدَّهْرَ لَا يَدُورُ ، وَأَنَّ العَجَازَ صُدُورُ ، وَالْأَهْلَةَ بُدُورُ ؛

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « هؤلاء » .

(٣) عن غير كلاله : أي باستحقاق . وفي ت : « لا عن كلاله » .

(٤) في ت : « نبت » .

(٥) التمام (ككتاب) : جمع تمد ، وهو الماء القليل .

(٦) التمام : نبت قصير ضعيف لا يطول . وحزوى (بالضم) : جبل من جبال الدهناء .

والبيان : الكتيب من الرمل .

حتى ضرب الدهرُ ضَرْبَانَهُ^(١) ، وبدد الرفيق من ذلك الفريق وأبانَه ؛ فلم تتأوِّدْ
 قُدود الأَعْصَان ، ولم تَتَرَنَّحْ أَعْطَافَ البَان ؛ وانقطعت الأسباب ، عن مواصلة
 الجيران والأحباب ؛ الذين :

جَرَى^(٢) بعضهم ذاتَ اليَمِينِ وبعضُهُم شِمَالاً وقلبي بينهم مُتَوَزِّعٌ
 فوالله ما أدري بليئـل وقد مَضَّتْ حُمُولُهُمُ أَيَّ الفريقيـنِ أَتَّبِعُ؟
 وهأنا الآن أحاول إطفاء لهيبِ بالضلوعِ وَقَدْ^(٣) ، وأعالج أدواء سُقْمِ جَلِّ
 وكيف لا وَقَدْ :

رُوِّعْتُ بالبَيْنِ حتى ما أُرَاعُ بِهِ وبالمصائبِ في أهلي وجيراني
 لم يتركِ الدهرُ لى عِلْقاً أَضُنُّ بِهِ^(٤) إِلَّا رَمَاهُ بَفَقْدِ أَوْ بِهِجْرَانِ
 وفي هذا التاريخِ الغريبِ ، وردتْ كُتُبٌ من تلك الناحية حركتْ شَجْوِ
 الغريبِ ؛ والشوقُ إلى لقاءهم ، والتَّوَقُّقُ إلى ما يَرِدُ من تِلْقَائِهِمْ ، يقتادان
 القَلْبَ بزِمَامِ فَيَنْقَادُ ، ويُوَقِدَانِ نارَ الوَجْدِ بين الضلوعِ أى إيقاد :

هي الدارُ لا أَصْحَبُهَا عن عَلاَقَةِ [لأمر لنا بين الجوانحِ مُضْمَرِ
 فِجَادَ عَلَيَّ أَرْجَاهُهَا الغَيْثُ إِنِّهَا منازلُ جيرانِ كرامِ وَمَعْشَرِ]^(٥)
 وكان من مُجْمَلَةِ فُصُولِهَا ، وفُرُوعِ أَصُولِهَا ؛ طابُ التَّعْرِيفِ والإِطْمَافِ ، ببعضِ
 أحوالِ الشَّيْخِ الإِمامِ ، قاضى الأئمةِ وعَلِمَ الأعلامِ ، مُعَمِّدُ أربابِ الحِجَابِ والأقلامِ ،
 وَمُفَخَّرُ عُلَمَاءِ الإِسْلامِ ، ذى الفِضَائِلِ التى اسْتَقَلَّتْ رِسْمُهَا^(٦) ، فلم تحتجِ إلى إعمالِ

(١) ضرب الدهر ضربانه : أحدث حوادثه .

(٢) فى ت : « حدأ » .

(٣) وقد : اتقد واشتعل .

(٤) فى ت : « أظن » ، وهو تحريف .

(٥) ما بين القوسين ساقط فى ت .

(٦) استقلت : علت فبانت وظهرت . والرسوم : جمع رسم ، وهى الآثار التى لاظل لها .

الأعلام^(١)؛ والمحاسن التي بهرت أقدارًا وشُموسًا، سيدي أبي الفضل عياض ابن موسى؛ الشهير الصيت في كل قطر، صبَّ الله على مثواه من الرحمات شايبَ القطر:

فهو الإمامُ الذي سارت مآثره في الشرق والغرب سيرَ الشمس والقمر
وكم له من تآليفٍ قد اشتهرت بكل قطر فسَلْ تُنبِّيك عن خَبَر

فقلت: مالي بهذا الأمر يدان، ولو أيدني كلُّ قاص ودان؛ وماذا عسى
أن أصف من جلالته يتهازل بشرُّها، وجزالة يتضوع نشرها؛ وبلاغة تبدَّ بلاغة
سحبان، وبراعة تقاعس عن رُتبتها^(٢) الشيبُ والشبان، وعلمٌ أظهر غوامض
الحقائق وأبان، وحلمٌ أرسخ من رضى وأبان^(٣)؛ ومحاسن، ماؤها غير آسن،
وحلى، حازت مراتب العلى، ومصنفات، مقرّطات مُشَنَّفَات^(٤)، أعلاقٍ
لا تعدلها الأثمان، ولا تُشدَّ على مثلها الأيمان^(٥).

على أنى لستُ من رجال هذا المجال، ولا من فُرسان مِيدان الإحسان؛
إذ الباعُ قصير، والعقل بقواعد العلم^(٦) غيرُ بصير؛ والقلب حليف أشجان
وأوصاب، والفكر أليف غُصص تجرّع منها جَنَى حَنْظَلٍ أَوْ صَاب^(٧)؛

(١) الأعلام: العلامات يهتدى بها في الطريق؛ الواحد: علم.

(٢) في ت: «وثبتها».

(٣) رضى: جبل بالمدينة. وأبان: جبلان، الأبيض والأسود، بينهما نحو فرسخ،
الأبيض لبني جرید من فزارة، والأسود لبني والبة من بني الحارث بن ثعلبة. (انظر
معجم ما استعجم للبكري).

(٤) مقرّطات: ذات أقراط. ومشَنَّفَات ذات شنوف، وهي الأقراط توضع في
أعلى الأذان.

(٥) الأيمان: جمع يمين، وهي اليد اليمنى.

(٦) في ت: «العلوم».

(٧) الصاب: شجر مر.

لا أستطيع إنشاء قول ، ولا أفكر^(١) إلا في همٍّ أو هول ؛ إلى ما دهم من الفتن ،
التي تحت مبالدهر^(٢) من ازدیان ؛ وطرق من الحن ، التي يُغنى عن خبرها العيان ؛
فتنوّعت منها الأعداد ، إلى أفراد وأزواج ؛ وكثر الترداد ، من الخطوب ذات
الجموع والأفواج ؛ وتفاقم وازداد ، هول بحورها المتلاطمة الأمواج :

حملنا من الأيام ما لا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصابيا^(٣)
وعصر رجونا منه إبداء منحة فأبدي ولكن منحة ومصائبيا^(٤)
وما حال من قرّت^(٥) المصائب عيونه دموعا وجوانحه جوى ، ورمته
النوائب^(٦) عن قسيّ النوى ؛ نفلع على الكواكب كراه ، وبرج به الشوق
وبراه . وقطع ودج^(٧) صبره وفراه^(٨) ، واعتراه من دهره ما اعتراه ، وضاعف
ما به كذب حاسد^(٩) افتراه ؛ يأكل المحاسن ، ويجهل بمساويه أن يحاسن ؛
ويُعبد الحق باطلا ، والحالي عاطلا ؛ ويقلب المنحة منحه ، ويرى المصافاة
إحنته ؛ يخاتل محتالة الذيب ، ويكدر مناهل الخلوص والتهديب ، ويقابل الحق

(١) في ت : « ولا أفكر » .

(٢) في ت : « إلى فادح من الفتن التي تحت هابا الدهر » . وهو تحريف .

(٣) الكسير : المكسور . والعصاب : جمع عصابة ، وهي ما يلف حول الجبيرة ونحوها .

(٤) رواية هذا البيت في ت :

وعصر رجونا أن يجود بمنحة وإدراك آمال فأسدى المصائبيا

(٥) كذا في ط . وقرت : زودت ، من القرى ، وهو الطعام يقدم للضيف . وفي ت :

« وقرت » . ووقرت ، أي حملت (بالتضعيف) . والمعروف في هذا المعنى : أوقر .

(٦) في ط : « ورمته سهام النوائب » .

(٧) كذا في ط . والودج (محرّكة) : عرق في العنق . وفي ت : « وجد » .

(٨) فراه : قطعه .

(٩) في ت : « خاسر » .

الواضح بالتكذيب ؛ ويشتغل بما لا يعنيه ، ويعرض عما يقربه إلى ربه
ويُزلفه ويُدنيه^(١) :

لى حيلة فيمن ينمّ وليس للكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو لُ خيالي فيه قلبه

إلى الله المشتكى من هذا وأضرابه ، ممن لم تصف موارد شرابه :

مضت أعمارنا ومضت سنونا ولم تظفر بذي ثنّة يدان
وجربنا الزمان فلم يُفدنا سوى التّخويف من أهل الزمان
ولا غرو أن كان لأهل الزمان به اشتباه ، والله قولُ بعض أهل الذكاء
والتيقظ والانتباه :

والناس مثلُ زمانهم قدّوا^(٢) الخداء على مثاله
ورجال دهرك مثل دهرك في تقلبه وحاله
ولنا إذا فسد الزمان جرى الفساد على رجاله

أستغفر الله ، هذه نفثة مصدور ذى ألم ، أو هفوة مغمور ساعدها طغيان القلم :
ندمُ زماناً ما له من جناية ونشكوه لو تُغني عن المرء شكواه
ولا ذنب فينا للزمان وإنما جدينا فعوقبنا بما قد جنيناه
هو القدر الجاري على الكره والرضا فصبراً وتسلماً لما قدر الله
ونفوسنا أولى باللوم ، لو سلكنا سبيل خيار القوم ؛ واقتفينا سنن التقوى ،
وتمسكنا بحبل التوفيق الأقوى :

(١) في ت : « يقربه لربه زلفى ويدنيه » .

(٢) كذاط ولعلها محرفة عن : « حدو » أو « قد » وكلاهما مصدر بمعنى قطع
الشيء على مثال شيء آخر .

وما دارنا إلا مواتٌ لو أننا نُفَكِّرُ والأخرى هي الحيوانُ
 شَرِيناً^(١) بها عزاً بهونٍ جهالةً وشتانَ عزٍّ للفتى وهوان
 وحُق لمن علم تقلبات الدهر بأهله وتصرفاته ، أن يستعمل ما بقي من عمره
 فيما يوصله إلى منازل النعيم المُقيم وغُرُفاته :
 للدهر قَوْسٌ لا تزال سَهَامُهَا تُصَمِّي الأَنَامَ أصاغراً وأكابراً
 طُوبَى لمن هَجَرَ القَبِيحَ ولم يكن إلا على فعل الجَمِيلِ مثابراً
 جعلنا الله ممن ثابر على فعل الجَمِيلِ ، وبلغ من خير الدارين غاية التأميل .

وحين ورد على هذا الخطابُ الذي تقدّم ، وألّفى ركن الاضطراب كاد يتهدّم
 أو تهتّم ؛ أضربت عن جوابه حيناً من الدهر ، وماطلت مُقتَضِي دَيْنِهِ من
 يوم إلى يوم ، ومن شهر إلى شهر ؛ والأرض تَمِيدُ اضطراباً واختلالاً ، والأحوال
 تزيد دَنَفًا واعتلالاً ؛ وأنا أحوم على مناهل الجواب حَوْماً ، وأروم الورود في
 مَشَارِبِهَا العَذْبَةَ يوماً فيوماً ؛ والأيام لا تَسْمَحُ بِهِلَهُ ، ولا تَفْسَحُ^(٢) إليها فُسْحَةً ،
 ولا توسعها مُهْلَهُ ؛ ثم وقع العَزْمُ والتصميم على جواب هذا السائل ، راجياً من
 الله سبحانه أن يكون ذلك من أفضل القرب وأعظم الوسائل ؛ ودخلت من هذا
 الباب بعد أن قرعت ، وأخذت في هذا الغرض وشرعت ، وشربت من ماء
 التَّصْنِيفِ وكرّعت ، وبذرت في أرض التَّأْلِيفِ وزرعت ، هذا^(٣) مع أني
 ما مهّرت ولا برعت ؛ ولا أتقنت لصناعة التأليف عملاً :

لكن قدرةً مثلى غيرُ خافيةٍ والنمل يُعذّر في القدر الذي حَمَلَا
 وكثيراً ما خرجتُ من الشيء إلى ما يناسبه ويدانيه ؛ وربما أبعدت

(١) شرينا (هنا) : بعنا .

(٢) في ت : « تفتح » .

(٣) هذه الكلمة « هذا » : ساقطة في ت .

النَّبْجَةُ^(١)، ثم وقعت الأوبة والرَّجْعَةُ ؛ على رَغْمِ أَنْفِ قَالِي ذَلِكَ وشانيه ،
وقرّبت بذلك كله شاسعاً ، كي تسهل مؤنثه على مُعَانِيهِ ، وهصرت أفنان
ألفاظه ومعانيه ؛ لِيَقْرُبَ اقْتِطَافُهُ لجانِيه ؛ وسميته^(٢) « بأزهار الرياض ، في أخبار
عياض ، وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض » ؛ تسمية وافقت إن شاء الله
مَعْنَاهُ ، وناسبت منزله ومَعْنَاهُ ؛ لأنه جمع أزهار ذات ألوان ، من وَرْدٍ وَأُخْوَانِ ؛
وبهَّارٍ^(٣) ، عَرَفُهُ ذُو انْتِشَارٍ^(٤) ؛ وَمَنْشُورٍ ، روضه مَرِيحٍ^(٥) مَمْطُورٍ ، ونَسْرِينٍ^(٦) ،
يَفُوقُ أَرْجِه مِسْكَ دَارِينٍ^(٧) ؛ وآسٍ^(٨) ، عاطر الأَنْفَاسِ ؛ وشَقِيْقٍ^(٩) ، خَلِيْقٍ
بِالْمَدْحِ حَمِيْقٍ ؛ وَنَيْلُوفَرٍ^(١٠) ، حاز من المحاسن النصب الأوفر ؛ وأجريت
جداول أنهار ، من الحكايات لسقى هذه الأزهار ؛ فأينع النوار ، وتأنقت الأنوار ،
وتفتن الناظر بين أنجاد وأغوار ، ولم يَدِرْ وقد انتقل من أطوار إلى أطوار ،
وتأمل صرْحاً^(١١) بُنى على غير [شفا]^(١٢) [جرْفٍ هَارٍ :

أَضِيَاءُ هَدَى أُمِ ضِيَاءِ نَهَارٍ وَشَذَا الْمَحَامِدِ أُمِ شَذَا الْأَزْهَارِ

- (١) النجعة (بضم النون) : الارتياح والطلب .
- (٢) كذا في ت وهو موافق للمصدر الذي بعده . وفي ط : « ووسمته » .
- (٣) الأفيحوان : نبت طيب الريح ، له نور أبيض كأنه ثغر جارية حديثة السن ، وهو البابونج بالفارسية . والبهار : نبت جمع له فقاحة صفراء ، طيب الرائحة .
- (٤) في ت : « ذو اشتهار » .
- (٥) مريع : خصيب .
- (٦) النسرين (بكسر النون) : ورد أبيض عطري الرائحة .
- (٧) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند . (عن معجم البلدان) .
- (٨) الآس : الريحان .
- (٩) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقطة سود . وفي ط : « والشقيق » .
- (١٠) النيلوفر (بفتح النون المشددة وكسرها) : نبات مائي ، له ساق أملس ، فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر زهراً أبيض ، وسطه زعفراني اللون .
- (١١) في ت : « سرحا » بالسين .
- (١٢) زيادة عن ت .

وقد أفصح تَرْجُمان التراجم عن عدّها^(١) وسرّدها ، ولوَّح لُكْتة الاختتام
بنيولوفرها والافتتاح بوَردها .

وهي هذه الترجمة :

الأولى : روضة الورد ، في أولية هذا العالم الفرد .

الثانية : روضة الأخوان ؛ في ذكر حاله في المنشأ والعنفوان .

الثالثة : روضة البهار ، في ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم أظهر من
شمس النهار .

الرابعة : روضة المشور ، في بعض ماله من منظوم ومنثور .

الخامسة : روضة النسرين ، في تصانيفه العديمة النظير والقيرين .

السادسة : روضة الآس ، في وفاته وما قابله به الدهر الذي ليس أجرحه
من آس .

[٩]

السابعة : روضة الشقيق ، في جمل من [فوائده ، ولمع من^(٢)] فرائده ،
المنظومة نظم الدرّ والعقيق .

الثامنة : روضة النيولوفر ، في ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التي هي
أعطر من المسك الأذفر .

فدونك أيها الناظر^(٣) روضات أزهار ، وجنات تجرى من تحتها الأنهار ؛
أبوابها ثمانية ، وقطوفها دانيه ؛ تعطر منها نسيم الصبا بزهر الآداب ، وسما إلى

(١) في ط : « عددها » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ت : « أيها الأخ الناظر » .

محاسنها من تعلق من التاريخ بأهداب^(١) ؛ لم أسبق إلى مثلها فيما رأيت ، وإن
 بعدتُ فيها عن المهيّج المطروق ونأيت ؛ والإنسان مُغرم^(٢) ببنيّات أفكاره ،
 وإن قُوبل ما صدر منه بإنكاره ؛ وقد أنشدتُ بلسان حالها ، مخاطبة من رضى
 بانتسابها وانتحالها :

سَرِّحْ جُهونَكَ في الحَدَا تُقِ وَأَجْنِ أزهارِ الرِياضِ
 مِنْ وَرْدِ أُحْمَرَ أَوْ شَقَا تُقِ أَوْ بِهَارِ ذِي بِياضِ
 وَأَشْرِبْ بِكَاسَاتِ الرَّقَا تُقِ مِنْ عُيُونِ أَوْ حِيَاضِ
 وَانظُرْ مَنَاقِبَ ذِي الحَقَا تُقِ عَالِمِ الدُنْيَا عِيَاضِ

واكرع بماء التعريف زلالا ، وأدرِ كأسَ التّشريفِ حلالا ؛ وأرو من هذا
 النهر ، واقطف ما شئت من أصناف الرّهر ؛ وأخطِر هذه الروضة ببالك ، وأدر
 إليها وجهَ قبولك وإقبالك ؛ فقولفها وإن لم يكن بمصيب ، ولا ممن له في
 الإجابة حظّ وافر ولا نصيب^(٣) ، فَمَنْ أُلِّقَتْ فِيهِ تَحَسُّنٌ بِإِحْسَانِهِ وَتَنَالِ^(٤)
 المرعى الخَصِيبِ :

سَلامٍ مِثْلُ عَرَفِ المِسْكِ طَيِّبًا وَحُسْنًا مِثْلَ أَزْهَارِ الرِياضِ
 عَلَي لَفْظِ الجَلالَةِ وَالْمَعَالِي إِمَامِ الدِّينِ وَالدُنْيَا عِيَاضِ^(٥)
 إِذَا ما قَيْسَ بِالْعَمَاءِ طُرًّا غَدَا بَحْرًا وَأَعْصَحُوا كالحِيَاضِ

(١) في ت : « قطفا إلى محاسنها من تعلق من التاريخ الأهداب » . وهي
 ظاهرة التحريف .

(٢) في ت : « يقرع » وهو تحريف .

(٣) في ط : « وافر ونصيب » .

(٤) أشير في هامش ط فوق هذه الكلمة إلى رواية نسخة أخرى ، وهي : « وترعى » .

(٥) رواية الشطر الثاني من هذا البيت في ت : « ومعنى المجد والعليا عياض » .

وكنت حين شرعت في هذا المجموع السامى ، وأطلعت على بعضه صاحبنا
 الفقيه العلامة الأصيل الحاجّ الرّحال ، أبا الحسن سيدي عليّ بن أحمد الخزرّجى
 الشامى ، حفظ الله كماله ، وبلغه آماله ، خاطبني بقصيدة من نظمه ، أسماه الله ،
 ألمّ فيها بذكر هذا الموضوع بما يقتضيه شرفُ خِلاله ، وكرمُ جلاله ؛ وأشار فيها
 إلى تقض عزم الرّحلة التي نويت إذ ذاك^(١) للمكان الشريف ، لا حرمنا^(٢) الله
 من^(٣) مشاهدته عن قُرب ، في حفظ وعافية ، بمَنه ويُمينه . وهى هذه ، وأنشدنيها
 من لفظه ، وكتبها بخطه ، وأرسلها إلى ، شكر الله صنيعة :

أُمُفْتِي الغرب أَدْعَتْهُ طَرَاظًا نَثَرْتُمْ فِيهِ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ^(٤)
 وَنَظَّمْتُمْ عُقُودًا مِنْ لَالٍ لِجَيْدِ حُلَى الْمَآثِرِ مِنْ عِيَاضِ
 وَأَوْرَقْتُمْ غُصُونِ عُلاهِ لَمَّا سَقَّاهَا فِكْرُكُمْ سَقَى الحِيَاضِ^(٥)
 وَنَمَّيْتُمْ مَطَارِفَ مَا رَأَيْنَا كَطَرْتُهَا سَوَادًا فِي بِيَاضِ^(٦)
 وَنَادَيْتُمْ عَقَائِلَهُ فَذَلَّتْ شَوَامِسُهَا إِلَيْكُمْ بَارْتِيَاضِ^(٧)
 وَأَسَّسْتُمْ مِنَ الْآثَارِ طُرًّا قَوَاعِدَ لَا تُسَاوِمُ^(٨) بَانْتِقَاضِ
 لَكَ التَّبْرِيْزُ فِي الْعُلِيَاءِ فَاقْضِ عَلَى عُلَمَائِهَا مَا أَنْتَ قَاضِي

[١٠]

(١) فى ت : « ذلك » .

(٢) فى ت : « لا أحرمننا » .

(٣) المسموع أن الفعلين (حرم ، وأحرم) يتعديان بنفسهما إلى مفعولين .

(٤) الطراز : علم الثوب ، أى ما فيه من نقش .

(٥) جاء بالفعل « أورك » هنا متعديا ، وهو لازم .

(٦) الطرة : نقش فى الثوب يخالف لونه ، يمتد على الجانبين .

(٧) العقائل : جمع عقيلة ، وهى النجيبه الكريمة ، والشوامس : جمع شامسة ، وهى الممتعة .

(٨) كذا فى ط . ولا تساوم بانتقاض ، أى لا يطمع فى نقضها ، من المساومة ، وهى

المجادبة بين البائع والمشتري . وفى ت : « لا تسام » ، إلا أن الوزن لا يستقيم بها .

تَبَدَّيْتُمْ بِهَا بَدْرًا وَحُزْتُمْ خِصَالِ سَبَاقِكُمْ^(١) دُونَ اعْتِرَاضِ
نُعْتَمُ بِالْكَامِلِ بَغَيْرِ عَطْفٍ وَكُلُّهُمْ بِذَلِكَ التَّمَعْتِ رَاضِي
وَمَا وَفَّوْا بِحَقِّكُمْ وَلَكِنْ يُؤَدِّي الْبَعْضُ مِنْ بَعْضِ افْتِرَاضِ
بِعِلْمِكُمْ شَفِيتُمْ أَرْضَ عَرَبٍ وَكَانَتْ ذَاتَ أَحْشَاءٍ مَرِاضِ
وَلَمَّا أَنْ بَدَأَ مِنْكُمْ فِرَاقٌ تَوَقَّعْتَ أَنْ يَبُولَ إِلَى انْقِرَاضِ
وَأَنَّ نُجُومَهَا بِالْبُعْدِ يُخْشَى عَلَيْهَا مِنْ سُقُوطِ وَأَنْقِرَاضِ
فَأَرْسَلَ شَافِعًا خِلًّا حَشَّاهُ بِهَذَا الْبُعْدِ أَمْسَتْ فِي انْقِرَاضِ
يُذَكِّرُكُمْ لِيَالِي نَيِّرَاتٍ بِأَنْسَكُمْ تُنِيرُ دُجَى الْمَضَاضِ^(٢)
يُودُّ الطَّرْفُ يَجْعَلُهَا اِكْتِحَالًا مَكَانَ سَوَادِهِ دُونَ اغْتِيَاضِ
بِحَقِّ اللَّهِ لَا تُبَدِي دُجَاهَا بِغَيْبَةِ بَدْرِكُمْ بَعْدَ اِتِّمَاضِ^(٣)
وَلَا تَهْمَلْ شَفَاعَةَ مُسْتَهَامِ صَدُوقِ الْوُدِّ فِي آتٍ وَمَاضِي
وَدُمْ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا إِمَامًا وَبَحَرَ هُدًى عُلُومِكِ فِي افْتِيَاضِ
يَعْمُ الْأَرْضَ مَا لَاحَتْ^(٤) بُدُورُ وَمَا فَاحَتْ أَزَاهِرُ فِي رِيَاضِ

يَكْرَعُ مِنْهُ الْمَمْلُوكُ عَلًّا وَنَهْلًا ، وَيَضْرَعُ فِي الْجَوَابِ فِعْلًا لَا قَوْلًا ؛ وَيُعِيدُ
السَّلَامَ التَّامَّ ، الزَّكِيَّ الْعَامَّ ، عَلَى الْجُلُوسِ الْعَالَمِيِّ ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ .
انْتَهَى مَا كَتَبَ بِهِ صَانِعُهُ اللَّهُ ، وَأَضْفَى عَلَيْهِ حَمَلُ الْمَجْدِ .

(١) في ط : « سباقهم » .

(٢) المضاض (بالضم) : وجع يصيب العين (كما في شرح القاموس) ؛ ويريد بدعي
المضاض : ما يجده المريض بعينه من سواد حاله .

(٣) اتماض : بريق ولمعان ؛ وهو افتعال من ومض . وفي ط « اتماض » ، والنصواب
ما أثبتناه .

(٤) في ب : « ما دامت » .

وقد ذُكرتُ في هذا الكتابِ حكاياتٍ مختلفة ، وفنوناً مفيدة^(١) ، يزداد الناظر بها معرفة [حسبها]^(٢)] جرت بذلك عادة كثير من الأئمة في مُصنّفاتهم ، ومجالس دَرَسهم . وقد قال الماوردي ، أفضى القضاة في كتاب آداب الدين والدنيا^(٣) : القلوب ترهّاح إلى الفنون المختلفة ؛ وذكر أن المأمون كان ينتقل في قصره من موضع إلى موضع ، ويُنشد قول أبي العتاهية :

لا يُلصَحُ النفسَ إذ كانت مُدبَّرَةً إلا التَّنقلُ من حالٍ إلى حالٍ^(٤) [١١]

وقال أبو حنيفة : الحكايات عن العلماء أحبّ إليّ من كثير من الفقه ، لأنها آداب القوم . وقال الشيخ سيّدنا أبو القاسم الجنيد ، رضى الله عنه ، ونفعنا ببركاته : الحكايات جُند من جنود الله ، يُقوى الله بها أبدان المرّيين . وقال الإمام المواق^(٥) في كتابه المسمّى «سند المهتدين»^(٦) عن شيخه الممتورى ، بسنده إلى أبي العباس بن العريف ، قال : كنت في مجلس أستاذى أبي على الصّدقى^(٧) أقرأ عليه الحديث ، فقرأ يوماً الحديث ثم أغلق الكتاب وجعل

(١) في ت : « حكايات عظيمة ، وفنون بديعة » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هو كتاب « أدب الدنيا والدين » كما في كتب الفهارس .

(٤) النفس المدبرة : المشغولة بالتفكير في الأمور .

(٥) كذا في ط . والمواق ، هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم خطيب

غرناطة . وفي ت : « المولى » وهو تحريف .

(٦) كذا في ط . وهو « سند المهتدين في مقامات الدين » . والكتاب محفوظ

بدار الكتب المصرية برقم ٨٣٥ تصوف . وفي ت : « سن المهتدى »

وهو تحريف .

(٧) هو القاضي أبو على حسين بن محمد بن حيون بن فيرة الصّدقى السرقسطى ، يعرف

بأبن سكرة وبأبن الدراج . لم يكن بشرق الأندلس في وقته مثله في تقييد الحديث

وضبطه ، والعلو في روايته . توفي سنة ٥١٤ هـ . (راجع بغية المتتمس للضبي ،

ونفع الطيب للمؤلف ، والصلة لابن بشكوال) .

يُحكى حكايات^(١) الصالحين ، فوقع في نفسى : كيف يُجيز الشيخُ أن يقطع حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحكى الحكايات ؟ قال : فما تمَّ لى الخاطرُ حتى نظرَ إلى^(٢) الشيخِ شَرَّراً ، وقال : يا أحمد ، الحكاياتُ جُنْدٌ من جنود الله يثبَّت اللهُ بها قلوبَ العارفين من عباده . قال : فما بَقِيَ فى جَسَدى شعرةٌ إلا قَطَرَ منها العرق . فلما رآنى دَهَشْتُ ، قال لى : يا أحمد ، أين مُصَدِّق ذلك من كتاب الله ؟ قلت : الشيخُ أعلم ؛ قال : قوله تعالى : « وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ » الآية . انتهى .

وهذا آوان الشُّروع ، وعلى الله قَصْدُ السَّبِيلِ ، وهو حَسْبى ونعم الوكيل .

(١) كذا فى ت وسند المهتدين . وفى ط : « حكاية » .

(٢) كذا فى سند المهتدين ، وفى الأصلين : « نظرنى » .

روضه الورد في أولية هذا الإمام الفرد^(١)

نسب عياض

أقول ، وعلى الله أعتد ، ومن بحر كرمه أستمد :

هذه ترجمة نذكر فيها أصله ومختده ، وأوليته ومولده .

عند الوادي آشي

قال الشيخ الإمام الرحال أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي^(٢) ، الملقب

بشمس الدين ، رحمه الله ورَضِيَ عنه :

هو عِيَاضُ بن موسى بن عِيَاض بن عَمْرُون بن موسى بن عِيَاض بن محمد

ابن عبد الله بن موسى بن عِيَاض اليَحْضَبِيِّ السَّبْتِيِّ . هكذا ذكر نسبه الشيخ

أبو القاسم الملاحى . وعَمْرُون ، ثبت عنده بنون بعد الواو .

عند ابن الأبار

ووقع في مُعْجَم أصحاب الصَّدَقِ ، للإمام الشهير القاضي أبي عبد الله محمد بن

عبد الله القُضَاعِي ، المعروف بابن الأبار : « عمرو » ، دون نون .

عند ابن خاتمة

قلت : ونحوه لابن خاتمة^(٣) في الكتاب المسمى بـ « مَزِيَّة المَرِيَّة » ، على غيرها

من البلاد الأندلسية .

وقال الشيخ أبو القاسم بن المَلْجُوم :

إجتاز علينا القاضي عِيَاض عند انصرافه من سبته قاصدا إلى الحَضْرَة ،

زائراً لأبي بداره^(٤) عشية يوم الاثنين الثامن لرجب ، سنة ثلاث وأربعين وخمس

(١) فيما سبق عند الكلام على تقسيم الروضات (ص ١٧ من هذا الجزء) : « العالم الفرد » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن علي الموارى ، من أهل المرية ، كان كفيف البصر ، وهو من

شيوخ لسان الدين بن الخطيب ، وصاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان . وقد

رحل إلى المشرق في طلب الحديث . والوادي آشي : نسبة إلى وادي آش (ويقال

فيه : وادي الأشات) . وهي مدينة جليلة من أعمال غرناطة . (عن نفع الطيب) .

(٣) ابن خاتمة : هو أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ، من

أهل المرية ، يكنى أبا جعفر . (راجع الإحاطة ونفع الطيب) .

(٤) في ت : « في داره » .

مئة ، وفي هذه العشية استجزته^(١) ، وسألته عن نسبه ؛ فقال لي : إنما أحفظ : « عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض . وأحفظ أيضا بعد ذلك : محمد^(٢) بن عبد الله^(٣) بن موسى بن عياض . ولا أعرف أن محمدا هذا هو أبو عياض أو بينهما أحد » . انتهى كلام ابن الملجوم .

وقوله « اجتاز علينا » يعني بمدينة فاس ، وقوله « قاصدا إلى الحضرة » [١٢] يعني مرّا كاش .

وأفادني الشيخُ العارف المتبّتل ، الربّاني البرّكة ، سيدي حسين الزرّويّ أبقى الله بركاته ، وأدام وجوده والنفع به :

نزوله بدار ابن
الغرديس

أن القاضي عياضاً ، رضي الله عنه ، لما دخل الحضرة الفاسية ، حاطها الله ، نزل بدار ابن الغرديس التّغلبى^(٤) بزّنة حجامة ، حسبما أشار إليه ابن الأحمر ، ولم تزل هذه الدار إلى الآن بيد أولاد ابن الغرديس .

وقال نجلُ عياض الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عياض ، قاضي دانية^(٥) ، على ما قال ابن خلكان ؛ وقاضي غرناطة ، على ما قال^(٦) ابن قنفذ وغيره . ولعله تولى القضاء فيهما معا رحمه الله ، المتوفى سنة خمس وسبعين وخمس مئة :

عند ولده محمد

(١) استجزته : طلبت منه أن يجيزني ، أي يأذن لي بقراءة مؤلفاته ومروياته .
(٢) كذا في ت ومعجم أحباب الصّدي لابن الأبار ، وفيا سياً في الأصلين . وفي ط هنا : « أحمد » وهو تحريف .
(٣) لم يذكر ابن الأبار « عبد الله » في أجداد القاضي عياض .
(٤) هو محمد بن الغرديس قاضي فاس إذ ذاك . (انظر كتاب البستان لابن مريم طبع الجزائر صفحة ٥٤) .
(٥) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية ، على ضفة البحر شرقا . (عن معجم البلدان) .
(٦) في ط : « ما قاله » .

« كان أبي يقول : لا أدري : هل محمدُ والد عياض ، أو بينهما رجل ؟ فهو جدّه » . انتهى .

وهو مثل ما حكى ابنُ الملجوم عن عياض ، كما سبق قريبا .
ورأيت في تاريخ الشمس ابن خلكان ، المسمى بـ « وفيات الأعيان » ،
في تعداد آباء القاضي عياض ، خلاف ما سبق ؛ ولا أدري : هل ذلك تحريف
من الناسخ أو وهم من المؤلف ؟ ونصه : « عياض بن موسى بن عياض بن
موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي » . انتهى .
فأنت تراه قد أسقط « عمرو^(١) » فيما بين عياض وموسى ، وأسقط أيضا
« عبد الله » فيما بين « محمد » و « موسى » .

وقد وافقه على إسقاط « عبد الله » الشيخ العلامة ابن خاتمة في « مزية
المريّة » ، فإنه قال في باب العين ما نصه : « ومن الغرباء : عياض بن موسى
ابن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض
اليحصبي^(٢) » . انتهى .

على أن ابن خلكان وغيره من المشارقة ربما يقع لهم الغلط في تاريخ أهل
المغرب ، لبعد الديار ، ولغير ذلك ، مما لا يخفى على من مارس علم التاريخ ؛ كما
أن كثيراً من المغاربة لا يُحررون تاريخ المشارقة ، لما ذكرناه ؛ ولذا قال شيخ
الإسلام ابن حجر^(٣) في تأليفه المسمى بـ « إنباء العُمر ، بأنباء العُمر » حين عرّف

(١) الذي في وفيات الأعيان لابن خلكان المطبوع يخالف ما ذكره المؤلف ، إذ فيه :

« عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن

عياض اليحصبي السبتي » بذكر « عمر » في مكان « عمرو » .

(٢) ووافقهما أيضا ابن الأبار في معجمه على إسقاط اسم « عبد الله » من نسب عياض .

(٣) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي ، الشهير بابن حجر العسقلاني ،

المولود سنة ٧٧٣ هـ ، والمتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

شيء عن ابن
خلكان وابن
خلدون

بشيخه وليّ الدين بن خلدون الحَضْرَمِيّ المَعْرَبِيّ قاضي القضاة المالكية ،
بالديار المصرية ، وهو صاحب التاريخ الكبير المشهور ، الموسوم بـ «ديوان العبر» ،
وكتاب المبتدأ والخبر ، في تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصره من
ذوي السلطان الأكبر^(١) « ما نصه :

«وصنف التاريخ الكبير في سبع مجلدات ضخمة ، ظهرت فيه فضائله ،
وأبان فيه عن براعته ، ولم يكن مطالعا على الأخبار على جليتها ، ولا سيما
أخبار^(٢) المشرق ، وهذا^(٣) بين لمن نظر في كلامه » . انتهى .

وأن هذا الكلام وقول^(٤) الشيخ^(٥) شمس الدين البغدادي في الشيخ
وليّ الدين عبد الرحمن بن خلدون المذكور ، رحم الله الجميع :

قاضي القضاة ابن خلدون أتى عَجَبًا تاريخه مُخْبِرٌ عن سائر الدُّوَلِ
قالوا وَلِيٌّ قَلْنَا من كرامته وكشّفه جاء يُنبئنا عن الأول^(٦) [١٣]
وليس بدعا ولا في الله مُمْتَنِعًا أن يجمع العالم الكُلِّي في رجل^(٧)
وبالجملة فما ذكرنا أولاً في تعداد آباء القاضي عياض ، رحمه الله ، هو الذي

(١) اسم الكتاب على النسخة المطبوعة ، وفي كشف الظنون ، وفي نفع الطيب :

« كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ... الخ .

(٢) كذا في ط وإنباء الغمر . وفي ت : « أخبار أهل المشرق » .

(٣) كذا في ط وإنباء الغمر المخطوط المحفوظ بدارالكتب المصرية برقم ٢٤٧٦ تاريخ .

وفي ت : « وهو » .

(٤) في ت : « من قول » .

(٥) هذه السكحة : « الشيخ » ساقطة في ت .

(٦) يشير بقوله : « ولي » إلى لقب ابن خلدون وهو : « ولي الدين » .

(٧) ينظر في هذا البيت إلى قول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

عليه المعول ، وعليه أعتمد ولده ، وابن الملقوم ، وابن بشكوال^(١) ، وابن جابر ، وابن الخطيب في « الإحاطة » ، وغير واحد ؛ وكفي بهؤلاء حجة . وناهيك بولده وابن الملقوم ، الذي أخذ ذلك من لفظه ، حسبما سبق آنفا ؛ وهو الصواب الذي لا يُعدل عنه ، والله تعالى أعلم .

الكلام في ضبط
« اليحصي »

والْيَحْصِيّ ، بضم الصاد وكسرها ، وزاد بعضهم فتحتها^(٢) ، ونحوه لابن خلكان ؛ واقتصر بعضهم على الكسر قائلا : وهو الصواب ، بناء على أنها ، أعنى القميّلة ، يَحْصِب ، بكسر الصاد ، كتغاب . ولا أشك أن النسب إليه إن كان بكسر الصاد : يَحْصِيّ ، بالكسر كتغابي^(٣) ؛ وأما ضم الصاد في النسب ، فهو مبني على أن « يَحْصِب » بضم الصاد^(٤) في الحى . قال ابن سيده في مُحْكَمه : وَيَحْصِب : قبيلة ، وإنما هي يَحْصِب ، يعنى بضم الصاد ، نُقِلت من قولك : حَصَبه بالحصي يحصبه ؛ قال ابن جابر : وليس بالقوى^(٥) .

ويَحْصِب : من حمير ، وهو يَحْصِب بن مُدْرِك ، حسبما هو مذكور في كتب الأنساب .

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي الفضل عياض :

(١) لم يذكر ابن بشكوال في الصلة غير : « عياض بن موسى بن عياض اليحصي » .
(٢) زيد في هامش ط عند هذه الكلمة : « فيكون مثلنا ، ونقل التثنية الجعبري في شرح الشاطبية ، وابن مالك في مثلثاته ، وغيرها » .
(٣) يجوز في النسب إلى تغلب ونحوه كسر الثالث وفتحه . وزيد في هامش ط عند هذه الكلمة : « فيه نظر يعلم من شرح الشفاء للشهاب . وفي كتب الصرف في التسهيل : الفتح ، وهو الجاري على قواعد النسب وإن كان بالكسر ، كأنه كسر ونحوه » .

(٤) في ط : « يعنى بضم الصاد » .

(٥) أى أن جعل الفعل من باب نصر ليس بالقوى ، وإنما القوى فيه أنه من باب ضرب .

محمد بن عياض
يخبر عن موطن
أجداده

« استقر أجدادنا في القديم بجهة بَسْطَة ^(١) ، من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، فلا أدري أكان قبل استقرارهم بالأندلس أم بعده ؟ ولذلك يقول عبد الله بن حكيم :

وكانت لهم بالقيروان مآثر عليها لمحض الحق أوضح برهان
قال :

وكان « عمرون » والد جد أبي ، رحمة الله على جميعهم ، رجلاً خيراً صالحاً ، من أهل القرآن ، حجّ إحدى عشرة حجّة ، وغزا مع ابن أبي عامر ^(٢) غزوات كثيرة ، وانتقل من مدينة فاس إلى مدينة سبتة ، بعد دخول بني عبيد ^(٣) المغرب ، وكان سبب ذلك أنه كان له ولأبيه نباهة بمدينة فاس ، فأخذ ابن أبي عامر زهنًا من أعيان مدينة فاس ، فأخذ فيهم أخوى « عمرون » : عيسى والقاسم ، فخرج عمرون إلى مدينة سبتة ، ليقرّب من أخبارها بمدينة قرطبة ، فاستحسن سكنى مدينة سبتة ، وكان مؤسراً ، فاشتري [بها ^(٤)] أرضاً ، وهي المعروفة بالمنارة ، فبنى في بعضها مسجداً ، وفي بعضها داراً ، حبسها على المسجد ، وهو حتى الآن منسوب إليه ، وحبس باقي الأرض للدفن ، ولم يزل منقطعاً في ذلك المسجد إلى أن مات ، رحمه الله ، سنة سبع وتسعين وثلاث مئة . ووُلِد له [١٤]

قبل وفاته بيسير ابنه عياض ، ثم وُلِد لعياض ابنه موسى ، ثم ولد لموسى ابنه

(١) بسطة : من أعمال جيان . (عن تقويم البلدان) .

(٢) هو المنصور محمد بن أبي عامر العافري الوزير الحاجب في دولة المؤيد هشام بن الحكم المستنصر الأموي . كان من أهل الفقه والحسنة والدعاء ، وأبلى في محاربة الإسبان أعظم البلاء .

(٣) يريد الفاطميين أولاد عبيد الله المهدي .

(٤) زيادة عن ت .

عياض ، أبي ، رحمهم الله أجمعين ؛ وذلك ، فيما رأيته بخطه ، في النصف من شعبان عام ستة وسبعين وأربع مئة بسبته . انتهى .

والسبتي : نسبة إلى سبته ، مدينة بساحل بحر الزقاق ، مشهورة ، واختلّف في سبب تسميتها بذلك ، فقليل لانقطاعها في البحر ، من قولك : سبت النعل : إذا قطعها ^(١) ، وقيل لأن محتطها هو سبت بن سام بن نوح ، وإلى هذا الأخير ينظر قول لسان الدين الوزير الشهير ، العلامة أبو عبد الله بن الخطيب السلماني الغرناطي ، رحمه الله ، من قصيدة :

حُميتَ يا مُحتَطَّ سبتِ بنِ نوحٍ بكلِّ مُزنٍ يفتدي أو يروحُ
مغنى أبي الفضلِ عياضِ الذي أضحى برِياهُ رياضُ ^(٢) تقوحُ
وفيهما يقول الأديب أبو الحكم مالك بن المرحّل ، من قصيدة طويلة بدعية ^(٣) جدًا ، مطلعها :

سَلامٌ على سبتهِ المغربِ أخيةِ مكةَ أو يثربِ
وفي مدحها يقول أيضاً رحمه الله :
أخطِرَ على سبتهِ وانظُرْ إلى جَملها تَصبُو إلى حُسْنِهِ
كَأنها عودٌ غناءٌ وَقَدُ أُلقيَ في البَحْرِ على بَطْنِهِ
وقال الجبّارى في المسهب :

« أول من سكن برّ العُدوة و بر الأندلس من ولد نوح بعد الطوفان ، سبت وأندلس ابنا ^(٤) يافت بن نوح ، فنزل سبت في آخر المعمور من بر العُدوة ،

(١) في ط : « قطعه » . والمعروف أن النعل مؤنثة .

(٢) في ت ونجح الطيب : « رياضاً » .

(٣) هذه الكلمة « بدعية » ساقطة في ت .

(٤) في ط : « ابن » وهو تحريف .

و بنى له منزلا في موضع سَبْتَة ، فدُعيت ^(١) باسمه ، وتناسلت منه قبائل البربر ، واتسعت في برّ العُدوة إلى أن بلغت إلى فِلَسْطِين ، وكان مَلِكهم يسمى جالوت ، وكان مَجُوسِيَا ، وهزَمَه طالوت ، وقتله داوُد ، فانضَمَّت البربر عن فِلَسْطِين ، وعن الديار المصرية ، واقتصرت من برّقة إلى آخر المعمور ؛ وسكن أخواهُ أُنْدَلُس [مقابلا له في ^(٢)] انتهاء المعمور ، فعرفت باسمه . انتهى .
وأكثر بلاد العُدوة في الإقليم الثالث ^(٣) ، وفيه حَضَرَتها مَرَاكُش ، وما قارب منها الأندلس كسبْتَة ^(٤) وما قرب منها في الإقليم الرابع .

قال ابن سعيد :

« ولا نطالب في هذا البر بما صنعناه في الأندلس ^(٥) ، فأهل الأندلس إما عرب أو متعربون ^(٦) ، قد توارثوا قوام اللسان ^(٧) وحافظوا عليه ، وأهل برّ العُدوة إما برّبر أو مُتَبَرِّرون » . اهـ .

وفي وصفها يقول لسانُ الدين بن الخطيب في مقامة وصف البلدان :
« قلت : فمدينة سَبْتَة ؟ قال : تلك عروس المَجْلَى ^(٨) ، وثنية الصّباح الأجلَى ؛

وصف ابن
الخطيب لسبته

- (١) في ت : « فعرفت » .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) هذا حسب التقسيم الجغرافي القديم . (انظر تقويم البلدان لأبي الفداء ، ومسالك الأبصار للعمرى ، ونزهة المشتاق للإدرسي) .
(٤) كذا في ط . وفي ت : « وما قاربها منها الأندلس كسبته في الإقليم الرابع » .
(٥) في ت : « في هذا الفن عما صنعنا بالأندلس » .
(٦) كذا في نفتح الطيب (ج ١ ص ٦٣ طبع مصر) . وفي الأصلين : « فكان أهل الأندلس إما عرب أو متعربون » .
(٧) كذا في نفتح الطيب وفي ط : « أقوام الأندلس » . وفي ت : « قدام الأندلس » ولا يستقيم بهما الكلام .
(٨) في ط : « مجلى » .

تبرجت تبرج العقيله ، ونظرت وجهها من البحر في المراتة الصقيله ، واختص
 ميزان حسناتها بالأعمال الثقيلة ؛ وإذا قامت بيض أسوارها (١) ، وكان جبل
 بليونش (٢) شمامة أزهارها (٣) ، والمنارة منارة أنوارها ؛ فكيف (٤) لا ترغب
 النفوس في جوارها ، وتهمم الحواطر بين أنجادها وأغوارها ؛ إلى الميناء الفلكية ،
 والمراق الملكية (٥) . والركية (٦) الزكية ، غير المنزورة (٧) ولا البكية (٨) .
 ذات (٩) الوقود الجزل ، المعد للأزل (١٠) ، والقصور المقصورة على الجد والهزل ؛
 والوجوه الزهر السحن ، المضمون بها عن المحن ؛ دار الناشبه (١١) ، والحامية
 المضرمة للحرب المناشبه (١٢) ؛ والأسطول المرهوب ، المحذور الأهوب (١٣) ،
 [١٥] والسلاح المكتوب المحسوب ، والأثر المعروف المنسوب ؛ كرسي الأمراء
 والأشراف ، والوسيطه ، لخامس أقاليم البسيطه ، فلا حظ لها في الانحراف ؛

- (١) في ت : « أسوارها » وهو تحريف .
 (٢) كذا في تقويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل ، والمغرب ، في بلاد إفريقية والمغرب ،
 للبكري ، وفي نفع الطيب للمؤلف في بعض مواضع ، وفي الاستبصار ، في عجائب
 الأمصار ، عند الكلام على سبتة ، وفي الأصلين هنا وفيما سياتي : « بليونش » .
 (٣) الشامة : ما يتشم من الأرواح الطيبة . يريد أن جبل بليونش أعطر رياضها .
 (٤) في الأصلين ونفع الطيب : « كيف » .
 (٥) في ت : « الفلكية » .
 (٦) الركية : البئر . ورواية هذه الكلمة في الأصلين « الذكية » وظاهر أنها محرفة
 عما أثبتناه . ويعين عليه قرينتا « المنزورة والبكية » بعده .
 (٧) المنزورة : القليلة الماء .
 (٨) البكية : القليلة الماء . ورواية هذه الكلمة في الأصلين : « المبكية » وظاهر أنها
 محرفة عما أثبتناه .
 (٩) يريد سبتة .
 (١٠) الأزل : الضيق والشدة .
 (١١) كذا في ت . والناشبه : القوم الذين يرمون بالنشاب ، أي النبل .
 (١٢) يقال : ناشبه الحرب ، أي نابذه .
 (١٣) الأهوب (هنا) : السطو والبطش ، مأخوذ من أهوب الفرس ، وهو اضطرامه
 في عدوه .

بَصْرَةَ علوم اللسان ، وصنْعاء الحُلل الحسان ، وثمرَة امتثال قوله : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » ، الأمانة على الأختزان ، القويمة المكيال والميزان ، محشر أنواع الحيتان ، ومحطّ قوافل العَصِير والحريز والسكتان ، وكفاها السكنى ببليونش في فصول الأزمان ، ووجود المساكن النبية بأرخص الأثمان ؛ والمدفن المرحوم غير المرحوم ، وخزانة كتب العلوم ^(١) ، والآثار المُنبئة عن أصالة الحُلوم ؛ إلا أنها فاغرة الأفواه للجَنوب ^(٢) ، للغيث المصبوب ، عُرْضة للرياح ذات الهبوب ، عَدِيمة الحَرث قهيرة من الحبوب ، ثغر تَنبُو فيه المضاجع بالجَنوب ، وناهيك بحسنة تُعدّ من الذنوب ؛ فأحوال أهلها رقيقه ، وتكاتفهم ظاهرهما ظهرت وليمية أو عقيقه ^(٣) ، واقتصادهم لا تلبس منه طريقه ، وأنساب نفاقاتهم في تقدير الأرزاق عريقه ؛ فهم يَمَصُّون البُلالَة مصّ المحاجم ^(٤) ، ويجعلون الخبز في الولاأم بعدد الجماجم ، وفتنتهم ببلدهم فتنة الواجم ، بالبشير المهاجم ^(٥) ، وراعى الجدب بالمطر الساجم ^(٦) ؛ فلا يفضلون على مدينتهم مدينه ، الشك عندى في مكة والمدينه . انتهى .

قلت : واعله عرض بقوله : « الشك عندى في مكة والمدينة » ، بقول مالك بن المرحل : « أُخِيَّةُ مَكَّةَ أَوْ يَثْرِبَ » . والله أعلم .

وكان لسان الدين بن الخطيب كثيراً ما ينزل في وجهاته المعربية ، عند الشريف الشهير ، سيدى أبى العباس أحمد بن سيدى محمد ، ابن سيدى أحمد ،

الشريف أبو العباس وحفاوته بابن الخطيب

(١) هذه العبارة : « وخزانة كتب العلوم » . ساقطه في ت .

(٢) في ت ونفح الطيب : « أفواه الجنوب » .

(٣) العقيقة : الطعام يدعى إليه الناس عند حلق شعر المولود .

(٤) المحاجم : جمع محجم ، أو محجمة ، وهى شبه الكأس يعص به الدم من الجسم .

(٥) في ت : « الهاجم » .

(٦) المطر الساجم : القليل .

ابن سيدي طاهر^(١) ، ابن سيدي ربيع ، ابن سيدي علي المدعو بالمكين ، ابن سيدي أحمد ، ابن سيدي علي ، ابن سيدي أبي الطاهر ، ابن سيدي الحسين ، ابن [سيدي]^(٢) مَوْهوب ، ابن سيدي أحمد ، ابن سيدي محمد ، ابن سيدي طاهر ، ابن سيدي الحسين ، ابن مولانا علي ، المدعو بالهادي ، ابن مولانا محمد ، المدعو بالجواد ، ابن مولانا علي الرضا ، ابن مولانا موسى ، المدعو بالكاظم ، ابن مولاي جعفر الصادق ، ابن مولاي محمد الباقر بن زين العابدين ، ابن مولاي علي ، ابن مولانا الحسين الشهيد^(٣) ، ابن مولانا أمير المؤمنين ، مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ونفعنا ببركة هؤلاء السادات ، الذين سرّدنا أسماءهم تبرّ كما بها . قال صاحب كتاب « الكواكب الوقادة » ، في ذكر من دُفن في سبّته^(٤) من العلماء والصلحاء القادة :

« كان هذا السيّد الشريف يُوسع ابن الخطيب إكراما ، وكان من عادة الشريف المذكور أن يخرج إلى بساتينه في المصيف بقرية بليُونش ، كمنية العبا ، وجنّة الحافة ، ويجلس في القبة السامية المُطلّة على البحر بجنة الحافة ، ويجعل الطريق تحته ، فإذا رأى جماعة سائرين من أيّ صنف كانوا ، من التجار أو الغرباء أو البلديين ، يوجه رجاله إليهم ، ويقدم لهم الطعام ، ويرتاح إلى ذلك ، ويُسرّ به ، ويؤنّس كُلاً بما يُناسبه ، من ذكر عيون أخبار بلده^(٥) ، وخاصية قطره ، وما يجرّ إلى ذلك ويرجع إليه ، من بديع الحكايات ، ولطيف

[١٦]

(١) في ت : « الطاهر » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ط : « الصهير » .

(٤) في ت : « بسبته » . واسم هذا الكتاب في البستان لابن مريم (ص ٣١٤) :

« الكواكب الوقادة ، فيمن كان بسبته من العلماء والصلحين القادة » .

(٥) في ت : « بلاده » .

النوادر ؛ ثم يأمر بإدارته على تلك البساتين ، ورؤية ما بها من المصانع ^(١) ، ثم يبعث وراء آخرين ، ويُنزل كل واحد منزلته ؛ ويغيب ^(٢) عن يُحجّله حضوره ؛ ويُغضّي عن مُداعبة إن وقعت ، ويتجاهل الهفوة إن بدرت . وكان يُخرج الوزير ابن الخطيب — عند نزوله عنده — إلى هذه القرية البليونشية .

ومن بديع نظم ابن الخطيب فيها :

شعر لابن الخطيب
في بليونش

بليونشُ أَسْنَى الأَمَا كُن رِفْعَةً وَأَجَلَّ أَرْضِ اللهُ طُرًّا شَانَا

هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا الَّتِي مَنْ حَاطَهَا ^(٣) نَالَ الرِّضَا وَالرَّوْحَ وَالرَّيْحَانَا

قَالُوا القُرُودَ بِهَا فَضِيلَةً حَيَوَانُهَا قَدْ قَارَبَ الإِنْسَانَا ^(٤)

وفيهما يقول القاضي عياض ^(٥) :

شعر لعياض
فيها أيضا

بليونشُ جَنَّةٌ وَلَكِنْ طَرِيقُهَا يَتَقَطَعُ التَّيَاطَا

كَجَنَّةِ الخُلْدِ لَا يَرَاهَا إِلا الَّذِي ^(٦) جَاوَزَ الصَّرَاطَا

ونقلتُ من خط ابن حيان ^(٧) — بعد كلام في سبته — ما نصّه :

وصف ابن
حيان لها

« ومنتزهاتها أعظمها بليونش ، تحتوى على مياه عيون ، وأودية ، ومنتزهات ،

وأبنية عظيمة ؛ وفيها من جميع الأشجار والثمار . »

(١) المصانع : جمع مصنع ، أو مصنعة (بفتح النون وضمها) ، وهي شبه الحوض يجمع

فيها ماء المطر ؛ والمصانع (أيضا) : الباني من القصور ونحوها .

(٢) في ت : « وينيب » .

(٣) في ت : « من شأنها » . ولا يستقيم بها الكلام .

(٤) قال في الاستبصار : « وعلى قرية بليونش المذكورة جبل عظيم فيه القردة » .

وسيعرض المؤلف لهذا بعد قليل .

(٥) نسب هذان البيتان في تقويم البلدان لابن عياض .

(٦) كذا في تقويم البلدان . وفي الأصلين : « إذا » ، وما أثبتناه أظهر .

(٧) في الأصلين : « أبي حيان » وهو تحريف .

شعر للمنصفي
فيها أيضا

وفيها يقول أبو الحجاج المنصفي^(١) :

بليونش شكّلها بديع أفرغ في قالب الجمال^(٢)
فيها الذي ما رأته عيني يوماً ولم يختطر ببالي^(٣)
طريقها كالصدود لكن تعقبه لذّة الوصال^(٤)

قال ابن رشيد :

وأشدني القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكميلي^(٥) قاضي

أزمور^(٦) فيها :

بليونش كلّها عذاب^(٧) فالمشى في سبيلها عقاب^(٨)
يكنفها شامخ منيف كأنه فوقها عقاب

وهذا الشامخ يعرف بجبل موسى . [وإليه أشار المنصفي في مخمسة :

وطوّد موسى^(٩) لها تاج على الراس

وبهذا الجبل متعبّد مبارك ، وبساحله مغطس المرجان ، ومن عجائب هذا

المتعبّد أن من دخله ممن ليس له أهلاً فإنه يجد في عنقه^(١٠) صفعاً إلى أسفل الجبل ؛

وهو مسيرة ثلاثة أميال ، وهو من سبته على تسعة أميال ، وبهذا الجبل منشأ

(١) نسبة إلى « منصف » بفتح الميم والصاد ، من قرى بلنسية .

(٢) في ط : « في قالب كمال » .

(٣) لم ترد صيغة « اختطر » في الفاموس وشرحه ولا في اللسان ولا في الأساس .

(٤) في ط : « من الصدود لكن » وهو تحريف .

(٥) في ت : « الأيلي » .

(٦) أزمور (بفتح الهمزة والزاي المعجمة وتشديد الميم ثم واو وراء مهملّة) : من مدن

بر العدوة على ميلين من البحر . (عن تقويم البلدان) .

(٧) في ط : « عقاب » .

(٨) في ط : « عذاب » .

(٩) زيادة عن ت .

(١٠) في ط : « في شقه » .

شعر الكميلي فيها

القرود ، وهو مستشرف على بعض الأندلس . وبسببته مدرسة بناها أبو الحسن الشاربي^(١) ، ووقف بها كتباً عظيمة .

وبموضع يقال له التوتة يوجد كثير من الياقوت الأحمر^(٢) دقيق^(٣) . ومن عجائبها أن البَلَّارِج^(٤) لا تعشش فيها^(٥) ، ولما تحطرت عليها . ويقال إنها^(٦) بناها سبت بن سام بن نوح ، وإنه دعا لها باليمن والبركة ، ورووا في ذلك حديثاً عن مالك عن نافع عن ابن عمر . قال عياض : وأبرأ أنا من عهدته ، وقد خرجه في الغنية ، ولذلك قال بعض الشعراء :

فكل جَبَّار إذا ما طغى وكان في طُغْيَانِهِ يُسْرِفُ
أرسله الله إلى سَبْتَةٍ فكل جَبَّار بها يُقْصَفُ
أنشدهما أبو عبد الله محمد بن حمادة [البرُنْسِيُّ^(٧)] ، خال أبي لأمه^(٨) ، في كتابه المسمى بـ « المقتبس ، في أخبار المغرب والأندلس » .

ومن نظم المَنْصَفِي في بليونش من قصيدة :

شعر المنصفي فيها

انظُرْ إلى نَضْرَةِ زَهْرِ الرُّبَا كأنه وَشَى على كعابِ
ومتّع الطَّرْفِ بِبِليُونشٍ ومائها المُنْبِعِثِ السَّاكِبِ
تشاركتُ والحسن في وصفها تشارِكُ العين مع الحاجبِ

(١) في ت : « الشاوي » .

(٢) في ت : « كسر من الياقوت السمر » .

(٣) كذا في ت : وقد وردت هذه الكلمة مطموسة في ط .

(٤) البَلَّارِج : اللقالي . (عن تكملة المعجمات العربية لدوزي) .

(٥) في ت : « بها » .

(٦) في ت : « لانه » .

(٧) زيادة عن ت . والبرنسي : نسبة إلى برنس (بوزن قنفذ) : قبيلة من البربر ، سميت

بهم مساكنهم .

(٨) في ت : « قال أبي لأمه » . وهو تحريف .

وقد أرتنا^(١) اليومَ من حُسْنِها ما لم يكن في زَمَنِ الحَاجِبِ
— والحاجِبِ : أحد^(٢) ملوك سبته ؛ [وله عمل ابن مرانة^(٣) قصيدة في
الكواثر والحوادث^(٤)] —

فَعَالَةٌ بِالطَّبَعِ فِي أَهْلِهَا مَا تَفْعَلُ الْقَهْوَةُ بِالشَّارِبِ
تُذَكِّرُ الشَّيْخَ زَمَانَ الصَّبَا وَتُفْسِدُ^(٥) التَّوْبَةَ لِلتَّائِبِ
وله :

انظر إلى بهجة بليونشٍ وحُسنِ ذلك المنظر اللامعِ
تحكى الثريا عندما أُسْرِجَتْ بليمة الختممة في الجامع^(٦)

مثل من كرم
الشريف
أبي العباس

ولما قفل السلطان الأشهر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر من المغرب ،
حين رجوعه إلى بلده^(٧) مع قاضي حضرته غرناطة ، أبي الحسن علي بن الحسن ،
المعروف بالنباهي شيخنا ، ووزيره أبي عبد الله بن الخطيب ، صنع له ضيافة
مُلوكية^(٨) بالمُنية ، من قرية بليونش المشار إليها ، حيث القصر هنالك ، وعُنصر

(١) في ت : « رأنا » .

(٢) في ت : « آخر » .

(٣) كذا في معجم البلدان طبعة أوربة عند الكلام على سبته . وفي ت : « مرانة »
بالتاء المثناة الفوقية .

(٤) زيادة عن ت .

(٥) في ط : « وتكسر » .

(٦) في ت : « بالجامع » . ولعله يريد بليمة الختممة ما يفعله أهل المغرب من الاحتفاء
بتحتم حفظ القرآن أو تفسيره أو ختم صحیح البخارى في حفل عام بالمساجد تضاء له
الأنوار ، ومحضره الناس خاصتهم وعامتهم . وقد أفاض في شيء من ذلك ابن أبي دينار
في كتابه « المونس ، في أخبار إفريقية وتونس » .

(٧) في ت : « ملكه » .

(٨) كذا هنا وفيها سيأتي . والنسبة إلى الملوك : « ملكي » ، وشاع على أقلام بعض
الكتاب كالجاحظ : « ملوكي » .

الماء المختص بها . ومن هناك ركب البحر ليلا ، وذلك في جُمادى الآخرى (١) من عام ثلاثة وستين وسبع مئة . وفي الحادى والعشرين من الشهر المذكور دخل دار ملكه حمراء غرناطة ، وأكل من فضل هذه الضيافة مُعظمُ من كان بالقريّة ، من قوى وضعيف ، ورفيع ووضيع .

وكان شيخنا القاضى أبو الحسن المذكور يُثني عليه ، ويُعظمه تعظيماً يليق بمثله ، ويقول فى أثناء حديثه : فعل أبو العباس الشريف صاحب سبته كذا ، وصنع كذا . ولم تزل حالته هذه ، رحمة الله عليه ، إلى أن أسنَّ وأُفْعِدَ ، فلزم منزله ثلاث سنين ، من غير أن يَنْقُصَ ذلك من مَنْصِبِهِ شيئاً ، ولا من انتفاع الناس به ؛ وكان أبيض اللون ، حسن الهيئة والملبَس ، يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ ؛ وَتُوُفِّيَ فى زَمَانَتِهِ وقد نَيَّفَ على (٢) الثمانين ، عام ستة وسبعين وسبع مئة ، وله الآن قرابة بمدينة فاس بقميد الحياة .

ثناء أبي الحسن
اللباهى على
الشريف وشيء
عنه

[١٧]

انتهى كلام صاحب الكواكب الوقادة باختصار ، وبعضه بالمعنى .

ومن نظم هذا الشريف ، مما أمر به أن يُنقش بالقبة المذكورة آنفاً فى معنى الاستعاذة :

شعر للشريف

وَتَيْتُ بِاللّهِ رَبِّي وَحَسْبِيَ اللَّهُ حَسْبِي
وَاللَّهُ كَافٍ وَوَاقٍ وَدَافِعٌ كُلَّ خَطْبٍ
وَلَسْتُ أَخْشَى إِذَا مَا وَتَيْتُ بِاللّهِ رَبِّي
بَلَغْتُ فِيهَا مُرَادِي مُهِنّاً مَعَ صَحْبِي
وَالْخَمْسُ تَفَقُّأً عَيْنًا لِكُلِّ حَاسِدٍ نَدْبٍ (٣)

(١) فى ط : « الآخر » .

(٢) فى ط : « عن » وهو تحريف .

(٣) الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف .

حفاوة أبي عنان
بالشريف أبي
العباس ومنزلته
في سبته

وكان السلطان المرحوم أبو عنان فارس ، ابن السلطان أبي الحسن المرينيّ
يُجِلُّ هذا الشريف ، ويعترف له بالفضل ، ويعطيه العطاء الجزل ، وكان يستدعيه
كل سنة إلى حضرته فاس ، لحضور المولد السعيد ، الذي سنّه ببلاد المغرب
الشيخ أبو العباس العزفيّ ، وتلك السنّة باقية إلى الآن بحسن نيّته ، واعتنائه
بالجناب العليّ^(١) ، نفعه الله بذلك ، ويجمع عليه الخلع الملوكيّة ، ويُعَدُّ له ديناراً
مَسْكُوكاً يُصْنَعُ بمدينة مرّاكش ، زِنْتُهُ مِئَةُ دِينَارٍ ذَهَباً ، يدفع له ذلك مع جائزته ،
إلى غير ذلك مما كان يُتَحَفُّ بِهِ ، رحمه الله ، ويصحبه في وجهته تلك من الضعفاء
والتجار ما لا يُحصى كثرة ، ويتولّى هو الإنفاق على الجميع من ماله ، ويرفع^(٢)
عنه الوازم المخزنيّة ، فكان التجار لأجل ذلك يَرْصُدُونَ وقت سفره وقفوله .
وقدّمه السلطان أبو عنان المذكور ناظراً على بلده سبته ، وأمر صاحب قصبتهما
ألا يقطع أمراً إلا بمشورته ، فكان العمّال يخافونه ويشاورونه ، فإذا رأى من
أحدهم خُرُوجاً عن العادة ، أو خيِّفاً على الرعية ، كتب إلى السلطان في شأنه ،
فيعزله من فورهِ ، ويعوّضه بغيره . وكان يقول للسلطان : لعلك تحسبني خديماً^(٣) ،
لست كذلك ، وإنما نحن معشر أهل البيت شفعاء في الدنيا ، وشفعاء في الآخرة .
فكان أهل سبته في أيامه في عيش هنيء ، ونعمة شاملة ، بقي على هذه الحالة
المرضية مدة عشرين سنة . وله بسبته آثار تحكي الآثار العزفية^(٤) ، كالرياض^(٥)

[١٨]

(١) في ت : « العالی » .

(٢) في ت : « يدفع » .

(٣) يريد : « خادماً » . ولم تنقل المعاجم : « الخديم » بمعنى الخادم ، لكن شارح
القاموس ذكر هذه العبارة : « والخدمان (بالضم) : جمع خادم ، هكذا نقوله
العامّة ، وكأنهم تصوروا فيه جمع خديم » .

(٤) في ت : « العربية » .

(٥) كذا في الأصلين هنا وفيما سياتي ، يريد به القصر وما يحيط به من بساتين ، وقد
يجرى في لسان المغاربة حتى اليوم استعمال لفظ الرياض مفرداً مذكراً بهذا المعنى .

الأعظم ، الذى أمام باب الميناء الأسفل الذى تأتق فى بُنيانه وأبدع صنّعته ،
وجلب إليه الماء بالدواليب حتى أوصله إلى القبة ذات الأعمدة ؛ وكالرياض الذى
بالصّفارين ، حيث كان قعوده مع خواص الناس وعامتهم .

قال صاحب الكواكب الوقّادة :

« سمعت أحد كتّابه الخاصّ به ، الملازم له ليلاً ونهاراً ، مع مرور الأيام
والسنين ، يقول : ما أمرنى قطّ سيدى ومولاي الشريف بكتّاب شىء مخالف
للشرع ، بل فى رفع المظالم ، وإنهاء الشفاعات ، وتوجيه الأمانات ، وما فى معنى
ذلك ، مما ندب إليه الشرعُ ، وحضّ عليه ، ووعد بالثواب على فعله . وطالما
سمعت الكتّاب المذكور يُقسم على ذلك ، نفعه الله [به] » ^(١) . انتهى .

وصف أحد
كتاب
الشريف له

قلت : تذكرت بهذا الفعل الجميل ما كتب [به] ^(١) على دواة أمير المؤمنين
أبى عِنان ، رحمه الله ، وهو :

دواة أبى عنان
وشعر مكتوب
عليها

أنا دواة فارس أبى عِنان المعتمد
حَلَفْتُ مَنْ يَكْتُبُ بى بالواحد الفرد الصمد
أَنْ لَا يَمُدَّ مَدَّةً فى قَطْعِ رِزْقِ لِأَحَدٍ

وقد رأيت فى هذه الأيام دواةً فى غاية ما يكون من الإنقان والصنعة والتذهيب ،
وفىها مكتوب البيتان الأخيران ، وهى عند بعض أصحابنا الكتّاب بالحضرة
الفاسية — حاطها الله — وأظنها هى الدواة التى كانت لأبى عنان ، والله أعلم .

رجع إلى ذكر الشريف

وكان الشريف المذكور يصنع أنواع المطاعم الرفيعة ، ويتبسط في ألوانها ،
ويطعمها الغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، ممن يحضر مجلسه أو يأتي إليه ، وبالجملة
فهو قُطْبُ الجود الذي عليه المدار ، وإمام الأدب الذي لا يجاريه الرَضِيُّ ولا مِهْيَارُ ؛
ومن نظمه ، وقد سافر قاضى الجماعة بحضرة غرناطة ، أبا البركات البَلْفَيْقِيُّ^(١) الشهير
بابن الحاج الشَّامِي ، من ولد العباس بن مرْداس رضى الله عنه ، زمن الشببية
في بعض أسفاره ببرّ الأندلس ، فلما انتهيا إلى قرية بزليانة^(٢) وأدركما النصب ،
واشتد عليهما حرّ الهجير ، نزلا وأكلا من باكر التين الذى هنالك ، وشربا من
ذلك الماء العذب ، واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلمها ،
ثم التفت إلى الشريف وقال :

ماذا تقول ، فدَتَكَ النفس في حالى يفنى زمانى في حَلِّ وتَرَحّالٍ^(٣)
وأرتجّ عليه ؛ فقال لأبى العباس : أجز ؛ فقال بديها :

كذا^(٤) النفوس اللواتى العزّيزُ صَحَبَهَا لا ترتضى بمقام دون آمال

[١٩]

(١) البلفيقي : نسبة إلى بلفيق (بالفتح ، ويروى بتشديد اللام المكسورة مع كسر
الموحدة) : حصن بالمرية . (عن تاج العروس) .

(٢) كذا في معجم البلدان . وبزليانة (بكسرتين وسكون اللام) : بلدة قريبة من مالقة
بالأندلس . وفي ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٤٩ طبعة مصر) : « ترليانة » . وفي
ت : « قرليانة » .

(٣) في ت : « في حل وترحالى » .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « إن » .

دَعَهَا تَجُوبَ الْفَيَافِي وَالْقَفَارَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ السُّؤْلَ أَوْ تَفْنَى بِتَجْوَالِ (١)
 وكان عطاء هذا السيد الشريف المرسوم له من بيت المال ، ثلاثين ديناراً من
 الذهب العين (٢) في رأس كل شهر ، وهو خاتمة الشرفاء العظام بمدينة سبته .
 ولهؤلاء الشرفاء بمدينة سبته نحو الثلاثين قبراً ، في روضتهم المنسوبة إليهم ، بالجانب
 الشرقي من رابطة الفصال . وهؤلاء الشرفاء من ذرية أبي الطاهر الذي خرج
 من جزيرة صقلية ، وكانت لهم بسبته وجاهة (٣) وسياده ، وجلالة ومجاده ؛ لمكان
 بيتهم الشريف ، ونسبهم العالي المنيف ؛ ما منهم واحد إلا غداه العلم بليانه ،
 والأدب ببيانه . وولى منهم قضاء بلد سبته رجلان ، لم يُطْلِعْ مثلهما المألوان ؛
 تقي وعلماً ، وأناة وحلماً ؛ أولهما القاضي أبو الشرف (٤) رفيع ، والثاني ابنه القاضي
 أبو الحسن علي . وكُم نشأ عن هذا الأصل الطاهر من جهبذٍ نحير ، وعالم ماهر ؛
 وسخى جواد ، له إلى الإعطاء (٥) ارتياح وإلى الكرم استناد (٦) ؛ وناهيك
 بخاتمهم أبي العباس المذكور .

أشرف سبته

وكان فائد مَضْرِبِ (٧) الميناء لهذا الشريف أبي العباس الحسيني ، دون
 أن يَشْرَكَه غيره ؛ وكان له بمَضْرِبِ أو يات يوم يضرب فيه ، ويومان لبیت المال ،

دخل الشريف
 من مضرب الميناء
 وما كان ينقعه فيه

(١) رواية هذا البيت في نفع الطيب :

دعها تسر في الفيافي والقفار إلى أن تبلغ السؤل أو موتا بتجوال
 وزاد بعده :

الموت أهون من عيش لدى زمن يعلى اللائم ويدنى الأشرف العالی

(٢) في ت : « ذهباً » .

(٣) في ط : « وجهة » .

(٤) في ط : « الشريف » .

(٥) في ت : « العطا » .

(٦) في ط : « استنح » وهو تحريف .

(٧) المضرب (كما هو ظاهر من السياق هنا) : سوق يتخذها حاكم الميناء لبيع ما يستخرج
 من السمك ونحوه .

وكانت عادة عامل المضارب ، الناظر في فوائدها وما تحتاج إليه من نفقة وآلة ، أن يأمر رجاله وأعوانه ، حين يُبعَد النَّوَابِيَّةُ السَّكِينَسَ ، بالوقوف إليه ، والدفاع عنه ، بعد أن يُحْضِرَ الشهود ، خَفْرًا وَضَبْطًا لما يحصلُ من فائد^(١) المضرب المالى فى يوميه^(٢) ؛ فإذا كان يوم [السَّيِّد^(٣)] الشريف يأمر رجاله وخدامه وأعلاجه^(٤) الإسلاميين ، بإباحة المضرب للمساكين ، وتفريق الحوت على من لا يصل إليه ، ممن يحضر متنزها ، إما لحفظ سرورة ، وإما لغير ذلك . ولا يزال الناظر من قبلاه ، وهو القائد فارح أحد أعلاجه ، واقفاً على حصانه ، وقد أحاطت به رجاله ، إلى أن يرضى كل من يحضر ، وما فضل عن ذلك فهو له . وأما السيد الشريف فلا يحضر ، إذ همته أرفع من ذلك ، وقدره أعظم ، ومكانته بسببته مكانته ، بحيث يأتي إليه فى الموضع الذى أعدده لجلوسه برياضه الذى بالصفارين صبيحة كل يوم صاحب القصة ، كائنا من كان ، مساماً^(٥) عليه ، ثم ينصرف ، ثم يأتي الوالى على قبض الجباية مساماً ، ثم ينصرف بعد تقبيل قدمه ، ثم يأتي صاحب الشرطة ، وكذا جميع أسراء سببته ، إلا القاضى ، لمكان خُطَّته ، فيعامل كلاً بما يستحق من إكرام وإهانة ، وإغلاظ ومجاملة ، فلا يتخلف أحد عن غرضه ، ولا يصدر إلا عن رأيه ونظره . وهذا كله مع النصيحة للمسامين ، وجلب المنفعة لهم بالقول والفعل ، وإطعام الطعام الذى لا يقدر عليه الأمير فمن دونه ، ورفع المظالم ، ومنح الجاه ، إلى غير ذلك ، نفعه الله . فكان من حكمة الله عز وجل وبركة أهل البيت ،

[٢٠]

(١) فى ط : « فوائد » .

(٢) فى ت : « فى يومه » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) أعلاجه : مواليه من غير العرب ؛ مفردة : عالج (بوزن ملح) .

(٥) العبارة من « عليه » إلى « مساماً » : ساقطة فى ت .

وفضل الجود والكرم ومكارم الأخلاق ، وإيصال المنفعة للعباد ، أن يخرج في اليوم الذي له بالمضرب من الحوت ، أى نوع كان من الجارى ، أضعاف ما يخرج في اليومين ، ويحصل له من الفائدة أكثر مما يحصل لمتولى النظر فيهما ، فيتصل^(١) بيده من فائد يومه خمس مئة الدينار^(٢) وسبع المئة ، وربما يزيد وينقص ؛ وقد انتهى في بعض الأحيان إلى ألفى دينار في اليوم ، حسبما يُسْتَنِيهِ^(٣) الله عز وجل ؛ هذا بعد العادة التي عودها نفسه النفيسة ، من الإيثار والبذل ، للسرى والنذل . ولم تكن له همة ، رحمه الله ، في احتكار المال وجمعه ، بل يصرف ذلك كله في إطعام الطعام ، الخاصّ العام ، وفي تشييد البُنْيَانِ ، والإنفاق على الفعلة والصنّاع والخدم ، وآثاره ومصانعه بداخل سبته وخارجها شاهدة بذلك مدى الأيام ؛ وكفى في أثناء هذا التصرف من مؤاساة فقير ، وإعانة ضعيف ، وإغاثة ملهوف ، برفع^(٤) لازم أو وظيف^(٥) ، حسبما هو معلوم معروف منقول .

وكان ملوك بني مرين يعتمنون به أتم اعتناء ، ويبادرون إلى موافقة أغراضه ، وقبول شفاعته ، وما كان يتلقاه حين وروده على حَضْرَتِهِمْ فاس إلا الملكُ بنفسه ، إلى غير ذلك من مناقبه رضى الله عنه ، ونفعنا به ، وبسلفه الطاهر .

حفاوة ملوك
بني مرين به

قلت : وإنما ذكرت التعريف بهذا الشريف الفيّاض ، تفاؤلاً بالابتداء [٢١] به بعد عياض ، لأنى اشترطت أنى أخرج من الشيء إلى ما يناسبه ، فبدأت

سبب تعريف
المؤلف بهذا
الشريف

(١) فى ت : « ويحصل » .

(٢) فى الأصلين : « الخمسمائة دينار ، والسبعائة » .

(٣) يسنيه الله : يسهله ويسره .

(٤) برفع : بحمل .

(٥) يريد : « الوظيفة » وهى الراتب الجارى من الأرزاق ونحوها .

في ذلك بهذا السيد الشريف ، الذي عظمت مجادته^(١) ، وكرمت مناصبه ، وزكت مآثره ، وعلت مناصبه^(٢) ؛ والأعمال بالنيات ، والله يُبلغنا في الدارين غاية الأمنيات .

استيلاء العدو
على سبئته

و بعد أن بلغت سبته ما ذكرناه من أحوالها ، وبقيت مدة آمنة من شرور الدنيا وأهوالها ؛ وأطلعت في سمائها نجومها ، كانت علومها^(٣) للمردة رجوما^(٤) ؛ كعياض المؤلف فيه هذا الكتاب ، وهؤلاء الشرفاء الذين لا يُمتري في فضلهم ولا يرتاب ؛ وبنى العزف للمشاهير ، الذين برزوا في ميدان السبئ على الخاصة^(٥) والجمهير ؛ وحازوا رياسة الدين والدنيا ، وفازوا بالمسكنة السامية والمرتبة العليا ؛ وغيرهم ممن لا يحصى كثره ، ممن كان لهم تقديم وأثره ؛ عدا عليها الدهر بُعدوانه ، وسقط شرفها من إيوانه ؛ واستولى عليها العدو الكافر ، في قضية يطول شرحها ، وعظم على أهل الإيمان قرحها ، وأعضل أطباء الملوك إلى الآن جرحها ، ولم يزل بنفوس المؤمنين شجوها وبرحها .

أخبرني الفقيه الطيب العدل الفرّضي ، سيدي أبو القاسم بن محمد الوزير الغساني رحمه الله : أنه لما دخل سبته ، حين وجهه أمير المؤمنين ، مولانا المنصور ، رحمه الله ، إليها ، في شأن فداء الكفار المأخوذين بالغزوة الشميرة ، ذهب إلى المدرسة التي كان بناها أحد ملوك بني مرّين رحمهم الله ، وأظنه أبا عنان^(٦) ،

(١) في ط : « مآثره » .

(٢) في ت : « وهداه ومناصبه » .

(٣) في ت : « علومهم » .

(٤) في ت : « نجومها » .

(٥) في ت : « الخواص » .

(٦) هذه العبارة : « وأظنه أبا عنان » ساقطة في ت .

وهي من أجل المدارس وأعظمها ، فرأى في محرابها ناقوساً وصليباً ، قال : فسألتني ذلك ، فرفعت بصرى فإذا كتابة بخطٍ رائع ، في تلك النقوش فوق ذلك الناقوس ، فيها قوله تعالى : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ » . وكان ذلك الكتب قديماً فيها من جملة ما كتب المسامون بها حين بنائها ، على ما جرت به عادة الملوك من كتب الآيات القرآنية في النقوش بالزليج^(١) والمرمر . قال لي رحمه الله : فتعجبت^(٢) من ذلك الاتفاق ، وسألني ذلك بعض التسلي ، وإلى الله ترجع الأمور .

وكان أخذ سبته ، أعادها الله ، سنة تسع عشرة وثمان مئة ، بعد ما استولى العدو الكافر على معظم بلاد الأندلس ، مثل قرطبة ، ومُرْسِيَة ، وطليطلة ، وبلنسية ، وغيرها ، مما يطول تعداداه .

وقد قال بعض الشعراء حين أخذت طليطلة ، وكانت من أول ما أخذ من القواعد العظام ، يخاطب أهل الأندلس :

رثاء طليطلة

يَأْهَلْ أُنْدَلُسِ شُدُّوا رِحَالَكُمْ فَمَا الْمُقَامُ بِهَا إِلَّا مِنَ الْعَلَاظِ
السَّلْكُ يُنْثَرُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى سَلِكَ الْجَزَيْرَةِ مَنُثَوْرًا مِنَ الْوَسَطِ
مَنْ جَاوَرَ الشَّرَّ لَا يَأْمَنُ بَوَائِقَهُ كَيْفَ الْحَيَاةُ مَعَ الْحَيَاتِ فِي سَفَاطِ

[٢٢]

(١) الزليج : نوع من الخزف الفاخر الأملس ، تباط به الأرض أو يبلصق على الجدران للزينة ، وهو ما يسمى في لسان العامة « الفاشاني » . (عن مجلة المجمع المسكي للغة العربية) . وقد وردت هذه الكلمة في نفع الطيب (ج ١ ص ٩٤) ، كما وردت في صبح الأعشى (ج ٥ ص ١٥٦) مشروحة بما لا يخرج عن هذا المعنى .
(٢) في ت : « فعجبت » .

قصيدة الرندي
في رثاء الأندلس

ولله درّ الإمام العالم^(١) العلامة خاتمة أدباء الأندلس ، أبي الطيّب^(٢) صالح
ابن شريف الرندي [رحمه الله]^(٣) إذ قال يندب بلاد الأندلس ، ويبعث العزائم
ويحرّكها من أهل الإسلام لنصرة الدين ، وإيقاظ البلاد من يد الكافرين ،
ولسان الحال ينشده « لقد أسمعت لو ناديت حيا » :

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ فلا يُغرّ بِطِيبِ العيش إنسانُ
هي الأمورُ كما شاهدتها أدولُ من سرّه زمن ساءته أزمانُ
وهذه الدار لا تُتقى على أحدٍ ولا يدوم على حال لها^(٤) شانُ
يُعزّي الدهرُ حتماً كلَّ سابغةٍ إذا نبت مشرفيات وخرسان^(٥)
وينتضي كلَّ سيفٍ للفناء ولو كان ابن ذى يزنٍ والغمد عُمدان^(٦)
أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في إرم وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهبٍ وأين عادٌ وشداد وقحطان
أتى على الكلِّ أمرٌ لا مردّ له حتى قضوا فكان القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلكٍ ومن ملك كما حكى عن خيال الطيّف وسنان
دار الزمان على دارا وقائله وأمّ كسرى فما آواه إيوان^(٧)

(١) في ت : « الأديب » .

(٢) في نفع الطيب : « أبي البقاء » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « قوم بها » .

(٥) السابغة : الدرع الكاملة . والمشرفيات : السيوف المنسوبة إلى المشارف ، وهي
قرى من أرض العرب تدنو من الريف . والخرسان (بكسر الخاء) : الرماح ،
الواحد : خرص .

(٦) سيف بن ذى يزن : من ملوك اليمن . وغمدان : قصره .

(٧) دارا : أحد ملوك الفرس .

كأنما الصَّعبُ لم يسهلْ له سببُ
 فجاءعُ الدهرُ أنواعَ منوعِة
 وللحوادثِ ^(١) سُلوَانٌ يهَوِّئُهَا
 دهَى الجزيرةِ أمرٌ لا عزاءَ له
 أصابها العينُ في الإسلامِ فازتُرَّتْ ^(٢)
 فاسألْ بلبنيَّةٍ ما شئتْ مُرسيَّةٍ
 وأين قُرْطبةُ دارِ العلومِ فكم
 وأين حِمْصٌ ^(٤) وما تحويه من نزهِ
 قواعدُ كُنَّ أركانَ البلادِ فما
 تبكي الحنيفةُ البيضاء من أسفِ
 على ديارٍ من الإسلامِ خاليةٍ
 حيث المساجدُ قد صارت كنفاسٍ ما
 حتى المحارِبُ تبكي وهي جامدةٌ
 يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةُ
 وما شيئاً مرَّحاً يُلهيه موطنه
 يوماً ولا ملكَ الدنيا سُلَيْمانُ
 وللزمانِ مَسرَّاتٌ وأحزانُ
 وما لما حَلَّ بالإسلامِ سُلوَانُ
 هوى له أُحدٌ وانهدتْ نَهْلانُ ^(٣)
 حتى خلتْ منه أقطارُ وُبلدانُ
 وأين شاطبةُ أم أين جَيَّانُ
 من عالمٍ قد سما فيها له شانُ
 ونهرها العذبُ فيأضُ ومِلانُ
 عسى البقاء إذا لم تَبْقُ أركانُ [٢٣]
 كما بكى لفراقِ الإلفِ هَيَّانُ
 قد أسلمتْ ^(٥) ولها ^(٦) بالكفرِ عمرانُ
 فيهنَّ إلا نواقيسُ وِصْلُبَانُ
 حتَّى ^(٧) المنابرُ ترثني وهي عَيْدانُ
 إن كنتَ في سِنَّةٍ فالدهرُ يَقْظانُ
 أبعدَ حِمْصَ تغرُّ المرءَ أوطانُ

(١) في ت : « وللمصائب » .

(٢) أحد ونهلان : جبلان في بلاد العرب .

(٣) كذا في ت : ونفح الطيب . وفي ط : « فامتحننت » .

(٤) يريد بحمص : « لإشبيلية » لأن الذين سكنوها عند الفتح كانوا من أهل حمص بالشام .

(٥) في نفح الطيب : « أفقرت » .

(٦) في ط : « فلها » .

(٧) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « حيث » .

تلك المصيبة أنست ما تقدمها
يا أيها الملك البيضاء رأيتُه
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة
وحاملين سيوف المنهد مرهفة
وراعتين وراء البحر في دعة
أعندكم نبأ من أهل أندلس
كم يستغيث بنو المستضعفين^(٢) وهم
ما ذا التقاطع^(٣) في الإسلام بينكم
ألا نفوس أبيات لها هم
يا من^(٤) لذلة قوم بعد عزهم
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
فلو^(٦) تراهم حيارى لا دليل لهم
ولورأيت بكم عندهم
يارب أم وطفل حيل بينهما
وما لها مع طول الدهر نسيان
أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا^(١)
كانها في مجال السبق عقبان
كانها في ظلام التنع نيران
لهم بأوطانهم عز وسلطان
فقد سرى بجدith القوم ركبان
أسرى وقتلى فما يهتز إنسان
وأتمم يا عباد الله إخوان
أما على الخيز أنصار وأعوان
أحال حالهم كفر^(٥) وطغيان
واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
عليهم من ثياب النذل ألوان
لهالك الأمر واستهوتك أحزان
كما تفرق أرواح وأبدان

(١) هذا البيت ساقط من نفع الطيب .

(٢) في ت : « بنا المستضعفون » .

(٣) في ط : « التنافر » .

(٤) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « من ذا » .

(٥) في ت : « قهر » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ولو » .

وطفلةٍ مارأتها الشمس إذ^(١) برزت كأنما هي يا قوتٌ ومرجانٌ
يقودها العليج للسكره مكرهةً والعين باكيةٌ والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان
اتمى^(٢) .

[٢٤] وكان الشيخ [الإمام]^(٣) العلامة الفقيه الوزير الكاتب أبو يحيى بن عاصم
صاحب الشرح على تحفة أبيه ، رحم الله الجميع ، عند ما رأى اختلال أمر الجزيرة
— أعادها الله — وأخذ النصارى — دمرهم الله — لمعظهما ، ولم يبق إذ ذاك بيد
المسلمين إلا غرناطة ، وما يقرب منها ، مع وقوع فتن بين ملوك بني نصر حينئذ ،
ثم أفضى الملك إلى بعضهم ، بعد تمحيص وأمور يطول بيانها ، ألف كتاباً سماه :
« جنة الرضى ، في التسليم لما قدر الله وقضى » ، وهو كتاب عجيب جدا غريب ،
رأيت بعضه يتلمسان ، ونقلت منه ما نصه :

ابن عاصم وبعض
ما جاء في كتابه
عن انحلال أمر
الأندلس

« من استقرأ التواريخ المنصوصة ، وأخبار الملوك المقصوصة ، علم أن
النصارى — دمرهم الله — لم يدركوا في المسلمين نارا ، ولم يرَ حَضُوا^(٤) عن^(٥)
أنفسهم عارا ، ولم يخرَّبوا من الجزيرة منازل وديارا ، ولم يستولوا عليها بلادا
جامعة وأمصارا ، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف ، واجتهادهم في وقوع
الافتراق ، بين المسلمين والاختلاف ؛ وتضريهم^(٦) بالمكر والخديعة بين ملوك

(١) في ت : « قد » . ورواية هذا الشطر في نفع الطيب :

« وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت »

(٢) أشار المؤلف في نفع الطيب بعد ذكر هذه القصيدة إلى أنها قد زيد عليها أبيات
آخر ليست منها ، وأنه نقلها على هذه الصورة عن يوتق به وليس فيها تلك الزيادة .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا في نفع الطيب ، ورحض : غسل . وفي الأصلين : « لم يدحضوا » .

(٥) في ت : « على » .

(٦) كذا في ت : ونفع الطيب . وفي ط : « وتصريفهم » .

الجزيره ؛ وتحر يشهم بالكيد والخلابة بين حُمايتها في الفتن المُبيرة ؛ ومهما كانت الكلمة مؤتلفه ، والأهواء لا مفترقة ولا مختلفه ، والعماء بمعاناة اتفاق القلوب إلى الله مزدلفه ؛ فالحرب إذ ذاك سِجال ، والله في إقامة الجهاد في سبيله رجال ، والهماعة^(١) في غرض المدافعة^(٢) ميدان رحب ومجال ، ورويةً وارتجال .

ثم قال : وتطاوت الأيام ما بين مهادنة ومقاطعته ، ومضاربة ومقارعه ، ومُنازلة ومنازعه ، وموافقة وممانعه ، ومحاربة وموادعه ؛ ولا أمل للطاغية إلا في التمرس بالإسلام والمسلمين ، وإعمال الحيلة على المؤمنين ، وإضمار المكيدة للموحدين ، واستبطان الخديعة للمجاهدين ؛ وهو يظهر أنه ساع للوطن في العاقبة الحسنى ، وأنه منطو لأهله على المقصد الأسنى ؛ وأنه مُهْتَمٌّ بمُرَاعَاةِ أمورهم ، وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم ومُجْهَرٌ بهم ؛ وهو يُسِرُّ حَسْوَاً في أرتغائه^(٣) ، ويُعْمِلُ الحيلة في التماس هُناك الوطن وأبتغائه . فتبّاً لعقول تقبل مثل^(٤) هذا المِحَال ، وتُصَدِّقُ هذا الكذب بوجهه أو بحال^(٥) ؛ وليت المغرور الذي يقبل هذا لو فُكِّر في نفسه ، وعَرَضَ هذا المسموع على مُدْرَكَاتِ حِسِّه ، وراجع^(٦) أوَّلِيَّاتِ عقله وتجربيات^(٧) حُدْسِه ، وقاس عدوه الذي لا تُرْجى مودته على أبناء جنسه ؛ فأنا أنأشده^(٨) الله ، هل بات قطُّ بمصالح النصارى وسلطانهم مُهْتَمّاً ، وأصبح من خَطْبٍ طَرَقَهُمْ مُعْتَمّاً ؛ ونظر لهم نظرَ المُفَكِّرِ في العاقبة الحسنه ، أو قَصَدَ لهم قَصْدَ

[٢٥]

(١) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « وللمبالغة » .

(٢) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « الموافقة » . وهو تحريف .

(٣) الحسو : شرب السائل شيئاً بعد شيء . والارتغاء : احتساء الغوة . وهذا مثل يضرب لمن يظهر أسماً وهو يريد غيره ، أو لمن يظهر طلب القليل وهو يسر أخذ الكثير .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « تقبل هذا المحال » .

(٥) في ط : « حال » .

(٦) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « ورجع » .

(٧) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « تجربات » .

(٨) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « أنشده » .

المُدبَّر في المعيشة^(١) المستحسنه ؛ أو خطر على قلبه أن يحفظ في سبيل القربة^(٢) أربابهم وصلبانهم ، أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أحوالهم ورهبانهم ؛ فإن لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث ، ولم يشرب قلبه حب التثليث ؛ ويكون صادق اللهجة ، مُنصفاً عند قيام الحجة ؛ فسيعترف أن ذلك لم يخطر له قطُّ على خاطر ولا مرَّ له ببال ، وأن عكس ذلك هو الذي كان به ذا اغتباط وبقوله ذا أهتبال^(٣) ، وإن نُسب لذلك المعنى^(٤) ، فهو عليه أثقل من الجبال ، وأشدَّ على قلبه من وقع النبال ؛ هذا وعقدُه^(٥) التوحيد ، وصلاته التحميد ؛ وملته الغراء ، وشريعته البيضاء ؛ ودينه الحنيف القويم ، ونديه الرءوف الرحيم ، وكتابه القرآن الحكيم^(٦) ، ومطوبه بالهداية الصراط المستقيم ؛ فكيف نعتقد هذه المزية الكبرى ، والمنقبة الشهري ؛ لمن عقدُه التثليث ، ودينه المليث^(٧) ؛ ومعبوده الصليب ، وتسميته التصليب ؛ وملته المنسوخة ، وقضيته المنسوخة ؛ وختانه التغطيس ، وغافر ذنبه القسيس ؛ وربُّه عيسى المسيح ، ونظره ليس البين^(٨) ولا الصحيح ، وأن ذلك الرب قد ضُرِّج بالدماء ، وسُقِيَ الخلل عوضَ الماء ؛ وأن اليهود قد^(٩) قتلته مصلوباً ، وأدركته مطلوباً^(١٠) ، وقهرته^(١١)

- (١) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « العيشة » .
- (٢) كذا في ت ونفع الطيب . والقربة : التقرب . وفي ط « القربة » .
- (٣) الاهتبال : تحين الشيء ، واغتنامه .
- (٤) كذا في نفع الطيب ، وفي ط : « وإن نسب ذلك لا معنى » . وفي ت : « وإن نسب ذلك المعنى » . وما أثبتناه أولى بالسباق .
- (٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وعظه » .
- (٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « العظيم » .
- (٧) مليث : مختلط أمره . يقال : رأس مليث إذا اختلط شعره الأبيض بالأسود .
- (٨) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « لا أئين » .
- (٩) هذه الكلمة : « قد » ساقطة في ت ونفع الطيب .
- (١٠) هذه العبارة « وأدركته مطلوباً » ساقطة في ت .
- (١١) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « وقتلته » .

مغلوبا ؛ وأنه جَزِعَ من الموت وخاف ، إلى سَوَى^(١) ذلك مما يُناسب هذه الأفاويل السَّخَاف ؛ فكيف يُرَجَى من هؤلاء الكفّرة من الخير مثقال^(٢) الذرّة ، أو يُطَمَع^(٣) منهم في جَلْبِ المنفعة أو دفعِ المضرة ؛ اللهم احفظ علينا العقل والدين ، واسلُك بنا سبيلَ المهتدين . انتهى .

ومنه أيضاً ما نصه :

« كانت خزانة هذه الدار النَّصْرِيَّة^(٤) ، مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ، وبتيمة من الجوهر ، وفريدة من الزُّمُرُود ، وثمانسة من الفيرُوزج ، وعلى كل واقٍ من الثُّرُوع ، وحامٍ من العُدَّة ، وماضٍ من الأسلحة ، وفاخر من الآلة ، ونادر من الأمتعة ، فمن عُقُودِ فِذَّة^(٥) ، وسلوكِ حَمَّة ، وأقراطِ تَفَضَّل على قُرْطَى مَارِيَّة^(٦) ، نفاسة فائقة ، وحُسْنًا رائقًا ، ومن سيوفٍ شِواذٍ في الإبداع ، غرائب في الإعجاب ، منسوبات^(٧) الصَّفَاح في الطَّبَع ، خالصة^(٨) الحَلَى من التَّبَر ؛ ومن دُرُوعٍ مُتَقَدَّرَة^(٩) السَّرْد ، متلاحمة النسيج ، واقية للبأس^(١٠) في يوم الحرب ، مشهورة النَّسْبَة إلى داود نبيِّ الله ؛ ومن جِوَاهِرِ^(١١) سابغة اللَّبْسَة ، ذهبية الحليّة ،

[٢٦]

(١) في ت : « غير » .

(٢) في نفع الطيب : « مقدار » .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « يطلب » . وهو تحريف .

(٤) النصرية : نسبة إلى بني نصر ، وهم بنو الأحمر أصحاب غرناطة .

(٥) في هامش نفع الطيب : « عدة » .

(٦) هي مارية بنت ظالم بن وهب السكندية ، زوجة الحارث الأكبر الغساني ؛ وكان

في قرطبيها لؤلؤتان مجيبتان ضربت العرب بنفاستهما المثل .

(٧) معروفة بصانعيها .

(٨) في ت ونفع الطيب : « خالصات » .

(٩) في ط : « المقدودة » ، وهو تحريف .

(١٠) في ط ونفع الطيب : « للناس » .

(١١) الجواشن : الدروع .

هندية الضرب ، دِباجِيَّة الثوب ؛ ومن بِيضَات عسجدية الطوق ^(١) ، جوهرية التنضيد ^(٢) ، زَبْرَجْدِيَّة ^(٣) التقسيم ، ياقوتية المركز ؛ ومن مَنَاطِق لُجْبِيَّة الصوغ ، عَرِيضَة ^(٤) الشكل ، مَزُجَّة ^(٥) الصَّفح ؛ ومن دَرَق لَمَطِيَّة ^(٦) ، مُصَمِّمَة المسام ، لِيَنَة المَجَسَّة ، معروفة المَنَعَة ، صافية الأديم ؛ ومن قِسِي ناصعة الصَّبْغَة ، هلالية الخلقة ، منعطفة الجوانب ، زارية بالحواجب ، إلى آلات فاخرة ، من أَتَوَار ^(٧) نَحَاسِيَّة ، ومناوِر ^(٨) بِلُورِيَّة ، وطيافير ^(٩) دِمَشْقِيَّة ، وسُبُجَات ^(١٠) زُجَاجِيَّة ، وصِحَاف صِدِينِيَّة ، وأَكْوَاب عِرَاقِيَّة ، وأقداح طَبَاشِيرِيَّة ^(١١) ، وَسَوِي

- (١) في نفح الطيب طبع مصر : « الطرق » .
 (٢) في ط : « التنضيض » وهو تحريف .
 (٣) كذا في ت : ونفح الطيب . وفي ط « مجردية » وهو تحريف .
 (٤) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « عرضة » . وهو تحريف .
 (٥) كذا في نفح الطيب . وفي ت : « فرجية » وفي ط « برعمة » .
 (٦) نسبة إلى لمطة مدينة من المغرب الأقصى ينسب إليها الدرق ، لأنهم يتقعون الجلود في الحليب سنة ، فيعملونها ، فينبو عنها السيف القاطع .
 (٧) كذا في ت . والأتوار : آنية يشرب فيها ، وأحدها تور . وفي نفح الطيب : « أوتار » . وفي ط : « أتواق » ولا معنى لهذه الأخيرة .
 (٨) المناور : جمع منارة ، وتجمع على منائر ومناورات . وهي ما يوضع عليه السراج . وقد ذكرها دوزي نقلا عن أبي إسحاق الشيرازي في عبارة نصها : « في آنية مختلفة الأعلى والأوسط والأسفل كالأباريق والأسطغان الضيقة الرؤوس والمناورات (المنائر) » .
 (٩) الطيافير : كلمة مولدة لم ترد في معاجم اللغة . وذكرها دوزي في كتابه تكلمة المعاجم العربية : « وهي أطباق مستديرة عميقة ، قاعها مستو ، وحافاتهما مرتفعة نحو ثلاث بوصات أو أربع ؛ الواحد : طيفور ، ويقال فيه « تيفور » وتجمع أيضا على طيافر وطوافير » . وقد وردت أيضا ضمن عبارة في صبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٠٥) هذا نصها : « فيمد لهم السماط ثرائد في جفان حولها طوافير ، وهي الخافي ، فيها أطعمة ملونة منوعة » . وظاهر من عبارة صبح الأعشى أنها آنية ذات أعطية .
 (١٠) كذا في الأصلين ونفح الطيب . والسبجات : جمع سبجة ، وهي خرزات تنظم في خيط للتسبيح ، وهي مولدة . وذكرها هنا بين أسماء آنية الطعام ووصفها بالزجاجية ، يشعر بأنها محرفة عن لفظ آخر .
 (١١) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين ورواية أخرى في نفح الطيب : « طباشيرية » ، ولعل المراد بالطباشير هنا : مادة خزفية أو نحوها .

ذلك مما لا يُحيط به الوصف ، ولا يستوفيه العَدُّ ؛ وكل ذلك ألَهَبَهُ (١) شُواظُ (٢) الفِئْتَةِ ، والتقمه تَيَّار الخِلاف والفرقة ؛ فَرَزَتْ الدار منه بما يتعذر إتيان الدهور بمثله ، وتقتصر ديار الملوك المؤتلة النعمة عن بعضه فضلا عن كُله . انتهى .
وسنذكر من كلامه رحمه الله بعد هذا ، زيادة على ما جلبناه الآن ،
والله المستعان .

ذكر غرناطة

وكانت غرناطة منتهى الآمال ، ووُسْطَى قِلادة الأمصار ، ولم تزل محاسنها
مَجْلُوةً على مَنْصَةِ الدهور والأعصار . وقد استولى (٣) وصفها لسانُ الدين الوزير
أبو عبد الله بن الخطيب في كتاب الإحاطة ، ويرحم الله القائل :

غَرْنَاطَةٌ ما لها نَظير ما مِصْرُ ما الشَّامُ ما العِراقُ ؟
ما هيَ إلا العروسُ تُجَلَّى والأرضُ من جُملة الصِّداقِ (٤)

تقريب لابن
عاصم على كتاب
الإحاطة

قال الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن [أحمد بن] (٥) الحدَّاد الشهير
بالوادي آشي ، نزيل تلمسان :

كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال ، الفائقة الكمال ، من الإحاطة ، في
تاريخ غرناطة ، المُحَبَّسَة على المدرسة اليوسُفيّة ، من الحضرة العليّة (٦) ، بخط
قاضى الجماعه ، ومنفَّذ الأحكام الشرعيّة المطاعه ، صدر البلغاء ، وعلم العلماء ،
ووحيد الكبراء ، وأصيل الحُسباء ، الوزير الرئيس المعظم أبي يحيى بن عاصم ،
رحمة الله عليه ، ما نصَّه :

[٢٧]

(١) كذا في إحدى روايتي نفع الطيب . وفي الأصلين ورواية أخرى بنفع الطيب

« التهبه » . ولم يرد هذا الفعل متعديا في كتب اللغة . ولعله محرف عن « التهمه » .

(٢) الشواظ : لهب النار .

(٣) يريد : « تولى » . ولم يرد في المعاجم « استولى » متعديا إلا بالحرف .

(٤) رواية الشطر الثاني من البيت في نفع الطيب : « وتلك من جملة الصداق » .

(٥) زيادة عن الإحاطة .

(٦) في ط : « العالمة » .

« الحمد لله ، الاستدلال بالاثر على المؤثر مما سمّه الأعلام ، وشهدت به العقول الراجحة والأحلام ؛ وهو الحجّة المُعتمَدة حين تتفاضل الأبواب ، وتتقاصر الأفهام ، وبه الاستمسك إن طرقت الشكوك ، أو عرضت الأوهام . وحسبك بما يُسَلَّم في هذا المقام المتعالى من الأدله ، وما يُعتمد في هذا المجال المتضايق من البراهين المستقلّة ؛ تحقيق أن يُتلقَى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفنّ المشار إليه بالقبول ، ويُستقبل المُهتدي لا ستنباطه لما فيه من التبادر إلى الأفهام والتسابق للعقول ؛ وإذا ثبت أن المستدلّ بهذه الأدلة سالك على سواء سبيل ، ومنتمٍ من صحة النظر إلى أكرم قبيل ، فلا خفاء أن كتاب « الإحاطة » للشيخ الرئيس ذي الوزارتين^(١) أبو عبد الله بن الخطيب رحمه الله ، من أثر هذه الدولة النُصيرية — أدامها الله — بكل اعتبار ، ومآثرها التي هي عبرة لأولى الأبواب ، وذكرى لأولى الأبصار .

أما الأول فلأن الأنبياء التي أظهرت صحتها^(٢) ، وأوضحت حجتها ، وشرفت مقصدها ، وكرمت مصعدها ، إنما هي مناقب ملوكها الكرام ، ومكارم خلفائها الأعلام ، وأخبار^(٣) من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور حملة السيوف والأقلام ؛ وأفذاذ حفظة الدين والدنيا ، والشرف والعليا ، والمُلك والإسلام ؛ أو ما يرجع إلى مفاخر حضرة المُلك ، ويُنظَم^(٤) نظم الجُمان^(٥) في ذلك السلك ، من حصانة قلعتها ، وأصالة^(٦) منعتها ؛

(١) في ط : « ذي الوزارة » . وهو تحريف .

(٢) في ت : « ظهرت بهجتها » .

(٣) في ت : « أو أخبار » .

(٤) في ت : « ينتظم » .

(٥) في ت : « الجمال »

(٦) في ط : « وأصانة » . وهو تحريف .

وقديم اختطاطها ، وكريم جهادها ورباطها ؛ وحسن ترتيبها ووضعها ، وما اشتمل عليه من مقاصد الأنس أهل رُبْعها ؛ وما سوى هذه الأقسام الثلاثة فمن قبيل القليل ، ومما يرجع إلى شرف الحضرة ، ممن انتابها^(١) من أهل الفضل الواضح والمجد الأثيل .

وأما ثانياً فإن راسم آياتها المتلوة^(٢) ، ومُبدع محاسنها المجلوة ، وناقل صورتها من الفعل إلى القوة ، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمة ، ونشأة^(٣) من نشآت جودها الشامل النعمه ، الهامل الديمه ؛ فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف ، على الإنصاف ، فأخلاف^(٤) هذه المسكارم النَّصْرِيَّة أَرْضَعْتَهُ ، وعنايتها الجميلة أَسْمَتَهُ ، فوق الكواكب ورفعتَه ؛ وإليها ينسب إحسانه إن انتسب ، ومن كريم تشريفها اكتسب ، من الفضل الظاهر ما اكتسب . والحضرة هي منشؤه الذي عظم فيه قدره ، بل أُنْفِقَهُ^(٥) الذي أشرق فيه بدره ؛ والتشريفات السلطانية هي التي فَتَقَّتِ اللَّهْمِي بِاللَّهْمِي^(٦) ، وأحلت من سراقي العزِّ فوق الشَّهَابِ^(٧) ؛ وأمكنت الأيدي^(٨) من الذخائر والأعلاق ، وطوقت المين كالقلائد في الأعناق ؛ وقلدت الرياسة والأقلام أقلام ، وثنت الوزارة والأعلام أعلام ؛ فبهرت أنواع المحاسن ، وورد معين البلاغة غير المطروق ولا الآسن ؛ وبرَّعت التوايف ، في الفنون المتعدده ، واشتهرت التصانيف ، ومنها هذا التصنيف المشار إليه ، لما له

[٢٨]

(١) كذا في ط . وانتابها : قصدها . وفي ت : « انتهى بها » .

(٢) في ط : « المتأصرة » . وهو تحريف .

(٣) النشأة : السجاية الناشئة .

(٤) الأخلاف : جمع خلف ، وهو من ذوات الحف بمنزلة الندى للإنسان .

(٥) في ط : « بالفقه » وهو تحريف .

(٦) اللهمي (بالفتح) : جمع لهاة ، وهي اللحمة المشرفة على الحلق ، واللهمي (بالضم) :

جمع لهية ، وهي العظية .

(٧) السهبا : كوكب خفي من بنات نعش ، ويضرب به المثل في العلو والارتفاع .

(٨) في ط : « الأيادي » .

من الأذمة المتأكده . وإذا^(١) ظهر هذا الاستدلال ، وأوضح البيان ما كتمه الإجمال ، فلنفصح^(٢) الآن بما قصد ، ولنحقق من أنجم السعادة مارصد ، وذلك أن لمولاي^(٣) أمير المؤمنين ، الجاهد في سبيل رب العالمين ، الغالب بالله ، المؤيد بنصره أبي عبد الله ، محمد بن الخلفاء النصريين — أيده الله ونصره ، وسنى له الفتح المبين ويسره — ما تر لم يسبق إليها ، ومكارم لم يجز أحد من وسم بالكرم عليها ، لجلالة قدرها ، وضخامة أمرها ؛ من ذلك هذا القصد الذي آثر لها كالكتاب المذكور وسواه ، مما هو واحد وقد^(٤) في معناه ؛ عمّد في جميعها التحميس على أهل العلم والطلبة بحضرة العلية^(٥) هنالك ، ليشمل به الإمتاع ، ويعم به الانتفاع ؛ والله ينفع بهذا القصد الكريم ، ويتولى المثوبة على هذا العمّد الجسم .

وهذه النسخة في اثني عشر سرفرا ، متفقة الخط والعمل ، اكتتبت هذا على ظهر الأول منها بتاريخ^(٦) رجب الفرد ، عام تسعة وعشرين وثمان مئة ، عرف الله بركته بمنه ، آمين^(٧) . انتهى .

وقال الوزير أبو يحيى بن عاصم المذكور ، قدس الله روحه الطيبه ، وسق^(٨) مشواه غيث رحمته الصيبيه ، في كتابه المسمى بـ «الروض الأريض^(٩)» ، في ترجمة شمس العصر ، من ملوك بني نصر ، في اسم الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل ابن فرج بن نصر الخزرجي ، بعد كلام ما نصه :

(١) في ط : « إذا » بدون واو .

(٢) في ت : « فالنصح » .

(٣) في ت : « لمولانا » .

(٤) في ت : « ... واحد في فنه وفي معناه » .

(٥) في ط : « العليا » .

(٦) في ط : « وبتاريخ » .

(٧) هذه الكلمة « آمين » ساقطة في ت .

(٨) في ط : « وسقاه غيث » .

(٩) بقية الاسم في نصح الطيب : « في تراجم ذوى السيوف والأقلام والفريض » .

نبذة من كتاب
الروض لابن عاصم
عن ابن يوسف

« كان قد جرى عليه التمحيص الذي أزعجه عن وطنه ، إلى الدار البيضاء بالمغرب من إيالة بنى مرين ، فأفادته الحُنْكَةُ والتجربة هذه السيرة التي وقف شيوخنا على حقيقتها ، وانتهجوا واضح طريقتها ، وبلغتنا منقولة بالسنة صدقهم ، معبراً عنها في عرف التخاطب بالعادة ، فلم يكن الوزير الكيس ، والرئيس الجِهيد يجران من الاستقامة على قانون ، ولا يطرّدان من الصواب على أسلوب ، إلا بالمحافظة على ما رسم من التواعد ، والمطابقة لما ثبتت^(١) من العوائد ؛ وكان ذوو الثبيل من هذه الطبقة ، وأولو الحدق من أرباب هذه المهن السياسية ، يتعجبون من صحة اختياره لما رسم ، وجودة تمييزه لما قعد ، ويرون التفسدة بالخروج^(٢) عنها ضربة لازب^(٣) ، وأن الاستمرار على مراسمها آكد^(٤) واجب ؛ فيتحرّرونها بالالتزام كما تتحرّرى السنن ، ويتوخّونها بالإقامة كما تتوخّى^(٥) الفرائض ، وسواء تبادر لهم معناها ففهموه ، أو خفي عليهم وجهه رَسْمها فجْهلوه . »

مثل من حرص
ابن الخطيب على
العوائد

حدثني شيخنا القاضي أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسنى :
أن الرئيس أبا عبد الله بن زمرك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبي
عبد الله بن الخطيب يستأذنه في جملة مسائل ، مما يتوقف^(٦) عادة على إذن الوزير ،
وكان معظمها فيما يرجع إلى مصلحة الرئيس أبي عبد الله . قال الشريف : فأماها
كلّها له^(٧) ، ما عدا واحدة منها تضمّنت نقض عادة مستمرة ، فقال له ذو الوزارتين

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « أثبت » .

(٢) في ط : « في الخروج » .

(٣) في ط : « لازم » .

(٤) في ط : « واكد » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين « تقام » .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « توقف » ،

(٧) هذه الكلمة : « له » ساقطة في ت .

[ابن الخطيب] ^(١) : لا والله يا رئيس أبا عبد الله ، لا آذن لك في هذا ، لأننا ما استقمنا في هذه الدار إلا بحفظ العوائد .

[ثم] ^(٢) قال صاحب الروض :

فلما تأذن الله [تعالى] ^(٣) للدولة بالاضطراب ، واستحكم الوهن بتمكن الأسباب ؛ عدل عن هذه القواعد ^(٤) الراسخة ، واستخف بتلك القوانين ^(٥) الثابتة ؛ فنشأ من المفسد ما أعوز رفعه ، وتعدّد وتره وشفعه ، واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه ، وتعدّر فيه الدواء الذي يُرجى نفعه ؛ وكان قد صحبه من الجد ما سقى آماله ، وأنجح — بإذن الله — أقواله وأعماله ؛ فكان يُجرى الأمر على رسم من السياسة واضح ، ونظر من الآراء السديدة راجح ؛ ثم يحفه ^(٦) من الجد سياج لا يفارقه ، إلى تمام الغاية المطلوبة من حصوله ، وتمكن مقتضى الإرادة السلطانية من فروعه وأصوله .

انتهى كلام ابن عاصم ، وإنما أتيت به لغرابته .

وقال أبو عبيد البكري رحمه الله :

[٣٠] « الأندلس شامية في طيها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة لليونانيين » ^(٧) .

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) زيادة عن نفع الطيب .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : تلك « العوائد » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « القواعد » .

(٦) كذا في ت . وفي ط : « يحبه » .

(٧) لكلام أبي عبيد البكري بقية ذكرها المؤلف في نفع الطيب (ج ١ ص ٦٤ طبعة المطبعة الأزهرية) .

اضطراب
أمر الأندلس
بالخروج على
القواعد

وصف البكري
للأندلس

وقال ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب :

خص الله بلاد الأندلس من الربيع ، وغدق السقيا ، ولذاذة الأقوات ، وفراهة الحيوان ، ودُرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبجّر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وبيضاض ألوان الإنسان ^(١) ، ونبل الأذهان ، وقبول الصنائع ، وشهامة الطباع ، ونفوذ الإدراك ، وإحكام التمدن والاعتماد ، بما حرّمه ^(٢) الكثير من الأقطار ، مما سواها .

ثم قال : وحديث الفتح ، وما فتح الله على الإسلام من المنح ، وأخبار ما أفاء الله من خير ، على موسى بن نصير ، وكتب من جهاد ، لطارق بن زياد ، كملول قصاص وأوراق ، وحديث أُفول وإشراق ، وإرعاد وإبراق ؛ وعظم ^(٣) أمّتشاش ^(٤) ، وآلة مُعلّقة في دُكّان قشّاش ^(٥) . انتهى .

ولا خفاء بما كان ملوك المسلمين بالأندلس والمُعدوة على النصارى — دمرهم الله — من الاستطالة والغلبة ، حتى وقع التخاذل والتدابير ، فانعكس الأمر . وقد حكى غير واحد أن دُنّ جانجه ^(٦) بن دُنّ الفُئش ، استنصر على أبيه بالسلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني ، ولاذ به ، ورهن عنده تاجه ^(٧) ذخيرة النَّصارى ، ولقيه بصخرة عبّاد ، من أحواز رُنّده ، فسلم عليه ،

(١) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « الأسنان » .

(٢) في ت : « أحرمه » .

(٣) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « وأعظام » .

(٤) أمّتشاش العظم : مصه ممضوغا لاستخراج ما فيه . يريد أن الحديث في هذا مفروغ منه كالعظم الذي امتش ، فلم يبق فيه شيء .

(٥) الفشاش : الذي يبيع القديم البالي من سقط المتاع . (عن دوزي)

(٦) كذا في ط . وفي الاستقصا للسلوى (ج ٢ ص ٢٧ طبع مصر) : « شانجة » وفي ت : « تجانجة » . ثم إن السلوى ذكر أن المستنصر هو هرانده أبو شانجه .

على العكس مما ساق المؤلف هنا .

(٧) في ط : « تاج » .

وصف
ابن الخطيب
للأندلس

أبو يوسف
المريني ود
جانجه ، ومثل
من عز الإسلام

ويقال إن أمير المسلمين^(١) لما فرغ من ذلك، طلب بلسان زَنَاتَةَ^(٢) الماء، ليغسل يده به من قُبَلَةِ الْفُنْشِ، أو مصاخته^(٣).

ابن الخطيب :

تعقيب لابن
الخطيب على
قصة أبي يوسف

« والشئ يذكرك بالشئ » ، فَأُثِبَتْ حِكَايَةُ اتَّفَقْتُ لِي بِسَبَبِ ذَلِكَ ، أَسْتَدْعِي بِهَا الدِّعَاءَ مِمَّنْ يَحْسُنُ عِنْدَهُ مَوْقِعُهَا ، وَهِيَ أَنَّ الْيَهُودِيَّ الْحَكِيمَ ابْنَ زَرْزَارَ ، عَلَى عَهْدِ مَلِكِ النَّصَارَى ، حَفِيدِ هَذَا الْفُنْشِ الْمَذْكُورِ ، وَصَلَ إِلَيْنَا بِغَرْنَاطَةَ فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ ، وَدَخَلَ إِلَى بَدَارِ سَكْنَانَى ، مَجَاوِرًا لِقَصْرِ السُّلْطَانِ بِحَمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ ، وَعِنْدَى الْقَاضِي الْيَوْمَ بِغَرْنَاطَةَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ ، وَبِيَدِهِ كِتَابٌ مِنْ سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي^(٤) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الْمَوْلَى أَبِي الْحَسَنِ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ هَذَا قَدْ فَرَّ إِلَى صَاحِبِ قَشْتَلَةَ ، وَاسْتَدْعَى مِنْ قَبْلِهِ إِلَى الْمَلِكِ ، فَسَهَّلَ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ مَا شَاءَ ؛ وَرَبَّمَا وَصَلَهُ خُطَابُهُ بِمَا لَمْ يُقِنْعُهُ فِي إِطْرَائِهِ ، فَقَالَ [لِي^(٥)] : مَوْلَايَ السُّلْطَانُ دُنَّ بَطْرَهُ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ ، وَيَقُولُ لَكَ : أَنْظِرْ مَخَاطَبَةَ هَذَا الشَّخْصِ ، وَكَانَ بِالْأَمْسِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِ بَابِهِ ، حَتَّى تَرَى خَسَارَةَ الْكِرَامَةِ فِيهِ . فَأَخَذْتَ الْكِتَابَ مِنْ يَدِهِ ، وَقَرَأْتَهُ وَقَلْتَ لَهُ : أَبَاغَهُ عَنِي أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا جَرَّكَ إِلَيْهِ إِلَّا خُؤُوبًا مِنْ الشَّيْخِ ، الَّذِينَ يُعَرِّفُونَكَ بِالْكِلَابِ وَبِالْأَسْوَدِ ، وَبِمَنْ تُغْسَلُ الْأَيْدَى مِنْهُمْ إِذَا قَبَّلُوها ، فَتَعْلَمُ مِنَ الْكَلْبِ الَّذِي تُغْسَلُ الْيَدُ مِنْهُ ، وَمَنْ لَا ، وَأَنَّ جَدَّ هَذَا الْوَلَدِ الَّذِي قَبَّلَ جَدُّكَ يَدَهُ ،

(١) في ط : « المؤمنين » .

(٢) في ط : « الزناتية » .

(٣) في ت : « ومصاخته » .

(٤) كذا في ت والاستقصا . وفي ط : « محمد بن عبد الرحمن » وهو تحريف .

(٥) زيادة عن ت .

واستدعى الماء لغسل يده منه بمحضّر النصارى والمسلمين ؛ ونسبة الجدّ إلى الجدّ كنسبة الخفيد إلى الخفيد ؛ وكونه لجأ إلى بلادك ليس بعار عليه ، وأنت مُعرّض إلى اللجأ إليه ، فيكافئك بأضعاف ما عاملته ^(١) به . فقام ابن الحسن المستقصى يبكي ، ويُقبّل يدي ، ويصفني بوليّ الله ، وكذلك من حضرني . وتوجّه إلى المغرب رسولاً ، فقصّ على بنى مرّين خبر ما شاهدته مني وسمعه ؛ وبالخضرة اليوم ممن تلقى منه ذلك كثير ، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه . انتهى .

ولما تقلّص ظلّ ^(٢) الإسلام بالجزيرة ، أعادها الله للإسلام ، واسترد الكفار ، دمرهم الله ، أكثر أمصارها وقراها ، على وجه العنوة والصلاح والاستسلام ، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحرّكون حميات ^(٣) ذوى البصائر والأبصار ، ويستتمضون عزّ ماتهم من كل الأمصار .

فمن ذلك ما كتب به الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن زمرّك رحمه الله لما نزل المسلمون بأخر مرّج غرناطة ، متوجهين لفتح خير :

« اعلموا أنا نذّركم ما لا يغيب عن أديانكم وأحسابكم ؛ إن هذا الجهاد وليمة دعا الله عباده إليها ، وحضّهم عليها ؛ فالآيات في المصاحف مسطوره ، والأحاديث مشهوره ؛ لبيع النفوس فيها من الرّحمن ، وبذل المهج رغبة في حصول ثواب الملك الدّيّان ، ينزل الله فيها الملائكة المسوّمين . وتفرح الحُور العين ، وتَسِحّ الرحمة من رب العالمين ، ويباهى الله ملائكته ^(٤) بالمجاهدين ؛ وقد

(١) في ط : « ما عملته » .

(٢) في ط : « ذيل » .

(٣) في ط : « حماة » .

(٤) في ت : « الملائكة » .

بعض ما كتب
في استنهاض
الهمم ضد
النصارى

لابن زمرّك

تضافرت على ذلك النصوص ، وكفى شرفاً للفوز بمحبة الله في قوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ مُّبِينَانُ مَرَّضُونَ) ؛ فينبغي فيه الاستغفار من سالف الذنوب ، وتطهير السرائر والقلوب ، واجتماع الأيدي [٣٢] والكلمة في مَرَّضَاتٍ عَلَامِ الْغُيُوبِ .

وأبلغ منه ما كتب به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب في الحث على الجهاد ، والترغيب فيه ، وهو :

«أيها الناس ، رحمكم الله ، إخوانكم المسلمون قد دهم العدو — قصمه الله — ساحتهم ، ورام الكفر — قبضه الله — استباحتهم ؛ وزحفت أحزاب الطواغيت عليهم ^(١) ، ومد الصليب ذراعيه إليهم ؛ وأيديكم بعزة الله أقوى ، وأتم المؤمنون أهل البر والتقوى ؛ وهو دينكم فانصروه ، وجواركم القريب فلا تخفروه ، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه . الجهاد الجهاد ، فقد تعين الجار الجار ، فقد قرر الشرع حقه وبين ؛ الله الله في الإسلام ، الله الله في أمة محمد عليه السلام ؛ الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله ، الله [الله في ^(٢)] وطن الجهاد في سبيل الله ؛ قد استغاث بكم الدين فأغيثوه ، قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه ؛ أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله لكم ^(٣) جميل العوائد ؛ صلوا رحم الكلامه ، وأسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة ؛ كتاب الله بين أيديكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله يقول فيه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ أَدْلُكُمْ عَلَى تِجَارَةِ تُنْجِيكُمْ) . ومما صح عنه قوله : « من اغترت قدماه في سبيل

(١) في ط : « إليهم » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ط : « إليكم » .

الله حَرَمَها الله على النار» . « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودُخان جهنم » (١) .
« ومن جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزانا » . أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت ،
بادروا لعليل الإسلام قبل أن يموت ؛ احفظوا وجوهكم مع الله يوم يسألكم
عن عبادته ، جاهدوا في الله بالألسن والأموال حق جهاده :

ما ذا يكون جوابكم لنبيكم وطريقُ هذا العُدْرِ غيرُ مُمهَّدِ
إن قالَ لِمَ فَرَّطُكُمْ في أُمَّتِي وتركتموهم للعدوِّ المُعتدِي
تالله لو أنَّ العقوبةَ لم تُخَفْ لكنِّي الحَيَا (٢) من وجه ذلك السَّيِّدِ

[٣٣] اللهم اعطف علينا قلوب العباد ، اللهم بُثِّ لنا الحَمِيَّةَ في البلاد ، اللهم دافع
عن الحرِّم الضعيف والأولاد ؛ اللهم انصرنا على أعدائك بأحبائك وأوليائك
يا خير الناصرين ، اللهم أفرِّغ علينا صَبْرًا وثَبَّتْ أقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين . وصلى الله على سيدنا [ومولانا] (٣) محمد ، وعلى آله وصحبه وسلِّم
تسليماً . انتهى .

واستمر الأمر بالجزيرة على هذه الحالة مدة ، والمسلمون لا يزدادون إلا ضعفا
والعدوُّ تكالبا وشده ؛ حتى استولى على الجزيرة بأسرها ، وشرَّح ذلك يطول .
وكان استيلائه على حمراء غرناطة ، ودخول جيشه [لها (٣)] ثانياً ربيع النبوي ،
من عام سبعة وتسعين وثمان مئة . هكذا رأيت في تأليف لبعض المتأخرين ، ضمَّنه
القضية ، وألقه بسببها ؛ على أني رأيت بخط الفقيه أبي عبد الله الوادي أشي
ما يخالف ذلك ، وهو (٤) أنه أورد رسالة لابن الخطيب يخاطب بها السلطان أباسالم

(١) تنمة الحديث كما في سنن النسائي : « في منخرى مسلم أبدا » .

(٢) الحيا : مقصور من الحياء .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) في ت : « وذلك » .

المريني، نصّ محل (١) الحاجة منها :

« ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت غروة تأميلكم ، أو أعرضتم عن ذلك الوطن ، استولت عليه يد عدوه » . انتهى .

فكتب بطرته أبو عبد الله الوادي أشى المذكور (٢) ما نصه :

« كذلك وقع آخر الأمر . وكان الاستيلاء على غرناطة آخر ما بقي من بلاد الأندلس للإسلام ، في محرّم [عام] (٣) سبعة وتسعين وثمان مئة ، فرحم الله ابن الخطيب ، العاقل اللبيب ، وغفر له برحمته » . انتهى كلام الوادي أشى .

على أنه قد يظهر من كلام بعضهم أن الصلح كان في محرّم ، ودخول الجيش القصبه الحمراء كان في ربيع ، فلا منافاة ، والله أعلم .

ورأيت بخط الإمام الوانشريشي (٤) سيدي عبد الواحد رحمه الله ما نصه :

« استولى العدو على جبل الفتح سنة ست وستين وثمان مئة ، وعلى الحمة (٥)

تاسع المحرم يوم الخميس عام سبعة وثمانين وثمان مئة ؛ وفي عام خمسة وتسعين وثمان مئة استولى العدو على جميع [بلاد] (٦) الأندلس ماعدا غرناطة وبشرتها (٦) ،

وكان قبله في عام اثنين وتسعين استولى على مالقة في رمضان منه ، وفي عام سبعة وتسعين استولى على غرناطة » . انتهى .

(١) هذه الكلمة « محل » ساقطة في ت :

(٢) هذه الكلمة : « المذكور » ساقطة في ت .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا في نفح الطيب طبعة أوربية . والوانشريشي : نسبة إلى وانشريش (بالنون وشينين معجمتين وراء ثم ياء) : جبل بين مليانة وتلمسان من نواحي المغرب .

وفي الأصلين وهامش نفح الطيب : « الوانشريسى » .

(٥) الحمة : من أعمال مرسية . (عن تكملة كتاب الصلة) .

(٦) كذا في نفح الطيب وفيما سيأتى في الأصلين . وظاهر من سياق نفح الطيب أنها ضواح لغرناطة أو مواضع بها . وفي الأصلين هنا : « وبشارتها » .

خروج أمير
الحمراء ابن
أبي الحسن
إلى فاس

ولما دخل النصارى إلى الحمراء خرج أميرها أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن على النّصرى ، واشترط المسلمون على العدو الكافر شروطاً أظهر قبولها ، وبسط لهم جناح العدل ، حتى بلغت بزعمهم نفوسهم مأمولها ؛ وكان من جملتها أن من شاء البقاء عنده أقام في ظل الأمان ^(١) مُكْرَماً ، ومن أراد الخروج إلى برّ العُدوة أنزل بأى بلاد شاء منها ، من غير أن يُعْطِيَ كِراء ولا مَغْرماً ؛ وأظهر للمسلمين العناية والاحترام ، حتى كان النصارى يَحْسُدُونَهُمْ في ذلك ، ويقولون لهم : أتم عند ملكنا أعز وأكرم منا ؛ ووضع عنهم العارم ، حيلة منه وكيدا ، ليَعْرِضَهُمْ بِذَلِكَ ، وَيُنَبِّطَهُمْ عن الجواز . فوقع الطمع لكثير من الناس ، وظنوا أن ذلك البرق ليس بخلب ، فاشترى كثير من المقيمين الرباع العظيمة ، ممن أراد الذهب للعدوة ، بأرخص الأثمان ، وأمر — لعنه الله — بانتقال سلطان غرناطة أبي عبد الله إلى قرية أندرش ^(٢) ، من قرى البشرة ، فارتحل أبو عبد الله بعياله وحشمه ، وأقام بها ينتظر ما يؤمر به ، ثم ظهر للطاغية أن يجيزه إلى العُدوة ، فأمره بالجواز ، وأعد له المراكب العظيمة ، وركب معه كثير من المسلمين ، ممن أراد الجواز ، حتى نزلوا بمليلة ^(٣) من ريف المغرب ، ثم ارتحل السلطان أبو عبد الله إلى مدينة فاس — حرسها الله — وما زال أعقابه بها إلى الآن من جملة الضعفاء الشوّال ، بعد الملك الطويل العريض ، فسبحان العزّ المذلّ ، المسامح المانع ، لا إله إلا هو .

(١) هذه العبارة : « في ظل الأمان » ساقطة في ت .

(٢) كندا في ط ونفح الطيب وتقويم البلدان . وفي ت : « أندرس » بالسين المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) مليلة (بوزن سفينة) : مدينة قديمة مسورة على بحر الزقاق (انظر المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) .

وكان خلع أبيه أبي الحسن يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة من عام تسعين
وثمان مئة ، خلعه أخوه^(١) ، ودخل أبو عبد الله المذكور ، ابن أبي الحسن^(٢) ، رِبَضَ
البَيَّازِينَ سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالَ عَامٍ وَاحِدٍ وَتَسْعِينَ ، وَافْتَتَكَ مُلْكَ أَبِيهِ مِنْ يَدِ عَمَّتِهِ ،
وَتُوِّفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِفَاسَ عَامٍ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ وَتَسْعَ مِئَةَ ، وَدُفِنَ بِإِزَاءِ الْمُصَلَّى ،
خَارِجَ بَابِ الشَّرِيعَةِ ، وَخَلَّفَ وَلَدَيْنَ ، اسْمَ أَحَدَهُمَا يَوْسُفَ ، وَالْآخَرَ مُحَمَّدًا^(٣) ،
وَعَقِبَهُ الْآنَ بِهَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ .

وفاته وشيء عنه
وعن عقبه

وكان من قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَمَّا وَصَلُوا مَدِينَةَ فَاسَ أَصَابَ النَّاسَ بِهَا شِدَّةٌ
عَظِيمَةٌ ، مِنْ الْجُوعِ وَالْعَالَاءِ وَالطَّاعُونَ ، حَتَّى فَرَّ كَثِيرٌ مِنْهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ ، وَرَجَعَ
بَعْضُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَأَخْبَرُوا بِتِلْكَ الشَّدَةِ ، فَتَقَاعَسَ مِنْ أَرَادِ الْجَوَّازِ ،
وَعَزَمُوا عَلَى الْإِقَامَةِ وَالذَّجْنِ^(٤) ، وَلَمْ يُجِزِ النَّصَارَى أَحَدًا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْكَرَاءِ
وَالْمَعْرَمِ وَعُشْرِ الْمَالِ ، فَلَمَّا رَأَى الطَّاغِيَةُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ تَرَكَوا الْجَوَّازَ وَعَزَمُوا عَلَى
الاسْتِيْطَانِ وَالْمُقَامِ فِي الْوَطَنِ ، أَخَذَ فِي نَقْضِ الشَّرُوطِ الَّتِي اشْتَرَطَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ أَوَّلَ
مَرَّةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ يَنْقُضُهَا فَصَلًا فَصَلًا ، إِلَى أَنْ نَقَضَ جَمِيعَهَا ، وَزَالَتْ حُرْمَةُ الْمُسْلِمِينَ ،
وَأَدْرَكَهُمُ الْهَوَانُ وَالذَّلَّةُ ، وَاسْتَيْطَالَ عَلَيْهِمُ النَّصَارَى ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِمُ الْمَغَارِمُ الثَّقِيلَةُ ،
وَقُطِعَ عَنْهُمْ الْأَذَانُ فِي الصَّوَامِعِ ، وَأَمْرُهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ غَرْنَاطَةَ إِلَى الْأَرْبَاضِ
وَالْقُرَى ، فَخَرَجُوا أَذِلَّةً صَاغِرِينَ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ دَعَاهُمْ إِلَى التَّنَصُّرِ ، وَأَكْرَهُهُمْ
عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتَسْعَ مِئَةَ ، فَدَخَلُوا فِيهِ كَرَهَا ، وَصَارَتِ الْأَنْدَلُسُ كُلُّهَا

حال المسلمين
بعده بالأندلس

[٣٥]

(١) في ط : « وكان أبوه أبو الحسن خلع سنة تسعين وثمان مئة ، خلعه أخوه يوم

الأحد ثالث جمادى الآخرة من العام » .

(٢) هذه العبارة : « ابن أبي الحسن » : ساقطة في ت .

(٣) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « أحمد » .

(٤) الدجن : الإقامة .

دار كُفْر ، ولم يبق من يَجْهَر بكلمة التوحيد والأذان ، وجُعِلت في المساجد والمآذن النواقيسُ والصُّلْبَان ، بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، لا رادَ لما قضاه الله الملك الدَيَّان .

وقد رأيت لبعضهم رسالة ببعض شرح ذلك ، ونصها :

« وتعرَّفنا من غير ما طريق ، وعلى لسان غير فريق ، أن قُطِر الأندلس — نظر اللهُ إليه ، وعاد بنوره عليه — طَرَقَ أهله خَطْبٌ لم يَجْر في سالف الدهر ، وذلك أنهم أُكْرهوا بالقتل إن لم يقع منهم النطقُ بما يقتضى في الظاهر الكفر ، ولم يُقبَل منهم الأشر ؛ وكان الابتداء في ذلك من أهل غرناطة — جدَّد الله رَسْمها ، وأعاد إلى بلاد المسلمين^(١) اسمها — وخصوصاً أهل واسطتها ، نقلة الناس ، وكونهم من الرعيَّة الدهماء ، مع عدم العصبية ، بسبب اختلاف الأجناس ؛ وعلم النصارى — دمَّرتهم الله — بأن من بقى بها^(٢) من المسلمين إنما هم أسارى في أيديهم ، وعيال عليهم ؛ وبعد أن انتزعوا منهم^(٣) الأسلحة والمعازل ، وعَتَّوْا فيهم بالخروج والبعلاء ، فلم يبق من المسلمين طائِل ؛ ونقض العين طاغية النصارى عُهوده ، ونشر بمحض الغدر بُنوده ؛ من غير مَعْدرة لَفَقْها ، ولا كَذْبة في مَعْرِض العُدْر نَمَقْها ، إلا أعجازا من الكفر ، وصدورا من الغيظ والمكر ، وخالص الغدر ، جَمَعْها وفرَّقْها ؛ وكان الطاغية إذ ذاك باشبيلية — جبرها الله ، وجعل بها قبره ، ووقى المسلمين والإسلامَ شَرَّه — وبعد أن كان [قبل^(٤)] قد انسل إلى غرناطة انسلال

(١) في ت : « الإسلام » .

(٢) في ت « منها » .

(٣) في الأصلين : « لهم » .

(٤) زيادة عن ت .

التقطا إلى الماء ، وطلع إليها طلوع الرقيب على خلوات الأحياء ؛ وأمر بإخلاء الأرباض ، وأذن في السفر في البحر للأبماض ، ولم يُحْضَر من الأجفان^(١) إلا القليل ، وما كان قصده إلا التفريق والتهويل ؛ على ما عهد من غدر النصارى وطغيانهم ، وفعلهم الذميمة مع المسلمين وتؤرأتهم ؛ والإعلان بمحنتهم ؛ والحرص على ارتدادهم [٣٦] وفتنتهم ؛ وأقام بعد انصرافه عنها ، وخروجه منها ، بإشبيلية مُدَيِّدَةً ، وعقاربه لأشباعه من النصارى بفرناطة تَدَبَّ وتسرى ، ونفسه الخبيثة بالعاب^(٢) تَقْرِي ؛ ثم انتقل عن الوساطة للبيازين ، حيث الحَمِيَّة ، والنُّصْرَةَ الإيمانية^(٣) ، مع السراجة والنجيه^(٤) ، والعقل الرّصين ، والدين المتين ؛ فجعل صَعْبَهَا ذُلُولا ، وأعاد للكفر كرها من كان بحضرتها ، وتمتّع أحزاب الشيطان — قصمهم الله — بنضرتها ، نسأل الله تعالى أن يجعل تمتعهم قليلا .

وزيادة^(٥) الخبر :

تنكيل طاغية
قتالة وأرغون
بالمسلمين

« أن طاغية قشتالة وأرغون — قصمه الله — صدم غرناطة صدمه ، وأكّره على الكفر من بقي بها من الأمة ؛ بعد أن هيض جنابهم^(٦) ، وركدت رياحهم ؛ وجعل بعد جنده الخاسر على جميع جهات الأندلس يَنْثَال ، والطاغية يزدهى في الكفر ويختال ؛ ودين الإسلام تُنْثَر بالأندلس نجومه ، وتُطْمَس معالمه ورُسومه ؛ فلو رأيتم ما صنع الكفر بالإسلام بالأندلس وأهليه ، لكان

(١) الأجفان : كلمة أندلسية ، بمعنى السفن . ذكرها دوزي في معجمه .

(٢) كذا في ط . وفي ت : « بالعار » .

(٣) في ط : « الأمانية » .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « مع السداجة والتمحية » ولا معنى للروايتين .

(٥) في ت : « وزبدة » .

(٦) في ت : « جنابهم » .

كل مسلم يندبه ويبيكه ؛ فقد عَمِيَ البلاء برُسومه ، وَعَفَى على أقداره ونجومه ؛ ولو حضرتم من جُبرٍ بالقتل على الإسلام ، وتوَعَّد بالتَّكْال والمهالك العظام ؛ ومن ^(١) كان يُعَذَّب في الله بأنواع العذاب ، ويُدْخَل به من الشدة في باب ويُخْرَج من باب ؛ لأنساكم مَصْرَعُهُ ، وساءكم مَقْطَعُهُ ؛ وسيوف النصارى إذ ذاك على رهوس الشرِّذمة القليلة من المسلمين مَسْئولُهُ ، وأفواه الزاهلين محلوله ؛ وهم يقولون : ليس لأحد بالتنصر أن يُمَطَّل ، ولا يلبثُ حيناً ولا يُنْهَل ؛ وهم يكابدون تلك الأحوال ^(٢) ، ويطلبون لطف الله في كل حال . انتهى .

بعض من خرج
من علماء
الأندلس

وكان جماعة من علماء الأندلس خرجوا إلى تلمسان ، منهم القاضي الشهير أبو عبد الله بن الأزرق ، صاحب الشرح العجيب على مختصر خليل ، وكتاب السياسة الملخص من مقدمة تاريخ ابن خلدون ، وفيه زيادات بديعات ^(٣) ، وكتاب روضة الإعلام ، بمنزلة العربية من علوم الإسلام ، وغير ذلك ، وارتحل من تلمسان إلى المشرق ، وسُنِمَ بذكره . ومنهم بنو داود المذكورون في فهرسة الشيخ ابن غازي ، وهؤلاء خرجوا من الأندلس قبل أخذ غرناطة ^(٤) ؛ ولكن لما رأوا استطالة العدو عليها ، وأنه أخذها لا محالة ، قَوَّضُوا رِحالهم عنها ، فنزلوا بتلمسان المحروسة ، وأخذت الحضرة الغرناطية ^(٥) بعد ارتحالهم بقریب ، رحمهم الله . ومنهم الفقيه الأديب ، حائز قَصَب السَّبْق في كثرة النسخ والكتابة ، أبو عبد الله محمد بن الحدَّاد الشهير بالوادي آشي ، وسنذكره إن شاء الله ، رحم

[٣٧]

- (١) في الأصلين : « ولن » .
- (٢) في ط : « الأحوال » .
- (٣) في ت : « زيادة بديعة » .
- (٤) في ت : « أخذها » .
- (٥) في ت : « وأخذت غرناطة » .

الله الجميع^(١) . ومن خرّج بفاس من العلماء ، الفقيه أبو العباس البقّني^(٢) ، ثم رجع إلى غرناطة ، وقضيته معروفة .

ولا بأس أن نورد كتاب السلطان أبي^(٣) عبد الله بن الأحمر الخلويع المذكور ، الذي بعث به لصاحب فاس^(٤) في ذلك العهد ، تمهيداً لمؤذره ، وتوطئة لمقصده ؛ وتطرّاحاً على تلك الأبواب وتعلّقاً ، وتمشّكاً بذلك الجناب وتعلّقاً ؛ وهو في الغاية^(٥) من الفصاحة والبلاغة ، من إنشاء الفقيه الأديب ، الشاعر الناظم ، الناثر الكاتب ، المُجيد البارِع البليغ ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربيّ العقيليّ رحمه الله ، وسماه بالروض العاطر^(٦) الأنفاس ، في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس ؛ ونصّه بعد الافتتاح^(٧) :

كتاب ابن الأحمر
لصاحب فاس

« مَوْلَى الْمَلُوكِ مَلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ رَعِيًّا لِمَا^(٨) مِثْلُهُ يُرْعَى مِنَ الذَّمِّ .
بِكَ اسْتَجْرْنَا وَنِعْمَ الْجَارُ أَنْتَ لِمَنْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْهِ جَوْرٌ مُنْتَقِمٍ
حَتَّى غَدَا مُلْكُهُ بِالرَّغْمِ مُسْتَلْبَا وَأَنْفَعُ الْخَطْبِ مَا يَأْتِي عَلَى الرَّغْمِ
حُكْمٌ مِنْ اللَّهِ حَتْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ وَهَلْ مَرَدٌّ لِحُكْمٍ مِنْهُ مُنْتَحِمٍ^(٩) »

(١) في ت : « جميعهم » .

(٢) في ط : « الفقاني » .

(٣) في ط : « أبا » وهو تحريف .

(٤) هو الشيخ الوطاسي سلطان فاس .

(٥) في ت : « وفي الغاية » .

(٦) كذا في ت ونفح الطيب ، وفي ط : « العطير » .

(٧) كذا في ت ونفح الطيب ، وفي ط : « افتتاح » .

(٨) في نفح الطيب : « لمن » .

(٩) كذا في الأصلين وإحدى روايتي نفح الطيب ، ولم ترد صيغة « انتم » في المعاجم

التي بين أيدينا . وفي رواية أخرى لنفح الطيب : « منحسم » .

وَهِيَ اللَّيَالِي وَقَاكَ اللَّهُ صَوَّلَتْهَا
 كُنَّا مُلُوكًا لَنَا فِي أَرْضِنَا دُولٌ
 فَأَيَقُظْتَنَا سِهَامٌ لِلرَّدَى صُيْبٌ
 فَلَا تَمَّ تَحْتَ ظِلِّ الْمَلِكِ نَوْمَتَنَا
 يَبْكِي عَلَيْهِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ
 كَذَلِكَ الدَّهْرُ لَمْ يَبْرَحْ كَمَا زَعَمُوا
 وَصِلْ أَوْ اصِرْ قَدْ كَانَتْ لَنَا اشْتَبَكْتُ
 وَابْسُطْ لَنَا الْخُلُقَ الْمَرْجُوَّ بَاسِطُهُ
 لَا تَأْخُذْنَا^(٤) بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ
 فَمَا أَطَقْنَا دِفَاعًا لِلْقَضَاءِ وَمَا^(٥)
 وَلَا رُكُوبًا بِإِزْعَاجِ لِسَابِحَةِ
 وَالْمَرْءُ مَا لَمْ يُعْنِهِ اللَّهُ أَضْيَعُ مِنْ
 وَكُلِّ مَا^(٦) كَانَ غَيْرَ اللَّهِ يَحْرُسُهُ^(٧)

تَصُولُ حَتَّى عَلَى الْآسَادِ فِي الْأَجَمِ
 نَمْنَا^(١) بِهَا تَحْتَ أَفْنَانٍ مِنَ النَّعَمِ
 يُرْمَى بِأَفْجَعِ حَتْفٍ مِنْ بَيْنِ رُمَى
 وَأَيُّ مَلِكٍ بَظَلِ الْمَلِكِ لَمْ يَتَمَّ
 بِأَدْمَعٍ مُزِجَتْ أَمْوَاهُهَا بِدَمِ
 يُشِيمُ بَوَّ الصَّغَارِ^(٢) الْأَنْفِ ذَا الشَّمَمِ^(٣)
 فَالْمَلِكُ بَيْنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ كَالرَّحِمِ
 وَاعْطِفْ وَلَا تَنْحَرِفْ وَاعْذِرْ وَلَا تَلَمْ
 نُدْنِبُ لَوْ كَثُرَتْ أَقْوَالُ ذِي الْوَحْمِ
 أَرَادَتْ أَنْفُسُنَا مَا حَلَّ مِنْ نِقَمِ
 فِي زَاخِرٍ بِأَكْفِ الْمَوْجِ مُلْتَطِمِ
 طِفْلٍ تَشَكَّى بِفَقْدِ الْأُمِّ فِي الْيَتِيمِ
 فَإِنَّ مَحْرُوسَهُ لَحَمٌّ عَلَى وَضَمِّ^(٨)

[٣٨]

- (١) في ت « نما » ، وهو تحريف .
 (٢) البو : جلد الحوار يحمى ثنا ونحوه لتعطف عليه أمه فتدر . والصغار : الذل .
 (٣) في ط « ذو الشمم » .
 (٤) كذا في ط ونفع الطيب طبعة أوربة . وفي ت ونفع الطيب طبعة المطبعة الأزهرية :
 « لا تأخذونا » .
 (٥) في ت : « ولا » .
 (٦) كذا في ط : ونفع الطيب . وفي ت : « من » .
 (٧) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ما كان غير الله يحرصه فإن محروصه » ،
 وهو تحريف .
 (٨) الوضم : خوان القصاب ، وهو ما يقطع عليه اللحم ويهيشه .

كُنْ كَالسَّمْوَعِ إِذْ سَارَ الْهَمَامُ لَهُ	فِي بَجْحَفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ مُرْتَكِمٌ ^(١)
فَلَمْ يُبْسِحْ أَذْرُعَ الْكِنْدِيِّ وَهُوَ يَرَى	أَنَّ ابْنَ الْهَبْرِ قَدْ أَشْفَى عَلَى الرَّجَمِ ^(٢)
أَوْ كَالْمَعْلَى ^(٣) مَعَ الضَّلِيلِ الْآرْوَعِ إِذْ	أَجَارَهُ مِنْ أَعْرَابٍ وَمِنْ عَجَمٍ
وَصَارَ يَشْكُرُهُ شُكْرًا يَكْفِي مَا	أُسْدَى إِلَيْهِ مِنَ الْآلَاءِ وَالنَّعَمِ
وَلَا تَعَاتَبُ عَلَى أَشْيَاءٍ قَدْ قُدِّرَتْ	وَحُطَّتْ مَسْطُورُهَا فِي اللُّوحِ بِالْقَلَمِ
وَعَدَّ عَمَّا مَضَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ	وَعُدَّ أَحْرَارَنَا فِي جُمَلَةِ الْخَدَمِ
إِيَّاهِ حَنَّانِيكَ يَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ عَلَى	ضَيْفِ أَلْمِ بِفَاسٍ غَيْرِ مُحْتَشِمٍ ^(٤)
فَأَنْتَ أَنْتَ وَلَوْلَا أَنْتَ مَا نَهَضَتْ	بِنَا ^(٥) إِلَيْهَا خُطَاةُ الْوَحَادَةِ الرَّسْمِ ^(٦)
رُحْمَاكَ يَا رَا حَمَا يُنْمَى إِلَى رُحْمَا	فِي النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْأَتْبَاعِ وَالْحَشَمِ
فَكَمْ مَوَاقِفٍ صِدْقٍ فِي الْجِهَادِ لَنَا	وَالْحَيْلُ عَالِكَةُ الْأَشْدَاقِ لِلْجُمِ
وَالسِّيفِ يَخْضِبُ بِالْحَمْرِ مَنْ عَلَقَ	مَا أبيضٌ مِنْ سَبَلٍ وَأَسْوَدٌ مِنْ لَمِ ^(٧)
وَلَا تَرَى صَدْرَ عَضْبٍ غَيْرِ مُنْقَصِفٍ	وَلَا تَرَى مَتْنًا ^(٨) لَدُنِّ غَيْرِ مُنْحَطِّمِ

(١) الجحفل : الجيش الجرار . ومرتكم : متراكم .

(٢) في ط : « فلا » .

(٣) الرجم : جمع رجمة ، وهي الحجارة توضع على القبر ، ويريد القبر نفسه .

(٤) المعلى : هو أحد بني تيم ، وكان قد أجاز امرأة القيس من المنذر بن ماء السماء .

(٥) إليه : أى حسبك .

(٦) كذا في ت ونفج الطيب . وفي ط : « منا » .

(٧) الوحادة : السريعة السير . والرسم : جمع رسوم ، وهي النافقة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطاء .

(٨) يريد بالسبل : شعر اللحية . والللم : جمع لمة ، وهي شعر الرأس الذي يلم بالمتكبين .

(٩) في ت « مثل » .

حتى دُهينا بدهيا لا اقتدار بها ^(١)	سوى على الصون للأطفال والحرم
فقال من لم يشاهدنا فرُبتمنا	يُحال جاحها يُقتاد بالخطم
هيئات لو زبنته الحرب كان بها	أعيا يدا من يد جالت على زلم ^(٢)
تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا	ولا طوت صِحَّة منها على سقم
لكن طلبنا من الأمر الذي طلبت	ولأننا ^(٣) قبلنا في الأعصر الدُّهم
فخافنا عنده الجدُّ الخثون ومن	تَعَدُّ به نكبات الدهر لم يَقم
فاسود ما خضر من عيش دَهنته عدا	بالأسمر اللذن أو بالأبيض الخدم ^(٤)
وشتت البين شملا كان منتظما	والبين أقطع للموصول من جلم ^(٥)
فرب مَبْنَى شديد قد أناخ به	رَكب البلاء فقرته أدمع الدِّيم ^(٦)
قنا لديه أصـيـلانا نسائله	أعيا جوابا وما بالربع من أرم ^(٧)
وما ظننا بأن نبقى إلى زمن	نرى به غرر الأحباب كالخَم ^(٨)
لكن رضا بالقضا الجارى وإن طويت	منا الضلوع على برح من الألم

[٣٩]

(١) في ت . « بدهي لا اقتدار بنا » .

(٢) كذا في ت . والزلم (بفتحين ، أو بضم ففتح) : سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية . وفي ط ونجح الطيب طبعة المطبعة الأزهرية : « رحم » . وفي نجح الطيب طبعة أوربية « رحم » . وما أثبتناه أوضح ، فهو يريد أن يد هذا اللام أضعف من يد تحيل قذاح الميسر .

(٣) كذا في نجح الطيب . وفي ت : « ولاته » . وفي ط : « ولاية » .

(٤) الأسمر اللذن : الريح . والأبيض الخدم : السيف القاطع .

(٥) الجلم : المقرض .

(٦) الديم : جمع ديمة ، وهي السحابة يدوم مطرها أياما .

(٧) أصيلانا : قرب الأصيل . وما بالربع من لرم : أى من أحد .

(٨) الغرر : جمع غرة ، وهي بياض الجبين . والحلم الفحم الأسود ، الواحدة حمة (بالضم) .

لَبَيْكَ يَا مَنْ دَعَانَا نَحْوَ حَضْرَتِهِ دَعَا إِبْرَاهِيمَ الْحُجَّاجَ لِلْحَرَمِ
وَأَعْطَى الْأَمْنَ الَّذِي رُصِّتْ قَوَاعِدُهُ ^(١) عَلَى أَسَاسِ وِفَاءٍ غَيْرِ مِنْهُمْ
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَافَاكَ الْعَبِيدُ فَكُنْ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَطَوَّلٍ عِنْدَ ظَنِّهِمْ
وَبَيْنَ أَسْلَافِنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ بِهِ مِنْ اعْتِقَادٍ بِحُكْمِ الْإِثْرِ مُقْتَسَمٍ
وَأَنْتَ مِنْهُمْ كَأَصْلِ مُطْلَعِ غُضُنًا أَوْ كَالشَّرَاكِ الَّذِي قَدْ قَدَّ مِنْ أَدَمِ
وَقَدْ خَطَوْتَ خُطَاهُمْ فِي مَا تَرَاهُمْ فَلَمْ يُذَمُّوا إِذْنًا فِيهَا وَلَمْ تُذَمَّ ^(٢)
وَصِيَّتْ مُوَلَّى الْوَرَى الشَّيْخَ الْإِمَامَ غَدَا فِي النَّاسِ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ
سُلَالَةِ الْأَمْرَاءِ ، الْجِلَّةِ الْكَبْرَا ، الْعَلِيَّةِ الظُّهْرَاءِ ، الْقَادَةَ الْبُهَمِ ^(٣)
بَنُو مَرَيْنَ لِيُوثُ فِي عَرِينِ أَبَوَا رُؤْيَا قَرِينٍ لِهَمِّ فِي الْبَأْسِ وَالْكَرَمِ
النَّازِلِينَ مِنَ الْبِيضَاءِ ^(٤) وَسَطِّحِي أَحْمَى مِنَ الْأَبْلَقِ السَّاحِي وَمِنْ إِرَامِ
وَالْجَائِسِينَ بَدُهُمُ الْخَيْلِ كُلِّ ذَرَى وَالِدَاعَسِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ كُلِّ كَمِي ^(٥)
يَرِيكَ فَارْسُهُمْ إِنْ هَزَّ عَامِلَهُ ^(٦) فِي مَازِقٍ ^(٧) بِلَظَى الْهِجَاءِ مُضْطَرِمِ

(١) في نفع الطيب : « واعط الأمان » .

(٢) في ت : « رست » .

(٣) لم تدم : لم تعب . يقال : ذامه يذمه : إذا عابه .

(٤) الظهراء : جمع ظهير ، وهو النصير . والبهم : جمع بهمة (بالضم) وهو البطل الشجاع .

(٥) البيضاء : فاس الجديدة .

(٦) الجائسين : الذين يترددون خلال الدور والبيوت في الغارة . وكل ذرى : كل ناحية .

والداعسين : الطاعنين . وسمر الخط : الرماح المنسوبة إلى الخط ، وهو مرفأ بالبحرين .

والكمي : البطل المتستر في سلاحه .

(٧) عامل الرمح : صدره .

(٨) في الأصلين ونفع الطيب : « مارق » ولعلها محرفة عما أبتناه .

- (١) لَيْثًا عَلَى أَجْدَلٍ عَارٍ مِنْ أجنحةٍ يَسْطُو بِأَرْقَمٍ لَدَاغٍ بغيرِ فمٍ
- (٢) فِي اللّامِ يُدْغِمُ مِنْ عَسَّالِهِ أَلْفًا ولم نجد ألفاً أصلاً بمدغمٍ
- (٣) أَهْلُ الحَفِيظَةِ يَوْمَ الرَّوْعِ يحفظهم من عصمة الله ما يُرَبِّي عَلَى العِصَمِ
- (٤) تَطِيرُ شَرَارٌ مِنْهُ مَحْرَقَةٌ لِكُلِّ مَدْرَعٍ بِالْحَزْمِ مُحْتَرِمٍ
- (٥) بَطَائِفُ التَّمْلِيثِ قَدْ فَتَكُوا كَمَثَلِ مَا يَفْتِكُ السَّرْحَانُ بِالغَنَمِ
- (٦) وَإِنْ يَلْمُهمُ يَوْمَ الوَغَى رَهَجٌ أَنَسَوْكَ مَا ذَكَرُوهُ عَنْ ذَوَى اللُّثَمِ
- (٧) تَضَى آرَاؤُهُمْ فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ إِضَاءَةَ الشَّرْجِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
- هَذَا وَلَوْ مِنْ حَيَاءٍ ذَابَ مُحْتَشِمٌ لَذَابَ مِنْهُمُ حَيَاءٌ كُلُّ مُحْتَشِمٍ
- طَابَتْ مَدَائِحُهُمْ إِذْ طَابَتْ أَنفُسُهُمْ فَاشْتَقَّتْ النَّسَمَاتُ اسْمًا مِنَ النَّسَمِ
- لِلَّهِ دَرُّهُمْ وَالسُّحُبُ بِاخْسَالَةٍ بَدَّرَهُنَّ عَلَى الأَنْعَامِ وَالنَّعَمِ
- بِحَيْثِ الأَفْقِ يَرَى مِنْ نَوْنِ حُمْرَتِهِ كَأَشْيَبِ يُخَضَّبُ بِالحِنَاءِ وَالسَّكَمِ

(١) الأجدل : الصقر ، شبهه به الحصان في سرعة انقضاضه . والأرقم : الثعبان ، شبه به الريح .

(٢) اللام : مسهلة عن اللام ، جمع لأمة ، وهي الدرع . والعسال : الريح اللدن ، وقد شبهه في استقامته بالألف . وفي البيت توريه .

(٣) العصم : ما يعتصم به الناس في الحرب من معاقل وشبهها . يريد أنهم محوطون من عناية الله وحياطته بما لا تقي بمثله المعائل والحصون .

(٤) في ت ونفج الطيب : « يامن » .

(٥) كذا في ت ونفج الطيب . وفي ت : « وم » .

(٦) السرحان : الذئب .

(٧) كذا في ت ونفج الطيب . والرهج : الغبار تثيره الحرب . وفي ط : « وهيج » . وذوو اللثم : يريد المثلثين ، قبائل من البربر عرفوا بالشجاعة .

(٨) السكَم (كسب) : نبت يستعمل في خضاب الشعر . يصفهم في هذا البيت والذي قبله بالجورد في أزمان الفحط والشدة .

- هناك تنهل أيديهم بصوب حيا (١) يُحْيِي بِالْأَجْدَاثِ مَا فِيهَا مِنَ الرِّمِّ (١) [٤٠]
- وإنَّ بَيْتِي زِيَادٍ ظَلَمَّا ذُكِرَا (٢) إِذَا أَلَمَّتْ أَحَادِيثُ بِيذِكْرِهِمْ (٢)
- « أَحْلَامَ عَادٍ وَأَجْسَادَ مُطَهَّرَةً (٣) مِنْ الْعَمَقَةِ وَالْآفَاتِ وَالْإِثْمِ (٣) »
- يَرَوْنَ حَقًّا عَلَيْهِمْ حِفْظَ جَارِهِمْ (٤) فَلَمْ يُضْرَ نَازِلٌ فِيهِمْ وَلَمْ يُضْمَ (٤)
- فَرُوعُهُ (٤) بِالِدَوَاهِي لَا يِرَاعُ وَلَا يُنْعَمُ مِنْهَا بِمَا يَعْرِوْنَ مِنَ النُّعْمِ (٥)
- هم البحار سماحا غير أن بها ما قد أناف على الأطواد (٦) من همم
- وليس يسلم من ختف محاربهم حتى يكون إليهم ملقى السلم
- كم فيهم من أمير أوحد ندس يُقَرِّطُسُ الْغَرَضَ الْمَقْصُودَ بِالْفَهْمِ (٧)
- ولا كسبب أبي حسون من حسنت أمداحه حسن ما فيه من الشيم (٨)
- هذا كم ابن أبي زكري الهمام فقل (٩) فِي أَصْلِهِ الْمُنْتَقَى مِنْ مَجْدِهِ الْعَمَمِ (١٠)

(١) تنهل : تفيض . وصوب الحيا : ماء المطر . والأجداث : القبور .

(٢) زياد : هو النابغة الذبياني .

(٣) العفة : العقوق . والإثم : جمع إثم ، وهي الإثم . وهذا البيت من مقطوعة للنابغة أبياتها أربعة في مدح الفساسنة ، وقبله :

هم الملوك وأبناء الملوك لهم فضل على الناس في الأواء والنعم
ولعل الناظم يعني هذين البيتين .

(٤) كذا في الأصلين . وفي نفتح الطيب : « فروعهم » .

(٥) الروع : موضع الفزح من القلب .

(٦) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « الأطرء » .

(٧) الندس (كعضد وكتف وسهم) : الفطن الفهم . ويقرطس الغرض : يصيبه .

(٨) أبو حسون : هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن أبي زكريا يحيى بن زيان الوطاسي ، يعرف بأبي حسون الباذسي ، بويج بفاس أول مرة سنة اثنتين وثلاثين وتسع مئة . (انظر بقية أخباره في الاستقصا للسلاوي) .

(٩) زكري : يريد زكريا وفيه لغات ، منها زكري (كعربي) بتشديد الباء وتخفيفها ، وبهذه الرواية الأخيرة جاء هنا مع إسكان الكاف ، ليستقيم الوزن .

(١٠) العمم : التام .

خليفةُ الله حقا في خليقته كُنائبُ نابٍ في حكمٍ عنِ الحَكَمِ
 مهما تُنرُّ قَسِمَاتُ^(١) منه نيرةٌ تُنلُّ بَنانٌ له ما جَلَّ مِنْ نِعَمِ^(٢)
 فَوَجْهُهُ بِدُجَى وَكَفَّهُ بِجَدًّا أبهى من الزهر أو أندى من الدِّيمِ^(٣)
 وفضله وله الفضل المبينُ جرى كبرى الأمثال في الأقطار والأم
 وجوده المتوالى للبرية ما وجوده بينها طرأ بمنهدم
 إذا ابتغتُ نِعَمًا منه العفاة لهُ لم يسمعوا كلمة منه سوى نَعَمِ
 وإن يعبسَ زمانٌ في وجوههم لم يبصروا غير وجه منه مُبتسمِ
 وجهٌ تبين سِمَاتُ المَكْرُمَاتِ به كما تبين سِمَاتُ الصِّدْقِ في الكَلِمِ
 وراحةٌ لم تزل في كل آونةٍ في^(٤) نيمَلها راحة الشاكي من العُدَمِ
 لله ما التزمته من نوافله أيامَ لا فَرَضَ مفروضٌ بملتزمِ
 أنسى الخلائفَ في حلم وفي شرف وفي سخاء وفي علم وفي فَهَمِ
 فجاز معتمداً منهم ومُعْتَصِداً وامتاز عن قائمٍ منهم ومعتصمِ
 وناصرَ الدين في الإقبالِ فاق وفي حَبَّةِ العلم أزرى بابنه الحَكَمِ
 أفعال أعدائه معتلة أبدا متى^(٥) يَرُمُ جزمها بالحذف تنجزمِ

(١) رواية هذا البيت في ط .

مهما نغم نسبات منه نيرة تنل بنازله ما جل من نعم

(٢) قسِمَاتُ الوجه : ما أقبل منه ، أو محاسنه .

(٣) الجدا : العطاء . والدِّيمِ : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم أياما .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « من » .

(٥) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « حتى » .

[٤١]	(٣) [لَلْمُتَلَبِّ (٢)] اللّهُمَّ الْمَجْرُمُ الْمُتَقِمِّ (٣)	فويل أهل الفلّامن حَيّة ذَكَرِ (١)
	مثل الأحاديث عن عادٍ وعن إرم	رامُوا عداوة من إن شاء غادرهم
	بكل قرْم إلى لِحْمَانِهِمْ قَرِم (٤)	فسوف يأكلهم من جيشه لَجِبٌ
	لسائرون إلى لَقَمٍ على لَقَم (٥)	وإن الأعرابَ إذ ساروا لغابته
	بسيه نحو حَتْفِي قد أَرَأَق دَمِي (٦)	وهم كما قاله ماض : أرى قَدَمِي
	ياغِرُ (٧) غَرَك ما أَبْصَرَتْ في الحُدِّ	فقل إذن للمناوي النَّاوي الْأَذَى
	لبشرك بعمر منك مُنْصَرِم	له صوارم لو ناجتكَ ألسنها
	قبض المسلم ما قد حاز من ساء (٨)	وإن رُوْحَكَ عن قرب سَيَقْبُضُهُ
	من كلِّ مُتَّصِفٍ بالدَّهِيِّ (٩) مُتَّسِمٍ	فهو الذي ما له نِدٌّ يشابهُهُ
	مما عسى أن يُرَى فيه من الوَهَمِ	يُدَبِّرُ الأمرَ تدبيراً يُخَلِّصُهُ
	تَعَمَى عن أدراكه أَلْحَاطُ كُلِّ عَم	ويُبْصِرُ الغيبَ لحظُ الذهن منه إذا

(١) حية ذكر : شهم .

(٢) كذا في نفع الطيب ، ويريد بالمتلب : الجيش الممتد . وفي ت : « لمتلب ، وهو تحريف . وسقطت هذه الكلمة من ط .

(٣) اللهم والمجر : ما بمعنى الجيش العظيم .

(٤) اللجج الجيش الكثير ، والقرم : السيد . واللحان . جمع لحم . وقرم (ككتف) : شديد الشهوة لأكل اللحم .

(٥) كذا في ت ونفع الطيب . واللقم : الأكل ، ويريد به الافتراس ، واللقم (بالتحريك) وسط الطريق . وفي ط : « ... نعم على لقم » .

(٦) يشير إلى قول أبي الفتح البستي :

إلى حتفي سمي قدمي أرى قدمي أراق دمي

(٧) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « يغر » .

(٨) المسلم : السلف ، الذي يعطى ذهباً أو فضة على سلعة معلومة إلى أجل معلوم . والسلم : البيع المبيع المؤجل قبضه .

(٩) الدهي والدهاء : الفكر وجودة الرأي .

- وَيُنْعِمُ^(١) النَّظَرَ الْمُفْضِي بِنَظَرِهِ لَصُوبٍ وَجِهٍ صَوَابٍ وَاضِحٍ اللَّقْمِ^(٢)
ذُو مَنْطِقٍ لَمْ تَزَلْ تَجْلُو نَتَائِجَهُ عَنِ مُبْطِلٍ بِخِصَامِ الْمُبْطِلِ الْخَصِمِ^(٣)
وَمِسْمَعٍ لَيْسَ يُضَعِي لِلْوَشَاةِ فَلَمْ يَنْفُقْ لَدَيْهِ الَّذِي عَنْهُمْ إِلَيْهِ نُعْمَى^(٤)
فَعَمَلُهُ لَا تَوَازِيهِ الْعُقُولُ وَهَلْ يُوَازِنُ الطُّورَ مَا قَدِ طَالَ مِنْ أَكْمِ
إِلَيْهِ جَمِيعَ الْوَرَى مِنْ بَدْوٍ أَوْ حَضَرٍ نِدَاءً مُرْتَبِطٍ بِالنُّصْحِ مُرْتَسِمِ
شُدُّوا وَجِدُّوا وَلَا تَعْمُوا وَلَا تَهِنُوا قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِالسَّوَاقَةِ الْحُطَمِ^(٥)
هَذَا الْأَمِيرِ^(٦) الْعَرَبِيِّ السَّعِيدِ لَهُ سَعْدٌ يُؤَيِّدُهُ فِي كُلِّ مُصْطَلَمِ
قَدْ أَقْسَمْتُ أَنَّهُ الْمَنْصُورُ السَّنَةِ مِنْ نُخْبَةِ الْأَوْلِيَاءِ مَبْرُورَةِ الْقَسَمِ
فَشَيْعُوهُ وَوَالُوهُ تَرَوَا عَجَبًا وَتَنْظَرُوا مَعَهُ بِالْأَجْرِ وَالْغَنَمِ^(٧)
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَبْقَى خِلَافَتَهُ كَهْفًا لَنَا مَنْ يَخْتِمُ فِيهِ لَمْ يُرَمِ^(٨)
حِرْزِ حَرِيرِ وَعِزِّ قَائِمِ وَنَدَى غَمْرٍ دِرَاكٍ بِلَا مَنْ وَلَا سَأَمِ^(٩)

(١) كذا في نفع الطيب . وإِنعام النظر : تدقيقه . وفي الأصلين : يعمن . وهو يتعمد بحرف الجر . يقال : أمعن في الأمر ، أى أبعده فيه .

(٢) اللقم (كسب) : وسط الطريق .

(٣) الخصم (ككتف) : الجدل الشديد الحصومة . يريد أنه يبطل حجج خصمه بقوة بيانه .

(٤) ينفق : يروج . ونعمى إليه : وصل إليه .

(٥) لا تعنوا : لا تخضعوا وتدلوا . ولا تهنوا : لا ترضعوا . ولفها : جمعها ، والضمير

في الأصل للإبل ، والسواقة : السواق ، والناء للبالغة . والحطم : الشديد

السوق ؛ وهذا مثل . يريد أن متولى أمرهم ، وهو الممدوح ، رجل قوى شديد .

(٦) في نفع الطيب : « الإمام » .

(٧) شيعوه : ناصروه . والغنم (بالتحريك) : المنعم ، كالغنم (بالضم) .

(٨) لم يرم : أى يعز على من يطلبه .

(٩) غمر : كثير . ودراك : متتابع متلاحق .

دامت ودام لها سَعْدُ يساعدها	في كل مُبتدأ منه ^(١) ومختَمَ
فالله — عز اسمه — قد زانها بجلِّي	من غُرِّ أمداحه كالذُرِّ في النُّظْمِ ^(٢)
الواهب الألف بعد الألف من ذهبٍ	كالجَمْرِ يلعق في مُستوقَد الضَّرَمِ ^(٣)
والفاعلُ الفعلُ لم يَهْمُ به أحد	والقائلُ القولُ فيه حكمةُ الحِكمِ
ذا كم هو الشيخ فاعجب إنه هَرَمَ ^(٤)	جودا وحاشاه أن يُعزَى إلى هَرَمِ ^(٥)
وحسبنا أن أيدينا به اعتصمت	من حَبَلِه بوثيقٍ غيرِ مُنْفِصِمِ
فما مُخالِفُه يوماً بمُظَهِّدِ	ولا مَوَالِفُه يوماً بمهتَضِمِ
ولا موافيه في جَهْدٍ بمَطَّرَحِ	ولا مُصافيه في وُدِّ بُمُتِّمِ
ولا مُحَيِّياً مُحَيِّيه بمُنكَسِفِ	ولا رجاءَ مُرَجِّيه بمُنخَرِمِ ^(٦)
وما ^(٧) تَكَرَّمَه سِرّاً ^(٨) بمُنكَسِفِ	ولا تَنكَّرَه جَهراً بمِكْتَمِ
وليس لامِحُ مرآهٍ بمِكتَبِ	وليس راضعُ جدواه بمِنْفِطِمِ
ولا مُقَبِّلُ يَمَناهِ الكريمةِ في	محلِّ مُمتَهِنِ بل دَسْتِ مُحْتَرَمِ ^(٩)
وما وسيلتنا العُظْمَى إليه سَوَى	ما ليس يُنكَرُ ما فيها من العِظَمِ
وإِنَّمَا هِيَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ مِنْ	وسيلةٍ رُدُّها أَدَهَى مِنَ الرِّضَمِ ^(١٠)

- (١) في نفتح الطيب طبعة أوربية : « منها » .
 (٢) النظم : جمع نظام ، وهو الحيط ينظم فيه الحرز ونحوه .
 (٣) في ط : « الظلم » .
 (٤) يريد أن المدوح مثل هرم بن سنان ، ممدوح زهير بن أبي سلمى ، الزنبي .
 (٥) في نفتح الطيب طبعة أوربية : « الهرم » .
 (٦) بمنخرم : أى بمنقطع .
 (٧) في نفتح الطيب (طبعى أوربية ومصر) : « ولا » .
 (٨) في ط : « يوما » .
 (٩) يريد بال دست : المكان الكريم ، مأخوذ من دست البيت ، وهو صدره .
 (١٠) كذا في ط . والرضم : صخور عظام . وفي ت : « الوخم » .

نبينا المصطفى الهادي بخير هدى محمد خير خلق الله كلهم
 داعي الوري من أولي خيم وأهل قرى (١) إلى طريق رشاد لاحب أمم (١)
 عليه منا صلاة الله ما ذكرت « أمن تذكر جيران بنى سلم » (٢)
 وما تشفع فيها بالشفيع له دخيل حرمته العلياء في الحرم (٣)
 « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .
 « أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين » . « ربنا عليك توكلنا
 وإليك أنبنا وإليك المصير » . « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين
 لا مولى لهم » . « نعم المولى ونعم النصير » .
 أما بعد حمد الله الذي لا يحمده على السراء والضراء سواه ؛ والصلاة والسلام
 على سيدنا ومولانا محمد ، الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح ، يدعو إلى سبيل
 كل فلاح ، أولى قلوب غافلة ، ونفوس سواه ؛ والرضا عن آله وأصحابه ، وعترته
 الأكرمين وأحزابه ، الذين تلقوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه ،
 وعزروه ونصروه في حال قربه ونواه . [٤٣]

فيا مولانا ، الذي أولانا من النعم ما أولانا ؛ لاحط الله تعالى لكم من العزة
 رواقا (٤) ، ولا أذوى لدوحة (٥) دولتكم أغصانا ولا أوراقا ؛ ولا زالت مخضرة
 العود ، [مبتسمة (٦)] عن زهرات البشائر متحفة بثمرات السعود ، ممتورة

(١) أهل خيم : أي ساكني الخيام . واللاحب : الواضح . والأمم : البين . وقد ورد

الشرط الأول من هذا البيت في ط هكذا :

« داعي الوري من أولى من أهل خيم قرى »

(٢) هذا الشرط مطلع قصيدة البردة المشهورة للبوصري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) الدخيل : اللاجئ . والحرمة : الذمة .

(٤) الرواق : الخيمة . يدعو له بدوام ارتفاع المنزلة .

(٥) الدوحة : الشجرة الواسعة الظلال . وأذوى : أذبل وأضعف .

(٦) زيادة عن ت ونفع الطيب .

بسحائب البركات المتداركات دون بُرُوق^(١) ولا رعود :

هذا مقام العائذ بمقامكم ، المتعلق بأسباب ذمامكم ، المترجى لعواطف قلوبكم ،
وعوارف إنعامكم ، المقبل الأرض تحت أقدامكم ، المتلجلج^(٢) اللسان عند
محاولة^(٣) مفاتحة كلامكم ؛ وماذا الذي يقول مَنْ وجهه خجل ، وفؤاده وجل ،
وقضيته المقتضية عن التنصل والاعتذار تحل ؛ بيد أني أقول لكم ما أقوله لربّي ،
واجترأى عليه أكثر ، واجترأى^(٤) إليه أكبر : اللهم لا برىء فأعتذر ، ولا قوى
فأنتصر ، لكنّي مُستقيم^(٥) مُستنيل^(٦) مستعتب^(٧) مستغفر ؛ « وَمَا أْبْرَأِي
نَفْسِي ، إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالشُّوءِ » . هذا على طريق التنزل والانصاف ، بما
تقتضيه الحال من يتحيز إلى حيز الانصاف ؛ وأمّا على جهة التحقيق ، فأقول ما قالته
الأمّ ابنة الصديق^(٨) : « وَاللّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنِّي إِنْ أَقْرَرْتُ بِمَا يَقُولُهُ النَّاسُ ، وَاللّهُ يَعْلَمُ
أَنِّي مِنْهُ بَرِيءَةٌ^(٩) ، لَأَقُولَنَّ^(١٠) مَا لَمْ يَكُنْ ، وَلَئِنْ أَنْكَرْتَ مَا تَقُولُونَ لَا تَصْدُقُونِي ،
فَأَقُولُ مَا قَالَهُ أَبُو يَوْسُفَ^(١١) : صَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ » .

على أني لا أنكر عيوبى ، فأنا معدن العيوب ، ولا أجحد ذنوبى ، فأنا

(١) فى ت ونفح الطيب : « برق » .

(٢) فى ط : « والتلجلج » .

(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « عند مفاتحة » .

(٤) اجترأى : ذنبى .

(٥) مستقيم : طالب الإقالة من العثرة .

(٦) مستنيل : طالب النوال .

(٧) مستعتب : طالب العتبى ، وهى الرضا .

(٨) يريد أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق .

(٩) كذا فى نفح الطيب وسيرة ابن هشام . وفى الأصلين : « برىء » .

(١٠) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى نفح الطيب وط : « لأقول » . وفى ت : « لأقول » .

(١١) تريد سيدنا يعقوب عليه السلام .

جَبَلِ الذنوب ؛ إلى الله أشكو عُجْرِي وَبُجْرِي^(١) ، وَسَقَطَانِي وَغَلَطَانِي . نَعَمْ ،
 كُلُّ شَيْءٍ وَلَا مَا يَقُولُهُ الْمُتَقَوِّلُ ، الْمَشْتَعُّ الْمَهْوَلُ ، النَّاطِقُ بِفَمِ الشَّيْطَانِ الْمُسَوَّلِ .
 وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « سَبَّيْ وَأَصْدُقْ » ، وَلَا تَفْتَرِ وَلَا تَخْلُقْ ؛ فِيمَنْ كَانَ يَفْعَلُ أَمْثَالَهَا ،
 وَيَحْمَلُ^(٢) مِنَ الْأَوْزَارِ الْمَضَاعَفَةِ أَحْمَالَهَا ، وَيُهْلِكُ نَفْسَهُ وَيُحْبِطُ أَعْمَالَهَا ؛ عِيَادًا
 بِاللَّهِ مِنْ خُسْرَانِ الدِّينِ ، وَإِثَارِ الْجَاهِدِينَ وَالْمُعْتَدِينَ ، قَدْ ضَلَّتْ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُهْتَدِينَ . وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ شَعْرَةً فِي فَوَادِي^(٣) تَمِيلُ إِلَى تِلْكَ الْجَهَةِ لَقَلَعْتُهَا ، بَلْ
 لَقَطَفْتُ^(٤) مَا تَحْتَ عِمَامَتِي مِنْ هَامَتِي وَقَطَعْتُهَا ؛ غَيْرَ أَنَّ الرَّعَاعَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانَ ،
 لِلْمَلِكِ أَعْدَاءٌ وَعَلَيْهِ أَحْزَابٌ وَأَعْوَانٌ ، كَانَ أَحَقَّ وَأَجْهَلَ مِنْ ابْنِ ثُرَوَانَ^(٥) ،
 أَوْ أَعْقَلَ وَأَعْلَمَ مِنْ أَشَجِّ بْنِ مَرْوَانَ^(٦) ؛ وَرُبَّ مُتَّهَمٍ بَرِيٍّ ، وَمُسْرِبِلٍ بِسْرِبَالٍ [٤٤]
 وَهُوَ مِنْهُ عَرِيٌّ^(٧) ؛ وَفِي الْأَحَادِيثِ صَحِيحٌ وَسَقِيمٌ ، وَمِنَ التَّرَاكِيِبِ الْمُنْطَقِيَّةِ مُنْتَجِعٌ
 وَعَقِيمٌ ، وَلَسْكَنَ تَمَّ مِيزَانَ عَقْلٍ ، تُعْتَبَرُ بِهِ أَوْزَانُ النُّقْلِ ؛ وَعَلَى الرَّاجِحِ الْإِعْتِمَادُ^(٨) ،
 ثُمَّ إِشَاعَةُ الْإِحْمَادِ ، الْمَتَّصِلُ التَّمَادُ ؛ وَلِلْمَرْجُوحِ الْإِطْرَاحُ ، ثُمَّ الذَّمُّ الصُّرَاحُ ،
 بَعْدَ النُّفْضِ^(٩) مِنَ الرَّاحِ ؛ وَأَكْثَرُ مَا تَسْمَعُهُ الْكُذْبُ ، وَطَبَعَ جُمْهُورُ الْخَلْقِ إِلَّا مِنَ

(١) العجر والبحر (هنا) : العيوب والأحزان وما يبدى المرء وما يخفى . والعجر

(في الأصل) : العروق المتعقدة الناتئة . والبحر : ما تعقد منها على البطن خاصة .

(٢) في ط ونفح الطيب : « ويحتمل » .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : من « فَوَادِي » .

(٤) كذا في ط . والقطف : القطع . وفي ت : « بل لقايت » ، وهو تحريف .

(٥) كذا في أخبار الحقي والغفيلين لابن الجوزي ، والمضاف والمنسوب للتعالي . وهو
 هينقة القيسي يزيد بن ثروان ، المعروف بذي الودعات ، وهو مثل في الحق والجهد .

وفي ط : « من أبي ثوران » . وفي ت : « من أبي ثروان » . وكلاهما تحريف .

(٦) أشج بن مروان : هو عمر بن عبد العزيز ، لأنه كانت به شجة .

(٧) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « ومسرِبِلٍ بِسْرِبَالٍ عَارٍ وَهُوَ مِنْهُ عَرِيٌّ » .

(٨) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « وعلى الراجح على الاعتقاد » .

(٩) في ت : « النفاض » .

عصمه الله^(١) إليه منجذب ؛ ولقد قذفنا من الأباطيل بأحجار ، ورُمينا بما لا يُرعى^(٢) به الكفار ، فضلا عن الفجار ؛ وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد وعمر ، ما لكم منه حفظ الجبار^(٣) ؛ وإذا عظم الإنكاء^(٤) ، فعلى تُسكأة التجلُّد الأتسكاء ؛ أكثر المكثرون ، وجهد^(٥) في تعشيرنا المتعشرون ؛ ورَمونا عن قوس واحدة ، ونظمونا في سلك الملاحة ؛ أ كُفراً أيضاً كُفرا ! غفراً اللهم غفراً ؛ أَعِدْ نظراً يا عبدَ قيس ، فليس الأمر على ما خيَّل^(٦) لك لئس ؛ وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ، ممن رام تحققه ومحقنا ؟ فطاردنا في سبيله عادة كانوا لنا غائطين ؛ فانتمق علينا فتق ، لم يمكننا له رتق ، وما كنا للغيب حافظين .

وبعد ، فاسأل أهل الحل والعقد ، والتميز والنقد ؛ فعند جهننتهم تلقى الخبر يقينا ، وقد رضىنا بحكمهم يؤثمننا فيؤبقنا ، أو يُبرئنا فيقيننا . إيه يا من اشرب إلى ملامنا ، وقدح حتى في إسلامنا ؛ رويداً رويداً ، فقد وجدت قوة وأيداً ؛ ويحك ، إنما طال لسانك علينا ، وامتد بالسوء إلينا ؛ لأن الزمان لنا مُضغِر ، ولك مُكبر ، والأمر عليك مُقبل ، وعنا^(٧) مُدبر ، كما قاله كاتب الحجاج المدبر^(٨) .

(١) في ط : « إلا من عظم الله » .

(٢) في ت : « بما لم يرم » .

(٣) كذا في ت . ورواية هذه العبارة في ط : « وجرى ... وعمر ما يريكم منه حفظ الجار » . وفي نفع الطيب : « وجرى ... وعمر ما لديكم منه حفظ الجار » ، وظاهر أنهما محرفتان عما أثبتناه .

(٤) كذا في ت ونفع الطيب . والإنكاء : شدة النيل من العدو . وفي ط : « وإذا علم الإنكار » .

(٥) في ط : « وجهر » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ما خيبت لك » .

(٧) في ت : « علينا » وهو تحريف .

(٨) كاتب الحجاج : هو يزيد بن أبي مسلم . يشير إلى رد يزيد على سليمان ابن =

وعلى الجملة ، فهبنا صبرنا إلى تسليم مقالك جدلاً ، وذهبنا فأقرزنا بالخطأ
في كل وزيدٍ وصدر ، فله دَرُّ القائل :

إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأَ القَدَرُ^(١)

وكانَّا^(٢) بمتعسفٍ^(٣) إذا وصل إلى هنا ، وعدم إنصافه يعلمه الهنا^(٤) ؛
قد أزور متجانفاً^(٥) ، ثم افتَر متهانفاً^(٦) ، وجعل يمثّل بقولهم :
« إذا عيروا قالوا مقاديرٌ قدّرتُ »

وبقولهم : « المرء يعجز لا محالة^(٧) » ؛ فيعارض الحق بالباطل ، والحالَى
بالعاطل ، وينزع بقول القائل : « رَبُّ^(٨) مُسْمِعٌ هَائِلٌ ، وليس تحته من
طائل^(٩) » . وقد فرغنا أوّل أمس^(١٠) من جوابه ، وتركنا الضغن يُلصق حرارة

== عبد الملك حين دخل عليه فنقصه سليمان وسب الحجاج : « إنك رأيتني والأمر

عنى مدبر ، ولو رأيتني والأمر على مقبل استعظمت من أمرى ما استصغرت » .

(انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٠ — ٢١١ طبعة الفتح سنة ١٣٣٢ هـ) .

(١) هذا مجزيت بيت لأبي العاتية ، وصدره :

هي المقادير فلنى أو فذر

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وكان » .

(٣) في ت : « بمتعسف » .

(٤) يريد بالهنا : جمع هنة ، وهي العيب . والذي في كتب اللغة أنها تجمع على هنات
وهنوات .

(٥) ازور متجانفاً : مال متباعداً .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وافتَر متهانفاً : أى فتح فاه ضاحكاً مستهزئاً . وفي ت :

« متهانفاً » وهو تصحيف .

(٧) في ط : « لا المحالة » .

(٨) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين « ذى » . وهو تحريف .

(٩) كذا في ط . وفي ت : « وليس من تحته من طائل » . وفي نفع الطيب :

« وليس تحته طائل » .

(١٠) أول أمس : أى بكرته ومبتدأه . والمسموع من العرب عند إرادة اليوم السابق

لأمس « أول من أمس » .

الجَوَى به ؛ وَسَلِّمْ^(١) الْآنَ بِمَا يُوسِعُهُ تَسْكِينًا ، وَيَقْطَعُهُ تَبْكِينًا . فنقول له :
 ناشدناك الله تعالى ، هل اتفق لك قَطُّ وَعَرَضٌ ، خروج أمر ما على القصد منك
 فيه والعرض ؛ مع اجتهادك أثناءه في إصدارك وإيرادك ، في وقوعه على وَفْقٍ
 اقتراحك ومُرادك ؟ أو جميع ما تزاوله بإدارتك ، لا يقع إلا مطابقاً لإرادتك ؟ [٥٤ :
 أو كل ما تقصده وتنويه ، تُحْرِزُه كما تَشَاءُ وتُحْوِيه ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ اضطراراً ،
 بأن مطلوبه يَشُدُّ عنه مِراراً ؛ بل كثيراً ما يُفْلِتُ صيدهُ من أَشْرَاكِهِ ، ويطلبه
 فيعجز عن إدراكه ؛ فنقول : ومسألتنا من هذا القبيل : أيها النبيه النَّبِيلُ ؛ ثم
 نسرد له من الأحاديث النبوية ما شِدْنَا ، مما يُسِيرُنَا في غرضنا منه ويماشينا ،
 كقوله صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » .
 وقوله أيضاً : « لو اجتمع أهل السماوات وأهل الأرض على أن ينفعوك بشيء ،
 لم يقض الله لك ، لم يقدرُوا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقض
 الله عليك ، لم يقدرُوا عليه^(٢) » ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فَأَخْلَقَ بِهِ أَنْ
 يَلُودَ بِأَكْنَفِ الْإِحْجَامِ ، وَيَزْمُ عَلَى نَفْثَةِ فِيهِ كَأَنَّمَا أُلْجِمَ بِالْجَامِ ؛ حينئذ نقول
 له ، والحق قد أبان وجهه وجَلَّاه ، وقهره بحجته وعَلَّاه : ليس لك من الأمر شيء
 قل إن الأمر كله لله . وفي محاجة آدم موسى^(٣) ما يقطع لسان الخصم ، وَيَرْحَضُ^(٤)
 عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من دَرَنِ الوَصْمِ ؛ وكيفما كانت الحال ،
 وإن أساء الرأى والانتحال ، ووقعنا في أوجال وأوحال ؛ فَمَثَلٌ عَرَّشْنَا ، وطويت
 فُرُشْنَا ، وَنَكَّسَ لَوَاؤُنَا ، وَمَلِكٌ مَشْوَانَا ، فنحن مَثَلٌ مِنْ سِوَانَا ؛ وفي الشر خيار ،

(١) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ونسلم » ، وهو تحريف .

(٢) الذي في الأربعين النبوية : « ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء
 لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك
 إلا بشيء قد كتبه الله عليك » .

(٣) راجع صحيح البخارى في تفسير قوله تعالى « فلا يخرجكما من الجنة فتشقى » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . ويرحض : يغسل . وفي ت : « يدحض » ، وهو تحريف .

ويد اللطائف تكسر من صولة الأغيار^(١) ؛ فحتى الآن لم نقتد من اللطيف تعالى
لطفاً ، ولا عدمننا^(٢) أدوات أدمية تعطف بلا مهلة على مجملتنا المقطوعة مجمل
النعمة الموصولة عطفاً ؛ وإلا فتلك بغداد دار السلام ، ومتبوعاً الإسلام ، المحفوف
بفرسان السيوف والأقلام ؛ مثابة الخلافة العباسية ، ومقر العلماء والفضلاء أولى
السير الأويسية^(٣) ، والعقول الإياسية^(٤) ؛ وقد نوزلت بالجيوش ونزلت ،
وزووات بالزحوف^(٥) ونزلت ؛ وتحيف^(٦) جوانبها الحيف ، ودخلها كفار التتار
[عنوة]^(٧) بالسيف ، ولا تسل إذ ذاك عن كيف ؛ أيام تجأت عروس المنية ،
كاشفة عن ساقها مبدية ، وجرت الدماء في الشوارع والطرق [كالأنهار]^(٧)
والأودية ، وقيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضاة بالعمائم في رقابهم
والأردية ؛ وللنجيع^(٨) سيول ، تخوضها الخيول ؛ فتخضبها إلى أرساغها ، وتمم
ظاؤها بوردها ، فتنكك عن تجرؤها ومساغها ؛ فطاح عاصمها ومستعصمها ،
وراح ولم يغد ظالمها ومتظلمها ؛ وخربت مساجدها وديارها ، واضطلم^(٩) بالحسام
أشرارها وخيارها ؛ فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف ، حسباً عرفت أو حسباً
تعرف ؛ فلا تكن متشككاً متوقفاً ، فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند

[٤٦]

(١) يريد بالأغيار : تقلبات الدهر وأحداثه .

(٢) في ت : « ولعدمننا » وهو تحريف .

(٣) الأويسية : نسبة إلى أويس بن عامر القرني ، وهو من سادات التابعين زهداً وعبادة ،
وقد قتل بصفين .(٤) الإياسية : نسبة إلى إياس بن معاوية ، قاضي البصرة في عهد عمر بن العزيز ، وكان
معروفاً بشدة زكاته ، وحسن قضائه ، وقوة جنانه ، وفصاحة لسانه .

(٥) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « بالزحاف » .

(٦) تحيفه : تنقصه .

(٧) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٨) النجيع : الدم الأحمر .

(٩) اصطلم : استوصل .

المؤرّخين من قفّا^(١)؛ فأين تلك الحجاغل، والآراء المُدارّة في الحافل؛ حين أراد الله تعالى بإدالة الكفر، لم تُجد ولا قلامة ظُفر؛ إذن فمن سَلِمَتْ له نفسه التي هي رأس ماله، وعياله وأطفاله، اللذان هما من أعظم آماله؛ وكلُّ أو جُلُّ أو أقلُّ ريشه، وأسباب معاشه، الكفيلة باتباعه وانتعاشه؛ ثم وجد مع ذلك سبيلا إلى الخلاص، في حال مُياسرة ومساهلة، دون تعصب واعتياص^(٢)، بعد ما ظن كل الظن أن لا محيدَ ولا مناص؛ فما أحقه حينئذ وأولاه، أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه؛ على ما أسداه إليه من رِفده وخيره، ومعافاته مما ابتلي به كثير من غيره؛ ويرضى بكل إيراد وإصدار، تتصرف فيهما الأحكام الإلهية والأقدار، فالدهر غدار، والدنيا دار مشحونة بالأكدار؛ والقضاء لا يُردُّ، ولا يُصدِّ؛ ولا يغالب، ولا يطالب؛ والدائرات تدور، ولا بد من نقص وكال للبدور؛ والعبد مطيعٌ لا مُطاع، وليس يُطاع إلا المُستطاع، والخالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيب، للأذهان عن مداه انقطاع؛ ومالي والتكاف لما لا أحتاج إليه من هذا القول، بين يدي ذى الجلالة والمجادة والفضل والطول؛ فله من العقل الأرجح، ومن الخلق الأسجح، ما لا تلتاط^(٣) معه تهمتي بصفره^(٤)، ولا تنفق عنده وشاية الواشى، لا عدُّ من نفره، ولا فاز قدحُه بظفره؛ والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب، وتجرُّ براحتها إلى المتاعب؛ وقديما للأكياس من الناس خدعت، وانحرفت عن وصالهم أ عقل ما كانوا وقطعت،

(١) يشير إلى المثل المضروب: « أشهر من قفا نيك ». وهي مطولة امرئ القيس

المشهوره .

(٢) اعتصام الأمر عليه : اشتد والثبات ، فلم يهتد للصواب .

(٣) تلتاط : تلتصق .

(٤) الصفر (بالتحريك) : اللب والعقل .

وفعلت بهم ما فعلت ، بيسار الكواعب التي جبت وجدعت^(١) ، ولئن
 رهصت وهصرت^(٢) ، فقد نبهت وبصرت ، ولئن قرعت ومعضت^(٣) ،
 لقد أرشدت ووعظت ؛ ويا ويلنا من تنكرها لنا بمره ، ورميها لنا في غمرة
 أي غمره ؛ أيام^(٤) قلبت لنا ظهر المجن ، وغيم أفتها المصحى وأدجن^(٥) ؛
 فسرعان ما عابنا جبالها مُنبته ، ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغته ؛
 فمن استعاذ من شيء ، فليستعذ مما صرنا^(٦) إليه ، من الحور بعد الكور^(٧) ،
 والأخطاط من النجد إلى الغور :

[٤٧]

فبيننا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة تنصف^(٨)
 فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف
 وأبها لقد أرهقتنا إرهاقا ، وجرعتنا من صاب^(٩) الأوصاب كأسا دهاقا^(١٠) ؛
 ولم نفرع إلى غير بابكم المنيع الجناب ، المنفتح حين سدت الأبواب ، ولم نلبس
 غير لباس نهمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملوك من الأنواب ؛ وإلى أمه يلجأ الطفل
 لجأ اللهمان ، وعند الشدائد تمتاز السيوف من الأجفان^(١١) ، ووجه الله تعالى

(١) الجب والجدع : القطع . يشير بهذه العبارة إلى حادثة عبد يدعى يسارا راود بنت مولاه

عن نفسها ، فبنت ماذا كبره (انظر كتاب المضاف والمنسوب للشعالبي) .

(٢) الرهص والهصر : العصر والأخذ الشديد .

(٣) معضت : أغضبت .

(٤) في ط : « وإن قلبت » .

(٥) أدجن : أظلم .

(٦) في ت : « سرنا » .

(٧) الحور : النقص . والكور : الزيادة .

(٨) تنصف : نطلب النصفة ، وهي الإنصاف .

(٩) كذا في ط ونفع الطيب . والصاب : عصارة شجر مر . وفي ت : « كأس » .

(١٠) دهاقا : مملوءة .

(١١) في ط : « تمتاز السيوف في الأجوان من الأجفان » . ويريد بالأجوان : جمع جون ،

وهو الظلام .

يبقى ، وكلُّ من عليها فان ، وإلى هنا ينتهى القائل ثم يقول : حسبى هذا^(١) وكفان ؛ ولا ريب من اشتغال العلم الكريم ، على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والتقديم ؛ من الأخذ باليد عند زلَّة القدم ، وقرع الأسنان وعض البنان من القدم ؛ دينا به تدبنت حتى مع اختلاف الأديان ، وعادة أطردت فيهم على تعاقب الأزمان والأحيان .

ولقد عرَّض علينا صاحب قشتمالة مواضع معتبرة ، خير فيها وأعطى من أمانه ، المؤكِّد فيه خطُّه بأيمانه ؛ ما يقنع النفوس ويكفيها . فلم تر ، ونحن من سلالة الأحمر ، مجاورة الصُّفُر ، ولا سَوَّغ لنا الإيمان الإقامة بين ظَهْرَانِي الكُفْر ؛ ما وجدنا على ذلك مندوحة ولو شاعه ، وأمنا من المطالب المشاغِب حُمَّة شَرِّ لنا لاسعه ؛ وأدَّكرنا أى أدَّكار ، قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الإنكار : « ألم تكن أرض الله واسعة » ؛ وقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام : « أنا برىء من مؤمن مع كافر لا تترأى نارهما^(٢) » ؛ وقول الشاعر الحاث على حث المطيه ، المتشاقلة عن السير فى طريق منجاتها البَطِيَّة :

[٤٨]

وَمَا أَنَا وَالتَّلْدُودُ نَحْوُ نَجْدٍ وَقَدْ غُصَّتْ تِهَامَةٌ بِالرَّجَالِ^(٣)

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الله » .

(٢) نص هذا الحديث فى النهاية لابن الأثير ولسان العربى (مادة رأى) : « أنا برىء من كل مسلم مع مشرك ؛ قيل : لم يارسول الله ؟ قال : لاترأى نارها » . أى لا يحل للمسلم أن يسكن بلاد المشركين ، فيكون معهم بقدر ما يرى كل واحد منهم نار صاحبه .

(٣) التلدد : التلفت . وفى الأصلين ونفح الطيب : « التلدد » . وهو تصحيف .

ووصلت [أيضاً^(١)] إلينا ، من الشرق^(٢) كتب كريمة المقاصد لدينا ؛
تستدعى الانحياز إلى تلك الجنّيات^(٣) ، وتتضمن ما لا مزيد عليه من
الرغبات ؛ فلم نختز إلا دارنا ، التي كانت دار آباءنا من قبلنا ، ولم نرض
الانضواء إلا لمن بحبله وُصِّلَ حبلنا ، وبريش نبله ريش نبلنا ؛ إدلالا على محلّ
إخاء متوارث لا عن كلاله ، وامثالا لوصاة أجداد لأنظارهم وأقدارهم أصالة
وجلاله ؛ إذ قد رَوِينَا عن سلف من أسلافنا ، في الإيضاء لمن يخلف بعدهم
من أخلافنا ؛ ألاَّ يبتغوا إذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلا ، ولا يجدوا
عن طريقها في التوجّه إلى فريقها معدلا . فاخترقنا إلى الرياض الأريضة
الفجاج ، وركبنا إلى البحر الغرات ظهر البحر الأجاج ؛ فلا غرو أن نرد منه
على ما يُقِرُّ العين ، ويشفي النفس الشاكية من ألم البين ؛ ومن توصل هذا
التوصل ، وتوسل بمثل ذلك التوسل ؛ تطارحا على سدة أمير المؤمنين ، المحارب
المحاربين ، والمؤمن المستأمنين ؛ فهو الخليق الحقيقي ، بأن يسوغ أصفى
مشاربه ، ويبلغ أوفى مآربه ؛ على توالى الأيام والشهور والسنين ، ويخلص
من الثبور إلى الحبور ، ويخرج من الظلمات إلى النور خروج الجنين ؛ وعلل
شعاع سعادته يفيض علينا ، ونفحة قبول إقباله تسرى إلينا ؛ فتحامرنا أريحية
تحملنا على أن نبادر ، لإنشاد قول الشريف الرضى في الخليفة القادر :

عظفًا أمير المؤمنين فإننا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي مُعرق

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) في ط : « الشرق » .

(٣) في ط : « الجهات » .

إلا الخلافةَ مَيَّرْتِكَ فَإِنِّي أنا عاقل منها وأنتَ مَطْوَقٌ
لا ، بل الأحرى بنا والأحجى ، والأنجح لسعينا والأرجى ؛ أن نعدِلَ [٤٩]
عن هذا المنهاج ، ويقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف
المحتاج ، وينشد ما قال في الشيرازي ابن حجاج^(١) :

الناس يَفِدُونكَ اضْطِرَّارًا منهم وأفديك باختيارِ
وبَعْضُهُمْ في جوارِ بعض وأنتَ حتى أموتَ جَارِي
فِعْشٌ لَخَبِزِي وعش لِمَائِي وعش لداري وأهلِ دَارِي

ونستوهب من المَنَّانِ الوَهَّابِ تَعَالَى وجلت أسماءه ، وتعاطمت نهماؤه ؛ رحمة تجعل
في يد الهداية أَعْتَنَّا ، وعِصْمَةً تكون في مواقف الخاوف جُنَّتْنَا ؛ وقبولاً يُعْطِفُ
علينا نوافر القلوب ، وصُنْعاً يُسْتَيِّ لنا كل مرغوب ومطلوب ؛ ونسأله ، وطالما
بَلَّغَ السائلِ سُؤلاً ومأمولاً ، متاباً صادقاً على موضوع الندم محمولاً ، ثم عزاء حسناً
وصبراً جميلاً ، عن أرض أورثها من شاء من عباده مُعْتَبِبا لهم ومُدْبِلا ، وسادِلا
عليهم من سُتُورِ الإِمْلاءِ^(٢) الطويلة سُدُولاً ، « سُنَّةَ اللَّهِ التي قد خَلَّتْ من قَبْلُ
ولنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا » . فليطِرْ طائرُ الوَسْواسِ المُرْفِرفِ مَطِيرًا ،
كان ذلك في الكتاب مسطوراً ، ولم نستطع عن مورده صُدُوراً ، وكان أمرُ اللَّهِ
قَدَرًا مَقْدُورًا .

(١) ابن حجاج : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد الكاتب الشاعر . وهذه الأبيات
من أبيات خمسة قالها في أبي الفضل الشيرازي . (انظر بديعة الدهر للثعالبي ، ووفيات
الأعيان لابن خلسكان) .

(٢) الإِمْلاءُ : الإيهام .

ألا ، وإن لله سبحانه في مقامكم العلى الذى أيده وأعانه ، سِرًّا من النصر ، يترجم عنه لسان من النَّصْل ، وتَرَجِعُ فروع البشائر الصادقة ، بالفتوحات المتلاحقة ، من قاعدته المتأصلة إلى أصل ؛ فبمثله يجب اللياذ والعياذ ؛ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولأمر ما آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا الله تعالى واستخرناه ؛ ومنه جلَّ جلاله نرغب أن يَخِيرَ لنا ولجميع المسلمين ، ويُوَوِّبِنَا^(١) من حمايته ووقايته إلى مَعْقِلٍ مَنِيَعٍ ، وِجْناب^(٢) [رفيع]^(٣) ، آمين ، آمين ، آمين .

نرجو أن يكون ربُّنا ، الذى هو فى جميع الأمور حَسْبُنَا ؛ قد خاز لنا حيثُ أَرشَدنا وَهَدَانَا ، وساقنا توفيقه وحدَانَا ؛ إلى الاستجارة بِمَلِكٍ حَفِيٍّ ، كَرِيمٍ وَفِيٍّ ؛ أعزَّ جاراً من أبى دُواد^(٤) ، وأَحْمَى أنفاسنا من الحارث بن عباد^(٥) ، يشهد بذلك الدانى والقاصى والحاضرُ والباد ؛ إن أغاث مَلهُوفاً فما الأسود ابن قنَّان^(٦) يذكر ، وإن أنعش حُشاشة هالك فما كعب بن مامَّة على فِغله وحده^(٧) يُشكر ؛

[٥٠]

(١) فى ط : « ويوردنا » . وفى نفتح الطيب : « ويثوب بنا » .

(٢) هذه الكلمة « وِجْناب » : ساقطة فى ت .

(٣) زيادة عن نفتح الطيب .

(٤) أبو دواد : هو جارية بن الحجاج ، وقيل حنظلة بن الشرقى الإيادى . كان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فاجاره وأحسن إليه ، فضرب المثل بحسن هذا الجوار . وقيل غير ذلك . (انظر تفصيل ذلك فى الشعر والشعراء لابن قتيبة عند الكلام على ترجمة أبى دواد) .

(٥) يشير إلى حمية الحارث بن عباد البكرى فى الحرب بين بكر وتغلب حين بلغه قتل مهلهل بجيرا ابنه وقوله له : يؤ بشسع نعل كليب ، فنادى بالرحيل وقال قصيدته المعروفة :

« قرباً مربط النعامية منى لفتح حرب وائل عن حياى »

(٦) لم نجد شيئاً عن الأسود بن قنَّان هذا فى المظان التى رجعنا إليها .

(٧) يشير إلى ما أثار عن كعب بن مامَّة الإيادى من أنه أثار بنصبيه من الماء رقيقه النمرى ، فمات عطشاً ، وضرب به المثل فى الإيثار . (انظر الشعر والشعراء ص

١٢٠ طبعة أوربة ، والمضاد والمنسوب للثعالى) .

جلّيسه كجليس القَعْقَاعِ بنِ شَوْرٍ^(١) ، ومُذَاكَرِه كَمُذَاكَرِ سُنْفِيَانٍ^(٢) المنتسب من الرِّبَابِ^(٣) إِلَى ثَوْرٍ ؛ إِلَى التَّحَلِّي بِأَمَّهَاتِ الْفَضَائِلِ ، الَّتِي أُضْدَادُهَا أَمَّهَاتُ الرِّذَائِلِ ؛ وَهِيَ الثَّلَاثُ : الْحِكْمَةُ ، وَالْعَدْلُ ، وَالْعِفَّةُ ، الَّتِي تَشْمَلُهَا الثَّلَاثُ : الْأَقْوَالُ ، وَالْأَفْعَالُ ، وَالشَّائِلُ ؛ وَيَنْشَأُ مِنْهَا مَا شَتَّتَ^(٤) مِنْ عَزْمٍ وَحَزْمٍ ، وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ ، وَتَيْقِظُ وَتَحْفِظُ ، وَاتَّقَاءُ وَارْتِقَاءُ ، وَصَوْلُ وَطَوْلُ ، وَسَمَاحٌ وَنَائِلٌ ؛ فَبِنُورِ حِلَاهِ الْمَشْرِقِ ، يَفْتَخِرُ الْمَغْرِبُ عَلَى الْمَشْرِقِ ؛ وَبِمَحْتِدِهِ^(٥) السَّامِيُّ خَطَرُهُ فِي الْأَخْطَارِ ، وَبَيْتُهُ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي النَّبَاهَةِ وَالنَّجَابَةِ قَدْ طَارَ ، يُبَاهِي جَمِيعَ مَلُوكِ الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارِ ، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الرَّفِيعُ الْمُتَنَمِّي وَالنَّجَّارُ ، الرَّاضِعُ مِنَ الطَّهَّارَةِ صَفْوِ أَلْبَانٍ^(٦) ، النَّاشِئُ مِنَ السَّرَاوَةِ وَسَطِّ أَحْجَارٍ ؛ فِي ضِمْنِيٍّ^(٧) الْمَجْدِ ، وَنُجْبُوحِ الْكَرَمِ ، وَسَرَاوَةِ أُسْرَةِ الْمَمْلُوكَةِ الَّتِي أُكْنَفَاهَا حَرَمٌ ، وَذُوَابَةِ الشَّرَفِ الَّتِي مَجَّاذِبُهَا لَمْ تُرَمَ ؛ مِنْ مَعْشَرِ أَيْ مَعْشَرٍ ، بَحَلُّوا إِنْ وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ ، وَجَبَبُوا إِنْ لَمْ يَحْمُوا سِوَى ذِمَارِهِمْ ، بَنُو^(٨) مَرَيْنٍ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا بَنُو مَرَيْنٍ :

- (١) القَعْقَاعُ بنُ شَوْرٍ : تَابِيٌّ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي حَسَنِ الْمَجَاوِرَةِ ؛ كَانَ إِذَا جَاسَهُ وَاحِدٌ بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ جَعَلَ لَهُ نَصِيْبًا مِنْ مَالِهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَشَفَعَهُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ .
(انظر المضاف والمنسوب ، وشرح القاموس مادة قعقع) .
- (٢) هُوَ سُنْفِيَانُ بنُ سَعِيدِ بنِ مَسْرُوقِ الثَّوْرِيِّ ، تَابِيٌّ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ الْحَدِيثِ .
- (٣) الرِّبَابُ (بِالرَّاءِ الْمَشْدُودَةِ الْمَسْكُورَةِ) : الْجَمَاعَاتُ ، وَتَطْلُقُ عَلَى قِبَائِلِ عَوْفٍ وَثَوْرٍ وَأَشْيَبٍ وَضَبَةَ عَمَمٍ ، سَمُوا بِذَلِكَ لِتَفَرُّقِهِمْ .
- (٤) كَذَا فِي تِ وَنَفَحَ الطَّيْبُ وَالِاسْتِقْصَا لِلْسَّلَاوِيِّ . وَفِي طِ : « نَاشِئَةٌ » .
- (٥) فِي نَفَحِ الطَّيْبِ : « وَبِمَحْتِدِهِ » .
- (٦) فِي تِ : « أَلْبَانٌ » .
- (٧) الضَّمْنِيُّ : الْأَصْلُ .
- (٨) فِي طِ : « فَبِنُورِ » .

سَمُّ الْعُودَةِ وَآفَةِ الْجُزْرِ^(١)

النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ

لَهُمْ مِنَ الْهَمَّاتِ انْتِفَاءً ، وَعِنْدَهُمْ مِنَ السَّيْرِ النَّبْوِيَّةِ اكْتِفَاءً ؛ انْتَسَبُوا إِلَى بَرِّ بْنِ قَيْسٍ^(٢) ، نَخْرَجُوا فِي الْبَرِّ عَنِ الْقَيْسِ^(٣) ؛ مَا لَهُمُ الْقَدِيمُ الْمَعْرُوفُ ، قَدْ نَفِدَ فِي سَبِيلِ الْمَعْرُوفِ ، وَحَدِيثُهُمُ الَّذِي نَقَلْتَهُ رِجَالُ الرَّحُوفِ^(٤) ، مِنْ طُرُقِ الْقَنَا وَالسِّيُوفِ ، عَلَى الْحَسَنِ مِنَ الْمَقَاصِدِ مَوْقُوفٍ^(٥) ؛ تَحَمَّدَ مِنْ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ ، ذَابِلَهُمْ وَلَدَنَهُمْ ، فَلَهُ آبَاءٌ أُنْجِبُوهُمْ ، وَأُمَّهَاتٌ وَلَدَنَهُمْ :

[٥١]

سَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ^(٦)

إِلَيْهِمْ فِي الشَّدَائِدِ الْإِسْتِنَادُ ، وَعَلَيْهِمْ فِي الْأَزْمَاتِ الْمَعْوَالُ ، وَلَهُمْ فِي الْوَفَاءِ وَالصَّفَاءِ وَالِاحْتِفَاءِ ، وَالْعِنَايَةِ^(٧) وَالْحِمَايَةِ وَالرَّعَايَةَ ، الْخَطُوبَ الْوَاسِعَ ، وَالْبَاعَ الْأَطُولَ ، كَأَنَّمَا عَنَاهُمْ بِقَوْلِهِ جَرُولُ^(٨) :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَى وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

(١) هذا عجز بيت ، وصدره : « لا يبعدن قومي الذين هم » . وهذا البيت والذي يليه من

قصيدة لخرنق بنت هفان ترى زوجها وابنها علقمة وأخويه . (راجع الأمل ج ٢ ص ١٥٨ طبعة دار الكتب) .

(٢) هو بر بن قيس عيلان ، وإليه ينتسب البربر . (انظر شرح القاموس مادة بر) .

(٣) القيس : القياس والتقدير .

(٤) الزحوف : جمع زحف ، وهم الجماعة يزحفون إلى العدو بجمرة .

(٥) في ط : « موصوف » .

(٦) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت من قصيدة يمدح بها الفاسانة ، وصدره :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم

(٧) هذه الكلمة : « العناية » ساقطة في ت .

(٨) جرول : اسم الحطيثة الشاعر المخضرم المعروف .

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها^(١) وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وتعدني أبناء^(٢) سعد عليهم^(٣) وما قلت إلا بالتي علمت سعد
وبقوله الوثيق مبناه ، البليغ معناه :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا^(٤)
يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم ، وليس له منهم عائب ولا واصم ، فهم^(٥)
أحق بما قاله في منقر قيس بن عاصم^(٦) :

لا يقطنون لعيب جارهم وهم لحفظ جواره فطن^(٧)
حلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل ، أمير المؤمنين ، دام
نصره ، قسيمهم فيها حدو^(٨) النعل بالنعل ، ثم هو عليهم وعلى من سواهم
بالأوصاف الملوكية مستقل ؛ ارفض مزهم منه عن غيث ملث يحو أثار
اللزبة^(٩) ، وانشق غيلهم منه عن ليث ضار منقبض على برائنه للوثبة^(١٠) ، فقل

(١) رواية هذا الشطر في مختارات ابن الشجري : « وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها » .

(٢) في مختارات ابن الشجري : « أفناء » . والأفناء : الأخطا .

(٣) يروى : « وقد لامني أفناء سعد عليهم » .

(٤) العناج : عروة في أسفل الغرب من باطن ، تشد بوناق إلى أعلى الكرب ، وهو
الجل الذي تعلق فيه الدلو من عرقوتها ، فإذا انقطع الكرب أمسك العناج الدلو
أن تقع في البئر . يريد أنهم إذا عقدوا عقدا لجارهم أحكموه .

(٥) كذا في ط . وفي ت ونفع الطيب والاستقصا للسلاوى : « فهو » .

(٦) بنو منقر : من تميم ، منهم قيس بن عاصم هذا .

(٧) هذا البيت من أبيات لقيس مطلقها :

إني امرؤ لا يعترى حسبي دنس يفنده ولا أفن

(٨) كذا في ت ونفع الطيب : وفي ط : « حدوك » .

(٩) اللزبة : الضيق والشدة .

(١٠) يشير إلى قول النابغة :

وقلت يا قوم إن الليث منقبض على برائنه للوثبة الضارى

لسكان الفلا : لا تَغْرَتَنَّكُمْ أَعْدَادُكُمْ وَأَمْدَادُكُمْ ، فلا يُبَالِي السَّرْحَانُ المَوَاشِي ،
سواء مشى إليها التَّقْرَى أو الجَفَلَى (١) ؛ بل يَصْدِمُهُمْ صَدْمَةً تَحْطِمُ مِنْهُمْ كُلَّ
عَرْنِينَ ، ثم يبتلع بعدُ أشلاءهم المَعْفَرَةَ ابتلاع التَّنِين (٢) ؛ فهو هو كما عرفوه ،
وعَهْدُهُ وألْفُوهُ ؛ أخو (٣) المنايا ، وابن جلا (٤) وطلاغ الثنايا (٥) ، مجتمع أشدّه ،
قد احتنكت سنّه (٦) وبان رُشْدُهُ ؛ جادّ مجدّ ؛ محترم بحزام من الحزَم ، مُشَمَّر
عن ساعد الجِدِّ :

لا يَشْرَبُ الماءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دَمٍ ولا يَبِيتُ له جَارٌ على وَجَلٍ (٧)
[٥٢] أَسَدَى القَلْبِ آدَمَى الرُّوَاءِ ، لابس جلد النَّمْرِ لذوى العِنَادِ والنَّوَاءِ (٨) :

وليس بشاوى عليه دَمَامَةٌ إذا ماسعى يسعى بقوس وأَسْمُهُمْ (٩)
ولسكنّه يسعى عليه مَفَاضَةٌ (١٠) دِلاص كَأَعْيَانِ الجِرَادِ المَنْظَمِ (١١)

(١) مشى إليها التقرى أو الجفلى . أى دهمها وحدد أو مع غيره .

(٢) التنين (بكسر أوله) : الحية العظيمة .

(٣) فى ط : « وأخو » .

(٤) يقال : هو ابن جلا : للسيد الشريف الذى لا يخفى مكانه .

(٥) الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة ؛ وطلاغ الثنايا : من يسمو لمعالى الأمور .

(٦) احتنكت سنه : قويت تجاربه .

(٧) القليب : البئر . وهذا البيت من قصيدة لأبى سعيد الخزومى . (انظر الأملال ج ١

س ٢٥٩ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٨) الرواء : المناوأة ، وهى المعادة .

(٩) شاوى : صاحب شاء ، وهى الغنم . ورواية هذا البيت فى اللسان مادة (شوه) :

ولست بشاوى عليه دمامة إذا ما غدا يغدو بقوس وأسهم

وهو والذى بعده ليزيد بن عبد المدان .

(١٠) رواية هذا الشطر فى اللسان مادة (عين) : « ولسكننى أغدو على مفاضة » .

(١١) المفاضة : الدرع . والدلاص : اللينة البراقة الملساء .

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين ، والوحاء الوحاء^(١) للاحقين به خاضعين ؛ قبل أن تساقوا إليه مُتَمَرِّنين في الأصفاد ، ويعيا الفداء بنفائس النفوس والأموال على الفاد^(٢) ؛ حينئذ يعرض ذو الجهل والقدامة^(٣) ، على يديه حسرة وندامة ؛ إذا رأى أبطال الجنود ، تحت خوافق الرايات والبُنود ، قد لَفَحَتْهُمْ نار ليست بذات مُجود ، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم : عادٍ وثمود ؛ زَعَمَات سَبَطانات^(٤) تؤز^(٥) الكتائب أزا ، وهمزاً محققاً للخيل بعد المدّ المشبع للأعنة همزاً ، وسلاً للهندية سلاً وهزاً للخطية هزاً ، حتى يقول النسر للذئب : هل تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً^(٦) . رثق خليفة الله بذلك ، في كل من رام أذى رعيته أو أذاك^(٧) ، فتلك عادة الله سبحانه وتعالى في ذوى الشقاق والنفاق ، الذين يشقون عصا المسامين ، ويقطعون طريق الوفاق^(٨) ؛ وينصبون حَبَائِلَ البَغْيِ والفساد في جميع النواحي والآفاق ؛ فإِنَّ يَجْعَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْأَمِينِ ، أُنَى وَكَيْفَ وَقَدْ أَفْسَدُوا وَخَانُوا ؟ وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ، ولا يهدى كيد الخائنين .

وها نحن قد وجهنا إلى كعبة مجدكم ووجود صلواتِ التقديس والتعظيم ، بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدُرِّ ثناء أبهى من دُرِّ العقيد النظيم ؛ منتظمين

(١) كذا في الأصلين . والوحاء : السرعة . وفي نفع الطيب : « والوجل الوجل » .

(٢) الفاد : الفادى ، وهو من يفديهم بالمال .

(٣) القدامة : المي عن الحجة مع ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٤) سبطانات : جمع سبطانة ، وهي آلة يرمى بها في الحرب ، (مولدة) .

(٥) تؤزم : تحركهم بشدة .

(٦) ركزا : صوتاً خفياً .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « وأذاك » .

(٨) في ت ونفع الطيب : « الرفاق » .

في سلك أوليائكم^(١) ، متشرفين بخدمة عليائكم ؛ ولا فقدَ عزة ولا عدما ،
 من قصد مثابَّتكم العريزة وخدمها ؛ وإن المترامى على سنائكم ، لجدير بحرمتكم
 واعتنائكم ؛ وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا ، عاش بقية عمره محروسا
 من الضيم مصونا ؛ وقد قيل في بعض الكلام : من قعدت به نكاية الأيام ،
 أقامتة إغاثة الكرام ؛ ومولانا أيده الله تعالى ولّى ما يَرْفقه إلينا من مكرمة بكر ،
 ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلّد في صحائف^(٢) حسن الذكر ، ويروى مُعنعن
 حديث حمده وشكره طرسٌ عن قلمٍ عن بنانٍ عن لسان عن فكر ؛ وغيره
 من ينام عن ذلك فيؤفّظ ، ويسترسل مع الغفلة حتى يذكّر ويوعظ ؛ وما عهد مُنذ
 وجد إلا سريعا إلى داعي الندى والتكرّم ، بريئا من الضجر بالمطالبة والتبرّم ؛
 حافظا للجار الذي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بحفظه ، مستفرضا وسعه في
 رعيه المستمرّ ولحظه ، آخذا من حسن الثناء في جميع الأوقات والآناء بحظه :

[٥٣]

فهو من دَوْحة السّنا فرغُ عزّ نيس يحتاج مُجتنيه لهزّ
 كفه في الإجمال أغنر وبل وذراه في الخوف أمنع حزر^(٣)
 حله يُسفر اسمه لك عنهُ فنفهم يا مدعى الفهم لغزى^(٤)
 لا تسله شيئا ولا تستنله نظرة منه فيك تُغني وتجزى
 فنّاده هو القرات الذي قد عام فيه الأنام عوم الإوزّ
 وحمّاه هو المنيع الذي تر جمع عنه الخطوب مرّجع عجز

(١) في ط : « ومنتظمين في سلك أولائكم » .

(٢) في ت : « الصحائف » .

(٣) ذراه : كنفه .

(٤) لعله يريد أن الحلم يلحظ في اسمه (الشيخ) ، لأن مع الشيخوخة الرزانة والهدوء .

فَدَعُوا ذَهَنَهُ يَزُولُ قَوْلِيْ فَهُوَ أَدْرَى بِمَا تَضْمَنُ رَمْزِيْ
دَامَ يُحْيِيْ بِكُلِّ صُنْعٍ وَمَنْ وَيَعَانِيْ مِنْ كُلِّ بؤْسٍ وَرِجْزٍ

وكاننا به قد عمل على شاكلة جلاله، من مد ظلاله، وتمهيد خلاله، وتلقى ورودنا بحسن تهلله واستهلاله، وتأنيسنا بجميل قبوله وإقباله، وإيرادنا على حوض كونه المترع بزلاله. والله [سبحانه] ^(١) يسعد مقامه العلي، ويسعدنا به في حله وارتحاله، ومآله وحاله؛ ويؤيد جنده المظفر، ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه واستنزاله، وهزّ الذوابل ^(٢) لإطفاء ذباله؛ وهو سبحانه وتعالى المسئول أن يريه قرّة العين في نفسه وأهله وخدّامه وأمواله، وأنظاره ^(٣) وأعماله، وكافة [٥٤]

شئونه وأحواله. وأحق ما نصل بالسلام وأولى، على المقام الجليل مقام الخليفة المؤلى: أزكى الصلاة والسلام على خاتمة ^(٤) أنبياء الله وأرساله ^(٥)، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله، صلاةً وسلاماً دائماً أبداً، موصولين بدوام الأبد واتصاله، ضامنين لمجدّدها ومردّدتها صلاح فاسد أعماله، وبلوغ غاية آماله، وذلك بمشيئة الله تعالى وإذنه وفضله وإفضاله.

انتهى الكتاب؛ وأوردته بطوله لما فيه من ذكرى واعتبار، بما فعلته الدنيا مع الملوك الأعظم الكبار، ولأن الكلام جر إليه، والله تعالى الكفيل بخلص من توكل عليه.

(١) زيادة عن نفع الطيب.

(٢) الذوابل: الرماح، جمع ذابل.

(٣) كذا في ط ونفع الطيب. والأنظار: جمع نظر، وهو مصدر، يراد به ما يدبولى النظر عليه من الأعمال. وفي ت: «أفطاره».

(٤) كذا في ط ونفع الطيب. وفي ت: «خاتم».

(٥) يريد رساله، والأرسال: غير مسموع في هذا المعنى.

أبو عبد الله
العربي وشيخه
من نظمه

وصاحب هذا الإنشاء وصفه الإمام ابن داود بقوله : « الفقيه الخطيب
الفاضل ، خاتمة الأدباء بالأندلس ^(١) ، أبو عبد الله محمد بن الفقيه الصالح أبي محمد
عبد الله العقيلي المعروف بالعربي .

ومن بديع نظمه هذه الأبيات ^(٢) :

جُرْ بالبساتين والرياض فما أبهج مرَّيَّها ^(٣) وأجلاه ^(٤)
وأعجب بها للنبات ولتلك في أسفله ناظرا وأعلاه
وقدس الله عند ذلك وقل سبحانه لا إله إلا هو

ورأيت بخط ابن داود المذكور أنه وقع بينه ، أعنى ابن داود ، وبين الفقيه
المدرس أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل بن إبراهيم البسطي ، نزاع في مسألة نحوية ،
قال : وطال فيها الكلام ^(٥) بما تقيّد عنى في غير هذا ، فقال الفقيه الخطيب
الأديب العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي يُورَى بالقضية ، ويشير إلى
قصة نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام :

ندد البسطي في مسألة لابن داود وقد أحكمها
وقديما وقعت مُعضلة وابن داود الذي فهمها ^(٦)

[٥٥] انتهى .

ومن نظم الشيخ الفقيه ، الأستاذ المُرِي الخطيب ، الفذّ الأوحّد ، سيدي

قصيدة الدقون
في نذب الجزيرة

(١) في ت : « أدباء الأندلس » .

(٢) في ت : « ومن بديع نظمه قوله » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « مرآها » .

(٤) في نفع الطيب : « وأحلاه » .

(٥) في ت : « القيام » .

(٦) يشير إلى قوله تعالى في قصة الغم والحرب : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا

حكما وعلمانا » .

أبي العباس أحمد الدقون^(١) رحمه الله ، قصيدة في نَدْب^(٢) الجزيرة ، تذكر النفوس
بشجوها ، فترسل العيون دموعها الغزيرة ، افتتحتها بنثر نصه :

الحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله خير آل .
أما بعد فيقول خديم^(٣) أهل الله تعالى ، عُبَيْدُ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْأَنْدَلُسِيِّ ، الشهير
بالدقون ، لطف الله به بمنه وكرمه :

إنه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء ، بأخذ الحمراء ؛ قرَعَتْ بابَ الثُّدْبِ ، لما
تقدم من الصحبة ؛ فقلت أبايتنا صَدَرْتُ من قلب كَثِيبٍ ، مُبَكِّية كل^(٤) لبيب
أريب ؛ وسميتها بالموعظة الغراء ، بأخذ الحمراء ، مبيحا لمن رغب فيها ، ولم يرغب
عنها ، أو استحسنت شيئا منها ، أن يحدث بها عنى ؛ وذلك بعد إتيان لفظها
وحفظها ، وفهم وعظها ولحظها ؛ وإن كنت لأحسن أن أقول ، وربما أعزى بها
إلى الفضول ؛ لكنني لأعدم المثيل ، وفي مثل هذا قيل :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلَّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ
وَاللَّهِ حَسْبِي وَعُدَّتِي ، وهو مُتَمِيلٌ عَثْرَتِي . وهذا مطلع صباحها ، ومنبع افتتاحها :

أَمِنْتَ مِنْ عَكْسِ آمَالٍ وَأَحْوَالٍ وَعَشْتَ مَا بَيْنَ أَعْمَامٍ وَأَحْوَالٍ
وَلَا ابْتُلَيْتَ بِمَا فِي الْقَلْبِ مِنْ نَكْدٍ فَالْجِسْمُ مُشْتَغَلٌ مِنْ غَيْرِ أَشْغَالٍ
وَكَيْفَ لَا وَبِقَاعِ الدِّينِ خَالِيَةً مِنْ أَرْضِ أَنْدَلُسٍ مِنْ أَجْلِ أَهْوَالٍ

(١) هو أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي المشهور بالدقون ، توفي مستهل شعبان
سنة إحدى وعشرين وتسع مئة . (انظر كتاب نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج ،
لأحمد بابا التنيكتي) .

(٢) في ت : « ندبة » .

(٣) انظر حاشية رقم ٣ صفحة ٣٩ من هذا الجزء .

(٤) في ت : « لكل » .

عَمَّتْ فَغَمَّتْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا لَمَسْلَمِينَ مِنْ أَعْدَاءِ وَأَنْكَالٍ
جَاشَتْ بِهَا مِنْ جِيُوشِ الْكُفْرِ مَا دَرَسَتْ بِهِمْ مَعَالِمُ أُخْيَارٍ وَأَقْيَالٍ^(١)
أَهْلُ الشَّجَاعَةِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَهْلُ تَقَى أَهْلُ النَّفَاسَةِ فِي قَوْلٍ وَأَفْعَالٍ
عِنْتَهُمْ وَفِيهِمْ أَحَادِيثُ النَّبِيِّ بَدَتْ وَهُمْ مَعَاقِلُ قَوْلِ اللَّهِ لِلتَّمَالِي
رُهْبَانِ لَيْلٍ وَفُرُوسَانِ النَّهَارِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِسَاحَتِهِمْ يَظْفَرُ بِأَمَالٍ
لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ الْمُضَافَ لَهُمْ يَسْلُو عَنْ أَهْلِ وَأَوْطَانِ وَأُمُومَالٍ
فَهَلْ تَرَى بَعْدَ هَذَا النَّفْسَ سَائِلَةً وَكَيْفَ تَسْأَلُ عَنْ وَصْفٍ وَعَنْ حَالٍ
تَاللَّهِ لَا زَالَ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ أَسْفٍ وَلَوْ أَكُونَ حَلِيفَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي
أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ فِي نَصْرِ يَمُنُّ بِهِ فَاللَّهُ بَاقٍ بَقِي مَنْ كُلِّ مُحْتَمَلٍ
قَدْ رَامَ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مَجْتَهِدًا وَبِإِذْلَا كُلِّ مَا قَدْ حَازَ مِنْ مَالٍ
سَطَا بِجَيْشِ كُوجِ الْبَحْرِ فِي عُدَدٍ نَعَمْ ، وَفِي عَسَدٍ مِنْ رَهْطِ أَبْطَالٍ
مُؤَيَّدًا بِاجْتِمَاعِ الْمَصْرِ يَتَّبِعُهُ شَرَّ الْخِلَاقِ مَسْرُورًا بِأَقْبَالٍ
يَسْبِي الْمَسَامِعَ بِالْأَنْفَاضِ^(٢) مُشْبِهَةً وَقَعَّ الصَّوَاعِقُ فِي هَدْيٍ وَزَلْزَالٍ
يَبْنِي لِيَهْدِمَ مَا الْإِسْلَامَ شَيْدَهُ وَالْوَصْفَ يُعْجِزُ مَنْ يُدْعَى بِقَلْقَالٍ^(٣)
فَهُوَ الْمُقَاتِلُ فِي الْأَبْرَاجِ مُنْتَقِلٌ إِفَّ التُّحُوسِ وَتَغْيِيرِ^(٤) وَتَرَحَالٍ
فَاسْتَوْطِنَ الرَّمْجَ لَا يَنْوِي الرِّحِيلَ وَلَا يَخْشَى الْمَغِيثَ بِسَهْلٍ أَوْ بِأَجْبَالٍ
وَالْمَسَامُونَ مِنَ الْأَضْغَانِ قَدْ مِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَأَبَوْا تَسْئِيدَ أَخْلَالٍ^(٥)

[٥٦]

(١) الأقيال : جمع قبيل ، وهو الملك دون الملك الأعظم .

(٢) كذا في الأصلين : ولعلها محرفة عن الأنفاط (بالطاء) ، يريد بها الآلات التي ترمى بها الحصون والأسوار كالدافع . (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزي) .

(٣) يريد بالقلقال (هنا) : الفصيح اللسن ، كما هو شائع على ألسنة المغاربة حتى اليوم .

(٤) في ط : « النجوس » .

(٥) الأخلال : جمع خلل ، وهي الثغرة في الصفوف ونحوها .

والكل منصرف عن نصر أبطال	والحقّ مختلفٍ والحقُّ مؤتلفٌ
والطير يرجو البقا مع كيد قتال	وهم لديه كطير وهو ينتفه
أضحى يدافع عن رُوح بأوصال ^(٢)	إذا تجرّد ^(١) من ريش يطير به
كدودة القز في نسج لسربال	سدّوا مسالك أرزاق ومنفعة
قال الصدى: لست ذارمخ ونبال	ثم استغاثوا: ألا فرسان عادية
ففارق الجبج من تدخين نحال ^(٣)	والضيف ضيعت ما أمّلت من ابن
من قبل وضعك في قيد وأغلال	وارحل بنحلك ^(٤) نحو الغرب في كرم
بعد اختلاف على تأمين أرذال	فاستمكّن الرُعب في الأكبادة انفتحت
حبّ الحصيد ونصر الله والآل	واحتل غرناطة الغراء قد ^(٦) عديمت
فهل على طللٍ ترمي بأبطال؟ ^(٧)	كانها الشمس في أفق العلى كسفت
ونحن لانشتكى تنكيد ضلال؟	وهل تعود ليالٍ قد سلفن بها
به وقد أيست من فتح أبدال؟ ^(٨)	وهل يعود لها الدين الذي أنست
كمثل عادٍ وما عادُ بأشكال	فأصبحوا لا ترمى إلا مساكنهم
وقد سبأ عدّه من أيد أو عال ^(٩)	قد فرّقوا كسبًا في كل منزلة

(١) كذا في ط . وفي ت : « تجدد » وهو تحريف .

(٢) الأوصال : مجتمع العظام . يريد الأطراف .

(٣) الجبج : خلية النحل . والنحال : القائم على خلايا النحل .

(٤) في ت : « بنحلك » .

(٥) في ت : « واستمكن » .

(٦) في ط : « مذ » .

(٧) كذا في ط . وفي ت : « تومي بأطلال » ولا معنى له .

(٨) يشير إلى ما هو معروف في الغرب من الاستنصار بالأولياء ، وهم الأبدال ، عند

اشتداد الأزمات والخطوب .

(٩) كذا ورد هذا الشطر في الأصلين .

فلا المساجد بالتوحيد عامرة
ولا المنابر للوعاظ بارزة
ولا المكاتب بالصبيان آمنة
آه على الدين والدنيا وما نفعت
إننا إلى الله والرجعى له وبه
وكان ما كان والأطاف شاملة
فلنكرمكم^(٢) الآن من ينزل بمنزلنا
وإذ ولا قدرة تدنى المنى فلهم
نلقاهم ولنا بشر ومعدرة
ولا نذعن ورود الحوض وارده
إخوانكم رفعوا أيدي الضراعة مع
وقل لوال تلتطف في مغارهم
هذا النذير جهارا جاء ينذرنا
ونحن في غفلة عما يراد بنا
يأهل فاس أما في الغير موعظة
فقل تعالوا إلى نصح وتذكرة
كيف الحياة إذ الحيات قد نفضت
ولا سبيل إلى الترياق غير تقي
والأخذ بالجد في جمع القلوب على

إذ عمروها بناقوس وتمثال
الأمر والنهى أو تذكير آجال
تتلو القرآن بأسحار وأصال
آه إذا صدرت من قلب بطل^(١)
تعلق القلب في تصحيح إعلال
لاحت بقلعة نسوان وأطفال
فالدهر ذو دؤل فاسمع لأمثال
حق الجوار ولا توصف^(٣) بإهمال
ورحمة يا حمة العم والخال
ولا ندع قول ذى نصيح وإجمال
كسر القلوب فلا يلتقوا بإهمال
يلطف بك الله إذ تدعى لأحمال
والاذن في صم عن قيل أو قال
تمشى على مهلة من طول إهمال
إن السعيد لمعوظ بأمثال
فالأمر جد فلا تصحب ليكسال
على السواحل أو هممت بإرسال
والحزم في سعة من قبل إجمال
بذل النصيحة أو إبراء أذخال

[٥٧]

(١) في ط : « آها على الدين ... * إلا إذا صدرت ... الخ » .

(٢) في ت : « فنكرم » .

(٣) في ت : « فلا يوصف » .

والزُّهد في هذه الدنيا وزُخرفها
ولا نَرُمُ في أمان الروم منزلةً
فمن يَبْتَ في أمان الكلب منتصبا
وارباً بنفسك عن أرض تهان بها
فالموت عندي خير من حياة فتى
والهجرة الآن قد عادت كما سبقت
واحتمل بذهنك ولتسمع ناصح مَنْ
في صدر سبع على التسعين زائدة
وَبُلِّغَ الكلبُ ما قد شاء من أربٍ
ليقتضى الله أمرا كان قَدَّرَه
وقد وعظتُ ولو أسمعْتُ لانتشرتُ
فليشتغل كل مسكين بمهجته
ثم الصلاة على المختار سيدنا
محمد والرضا عن آلٍ أو تآلى [٥٨]

ومما كتبه بعض أهل الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها للسلطان
أبي يزيد^(٢) خان العُماني ، رحمه الله ، مانصه بمد سطر الافتتاح :

الحضرة العلية ، وصل الله سعادتها ، وأعلى كلمتها ؛ ومهد أقطارها ، وأعز
أنصارها ، وأذل عداتها ، حضرة مولانا ، وعمدة ديننا ودياننا ، السلطان الملك
الناصر ؛ ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قانع أعداء الله

(١) من أمثال العرب في التوق في الحاجة وتحسينها : اصنعه صنعة من طب لمن
حب . . . أى صنعة حاذق لمن يحبه .
(٢) في ط : « بايزيد » .

مما كتبه بعض
أهل الجزيرة
إلى بايزيد

الكافرين ؛ كهف الإسلام ، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام ؛ محيي العدل ،
ومنصف المظلوم من ظلم^(١) ، ملك العرب والعجم ، والترک والديلم ؛ ظل الله في
أرضه ، القائم بسنته وفرضه ؛ ملك البرين ، وسُلطان البحرين ؛ حامي الدمار ،
وقامع الكفار ؛ مولانا وعمدتنا ، وكهفنا وغياثنا^(٢) ، مولانا أبو يزيد ، لا زال
ملكه موفور الأنصار ، مقروناً بالانتصار ، مُخَلِّد المآثر والآثار ، مشهور المعالي
والفخار ؛ مستأثراً من الحسنات بما يضاعف الله به الأجر الجزيل ، في الدار الآخرة
والثناء الجميل ، والنصر في هذه الدار . ولا برحت عزماته العلية مختصة بفضائل
الجهاد ، مُجَرِّدَةً على أعداء الدين من بأسها ، ما يُروى صدور الشمر والصفاح^(٣) ،
وَأَلْسِنَةَ السَّلَاحِ ، باذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألف فيها الأخير مفارقة
الأرواح للأجساد^(٤) ، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم
يقوم الأشهاد :

سلام كريم دائم متجدد	أخص به مولاي خير خليفة
سلام على مولاي ذي المجد والعللا	ومن ألبس الكفار ثوب المدلاة
سلام على من وسع الله ملكه	وأيده بالنصر في كل وجهة
سلام على مولاي من دار ملكه	قسطنطينية أكرم بها من مدينة
سلام على من زين الله ملكه	بجند وأتراك من أهل الرعاية
سلام عليكم شرف الله قدركم	وزادكم ملكا على كل ملة ^(٥)

(١) في ط : « من الظالم » .

(٢) في ط : « غوثنا » .

(٣) الصفاح : جوانب السيوف ، الواحد : صفح .

(٤) هذه العبارة ، من قوله : « باذلة نفائس » إلى قوله : « للأجساد » : ساقطة في ت .

(٥) رواية هذا الشطر في ط : « وزادكم ملكا في كل ملة » وهو محرف .

سلام على القاضى وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ
سلام على أهل الديانة والتقى
سلام عليكم من عبید تخلّفوا
أحاط بهم بحر من الرّوم زاخرٌ
سلام عليكم من عميد أصابهم
سلام عليكم من شيوخ تمرقت
سلام عليكم من وجوه تكشّفت
سلام عليكم من بنات عواتقٍ
سلام عليكم من عجائزٍ أكرهت
نقبل نحن الكلُّ أرض بساطكم
أدام الإله (٣) ملككم وحياتكم
وأيدكم بالنصر والظفر بالعدا
شكونا لكم مولاي ما قد أصابنا
غدرنا ونصّرنا وبدل ديننا
وكنا على دين النبي محمدٍ
ونلقى أموراً في الجهاد عظيمةً
فجاءت علينا الروم من كل جانب

مِنَ العلماء الأَكْرَبِينَ الأَجَلَّةِ
ومن كان ذارأى من أهل المشورة
بأندلس بالعرب (١) في أرض غربة
وبحر عميق ذو ظلام ولجة
مُصاب عظيم يالها من مُصيبة
شُيُوبهم بالنتف من بعد عزة
على جملة الأعلاج من بعد ستره
يسوقهم اللبّاط قهراً لخلوة (٢)
على أكل خنزير ولحمٍ لحييفة
وندعو لكم بالخير في كل ساعة
وعافاكم من كل سوء ومحنة
وأسكنكم دار الرضا والكرامة
من الضر والبؤى وعظم الرزية
ظلمنا وعوملنا بكل قبيحة
نقاتل عمّال (٤) الصليب بنية
بقتلٍ وأسرٍ ثم جوع وقلة
بسيل عظيم جملةً بعد جملةً

(١) في ط : « في الغرب » .

(٢) اللبّاط : من رجال الدين بالكنيسة ، كما في معجم دوزى . يشير إلى ما فعله
نصارى الأسبان من إكراه المسلمين على ترك دينهم .

(٣) في ط : « إلهى » .

(٤) كذا في ت . وفي ط : « أعمال » . وفي رواية : « عباد » .

ومالوا علينا كالجراد بجمعهم
 فكنا بطول الدهر نلقى جموعهم
 وفُرسانهم تزداد في كل ساعة
 فلما ضَعُفْنَا خَيَّمُوا فِي بِلَادِنَا
 وجاءوا بأنقاط^(٢) عظام كثيرة
 وشدوا عليها في الحصار بقوة
 فلما تفانت خيلنا ورجالنا
 وقلَّتْ لَنَا الْأَقْوَاتِ واشتدَّ حالنا
 وخوفًا على أبنائنا وبناتنا
 على أن نكون مثل من كان قبلنا
 ونبقى على آذاننا وصلاتنا
 ومن شاء منا البحرَ جاز مؤمنًا
 إلى غير ذلك من شروط كثيرة
 فقال لنا سُلْطَانُهُمْ وكبيرُهُمْ
 وأبْدَى لَنَا كُتُبًا بعهد وموثق
 فكونوا على أموالكم ودياركم
 فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم
 وخان عهودًا كان قد غرَّنا بها
 بجد وعزم من خيول وعدة
 فنقتلُ فيها فرقةً بعد فرقة
 وفُرساننا في حال^(١) نقصٍ وقلة
 ومالوا علينا بلدةً بعد بلدة
 تهدم أسوار البلاد المنيعة
 شهورًا وأيامًا بجد وعزيمة
 ولم نر من إخواننا من إغاثة
 أطعناهم بالكراهة خوف الفضيحة
 من أن يؤسروا أو يقتلوا شرقتلة
 من الدجن من أهل البلاد القديمة
 ولا نتركن شيئًا من أمر الشريعة
 بما شاء من مال إلى أرض عدوة
 تزيد على الخمسين شرطًا بخمسة
 لكم ما شرطتم كاملا بالزيادة
 وقال لنا هذا أماني وذممتي
 كما كنتم من قبل دُونَ أُذِيَّةٍ
 بدا غدرُهُمْ فينا بنقض العزيمة
 ونصَّرْنَا كَرَاهًا^(٣) بعنفٍ وسَطْوَةٍ

(١) في ط: « في كل » .

(٢) كذا في ط . ويريد بالأنقاط : الآلات التي ترمى بها الحصون والأسوار كالدافع . وفي ت : « بأفئاض » وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ١٠٥ من هذا الجزء) .

(٣) في ط : « قهرا » .

وأحرق ما كانت لنا من مصاحفٍ
 وكل كتاب كان في أمر ديننا
 ولم يتركوا فيها كتاباً لمسلم
 ومن صام أو صلى ويُعلم حاله
 ومن لم ينجي منّا لموضع كفرهم
 ويلطم خديه ويأخذ ماله
 وفي رمضان يُفسدون صيامنا
 وقد أمرونا أن نسب نبينا
 وقد سمعوا قوماً يغنون باسمه
 وعاقبهم حكاهمهم وولاهم
 ومن جاء الموت ولم يخضر الذي
 ويترك في زبلٍ طريحاً مجذلاً
 إلى غير هذا من أمور كثيرة
 وقد بدلت أسماؤنا وتحولت
 فأها على تبديل دين محمد
 وآها على أسماننا حين بدلت
 وآها على أبنائنا وبناتنا
 يُعلمهم كفرةً وزوراً وفريةً
 وآها على تلك المساجد سُورت
 وآها على تلك الصوامع عُلفت
 وآها على تلك البلاد وحُسنها
 وخاطها بالزبل أو بالنجاسة
 ففي النار ألقوه بهزء وحفرة
 ولا مضعفاً يخلّى به للقراءة
 ففي النار يلقوه على كل حالة
 يعاقبه اللبّاط شرّ العقوبة
 ويجعله في السجن في سوء حالة
 بأكل وشرب مرة بعد مرة
 ولا نذكرنه في رخاء وشدة
 فأدركهم منهم أليم المصرة
 بضرب وتعريم وسجن وذلة
 يدكرهم لم يدفوه بحيلة
 كمثل حمار ميت أو بهيمة
 قباح وأفعال غزار رديّة
 بغير رضا منا وعـير إرادة
 بدين كلاب الروم شرّ البرية
 بأسماء أعالج من أهل الغباوة
 يرؤحون للباط في كل غدوة
 ولا يقدرُوا أن يمنعوم بحيلة
 مزابل للكفار بعد الطهارة
 نواقيسهم فيها نظير الشهادة
 لقد أظلمت بالكفر أعظم ظلمة

وصارت لِعَبَادِ الصَّالِبِ مَعَاوِلًا
 وَصِرْنَا عبيدًا لَا أُسَارَى فَنُفْتَدَى
 فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَا صَارَ حَالُنَا
 فِيَا وَيَلْنَا ، يَا بُوْسَ مَا قَدْ أَصَابْنَا
 سَأَلْنَاكَ يَا مَوْلَايَ بِاللَّهِ رَبَّنَا
 وَبِالسَّادَةِ الْأَخِيَارِ آلِ مُحَمَّدٍ
 وَبِالسَّيِّدِ الْعَبَّاسِ عَمِّ نَبِيِّنَا
 وَبِالصَّالِحِينَ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ
 عَسَى تَنْظُرُوا فِيْنَا وَفِيَا أَصَابْنَا
 فَقَوْلَاكَ مَسْمُوعٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ
 وَدِينُ النَّصَارَى أَصْلُهُ تَحْتَ حَكْمِكُمْ
 فَبِاللَّهِ يَا مَوْلَايَ مُنُّوَا بِفَضْلِكُمْ
 فَاتَّمُّ أُولُو الْإِفْضَالِ وَالْمَجْدِ وَالْعِلَا
 فَسَلْ بِأَبِهِمْ^(١) أَعْنَى التَّمِيمِ بَرُومَةَ
 وَمَا لَهُمْ مَالُوَا عَلَيْنَا بَعْدَهُمْ
 وَجَنَسَهُمُ الْمَغْلُوبُ فِي حِفْظِ دِينِنَا
 وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَدِيَارِهِمْ
 وَمَنْ يُعْطِ عَهْدًا ثُمَّ يَغْدِرْ بَعْدَهُ^(٢)
 وَلَا سِيَا عِنْدَ الْمَلُوكِ فَإِنَّهُ

وَقَدْ أَمِنُوا فِيهَا وَقُوعَ الْإِغَارَةِ
 وَلَا مُسْلِمِينَ نَطَقُهُمْ بِالشَّهَادَةِ
 إِلَيْهِ لَجَادَتْ بِالْدمُوعِ الْغَزِيرَةِ
 مِنَ الضَّرِّ وَالْبَلْوَى وَثُوبِ الْمَذَلَّةِ
 وَبِالمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
 وَأَصْحَابِهِ أَكْرَمِ بِهِمْ مِنْ صَحَابَةِ
 وَشَيْئَتِهِ الْبِيضَاءِ أَفْضَلِ شَيْئَةِ
 وَكُلِّ وَلِي فَاضِلْ ذِي كِرَامَةِ
 لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَأْتِي بِرَحْمَةِ
 وَمَا قَلْتُ مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ بِسُرْعَةٍ
 وَمَنْ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ إِلَى كُلِّ كُورَةٍ
 عَلَيْنَا بَرَأَى أَوْ كَلَامٍ بِحُجَّةٍ
 وَغَوْتُ عِبَادَ اللَّهِ فِي كُلِّ آفَةٍ
 بِمَاذَا أَجَازُوا الْغَدْرَ بَعْدَ الْأَمَانَةِ ؟
 بَعْدَ أَدَى مَنَا وَغَيْرِ جَرِيمَةٍ
 وَأَمِنْ مَلُوكِ ذِي وِفَاءٍ أَجَلَّةٍ
 وَلَا نَالَهُمْ غَدْرٌ وَلَا هَتَكَ حُرْمَتَهُ
 فَذَاكَ حَرَامُ الْفِعْلِ فِي كُلِّ مِلَّةٍ
 قَبِيحٌ شَنِيعٌ لَا يَجُوزُ بِوَجْهَةٍ

(١) يريد البابا رئيس الدين المسيحي .

(٢) في ط : « ثم يغدر بعده » .

وقد بلغ المكتوب منكم إليهم
وما زادهم إلا اعتداءً وجُرأةً
وقد بلغتْ أرسالٌ^(١) مصرَ إليهم
وقالوا لتلك الرُّسلِ عنا بأننا
وساقوا عقود الزور ممن أطاعهم
لقد كذبوا في قولهم وكلامهم
ولكنَّ خوفَ القتلِ والحرقِ ردَّنا
ودينُ رسولِ الله ما زال عندنا
ووالله ما نرضى بتبديل ديننا
وإن زعموا أنا رضينا بدينهم
فسلِّ وحرِّ اعن أهلها كيف أصبحوا
وسلِّ بليقيتا عن قضية أمرها
ومنيافة^(٢) بالسيف مرق أهلها
وأندرش^(٤) بالنار أحرقت أهلها
فها نحن يا مولاي نشكو إليكم
عسى ديننا يبقى لنا وصلاتنا
وإلا فيجولونا جميعاً من أرضهم
فاجلاؤنا خير لنا من مقامنا
فهذا الذي نرجوه من عزِّ جاهكم

فلم يعملوا منه جميعاً بكلمة
علينا وإقداماً بكل مساءة
وما نألهم غدر ولا هتك حرمة
رضينا بدين الكفر من غير قهرة
ووالله ما نرضى بتلك الشهادة
علينا بهذا القول أكبر فريئة
نقول كما قالوه من غير نيئة
وتوحيدنا لله في كل لحظة
ولأ بالذي قالوا من أمر الثلاثة
بغير أذى منهم لنا ومساءة
أسارى وقتلى تحت ذل ومهنة
لقد مزقوا بالسيف من بعد حسرة
كذا فعلوا أيضاً بأهل البُصرة^(٣)
بجامعهم صاروا جميعاً كفحمة
فهذا الذي نلناه من شرِّ فرقة
كما عاهدونا قبل نقض العزيمة
بأموالنا للغرب دار الأحيبة
على الكفر في عز على غير ملة
ومن عندكم تُقضى لنا كل حاجة

[٦٢]

(١) يريد بالأرسال (هنا) : جمع الرسول .

(٢) وحرا ، ومنيافة : اسما بلدين ، ولم نعتز عليهما في المعاجم .

(٣) البصرة : جهة تنتظم قرى كثيرة نزهة قرب غرناطة .

(٤) أندرش (أندراش) : بلدة بالأندلس من كورة ألبيرة .

وَمِنْ عِنْدِكُمْ نَرْجُو زَوَالَ كُرُوبِنَا وَمَا نَالْنَا مِنْ سُوءِ حَالٍ وَذِلَّةٍ
فَأَتَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ خَيْرَ مُلُوكِنَا وَعِزَّتُكُمْ تَعْلُو عَلَى كُلِّ عِزَّةٍ
فَنَسْأَلُ مَوْلَانَا دَوَامَ حَيَاتِكُمْ بِمَلِكٍ وَعِزٍّ فِي سُرُورٍ وَنَعْمَةٍ
وَتَهْدِينَ^(١) أَوْطَانٍ وَنُصْرَ عَلَى الْعِدَا وَكَثْرَةَ أَجْنَادٍ وَمَالَ وَثَرَوَةٍ
وَمُحَمَّدٌ سَلَامٌ اللَّهُ تَتْلُوهُ رَحْمَةٌ عَلَيْكُمْ مَدَى الْأَيَّامِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ

انتهت الرسالة بحمد الله ، وكتبتها وإن كانت ألفاظها غير بليغة ، تكميلا
للفائدة ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

بلاغته
أهل الأندلس

وكان أهل الأندلس في عُنُقِهم في غاية البلاغة ، حتى قال الرئيس
ابن الجيّاب يفخر^(٢) بذلك :

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْيَدُ الْعُلْمِيَا لِأَنْدَلُسٍ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا تَنْبِيَا^(٣)
وَإِنْ هِيَ عَضَّتْهَا نِيُوبُ نَوَائِبِ فَصَيَّرَتْ الشَّهْدَ الْمَشُورَ بِهَا شَرْيَا^(٤)
فَمَا عَدِمَتْ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَالْحِجَا يَقِيمُونَ فِيهَا الرِّسْمَ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا
إِذَا خَطَبُوا قَامُوا بِكُلِّ بَلِيغَةٍ تُجَلِّي الْقُلُوبَ الْغُلْفَ وَالْأَعْيُنَ الْعُمِيَا^(٥)
وَإِنْ شَعَرُوا جَاءُوا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَحَالِ النَّجُومَ النَّيِّرَاتِ لَهَا حَلِيَا
فَنَسْأَلُ فِي الدُّنْيَا مِنْ اللَّهِ سِتْرَةً عَلَيْنَا ، وَفِي الْأُخْرَى إِذَا حَانَتِ اللَّقِيَا

[٦٣]

ولعمري ، لقد صدق قائل هذه الأبيات ، فإن البلاغة لم تزل شمسها
بالأندلس باهرة الإيابة^(٦) ، ظاهرة الآيات ، إلى أن استولى عليها العدو ، وعطل

(١) كذا في ت . والتهدين : التسكين وفي ط : « وتهذيب » .

(٢) في ط : « مفتخرا » .

(٣) ولا نبيا : ولا استثناء .

(٤) القمري : الحنظل .

(٥) في ت : « تجلي قلوب الغلف » وهو تحريف .

(٦) إيابة الشمس : ضوءها .

من أهل الإسلام الرواح إليها والغُدُو ، وفي أهلها بقية لسان وبراءة^(١) ،
وتصرف في فنون الإجابة وبراءة ، وقد قصصنا عليك آنفاً الرسالة التي كتبها
الملك^(٢) الخلوع لصاحب المغرب فيما سردناه ، واطلعت منها على ما يؤيد
ما [قلناه^(٣)] ، من الغرض الذي انتحينا وأوردناه : وقد كان ذلك الكاتب
وطبقته تلقفوا كُرّة البلاغة من يد طبقة أخرى حازت^(٤) مُعَلّي القِداح ، وتبرجت
لها من الفصاحة كل خَوْدرِ دِراح^(٥) ، كالفقيه الكاتب أبي عبد الله الشّران ، المبرز
في أدواته على الأنداد والأقران ، وكالأديب الشهير [الفقيه عمر ، الذي لم تزل
أخباره إلى الآن سَمَر ، وكفارس تلك الحلبة : الكاتب القاضي الرئيس ،
الوزير^(٦) | الفقيه ، أبي يحيى بن عاصم ، الذي حَلَيْتُ بعلمه اللَّبَّات والمعاصم ،
وغيرهم من الجهابذة الثّقاد ، والأعلام الذين تخضع لهم المحاسن وتنقاد ، إن جَدُّوا
وصلوا مقطوع الأسباب ، وإن هَزَلُوا ، على عادة الأفاضل في مثل هذا الباب ،
ملكوا النفوس ، وسحروا الألباب ؛ وقد سبق من كلام ابن عاصم ما يصحّح
ما ادعيناه ، ولنورد زيادةً إذا أبصرها المنصف المستفيد تقر عيناه ، فنقول :

أما الفقيه عمر فهو أشهر من نار على علم ، وأزجاله ومنظوماته ومقاماته عند
العامّة محفوظة ، وعند الخاصّة مرفوضة ، إلا القليل الذي يُسمح في مثله لصاحب
القلم ، كمقامته^(٧) التي سماها بتسريح النّصال ، إلى مقاتل الفصّال ، ونصّها :

مقامة الفقيه
عمر : تسريح
النصال إلى مقاتل
الفصّال

- (١) البراعة : قصة القلم . والمراد أنهم أهل فصاحة إذا تكلموا أو كتبوا .
- (٢) في ط : « كتب ملكها » .
- (٣) زيادة عن ت .
- (٤) في ط : « جازت » .
- (٥) الخود : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة ؛ والرداح : الثعيلة الأوراك والمآكم .
- (٦) زيادة عن ت .
- (٧) في ط : « مقاماته » .

ياعماد السالكين ، ومحط رحال^(١) المستفيدين والمتبركين ، وشمال الضعفاء
 والمساكين والمتروكين ، في طريقتك يتنافس التنافس ، وعلى أعطافك تُزهي
 العباءات وتروق الدلافس^(٢) ؛ وبكتابك تحيا جوامد الأفهام ، وبمذنبك تُشرّد
 ذباب الأوهام ؛ وفي زنبيلك^(٣) يُدسّ التالذ والطارف ، وبعصاك يُهشّ على
 بدائع المعارف ، الله الله في سالك ، ضاقت عليه المسالك ؛ وشاد ، رُمي بالبعاد^(٤) ،
 أدركته متاعب الحرّفة^(٥) ، وأقيم من صفّ أهل الضفّة^(٦) ؛ فلا يجد نشاطاً
 على ما يتعاطى ، ولا يلتقي اغتباطا ، وإن حل زاوية أو نزل رباطاً ؛ أُقضى
 عن أهل القرب والتخصيص ، وابتلي بمثل حالة برصيص^(٧) ؛ فأحيل عليك ،
 وتوقفت إقالته على توبة بين يديك ؛ فكاتبك استدعاء ، واستوهب منك
 هداية ودعاء ؛ ليسير على ما سويت ، ويتحمل عنك أشتات مارويت ؛ فيلقي
 الأكفاء الظرفاء غريزاً ، وبباهي بك كل من خاطبك مستجيزاً ، فأصرف إلى
 حياء الرضا ، وأعد من إيناسك العهد الذي مَضَى ، ولا تلقى مُعْرِضاً ولا مُعَرِّضاً ،
 وأصغ إلى سمعك كما قدر الله وقضى :

تعال نجدّها طريقة ساسان^(٨) وعَضَّ عليها ماتوالي الجديدان

- (١) هذه الكلمة « رحال » : ساقطة في ت .
 (٢) الدلافس : جمع دلفاس (ويقال فيه دفاس أيضا) : نوع من اللباس خشن كالعباءة
 إلا أنه قصير ، يلبسه الصوفية والفقراء (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزي) .
 (٣) في ط : « زنبيلك » وهي لغة في الزنبيل .
 (٤) في ت : « بإبعاد » .
 (٥) الحرّفة (بالضم والكسر) : الحرمان .
 (٦) أهل الضفة : فقراء صحابة رسول الله كانوا يبيتون في صفة مسجده صلى الله عليه
 وسلم ، وهي موضع مظلل منه .
 (٧) برصيص ، ويقال فيه برصيصا : كان من عباد بني إسرائيل ، ثم فتنه الشيطان ، وقصته
 مشهورة تدكر عند تفسير قوله تعالى : (قتل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) .
 (٨) يريد بطريقة ساسان علم الحيل الساسانية . قال حاجي خليفة في كشف الظنون : =

ونصرف إليها من مَثَارِ عَزَائِمٍ ونحلف عليها من مُؤَكِّدِ أَيْمَانٍ
 ونعقدُ على حِكمِ الوفاءِ هَوَاءَنَا لناَمَنَ مِنْ أَقْوَالِ زُورٍ وَبُهْتَانٍ
 ونقسمُ على أَلَّا نَصْدُقَ وَاشْيَاءً يروح ويغدو بين إِيْنَمٍ وَدُوَانٍ
 يطوف حوَالِينَا لِيُفْسِدَ بَيْنِنَا بمنطق إنسان وَخُدْعَةِ شَيْطَانٍ
 على أَنْنَا مِنْ عَالَمِ كَلِمَاتٍ بَدَا تَعُوذُ مِنْهُ عَالَمُ الْإِنْسِ وَالْجَانِ
 وَحَاشَاكَ أَنْ تُلْقَى عَنِ الصَّلْحِ مُعْرَضًا ^(١) إلى الصلحِ أَلْتَحْرَبُ عَبْسَ وَذَبِيانِ
 وَبِئْسَ أَهْمَتْنِي شَيْئُونَ كَثِيرَةٌ وَصُلْحُكَ أَوْلَى مَا أُقَدِّمُ مِنْ شَانِي
 فَأَنْتَ إِمَامِي إِنْ كَلِفْتُ بِمَذْهَبٍ وَأَنْتَ دَلِيلِي إِنْ صَدَعْتَ بِبُرْهَانِ
 سَأْرَعَاكَ فِي أَهْلِ الْعِبَاءَاتِ كُلَّمَا ^(٢) رَأَيْتَكَ فِي أَهْلِ الطَّيِّالِسِ تَرْعَانِي
 وَيَا لَابَسَى تِلْكَ الْعِبَاءَاتِ إِنْهَا لِبَاسِ إِمَامٍ فِي الطَّرِيقَةِ دِهْمَانِ
 تَفَرَّقَتِ الْأَلْوَانُ مِنْهَا إِشَارَةٌ بِأَنْكَ ^(٣) تَأْتِي مِنْ حِلَاكٍ بِالْوَانِ
 وَيَا بَأْبِي الْفَصَّالُ شَيْخَ طَرِيقَةٍ خَلُوبٌ لِأَلْبَابِ الْعُوبِ بِأَذْهَانِ
 إِذَا جَاءَ فِي الثُّوبِ الْمُحِبَّرِ خِلْتَهُ زُنَيْبِرَةٌ ^(٤) قَدْ مَدَّ مِنْهَا جَنَاحَانِ
 فَمَا تَأْمَنُ الْأَبْدَانُ آفَةَ لَسَعِهَا وَإِنْ أَقْبَلْتَ فِي سَابِغَاتٍ وَأَبْدَانِ ^(٥)

[٦٥]

= « ذكره أبو الخير من فروع علم السحر وقال : علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الأموال ، والذي باشرها يتزيا في كل بلدة بزى يناسب تلك البلدة ، بأن يعتقد أهلها في أصحاب ذلك الزى ، فتارة يختارون زى الفقهاء ، وتارة يختارون زى الوعاظ ، وتارة يختارون زى الأشراف ، إلى غير ذلك . ثم إنهم يمتليون في خداع العوام بأموار تعجز العقول عن ضبطها . »

- (١) كذا في ط . وفي ت : « على النصيح » .
- (٢) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « كلها » .
- (٣) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « فانك » .
- (٤) زنبيرة : تصغير زنبورة ، وأصله زنبيرة ، وهي من الذباب المساع .
- (٥) السابغات والأبدان : الدروع .

سأدعوك في حالات كيدى وكديتى (١)
 وإن كان في الأنساب من تباين^٢
 ألافادع لى فى جنح ليلك دعوة
 لك الطائر الميمون فى كل وجهة
 فكّم من فقير بأئس قد (٣) عرفته
 وكم من رفيع الجاه واليت أنسه
 فلو كنت للفتح بن خاقان صاحباً
 ولو كنت للصابى صديقاً ملاطفاً
 ولو كنت من عبد الحميد مُقرّباً
 ولو كنت قد أرسلتها دعوة على
 ولو كنت فى يوم الغبيط مراسلاً
 بشيخى ساسانٍ وعمى هامان
 فما تنكر الآداب أنا نسيبان
 لتنجح آمالى ويرجح ميزانى
 سرىت إليها غير نكسٍ ولا وانى (٢)
 فرقت عليه نعمة ذات أفنان
 فعاش قرير العين مرتقع الشان
 لما خانه المقدار فى ليلة الخان (٤)
 لما قبّلت فيه مقالة بهتان (٥)
 لما هزم السفاح أشياع مروان (٦)
 أبى مسلم ما حاز أرض خراسان
 لبسطام لم تهزم به آل شيبان (٧)

(١) كذا فى نفع الطيب . والكديّة : شدة الدهر . وفى ت : « كيد وكيدة » .

وفى ط : « كيدى وكيدتى » .

(٢) التّكس : الضعيف الجبان . والوانى : المقصر .

(٣) فى ت : « مذ » .

(٤) يشير إلى مقتل الفتح بن خاقان القيسى الأندلسى صاحب فلائد العقيان ومطمح الأنفس فى الفندق الذى نزل به بمدينة مراکش سنة تسع وثلاثين وخمس مئة (انظر وفيات الأعيان) .

(٥) الصابى : هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال كاتب ديوان الإنشاء فى دولة بنى بويه . ويشير الشاعر إلى مانال الصابى من اضطهاد وإبعاد من عضد الدولة بن بويه ، لقالة نقلت إليه عنه فأغضبته . (انظر وفيات الأعيان) .

(٦) يشير إلى مانال مروان بن محمد وعبد الحميد بن يحيى كاتبه من الهزيمة على يد السفاح

(٧) الفيّط : مكان بين الكوفة وفيد ، وبه كان يوم بنى تميم وشيبان ، غلبت فيه تميم شيبان ، وفيه أسر عتيبة بن الحارث بن شهاب بسطام بن قيس ، ففدى نفسه بأربع مئة ناقة . (انظر العقد الفريد وشرح القاموس) . ومراسلا (هنا) : معاونا ، من المراسلة بمعنى المتابعة .

- ولو كنتَ في حرب الأمين لظاهر لما هان في يوم اللقاء ابن ماهان^(١)
ولو كنتَ في مغزى أبي يوسفٍ لَمَّا رماه بغدر عبده في تِلْسان^(٢)
ولو أنَّ كسرى يزْدَجِرْدَ عرفته لما طاح مَقْتولا على يد طحَّان^(٣)
ولو أنَّ لُدْرِيْقًا وطِطتْ بساطه لما أثرت فيه مكيدة أليان^(٤)
وفيا مَضَى في فاسٍ أوضحُ شاهد غنيٍّ لدينا عن بِيانٍ وتَبْيَان
ولَمَّا اغتنى منك السعيدُ بكاتب رأى ما ابتغى من عزِّ ملكٍ وسُلْطان
فلا تنسى من أهلِ وُدِّك إنني أخاف الليلي أن تطول فتنساني
ولا خير أن تجعل كِفَاءَ قصيدتي كِفَاءَ ابنِ درَّاجٍ على مدحِ خَيْرَان^(٥)
فجُدْ بدنانيرٍ ولا تكن التي أَلَمَّ بها الكنديُّ في شِعْبِ بَوَّان^(٦)

- (١) يشير إلى الواقعة التي كانت بين طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون ، وعلى بن عيسى ابن ماهان قائد جيش الأمين ، وقد انتهت بانتصار طاهر وقتل ابن ماهان .
(٢) لعنه يريد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبدالحق المريني في غزوه تِلْسان ، وإقامته على حصارها مئة شهر . وقد قتله عبده « سعادة » في أثناء ذلك الحصار المشهور ، في حديث فصله السلاوي في كتاب « الاستقصا ج ٢ ص ٤١ » .
(٣) يشير إلى هرب يزيدجرد آخر ملوك الفرس من أعدائه ، والتجأه إلى طاحونة لم يحسن الطحان ستره فيها ، حتى أدركه طالبوه وقتلوه (انظر غرر أخبار ملوك الفرس للتحالي صفحتي ٧٤٦ — ٧٤٧) .
(٤) يشير إلى تمكين أليان : (يليان ، جليان ، أمير المغرب من قبل لذريق ملك القوط بالأندلس) العرب من دخول الأندلس انتقاما لشرفه من لذريق ، في حديث مفصل في كتب التاريخ (انظر نفع الطيب وغيره) .
(٥) هو خيران الصقلي أمير المرية ، وهو من موالى المنصور بن أبي عامر ، وقد مدحه ابن دراج القسطلي بقصيدة تونية مطلعها :
« لك الخير قد أوفى ببهدك خيران » ولعل خيران لم يحسن جائزة الشاعر كما يفهم من السياق هنا .
(٦) الكندي : هو أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر المعروف ، ونسب إلى محلة كنده بالكوفة . وشعب بوان : متزعه بفارس . يشير الشاعر إلى قول المتنبي في القصيدة التي مدح فيها عضد الدولة ووصف شعب بوان :
وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيرا تفر من البنان =

- فجودك فينا الغيث في رَمْلٍ عالجٍ^(١) وفضلك فينا الخبزُ في دار عُثمان^(١)
وما زلتَ من قبل السؤالِ مقابلاً مُرادى بإحسابٍ وقصدى بإحسان^(٢)
ولا تنسَ أياماً تقصّتْ كريمةَ بزواية المحروقِ أو دار همدان^(٣)
وتألفنا فيها لقبض إتاوة وإغرام مسنون وقِسمة حُلوان
وقد جلس الطَّرْقون بالبعد مُطرقاً يقول نصيبي أو أبوح بكتان^(٤)
عَرِيفِي يَلْحاني إذا ما أتيتُه ولم أنصرف عنكم بواجب ألحان
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا أئمة حُسَّاب^(٥) وأعلام كُهَّان
إذا استنزَلوا الأرواحَ باسم تبادرت ظوائف ميمون وأشياخ برقان^(٦)
وإن بخرُوا عند الحُلول تآرجت مجامرهم عن زعفران ولُوبان^(٧)
وإن فتحوا الدارات في رد آبق ثنت غزمه أوهام خوف وخِذلان^(٨)

[٦٦]

- == يصف ضوء الشمس النافذ إليه من بين أوراق الأشجار ، فيرسم على ثيابه أشباه الدنانير صفرة واستدارة ، إلا أن اليد لا تقدر عليها .
- (١) عالج : موضع بالبادية يصل إلى الدهناء ، والدهناء فيما بين التمامة والبصرة . يقول : نحن متعشون إلى جودك كتعطش رمال عالج إلى الغيث ، محتاجون إلى فضلك احتياج المحصورين في دار عثمان بن عفان إلى الطعام والشراب وقد حرموها .
- (٢) بإحساب : أى بما يكفينى ويرضينى .
- (٣) زاوية المحروق : متعبد بفاس . ودار همدان بفاس أيضاً .
- (٤) الطَّرْقون (كلمة مغربية مولدة) : من يسده قبالة اللهو وقبض ضرائب الأعراس ونحوها ، مما تستعمل فيه الدفوف وآلات الملاهي (انظر تكملة المعجمات لدوزى) .
- (٥) كذا في ت ونفح الطيب . ويريد بالحساب : المشتغلين بحساب الطوالع للناس . وفي ط : « أحساب » .
- (٦) ميمون وبرقان : من أسماء ملوك الجن التي تدور على ألسنة المشعبذين . (انظر كتاب الجواهر اللامعة ، في استحضار ملوك الجن في الوقت والساعة) .
- (٧) لوبان : لفظة مغربية محرفة عن «البان» وهو الكندر المعروف . (عن دوزى)
- (٨) الدارات : حلقات يعقدها شيوخ المشعبذين ومريدوهم عند استطلاع أمر خفي كإظهار مسروق ، وإرجاع آبق ، ونحو ذلك ، يقولون إذا سرق شيء : هلم نفتح الدارة .

فيحسب أن الأرض حيث ارتمت به ركائبه سرعانَ رَجُلٍ ورُكبان
وقد عاشرتنا أسرة كيموية^(١) أقامت لدينا في مكان وإمكان
فله من أعيان قوم تآلفوا على عقْد سِحْرٍ أو على قلب أعيان
ونحن على ما يغفر الله إنمّا نروح ونغدو من رباط إلى حان^(٢)
مع الصُّبح نُضْفِيها عباءة صَفَّة وبالليل نُدْلِيها زانيرَ رُهْبَان^(٣)
أتذكر في سفح العقاب مبيتكم ثمانين شخصاً من إناث وذكُران^(٤)
لديكم من الألوان ما لم يحجى به طُهُورُ ابنِ ذُنُونٍ ولا عُرْسُ بُورَان^(٥)
ثم ذكر خمسة أبيات أقدع فيها ، فلذا تركتها^(٦) ، ثم قال :

فأقسم بالأيمان لولا تعفني عن السوء لأنحلت عقيدة إيماني
فعدُّ للذي كنا عليه فإنّ لي على الغير إن صاحبتّه حدّ غيرانِ
فمن يومٍ إذ صيرت ودي جانباً وأعرضت عني ما تناطح عنزان
ولا روت الكتابُ بعدَ تفارنا محاورةً من ثعلبانٍ لسرحان

(١) كذا في نفع الطيب : وفي ط : « كيموية » وكلاهما يراد به النسب إلى الكيمياء ، وفي ت : « كهوية » ، وهو تحريف .

(٢) كذا في ت . وفي ط ونفع الطيب : « حان » .

(٣) كذا في ت عباءة صفة : يريد بها زى الفقراء النساك . انظر الحاشية رقم ٦ صفحة ١١٧ من هذا الجزء . والزانير جمع زانر ، وهو ما يشد به اتراب وسطه ؛ يريد أنه يعمل في الليل ما لا يعمل في النهار . وفي ط : « نلويها زانير ... الخ »

(٤) العقاب : موضع بالأندلس ، كانت به وقعة مشهورة محص الله فيها المسلمين .

(٥) ابن ذنون (ابن ذنون) : هو المأمون أحد ملوك الطوائف في طليطلة ، من بني ذى النون ، وقد بلغوا في البذخ والترف إلى الغاية ، ولهم الإعدار المشهور التي يقال له : « الإعدار الذنوني » ، وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق ، والمأمون هو صاحب ذلك . وبوران هي بنت الحسن بن سهل ، وقد زفت إلى الخليفة المأمون بن هارون الرشيد في إعراس مشهور في كتب التاريخ .

(٦) ذكر المؤلف التمسيدة كاملة من غير حذف في نفع الطيب (ج ٣ ص ٢٣ طبعة الأزهرية بمصر) .

وما هو قصدي منك إلا إجازةً تحولني التفضيل ما بين خلاني
 وإنك إن سخرت لي وأجزتني لنم وليًا صان ودي وجازاني
 ولم لا ترويني وأنت أجل من سقاني من قبل الرحيق فرواني
 ألا فأجزني يا إمامي بكل ما رويت لمدغليس أو لابن قزمان^(١)
 ولا تنس للدبّاع نظرًا عرفته فإنكما في ذلك النظم سيان
 ومزدوجات ينسبون نظامها إلى ابن شجاع في مديح ابن بطن
 وألم بشيء من خرافات عنتر والمع ببعض من حكايات سوسان
 وإن كنت طالعت اليتيمة واسني بلامية في الفحش من نظم واساني^(٢)
 أجزني بكشف ذلك^(٣) أرضي وسيلة وخير جليس في بساط ودكان
 وناولني المصباح^(٤) فهو لغربتي مُسّرُ أغراضى ورائد سلواني
 وألحق به شمس المعارف^(٥) إنني أسائل عن إسناده كل إنسان
 وقد كنت قبل اليوم عرفتني به ولكنني أنسيته بعد عرفان

[٦٧]

- (١) أبو بكر بن قزمان ومدغليس من أوائل الزجاليين بالأندلس .
 (٢) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واساته بن محمد المعروف بالواساني . ويشير
 الشاعر إلى قصيدته اللامية التي هجاها أبا الفضل يوسف بن علي ، وعرض فيه
 بابن القزاز ، ومطلعها :
 بأهل جيرون هل لسامركم إذا استقلت كواكب الخيل
 (انظر يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦١ — ٢٧٤ طبعه دمشق) .
 (٣) كذا في نفع الطيب . يريد كتاب : « كشف الدك ، وإيضاح الشك » لأبي عامر
 أحمد بن عبد الملك الأندلسي ، وهو كتاب مشهور في الحيل والشعبذة . وفي
 الأصلين : « بكشف الديك » وهو تحريف .
 (٤) في الفهارس كتب كثيرة في علوم مختلفة كل منها اسمه « المصباح » ، ولا ندرى
 أيها يريد . ولعله في الروحانيات ، كما يفهم من السياق .
 (٥) يريد كتاب : « شمس المعارف ، ولطائف العوارف » للشيخ أحمد بن علي البوني ،
 المتوفى سنة ٦٢٢ ، وهو كتاب مشهور في التعاويذ ونحوها من الروحانيات .

ولابدَّ يا أستاذُ من أن تُجيزني بيدء ابن سبعين وفصل ابن رضوان^(١)
وكُتِبَ ابن أخلي كيف كانت فإنها لوزن رقيق القول^(٢) أكرم ميزان
ولا تنس ديوان الصَّبا^(٣) والصفاء لإخوان صدق في الصفاخير إخوان
وزهر رياض^(٤) في صنوف أضاحك وجبذ كساء في مكاید نسوان
كذلك فناولني كتاب حُبَّاحب وزدني تعريفاً بها وببرجان
ولي أمل في أن أروى رسالة مضمنة أخبار حي بن يقظان^(٥)
وحبس على الكاس والكوز والعصا فإنك مُثّر من عصي وكيزان
وصير لي الدلفاس^(٦) أرفع لبسة فقد جلّ قدرى عن حرير وكتان
وقد رقّ طبعي واعترتني خشية يكاد بها رُوحى يفارق جُمانى
وخلّ مفاتيح الطريقة في يدي وسوغ لهم فيها^(٧) مزيدى ونقصانى
فإني لم أخدمك إلا بندية وإني لم أتبعك إلا بإحسان
فكن لي بالأسرار أفصح مُعلن فإني قد أخلصتُ سرى وإعلاني

انتهت المقامة . وأثبتها لأنها أخف ما رأيت من هزليات الفقيه عمر المالقي ،
رحمه الله وسامحه ، ومثل هذا الهزل قد وقع لكثير من الأئمة على سبيل

(١) يريد بيدء ابن سبعين كتاب « بدء العارف » لأبي محمد عبد الحق بن إبراهيم الشهرير
باب سبعين المرسي الأندلسي . وابن رضوان : هو عبد الله بن يوسف بن رضوان
النجاري من أهل ماهة .

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « دقيق القوم » .

(٣) يريد ديوان الصبا لابن أبي حجلة أحمد بن يحيى التلساني الحنفي المتوفى
سنة ٧٧٦ هـ .

(٤) في الفهارس كتب كثيرة بهذا الاسم .

(٥) يريد كتاب : « أسرار الحكمة الشرقية » لأبي بكر محمد بن عبد الملك بن الطفيل ،
وهو قصة خيالية فلسفية ، جمع فيها بين الفلسفة والشرعة .

(٦) الدلفاس (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١١٧ من هذا الجزء) .

(٧) في نفح الطيب : « حكيمى » .

الإحاض^(١) ، ولم يَعْنُوا بها غالباً إلا إظهارَ البلاغة والافتقار ، كما فعل الحريري وغير واحد ، والأعمال بالنيات .

شيء من نظم

ومن نظم الفقيه عمرَ المذكور قوله عفا الله عنه :
إلى الله ربي أشتكى سوء حالي عسى فرجٌ يأتي بأفضل حالي
وما أسنى إلا لمالئ أبيعه وخائن مالي يشتره بمالي

مقامة
في أمر الوبا

ومن أبدع ما صدر عنه رحمه الله مقامة في أمر الوبا ، رأيت أن أثبتها لغرابة منزِعها ، وإن كان بعض فصولها لا يجري على المشهور من مذاهب العلماء ، ونصها :

إلى حمراء الملك وقلعته ، ومَمَّر العز ومنعته ، ومطلع كل قمر نصرِي يُنجبل الأتقار بطلعته ، أبقاها الله على تعاقب الزمان ، منزل أمان ودار إيمان ، وأمتعها بحياة الملك الخَزْرَجِي اليماني ، من مُوجبة إجلالها كما يجب ، المعترفة بفضلها وشرفها وأنوار الشمس لا تحتجب ، والواقفة عند إشارتها وطاعتها ، فإن تأمرُ أُمْتَمِلْ وإن تدعُ أُسْتَجِبْ ، مائمة ، المستمسكة بذمتها الوثيقة ، للتشوّفة إلى أخبارها تشوف المُحَبِّبة الشفيقة ، إلى رِيحانة قلبها في الحقيقة ، وإلى هذا ياسيدتي ويا عُدَّتِي ، ويا ذخيرتي ويا عُمدتي ، أمتعنا الله وإياك بحياة مَنْ استنقذنا من الورطات ، وردنا إلى الصواب مما كان منا من العَلَطَات ، مولانا الغالب بالله^(٢) وحده ، الموعود بعزيز النصر وقريب الفتح والله ميسر وعده .

سلام عليك يتعطرُّ بذكر مولانا أمير المسلمين قَوْحُه^(٣) ، وينشق

(١) الإحاض : الانتقال من حال إلى حال ؛ مأخوذ من إحاض الإبل ، وهو نقلها من رعي الحلة إذا سُمِّتْها إلى رعي الحوض والحض : ما ملح وأمر من النبات ، وهي كما كاهة الإبل ، والحلة : ما حلا ، وهي تجبزها . (عن القاموس) .

(٢) في ت : « الغالب بأمر الله » .

(٣) في ط : « بوجه » .

[٦٨]

كالمسك^(١) الفتيت روحه ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ، فإني أحمد إليك الله الذي إذا استُكفي بعزته كفي ، وإذا استُشفي بكلمته شفي ، وإذا سئل بواسع رحمته عفا ؛ وأصلى على رسوله محمد الكريم المصطفى ، وعلى آله وأصحابه ، أكرم من نصح له وأخاص ووفى .
 كتبته إليك يا سيدتي عن نفس قلقة ، ساهرة أرقّة ، حاذرة مشفقة ، مُلهبة بل محترقة ؛ وإني أقسم عليك بالرب الذي كرمك بالعزيز وشرفك ، وعرفك من لطائف الفرج بعد الشدة ما عرفك ، أن تسعديني على تسكين لوعتي ، وتأمين روعتي ، وتراجع رقادى | بعد سُهادى ، وقضاء حاجة جأت في فؤادى ، وتفهمى مراد إشارتى وإشارة مرادى |^(٢) ، وتتركى هوى النفس الذى هو للحق معاند وللرشد معادى .

ومبنى هذه الرسالة إليك على قولهم : « الشفيق مولع بسوء الظن » ، ومن منن الله على عبده الوقاية من المتأف جل الله العظيم المن ؛ وعلى قول المتنبي :
 ربما ضر عاشق معشوقا ومن البر ما يكون عتوقا^(٣)

والمثل الأول لى ، والآخر لك . والله يُيسر في حفظ مولانا ألى وأملك . [٦٩]
 وإني أتعجب من مساعدتك على إقامة مولانا بمنزل ، هذا المرض به فاش ، وهذا الهواء الفاسد بين دياره جاء وماش ، وسمعتُ أن حديث السفر للمائة أثقل عليك من حديث رقيب وعاذل وواش ؛ وأن الآراء في ذلك اختلفت ، ولم يُرُجع فيها إلى سنن تقدمت وعوائد سلفت ؛ والأوائل من المؤمنين رحيم الله ماتر كوا شيئا سُدى ، بل نصبوا على كل طريق إلى النجاة علم هدى ؛ وسمعت

(١) في ت : « وينشق المسك » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) لم نجد هذا البيت في نسخ ديوان المتنبي .

ياسيدتى أن القضية عُول فيها على المُقام والاستسلام ، وخولفت فيها رأى الخليفة الرشيد لما تحول في مثلها عن سكنى دار السلام ، بمحضر أركان الدين وأعلام الإسلام ؛ وقد سمعتُ في الأجوبة الظريفة ، ما صدر من قوله : أخشى أن أكون أول خليفة ؛ وقد كنتُ ياسيدتى أرتجى أن يكون لهذا المرض ارتفاع ، أو يحصل بدخول فصل^(١) البرد انتفاع ؛ فتركت الكُتب منتظرة لذلك ، إلى أن تزايدت الحال وأنت على حالك ، لا يمر الترحال بخاطرك ولا ببالك ؛ وأنا أقول : أما واجب التسليم ، لتقدير العزيز العليم ؛ فمتأ كد شرعاً ، لا يضيق به المؤمن ذرعاً ؛ لكن ما يفعل المستسلم بالروح والجسد ، إذا قيل له اهرب من الأسد ؛ وقد أبصره مقبلاً إليه ، أو مُنقضاً عليه ؛ يأخذ في تحفظه واحتراسه ، أم يصبر لافتراسه ؟ ومن قيل له في ظلم الليل : ارتفع عن هذا المكان تنج من السيل ؛ أبنام في مكانه ، أم يبادر إلى السلامة بجهد إمكانه ؟ ومن نودى : هذه الخيل قد طلعت مغيرة ، والرعاة بالجبال مستجيرة ؛ فارفع غنمك قبل الاكتساح ، فالوقت في انفساح ؛ أيتها تسرح ، ولا يبرح ؛ أم يرفعها لتسلم ، ممّا تدرّب وتعلم^(٢) ؟ وكذلك إذا قامت الرماة صفوفًا ، وأصابت سهامهم^(٣) من أخلق الوفا ؛ أيرجح الحقُّ تباعدًا أم وقوفًا ؟ وكذلك أيضاً المنازل ، التي تدوم بها الزلازل ؛ فأرضها في كل يوم تميد ، ودَهَش القلوب بها حاضر عتيد ، والخسف بها في يوم ينقص وفي يوم يزيد ؛ لا تسمع فيها إلا سقوط جدار ، على ركن دار ؛ وانفكك الأركان ، على السكان ؛ وإخراج ميت ، من تحت بيت ؛ وسقوط سارية ، على جارية ؛ يُعزم على السكنى والاستيطان ، تحت هذه الحيطان ؛ أم يؤخذ في الاحتيال ،

[٧٠]

(١) في ت : « وقت » .

(٢) في ت : « ممّا تدرى وتعلم » .

(٣) في ت : « بسهامهم » .

بالخروج بالأطفال والعيال؟ ياسيدتي الحمراء، سألتك فأخبريني، وإن تحيّر فهمي فاعذريني، ووصل إلى الكتاب الشريف، من جنان^(١) العريف؛ يذكر أن السلامة كانت [به] ^(٢) مستصحبة لمولانا ولناسه، وأن العافية كانت بهم منتشقة مع أنفاس رنده وآسه، ما عرضت به إلى طيب حاجه، ولا استدعى فيه المعاور^(٣) للنظر في زجاجه؛ ولا تقول ولا عمل، ولا بلغ من الجسوة والقسوة أقل أمل؛ ولم ينتقص من الساكنين بهذا البستان، من عبید مولانا السلطان، غير فتى من الخُصيان، لا يساوي عشرة دراهم في سوق الفتيان، والجميع بحمد الله استمرت عافيتهم على استقامه، بطول أيام الإقامة؛ وعرفني أيضاً جنان العريف في وافد كتابه، ووارد خطابه، أن رغبته كانت في انتقال مولانا نصره الله من صحیح هوائه، وسلسبيل مأنه؛ ونفحة جناه، وتلاعب النسيم العاطر بين قبايه. إلى مألقة حيث الجو الصقيل، والروض الذي يطيب به المقييل، والراحة التي تمتزج بالأرواح كما قيل؛ حيث العرف الأريج، والوادي المنعرج، والساحل الذي ينشرح به الصدر الحرج، حيث البنفسج يدير كئوس البهار، والياسمين نجوم طالعة بالنهار؛ حيث يتمازج طيب الزهر، بعرف الأترج ونفحات السحر، حيث يشبه أنين السواني، حنين المتعشقات من الغواني، إذا حُمد الصباح، وانفلق الإصباح؛ وعمرت صفار القوارب، ونادت بحرية الشباك:

(١) جنان العريف، أو جنة العريف: بستان في خارج غرناطة، ذكره لسان الدين في الإحاطة، صفحة ٢٥ ج ١.

(٢) زيادة عن ت.

(٣) كذا في ط. ولعله يريد بالمعاور، كما يظهر من السياق الذي يفحص عن قوارير بول المرضى ليقدر وزنه ونوعه، وهو من عاور الثي. إذا قدره، كما يؤخذ من اللسان مادة «عير». وفي ت «المعاور».

إلى المضارب^(١) ، وسالت أنوارالمشارق على جوانب المغرب ، ونادى محرك الجيش :
 ظهور الخليل ، وصباح الخير ، واستقبلوا الوادى الكبير لمصيد الأرنب والحوت
 والطير ؛ شكر الله جنان العزيف على ما قصد ونوى ، وعلى ما أظهر من اتباع حق
 ومخالفة هوى ، اعتماداً من أخبار الدول القديمة على ما حفظ ورّوى . وقال لى
 ياسيدتى إنك وقفت مع الحديث المنصوص^(٢) ، الوارد فى مثل هذا المرض على
 الخصوص ؛ وفيه النهى عن الخروج من منازل هذا المرض ومواضعه ، وعن
 القدوم على معتركاته ومصارعه ؛ والحديث صحيح ، والرشد فيه قول صريح ؛
 ولكن للعلماء فيه أقوال طويلة التفصيل ، وقد لخصها وبينها الإمام ابن رشد
 فى كتابه الجامع من البيان والتحصيل^(٣) ؛ والاتفاق من الجميع أن النهى فى هذا
 الحديث ليس بنهى تحريم ، وإنما هو على سبيل إرشاد وأدب وتعليم ؛ فلا إثم
 ولا حرج ، على من أقام ولا على من خرج . وقال عمرو بن العاص : الأفضل
 الخروج لأهل الفطنة ، اتقاء من اعتقاد يؤدى إلى فتنه ؛ وكفى بعمر بن العاص
 حجة لمن أراد انتصارا ، والكلام كثير ، ولكنى اختصرته اختصارا ؛ وإن
 نظراً قدمه كثير من الصحابة ورجحه ، خلّيق بأن يقال فيه ما أسعده وما أنجحه !
 ياليت تفتى كلّه يكون من هذا القبيل ، وجاريا على هذا السبيل ، مستنداً إلى قول
 صحابى جليل ، ومستنداً بأرشد علم ودليل ، ولو كان على خلاف المشهور من قول

(١) المضارب(هنا) : الحيام تضرب على ساحل البحار ، ليباع فيها ما يصاد من السمك .
 (٢) ورد الحديث المشار إليه فى صحيح مسلم ، ونصه فى رواية أسامة : « الطاعون
 رجز أو عذاب أرسل على بنى إسرائيل ، أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به
 بأرض ، فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » .
 وفيه روايات أخر تختلف ألفاظها ، وتتفق معانيها ؛ وقد علق عليه النووى ،
 ونقل كلام القاضى عياض وغيره ، فليُنظر ثمة (ج ١٤ ص ٢٠٤) .
 (٣) اسم الكتاب : جامع البيان والتحصيل ، لما فى المستخرجة من التوجيه والتعليل .

خليل^(١) . وهنا يقال : ما في هذه القلّة غير هذا الإغريل^(٢) . يا سيدتي الحمراء ؛ أراك في هذه القضية تفقّمتِ وتوقفتِ فيما بينه عالم وذو عِلْمٍ ، ومنعتِ مما ليس فيه حَرَجٌ ولا إثمٌ ؛ ولو كنتِ حاضرةً لكان لي معك حديثٌ طويلٌ ، واحتجاجٌ ينصره نصٌّ وتأويلٌ . وسمعتُ أنكِ أشفقتِ من عظيمِ النّفقهِ ، وليس هذا موضعُ الشّفقه ؛ فالأمنُ ليس بغالٍ ، ولو يُشترى بكلِّ ذخيرةٍ وكلِّ مالٍ ؛ والأولى بالملامه ، مَنْ^(٣) يفضّلُ شيئاً على السلامه . القمحُ يأكله الشّوسُ ، والذهبُ تغنى عنه الفلوسُ^(٤) ، فكيف يُستعظمان فيما تُؤمّن به النفوسُ . وبلغني أنكِ [٧٢] قلتِ : مائقةٌ ليس بها زرعٌ ، وبقليلِ المُقامِ يضيقُ لها صدرٌ وذرعٌ^(٥) ، وفلاحتها وحرثها ليس لها أصلٌ ولا فرعٌ ؛ وعزّةٌ على هذا الكلامِ ، ولكنني سلّمتُ والسلام^(٦) ؛ فإن سِعري عن سعر^(٧) غرناطةٍ منحطٍ ، وفي لحظةٍ بصرٍ يضيقُ مني بالطعامِ في كثيرٍ من الأيامِ ساحلٍ وشطّ ، ولا يُعلمُ أنه دامت لي شدةٌ قطّ . لي في الاعتصامِ بالتوكلِ على الله ما يزيد على سبعِ مئةِ العامِ^(٨) ، ما أشغلت فيها فكراً ولا قلباً بادخارِ قوتٍ ولا باحتكارِ طعامٍ ؛ أثقُ في اليومِ والغدِ ، بالرزقِ الرّغدِ ؛ تأتي به الرياحُ على الأعناقِ ، ويفيضُ سيله على جوانبِ الدواوينِ وأكنافِ الأسواقِ ، وتجلبه الأحابِ والأعداءُ بإذنِ اللطيفِ الخبيرِ الوهّابِ الرزاقِ .

(١) هو خليل بن إسحاق المالكي ، صاحب المختصر في فقه المالكية .

(٢) كذا وردت هذه العبارة في ط . وفي ت : « ما في هذه الغلّة . . الخ » .

والعبارة على الروایتين ظاهرة التحريف .

(٣) في ت : « نص » . وهو تحريف .

(٤) في ط : « النفوس » .

(٥) في ت : « وضرع » .

(٦) في ت : « والإسلام » .

(٧) في ت : « أسعار » .

(٨) في الأصلين : « السبع مئة عام » .

قالت النملة : افتخارى ، بادخارى ؛ قالت العصفورة : توسلى ، بتوكلى ؛
قالت النملة : أعتمد على الحب ؛ قالت العصفورة : أتوكل على الرب . فلما جنَّ
الليل ، أقبل السيل ؛ فخرجت النملة بالعموم ، وبقيت الحبوب بين الدوم ؛ فنزلت
العصفورة وسجدت ، [والتقطت]^(١) من مدَّخر النملة كل ما وجدت ؛ وقالت :
خير المحتكر ، ورج طالب الرزق المبتكر ، الكريم لا يفتخر بما يدَّخر .

وصح عندى أن الوزير أعزه الله ليس عنده في هذا كله كلام ولا قول ، وأن
الأمر عنده مفوض إلى الرب الذى له القوة والحول . وسمعتُ يا سيدتى أن هذا
السم ، أعظمُ تأثيره إنَّما هو في قطع الأكبَاد ، من صغار الأولاد : الذين من فوق
السبع ودون العشر ، وهم في هذه السنين رياحين القلوب العاطرة النَّشر ؛ وهذا
إلى كَتبى لك أعظم داع ، فإن الأولاد سوائهم والوالد راع ؛ والراعى لا يترك
غنمه في طريق سَبُع ضار ، ولا قريباً من حريق نار ؛ ونحن نشاهد الطير ينقل
أفراخه من وكر إلى وكر ، ويسترها بملطف الشجر إذا خاف عليها عادية جارح^(٢)
أو صاحب مَكْر ؛ فكيف لا نقتدى في تأمين روعتنا بمن تقدّم من الأكابر ،
ونقف في حامل السيل^(٣) بأولادنا الأصغر ؛ فما عندك في هذا كله من القول ومن
الجواب ؟ وما يظهر لك من وجه الرأى والصواب ؟ اكتبى بذلك كتاباً أعتمد
عليه ، وأستند إليه ؛ وقبلى عنى يد مولانا تقبيلاً ، ويا ليتنى وجدت إلى ذلك
سبيلاً ؛ وأخبريه أنى [فى]^(١) خدمته على نيتى الأولى ، عاكفة على شكر
مِنته الطولى ؛ أدام الله حياة البلاد والنفوس بحفظه وحياطته ، وأسمنى البشارة

[٧٣]

(١) زيادة عن ت .

(٢) فى ت : « جائع » .

(٣) حامل السيل : السيل الجارف .

بقدمومه على مُحَدَّث مَالِقَةَ من حمراء غَرَنَاطَتِهِ ؛ ويحفظه في النفس والأولاد ،
والملك والبلاد ، بَمَنِّه وفضله .

وكتب بتاريخ ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وثمان مئة . انتهت المقامة .
وكلام المذكور كثير ، ومحلّه من عدوية المنطق أثير ؛ ونظمه أعلى طبقة
من نثره طريقة مَعَرِّيَّة ، حسبما يظهر ذلك بالتأمل لنفوس بالإنصاف حريه ؛
وله [عدة] ^(١) تآليف أكثرها هزلية ، ولذلك لم أجلب شيئاً منها سوى
ما تقدم ، مما يقتضى ما أصلناه من المزيه ، والفضيلة للبلاد الأندلسية ^(٢) .

ومن أحسن مقطوعاته ^(٣) التي تطارح بها على باب السكريم ، وتطفل بها
تطفل من لا يبرح عن باب سيده ولا يريم ؛ ويرجى له بها كل جميل ، والله
لا يخبّيب ما أمّله من تأميل ؛ قوله رحمه الله :

بعض مقطوعاته

عميدة دين الحق أن محمداً له الفضل إطلاقاً ^(٤) على كل مخلوق
وإن سبقت رُسُلُ بكتب وبعثة فما هو في مجد وفضل بمسبوق
فهذا إذا ما عشت أولى عميدتي وهذا إذا ما مت آخر منطوق
[وقوله :

جئتك يا رب ولا عذري وهل لعبد السوء من معذرة ؟
أرجوك فيما أنت أهل له فأنت أهل العفو والمغفرة
وقوله في مرضه :

يا سامعين الكلام مختلطاً نظماً ونثراً قلانداً ودُرُزُ
صَلُّوا على المصطفى وسيلتنا محمدٍ وارحموا الفقيه عمر ^(٥)

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « من المزية للبلاد الأندلسية والفضلية » .

(٣) في ط : « منظوماته » .

(٤) في ط : « إجماعاً » .

(٥) ما بين القوسين المربعين زيادة عن ت .

تعريف بالشران

وأما الكاتب الرئيس أبو عبد الله الشران^(١)، فهو الشيخ الفقيه الرئيس الصدر، العلامة العماد، الذخر الأرفع، العلم الأوحد، الأجدد الأسرى، الذي لا يجارى في الإنشاء والاختراع كلاماً جزلاً، وقولاً فصلاً، رئيس الكتبة بالحضرة العلية، أبو عبد الله، ابن الشيخ الفاضل الماجد الأعز الأرفع الأوجه أبي إسحاق، كان حياً سنة سبع وثلاثين وثمان مئة. هذا كلام بعض الأندلسيين فيه.

[٧٤]

وقال القلصادي في حقه: هو الفقيه الوجيه اللبيب اليقظ الأدرى، الأديب الأحظى، الرئيس النبيل الأرقى؛ وحيد عصره وأوانه، وفريد دهره وأقرانه، أبو عبد الله محمد الشران الغرناطي، نغمده الله برحمته.

شيء من نظمه

وذكر هذا الشيخ القلصادي في طالعته شرحه لأرجوزة أبي عبد الله الشران المذكور، التي أولها:

بمحمد خير الوارثين أبتدى وبالسراج النبويّ أهتدى

وهي أرجوزة عذبة النظم، سهلة المأخذ مختصرة في علم الفرائض.

ومن بديع نظم الكاتب أبي عبد الله الشران رحمه الله تعالى قوله:

[فلا تمنع العين أنهماً فإنه غرام شحج إسنادُهُ غير مهمل

أحاديث تروىها الجفون عن الحشا ويثبت منها مُرسَلٌ بمسلسل

وقوله يخاطب الفقيه الصالح سيدي أحمد بن حرشون، وقد أهدى له

قُرْص زعفران:

أهلاً بقُرْص زعفران أطلعت من حسنها للقلب باعث أنسه

حياً الخلوَصَ به وغير عجيبة للبدر أن حياً بقُرْص شمس

يانيراً للمجد أهدى نيرا كل امرئٍ إهداؤه من جنسه

وقوله^(٢):

(١) هو محمد بن إبراهيم. (انظر نيل الابتهاج بتطيريز الديباج).

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت.

لما اختفت شمسك عن ناظري أرسلتُ منه مطر الدمع
وأقبلت ظُلمة ليل النوى فما ترى في رُخصة الجمع

وحكى الحافظ أبو عبد الله التَّنَسِّي رحمه الله، أنه لما صُرفَ الفقيه أبو الفضل ابن جماعة عن رياسة السكتابة بفرناطة، إلى قضاء الجماعة، وولى مكانه صاحب الترجمة أبو عبد الله الشَّران، لقي بعضُ رؤساء الدولة ابن جماعة يوماً، فقال له: يا سيدي، إن السر الذي عهدناه في الحضرة غاب عنها بغيبتك. فقال له: وكيف لا وقد تركتم الفضل المجموع^(١) وأخذتم الشرَّ المكرر^(٢)!

ثم إن ابن جماعة كان عنده إعدار^(٣)، فدعا أعيان البلد إليه ولم يدع الشَّران، فكتب إليه الشران:

ماذا أعد المجدُّ من أعداره في ترك دعوتنا إلى إعداره^(٣)
إن كان رسم دون محضرتنا اكنفي لا بد أن يبقى على إعداره^(٤)
ثم قال الشيخ التَّنَسِّي: والشران هذا ممن له باع مديد في الشعر، وتصرف

حسن. انتهى.

ومن بديع نظم الشَّران المذكور قوله رحمه الله:

دوام حال من قضايا الحال واللفظ موجود على كل حال
والنصر بالصبر مُحَلَّى الطُّبِّي والجَدِّ بالجدِّ مَرِيش النَّبَالِ
وعادة الأيام معهودة حرب وسلم والليالي سِجَالِ
وما على الدهر انتقاد على حال فإن لحال ذات انتقال

طريقة لابن جماعة وقد تولى الشران مكانه

شعر للشران يعاتب ابن جماعة على إهمال دعوته إلى إعدار

قصيدته اللامية

[٧٥]

(١) يشير إلى اسمه: «أبي الفضل بن جماعة».

(٢) يشير إلى لقب أبي عبد الله: «الشران». فكانه تنية: «شر».

(٣) الإعدار: طعام الختان.

(٤) الإعدار (هنا): التقصير.

مَنْ لليلَى بائتلافٍ ومِ
أخذُ عطاءٍ ، مِحْنَةً مِئْجَةً
من اعتبار باختلاف^(١) الليالِ
تفرُّقُ جَمْعٌ ، جَلالِ جمالِ
كأنما هَدَى اللَّيلى لآلِ
انتظامٍ^(٢) وانتثارٍ معاً
وهل سَتَى الصبِحِ وجُنْحِ الدَّجى
خلقة الأضدادِ إلّا مِثالِ
والظُّلْمِ العُلكُ على نورها
تدلُّ والعُسرِ يسرُ يُدالِ
والسيفِ قد يصدأُ فى غمده
ثم يُجَلِّى صفحتيه الصِّقالِ
والشمسِ بعد الغيمِ تُجَلِّى كما
للغيثِ من بعد القنوطِ انهمالِ
والفرَجِ الموهوبِ تجرى^(٣) به
لطاقِفِ لم تجر يوماً بيالِ
فصابِرِ الدهرِ بحاليه مِ
حلو ومرٍ واعتِدا واعتدالِ
فإله صبرٍ على حالة
وإنما الصبرِ حُلَى الرجالِ
ولا يضقُ صدركِ من أزمَةٍ
ضاقت فضع اللهُ رحبُ المجالِ

إلى هنا توجد هذه القصيدة بأيدي الناس ؛ ورأيت بخط بعض الأخيار بعد هذا البيت زيادة كثيرة على ذلك ، منسوبة لصاحب القصيدة ، وهى لا تبعد من نفسه ، على أن فيها إبطاء^(٤) . وها أنا أيضاً أثبتتها بجملتها لغرابتها وجزالتها ، ولاشتهاها على مديح المصطفى المجتبي ، صلى الله عليه وسلم ، ونصها بعد قوله : « رحب المجال » :

وانظر بلطف العقل كم كُرْبَةٍ فرَجها لُطْفٌ كحل^(٥) العقالِ
وكلُّ إليه كلٌّ حاجٍ فإ [لذى]^(٦) حجاً إلا عليه اتكالِ

(١) فى نيل الابتهاج : « فى اختلاف » .

(٢) فى ت : « حلى » .

(٣) زيد فى ط فوق هذه الكلمة : « تأتى به » .

(٤) كذا فى ط . والإبطاء : تكرير القافية لفظاً ومعنى . وفى ت : « على أنه فيها وها أنا » .

(٥) فى ط : « فحل » .

(٦) زيادة عن ت .

وكل بدء فـله غاية
 وكل عود فـله آية
 وفي مال الصبر عُقبى الرضا
 عجت للعبد الضعيف القوي
 يهوى مع الآمال مسترسلاً
 تحسده النفس بتخييلها
 يخال أن الأمر جارٍ على
 الخلق والأمر لمن لم يزل
 والفعل والترك دليل على
 يعطى فلا منع ويقضى فلا
 يُدبّر الأمر فعن أمره
 يضل يهذى حكمة أنفذت
 وحكمة البارئ في حكمه
 والرب لا يسأل عن فعله
 فيا أبا الفكر اشتغلاً بما
 سلم في التسليم من كل ما
 وارض بما فاتك أو نلته
 وفوض الأمر إلى الحق لا
 فذو الحجا فيما اتقى وارتهجى
 يرضى بقسم الرب كل الرضا

وغاية الخطب الشديد انحلال
 وآية العقل اعتبار المال
 من فرج يدي وأجر ينال
 يُغفر^(١) بالرب الشديد المحال
 طوع الهوى حيث أمالته مال
 وهل خيال النفس إلا خيال
 تديره هيات مما يخال
 في ملكه الملك وما إن يزال
 مراده والكل طوع انفعال
 دفع ويمضي حكمه لا يسأل
 تقدير ما في الكون سُئل وعال
 فضلاً وعدلاً في هدى أو ضلال
 ما لمجال العقل فيها مجال
 قد قضى الأمر فقيم السؤال
 في غيره للفكر حق اشتغال
 ينفذ تسليم وتنعيم بال
 فكسه ما لك فيه مجال
 تركن من الدنيا لحال محال
 بالعدل حال ومن العدل خال
 في كل حال ما عن العهد حال

[٧٦]

(١) ذكرت هذه العبارة أمام هذا البيت في هامش ط: « يعترض الرب بدل يغفر » .

يرى خلال الشكر والصبر في
 فهو على الحالين قد نال من
 ما أقصر الدنيا على مرّها
 فافطن لها حزما ففي ظلها
 ما يقظات العيش إلا كركى
 ياليت شعري والى عبرة^(٢)
 هل يستحيل العهد من صبوتى
 والشيب هل يوقظنى صبحه
 وكسرتى من عُسرتى هل تقى
 هذا زمانى فى تولّى وفى
 حال من احتل بدار البلا
 يا ربّ ما المخلص من زلتى
 يا ربّ ما يلقاك مثلى به
 يا ربّ لا أحملُ حرّ الصبا
 أم كيف عذرى وقد أعدرتلى^(٥)
 رحمتك اللهم فهى التى
 ولا تعاملنا بأعمالنا

ما سر أو ساء أبرّ الخلال
 مناه فى الدارين أقصى منال
 كالظل ما أقصر مدّ الظلال !
 ما قال يوما حازم حيث قال
 ولا مرأى العين إلا خيال^(١)
 والشعر قول قد ينافى الفعل
 فقد مضى عهد الصبا واستحال
 فالنوم فى ليل من^(٣) اللهو طال
 وعُترتى من^(٤) عبرتى هل تُقال
 غزى توانٍ والهوى فى توال
 ولم يحدث نفسه بارتحال
 لا عمل لا حجة لا احتيال
 عن طاعة لم أتها بامثال
 فكيف بالنار لضعف احتمال
 بأخذ جذرى من دواعى النكال
 لها على العاصين مثل انثيال
 لكن رجا آماننا صل ووال

[٧٧]

(١) يشير إلى قول أبي الحسن التهامى فى مرثيته ابنه :
 والمرء بينهما خيال سارى

فالعيش نوم والنيسة يقظة

(٢) فى ت : « عدة » .

(٣) فى ط : « وى » .

(٤) فى ت : « فى » .

(٥) فى ت : « نى » .

وبامتداح المصطفى هَبْ لَنَا
فَمَا سِوَى حَبِيٍّ لِمُصْطَفَى
ذَلِكَ تَجْرِي (٢) وَعَلَى فَضْلِهِ
فَإِنْ يُفْزِقِدْحِي بِمَدْحِي لَهُ
وَرَائِدُ الْعَرَّةِ الْغَوَالِي (٣) عَلَيَّ
أَعْظَمُ بِأَمْدَاحِ نَبِيِّ الْهُدَى
خَيْرَ الْوَرَى مِنْ بَادٍ أَوْ حَاضِرٍ
فَادِيهِمْ مِنْ فَتَكَاتِ الرَّدَى
حَامِيهِمْ بِالْعُضْبِ إِذَا لَمْ يَحْمِي
مُنِيْلَهُمْ إِذَا لَمْ يَجِدِّي يَرْتَجِي
قَرِيْبَهُمْ فِي طَبَقَاتِ الْعُلَا
مُؤْوِيهِمْ مِنْ حَوْضِهِ مِنْ صَدَى
أَطْوَلَ مِنْ مَالٍ بِسَبَبِ النَّدَى
مَنْ حَصَّهَ اللَّهُ بِحُصْلِ الْعَدَى
مِنْ بَاهِرِ الْحَسَنِ وَفَضْلِ التَّقَى
حَالٍ مِنَ الْعِلْمِ بِأَسْنَى حِلِّي
نُورٍ مُبِينٍ صَادِقٍ فَارِقٍ
أَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْحَيَا بِاسْمِهِ

مَاتَمَّ الْفِعْلُ لِبِرِّ الْمَقَالِ (١)
وَسِيْلَةً لِي بَعْرَاهَا اتِّصَالَ
طَمَعْتُ فِي الْفَضْلِ بِلَا رَأْسِ مَالٍ
فَقَدَّ يُجَلِّ النَّوْرُ قَدَّرَ الذُّبَالَ
مَوْثِقَةً مِمَّا نَوَى مِنْ نَوَالٍ
حَبْلَ اعْتِلَاقٍ أَوْ شَفَاءِ اعْتِلَالٍ
أَكْرَمَهُمْ مِنْ حَافٍ أَوْ ذَى انْتِعَالٍ
هَادِيَهُمْ فِي هَاكَاكَاتِ الضَّلَالِ
كَالِيهِمْ (٤) فِي الْخَطْبِ إِذْ لَيْسَ كَالِ
مُقِيْلِهِمْ إِذْ لَا عِثَارٌ يُقَالُ
شَفِيْعُهُمْ فِي عَرَصَاتِ السُّؤَالِ
مُؤْوِيهِمْ مِنْ جَاهِهِ فِي ظِلَالِ
أَصُولٍ مِنْ فِي الْحَقِّ بِالسَّيْفِ صَالٍ
فِي كُلِّ مَا عَمَّ الْهُدَى مِنْ خِصَالِ (٥)
وَحِكْمَةِ النَّطْقِ وَبِحَدِّ الْفِعَالِ
وَأَفٍ مِنَ الْحِلْمِ بِأَرْكَى خِلَالِ
مُبَشَّرٍ هَادٍ خَتَامِ كِمَالِ
كَهْفِ الْأَيَّامِي ، لِلْيَتَامَى ثِمَالِ

(١) في ط : « الفعّال » .

(٢) تجرى : تجارتى .

(٣) في ت : « الغوادي » .

(٤) كالئهم : كالئهم ، أى حافظهم .

(٥) خصل المدى : إصابة الغاية .

الرحمة المهداة ضمن احتفًا
 كم آية جلي لنا أو تلا
 ذو العرش أسمى قدره فاسمه
 وذكره رقع في ذكره
 أعطاه دون الرسل خمسًا كفت
 لم يبعث الرسل اشتالا وفي
 وقسمة الأتقال حلا وما
 والأرض طهوراً ومصلى لأن
 والنصر بالرب لشهر مدى
 والنعمة الكبرى التي نالها
 وليمة المعراج أسرى فما
 جال وجبريل أنيس له
 حتى انتهى من سيرة المنتهى
 قال له الروح مقامي هنا
 فقال : يا أنسى أفردتني
 فقال : كلاً إنما الأنس ما
 طاً حضرة القدس اتصالاً فما
 فزججه في النور زجاً رأى
 شاهد ما شاهد مما ارتقى
 فقال قوم بفؤاد رأى

والنعمة المُسداة خَلْفَ احتفال
 وغاية جلي بها دون تال^(١)
 في العرش مقرون مع اسم الجلال
 حمداً ليتلو مدحه كلُّ تال
 يد امتنان في العطايا الجزال
 بعثته للثقلين اشتمال
 من قبلُ كانت لنبى حلال
 كان له كونُ بها واحتلال
 يُنازل الأعداء قبل النزال
 شفاعة الأخرى ونعم المنال
 أسرى وأسنى شرفاً في الليال
 من السماوات العلى حيث جال
 إلى مقام لم ينله مقال
 وأنت فاصعد لمقام الوصال
 حيث دهنتي^(٢) مدهشات الجلال
 أنت موالٍ ولك الله وال
 أبيع منها إسواك اتصال
 وراءه للحق نورَ الجمال
 عن مبلغ العقل ووهم الخيال
 وعالمٍ بالعين والقلب قال

[٧٨]

(١) جلي بها : أتى فيها سابقاً .

(٢) في ط : « وعنتى » .

وليس ذا وهو مُحال على حَال مَقَامِ الحُبِّ مِمَّا يُحَالُ
 حيث تَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَذَى نَجِيًّا فِي ظِلَالِ الدَّلَالِ
 وبعد ما في النجم يُتَنَلَّى عَلَاً ثُمَّ أَتَى والنَّجْمُ فِي الأفقِ عَالِ
 وباحتمال الجسم والروح في مَسْرَاهِ صَحَّ القَوْلُ دُونَ احْتِمَالِ
 وبانشقاق الصدر طفلاً فقس لَهُ انشِقَاقَ البَدْرِ عِنْدَ اكْتِمَالِ
 لنسبة بينهما في الهدى والحسَنِ والقُرْبِ وَبَعْدَ المِنَالِ
 فنور هذا كمّ جلا من دُجَى وَنورُ هَذَا كَمِّ هَدَى مِنْ ضلالِ
 كلا بل الأنوار حيث انجَلَتْ حَسًّا وَمَعْنَى مِنْهُ كُلاَّ تُنالِ
 ولانشقاق البدر من نوره أَبْدَى انشِقَاقًا وَهُوَ تَغْيِيرُ حَالِ
 شوقَ هلالين على صفحتي ظَمَانَهُ فِي كُلِّ شِقِّ هلالِ
 والشطر منه لاستلام الثرى بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسَّلَامِ اسْتَمَالِ
 بل أَخَجَلَ البَدْرَ لِنَقْصَانِهِ فَانْحَطَّ مُنْشِقًا لِبَدْرِ الكَمالِ
 هم سألوها آية أَعْرَضُوا [٧٩] عَنِهَا وَقَدْ جَاءَتْ وَفَاقَ السُّؤالِ
 قالوا وقد جالوا^(١) بسحرٍ أتى فقلتُ هَذَا السِّحْرُ سِحْرٌ حلالِ
 بل عجبوا من نُكْتَةِ الكَوْنِ أَنْ أَعْطَاهُ رَبُّ الكَوْنِ ما مِنْهُ سألِ
 وهجرة بل وُضْعُ لِّلرِضَا وَرَبِّما نِيلِ^(٢) بِهَجْرٍ وَصالِ
 ضفا لِحُجْبِ السَّتْرِ دُونَ العِدا فِي الدارِ وَالغارِ عَلَيْهِ انْسِدالِ
 إذ غار بالحكمة نور الهدى فِي الغارِ مِنْ غارَةِ حَزْبِ الضلالِ
 وما اختفى من خيفة بل لأن تَظْهَرُ أُسْرارُ مَعانِي المَعالِ^(٣)

(١) كذا في ت وفي ط « حالوا » . ولعل كليهما مصحف عن : « خالوا » .

(٢) في ت : « يبلى » .

(٣) المعال : أى المعالي .

حيث نَفَى بعدُ عِنَانَ الرَّدَى سُرَاقَةَ عَمَّا سَرَى واستقال^(١)
 هَيْلَ كَثِيبِ الطَّرْفِ خَسْفًا بِهِ عن كَتَبِ والصنع للطرّف هال^(٢)
 أهوى كما أهوت بميلاده من قصر كسرى الشرفات العوال^(٣)
 نسبة حالٍ كان من سيرّها أن بسواربه غدا وهو حال^(٤)
 هناك هامت بالخيام العدا فحام حويله حمام فحال^(٥)
 فاطرد الكسرى على جمعهم واطرد الفتح له صدق فال
 والعنكبوت اعتمدوا حُجَّة خالوا بها الغيل من الليث خال
 فاعجب لهم بالواهن استوثقوا ظنًا وللبرهان هم في جدال
 ما أصدق الصديق في قوله عدلٌ لنا في حُجج الصدق قال
 أشفق لا حرصاً على نفسه بل غار من علق نَفيس يُدال
 يأبها الصديق بشراك لا تحزن^(٦) وشيم للنصر أمضى النصال
 فحكمة العزيمة إحرأها ما بين أظفار الظبي والعوال
 لله ما أشرفها عزة . ليس لغير الله منها ابتهال
 نبوةٍ لاحت براهينها قطعيتها ترغم أنف الجدال

- (١) سراقه : هو سراقه بن مالك الكنانى الذى تبع النبي صلى الله عليه وسلم عند الهجرة ، ليرده إلى قريش . (انظر خبره فى كتب السيرة) .
- (٢) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى ماروى فى كتب السير من أن سراقه لما أراد للحاق بالرسول ، وكاد يدركه ، غاصت قوائم فرسه فى الرمال ، وأفزعه مارأى من عجزه عن إدراك النبي أو إصابته بسوء ، حتى اضطر أن يعود من حيث أتى .
- (٣) يريد أن فرس سراقه خر على الأرض كما سقطت شرفات قصر كسرى عند مولد النبي لإرهاصا لنبوته .
- (٤) يشير إلى لبس سراقه لسوارى كسرى أيام عمر تصديقاً لقول النبي لسراقه لما خرج فى طلبه فى الهجرة : « كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ! » . (انظر شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٤٨) .
- (٥) يريد : أن أعداء النبي يوم الغار أرادوا قتله ، فحال الحمام دون عرضهم بتعشيشه فوقه .
- (٦) فى : « تحزن » .

وهل جدال في عُلَى أَوْجَبَتْ وآدم في طِينِهِ ذُو انْجِدَالِ
 وإِذْ بَدَتْ فِي وَجْهِهِ غُرَّةٌ خَرَتْ لَهُ الْأَمْلَاقُ طَوْعَ امْتِثَالِ
 وَنَوْحٌ أَدْ نَجَّى فِي فُلْكَهِ كَانَتْ عَلَى أَنْوَارِ هَذَا اشْتِمَالِ
 كَذَا خَلِيلَ اللَّهِ فِي نَارِهِ مِنْ بَوْرِهِ أُهْدِي هَدَى الْخِلَالِ
 إِذْ قَالَ جَبْرِيْلُ لَهُ سَلْ تَنْلُ فَقَالَ عِلْمُ الْحَالِ حَسْبَ السُّؤَالِ
 وَنَالَ إِسْمَاعِيلُ مِنْهُ الْفِدَا بِالذَّبْحِ أَوْ إِسْحَاقُ إِنْ صَحَّ نَالَ
 وَهُودٌ أَسْتَجَلِي لَدَيْهِ الْهُدَى وَيُوسُفُ مِنْهَا تَحَلَّى الْجَمَالِ
 وَخِلْعَةَ الْإِشْرَاقِ مِنْهَا اكْتَسَى بِالطُّورِ مُوسَى عِنْدَ خَلْعِ النِّعَالِ
 وَالرُّوحُ رُوحُ اللَّهِ لَاقَى بِهَا بُشْرَى تَلَقَّتْهَا صُدُورُ الرِّجَالِ
 فِيمَا لَهُ نُوْرٌ انْتَقَاءَ بَدَا فِي غَرْرِ الْأَبَاءِ مِنْهُ انْتِقَالِ
 وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مَعًا وَالضُّحَى وَالشَّهْبُ مِنْهُ أَشْرَقَتْ وَالهِلَالِ
 وَنُوْرُهُ أَجْمَلِي ، وَبِرْهَانِهِ أَعْلَى ، وَكَيْمٌ مِنْ دُونِهَا مِنْ مَعَالِ
 تَفَجَّرَتْ أَنْمُلُهُ بِالنَّوْدَى مَعْنَى وَبِالْحَسَنِ جَرَتْ بِالزُّلَالِ (١)
 وَأَنْطَقَ الطَّيْرُ بِتَصَدِيقِهِ وَأَفْصَحَ الذَّنْبُ بِهِ وَالغُرَالِ
 وَسَبَّحَتْ فِي رَاحَتِيهِ الْحَصَى وَانْهَزَمَ الْجَمْعُ لِحُمُو الرَّمَالِ
 وَالْجِدْعُ إِذْ عُوِّضَ مِنْ وَصْلِهِ بِفِصْلِهِ حَنَّ حَنِيفِ الْفِصَالِ
 وَهَلْ إِلَى آيَاتِهِ مُنْتَهَى وَعَنْ عُلَى غَايَاتِهِ النُّجْمُ آلِ (٢)
 فَمَا بَلِيغٌ بِالغَا وَصَفُّهُ يَقْضُرُ عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ الْقِيَالِ
 وَبَعْدَ مَبْدَأِ (نُونٍ) أَوْ مُنْتَهَى (بِرَاءَةٍ) مَاذَا عَسَى أَنْ يُقَالَ (٣)

(١) في ط : « لاجمال » . بدل : « بالزلال » .

(٢) آل : رجع عاجزا .

(٣) يشير إلى ثناء الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم في مفتتح سورة (نون) ومختتم سورة (براءة) .

يا سيد الكونين فضلا به
 يا سابق الرسل اصطفاً ويا
 ياملجاً الخلق ومنجهاً
 يا من به نال الحبُّ الرضا
 رُحماك فينا يا نبيَّ الهدى
 رُحماك في أوطاننا راعِها
 رُحماك في سلطاننا وَالهِ
 رُحماك في غربتنا كن لها
 رُحماك في كُربتنا حلِّها
 رُحماك في عَيْلتنا أغنها
 رُحماك في قَلبتنا زكِّها
 صالت علينا بالوفور العدا
 صالت بعددٍ واعتداد معاً
 خَالتُ بآنا لا غِيثٌ لنا
 وبالغنى اختالتُ وما إن لنا
 فأنت للخلق ملاذ الوَرى
 صلى عليك الله نورَ الهدى
 قد ساد في الأولى ويومَ المآلِ
 خاتِمُهُمُ جمعاً لمعنى الكمالِ
 إذا بهم ضاق انفساحُ المجالِ
 ويا شفيعاً في الذنوب الثقَالِ
 فلم تزل رحماك ذات انهمالِ
 من لحظك الأحمى بهين ابتهاجِ
 من نصرك الأَمْضى بأرضى نوالِ
 أنسا فإن العهد بالأُنس طالِ
 منك بسرِّ فبهِ رهنُ اعتقالِ
 إنا على رِفدك طُراً عِيالِ
 زكاةً تكثير لجاه ومالِ
 وهل على راجيك غوثاً يُصالِ
 وما على ذلك الحمى يُستطالِ
 حاشى غِيثَ الخلق مما يُخالِ
 في غير أفياء غِناك اختيالِ
 والوزرُ الأَحْمى لَدَى ذِي الجلالِ
 أزكى صلاةٍ قُرنتَ (١) باتصالِ

[٨١]

انتهت القصيدة . ومن ذلك قوله رحمه الله :

لك يا فقيههُ وَضَعْتُ خَدَى في الثرى
 فأجاب ذلك لا يجوز لأنه
 طمعاً بوصلٍ منك غيرِ مؤجِّلِ
 عندى رباً من باب ضَعُ وتعجِّلِ

وقوله :

لى سـيِّدُ زار وما زرتُهُ
فَنِيَّ النقصُ ومنه التَّامُ
إنَّ يَحْتَمِلُ سَهْوِيَّ ففقهه مُضَى
لأنني المأمومُ وهو الإمامُ
[وطلما زار النعامُ الثَّرى
ولم يزرُ قطُّ الثرى للغام]^(١)

وقوله رحمه الله ، وهو غاية في بابه :

بعثتُ بها ذِكْرِي على ثقةٍ إلى
مؤمِّلٍ وعد من لقائك^(٢) سر قوبِ
فما زلتَ فذًّا في رءوس ذوى العلى
وما وعد رأسٍ مثل مَوْعدُ عر قوبِ

[وقوله :

عاب منى العداة شـعراً وثغراً
رُمِيَا في الصِّبا بشيبٍ وشينِ
قلت : لا عيب فيَّ ما دام فضل
في النهى واللسانِ والشفيتين]^(١)

وقوله :

قلت لما جَبَرْتُ بالعاج ثغراً^(٣)
رُمِيَا في الصِّبا بشيبٍ وشينِ
صاح لا بأس أن يعوج شَبَابِي
أما ترى الثغر عاجا

وقوله :

رَأَتْنِي أَحْوَطُ الثغرَ رَبِطاً فَأُصْحَكَتْ
وتاهت بثغرِ الجفونِ يُحَاطُ
فقلت لحوفِ الحَلِّ منه^(٤) ربطته
أينكرُ في الثغرِ المَخُوفِ رِبَاطُ

وقوله :

إلهي لك الشكوى وحسبي رحمةً
نداؤك في شكوى الخطوب إلهي

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « وفائك » .

(٣) في ط : « ثغري » .

(٤) في ط : « بالتلاقى » .

(٥) في ت : « منك » .

وحَقِّكَ ما للهوَ أبَدعتَ خلقتي وها أنا في غَيِّ البطالة^(١) لاهي
 بنفسى وشيطاني ودنياي والهوى فُتِنْتُ ولكن أنت حَسْبِي لاهي^(٢)
 ولنختم ما أردنا جلبه من نظمه الذي هو بحر لا ساحل له بقوله :
 ياربِّ قلتَ وقولُك الحق الذي أحكمتَ : إنك تستجيب لمن دعا
 فاختم لعبدك بالرضا واحكم له بالستر في الدنيا وفي الأخرى معا

* * *

[٨٢]

تعريف بالرئيس
ابن عاصم

وأما الرئيس أبو يحيى بن عاصم فهو الإمام العلامة، الوزير الرئيس، الكاتب
 البليغ الجليل الخطيب الجامع الكامل، الشاعر المفلق النائر، الحججة، خاتمة
 رؤساء الأندلس بالاستحقاق، القاضي محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن
 عاصم القيسي الأندلسي الغرناطي، قاضي الجماعة بها، كان رحمه الله تعالى من
 أكابر^(٣) فقهائها وعلمائها، أخذ عن الإمام المحقق أبي الحسن بن سمعة^(٤)،
 والإمام القاضي أبي القاسم بن سراج، والشيخ الراوية أبي عبد الله المنتوري،
 والإمام أبي عبد الله البياني وغيرهم، وذكر في شرحه تحفة والده أنه وُلِّيَ القضاء
 عام ثمان وثمانين وثمان مئة، وله عدة تأليف منها شرحه العجيب على تحفة والده
 في الأحكام، وهو كتاب نافع، فيه فقه متين، ونقل صحيح، وكانت بينه
 وبين عصره الإمام مفتي غرناطة أبي عبد الله السَّرْقَسْطِي، مراجعات
 ومنازعات في مسائل فقهية. ومن تأليفه رحمه الله: كتاب جنة الرضى، في التسليم
 لما قدر الله وقضى؛ وكتاب الرّوض الأريض، كأنه ذيل به إحاطة ابن الخطيب،

(١) في ت: « البلاغة » .

(٢) لاهي: أي يا إلهي .

(٣) في ط: « أكارم » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين: « سمعت » وهو تحريف .

وله غير ذلك ، وسنذكر شيئاً من كلامه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

ومن أغرب ما صدر عنه ، رضى الله عنه ، قصيدة ، تفك منها قصيدتان
أخريان بديعتان ، إحداهما من المكتوب بالأحمر ، والأخرى من المكتوب
بالأخضر ، وكل واحدة من هاتين البنتين تلد موشحة ، كما ستره ، وقد ألفتها
بخط بعض أعلام سبته ، وهو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن فرج ،
وجده محمد بن فرج هو الذى نأتى بجملة من نظمه فى النعل النبوية ، عند
ما نتعرض لذلك إن شاء الله تعالى ، فى محل هو أنسب من هذا الموضع ، وقد
سقط من هذه القصيدة نحو ثلاثة أبيات ، فعوضتها بغيرها على ذلك السن^(١) ،
على أن بعض كلماتها لم تسقط إلى طرف^(٢) .

قصيدة له تلد
بنتين فوشحتين
فى مدح السلطان
أبى الحجاج

ونص ما كتبه السبتي المذكور من نظم السيد الأستاذ العالم الصدر المفتى
القاضى رئيس الكتاب ، ومعدن الساحة ، ومنبع الآداب ، سيدى أبى يحيى
ابن عاصم رحمه الله ، ورضى عنه ، يمدح السلطان العادل المقدس المنعم المرحوم
المجاهد ، أبا الحجاج يوسف بن نصر ، قدس الله روحه ، ونضر ضريحه ، قال :
ونقلتها من خط ناظمها رحمه الله . انتهى . وهذه هى القصيدة^(٣) :

أما والهوى « ما كنتُ » مذ بان عهدُهُ أهِمِ بَلْتُمِيَا من (تَنَاسْرُ)^(٥) وُدَّهُ
رعى الله من « لو أنصف » الصب فى الهوى لما فاض منه (الدمعُ) مُذْ^(٦) بان صدّه

(١) فى ط : « النسق » .

(٢) يريد أن الأبيات الثلاثة الساقطة قد ظهر منها بعض كلمات .

(٣) وضعنا ما كتب بالمداد الأحمر فى الأصل بين هذين القوسين « ، وما كتب

بالأخضر بين هذين الهلالين () اقتداء بما فى نسخة ت .

(٤) فى ت : « إمام الهدى » .

(٥) فى ط : « تأسر » .

(٦) فى ط : « إذ » .

ولو جاد من « بعد المطال » بزورة
 كما خان صبرى يوم أصبح و « اصلى
 لذلك أسأل الدمع (كالدر) مدمعى
 حكي لؤلؤاً (من سلكه) متناثرا
 ذخرت (الثمين) القدر منه بمقلتي
 ولا عجب (مُذَاعوز) القرب أن غدا
 أي لحق بالثتميا أو (الوصل) من يغو
 وصير جسمي للصبابة (والتلا
 أقطع أنفاسي « عليه ك » آبة
 فمن شعره « الليل البهيم » ومن سنى
 (ب) حكيم « الدلال » الجور حكيم جوره
 له معطف « مستحسن القد » ناعم
 رمى في فؤادي جمرأا « ذكي » هيبته
 فيعبق من نار الحيا عاطر « الشذا
 ويسدو بأفاق ال (جمال ه) الاله
 كأن الطيبي في (مرتع) الطرف لحظه
 يروق (العيون) العطف منه فشبهت
 ويانه « لم ورد الخد » لو جاز (٣) قطفه

لما شب أشواقى وقلبي زنده
 لظى « زاد ماء (من جفوني) وقده
 من « الوجد » فاستولى على الجفن شهده
 و « إلا يم » قد تتابع مدده
 وما زلت من خوف « النكال » أعدده
 و « كالقمر الزاهي » سناه وبعده
 ر « في نوره » بدر السماء وجنده
 (ق) يتم قايي إذ تمكن وجده (١)
 والله (من بدر) لغيرى (٢) سعده
 مقبله له (حسن) نور يمهده
 ومن شأنه أ (لا قرين) يرده
 به (علة في الحب) بل رغم أسده
 به (طيبي أنس) قد تاهب خده
 ك « أنى بذالك الخال قد ندم نده
 له « الليل فرعاو » الكواكب عقده
 كأن « القنا في » اللين والفعل قدده
 به قصب البان « اعتدال » ما وملهده
 وطيب رحيق الثغر ل (وحل) وزده

(١) كذا في ط . والشر الثاني من هذا البيت غير مستقيم وزناً . وروايته في ت :

وصير جسمي للصبابة وابتلى

يتم قلبي إذ تمكن وجده

ولا تتفق ألفاظ هذه الرواية مع ألفاظ الموشحة التي تخرج من هذه القصيدة .

(٢) في ت : « لعمري » .

(٣) في ت : « حان » .

يَجُولُ بِهِ رِيْقٌ « شَهِيٌّ » يَحْيِلُنِي
 وَيَحْمِي الْمُحَيَّا وَ « اللَّيِّ » بِلَوَاحِظٍ
 فَلَهُ مِنْ رِيْمٍ ضُلُوعِي (كِنَاسَةٌ)
 وَيُمْنَعُ مِنْهُ الْمُسْتَهَامُ (فَمَا لَهُ)
 وَبِالْحَسَنِ مِنْهُ (يَسْتَبِيحُ) حَيِّ النَّهْيِ
 وَيُلَوِي بِ (دَيْئِنِي) فِي الْهُوَى وَهُوَ مُوسِرٌ
 أَفِي الْعَدْلِ أَنْ (يَحْكُمُ) بِتَحْرِيمِ رِيْقِهِ
 آخِيَلْتُهُ لَوْ نِيلَ (بِالنَّهْبِ فِي) الْكُرَى
 فَأَجْنِي كَمَا شَاءَ الْوِصَالُ « رُضَابُهُ »
 وَيَشْفِي بِذَلِكَ الْمَبْسِمِ « الْعَذْبُ » رِيْقُهُ
 وَحُلُو « الْجَنِي » مَرُّ الْجَفَا بَاهِرُ السِّ
 بَدَا « فِي الْمِثَالِ » كَالغَزَالِ مُحَاسِنًا
 وَلِلْحَبِّ يَدْعُ « وَلِحِظُهُ الْأَوْطَفُ » الْوَرَى
 تَمَلَّكَ رَقِي طَرَفُهُ « مَعَ سُقْمِهِ »
 وَأَظْهَرَ مَكْنُونَ الْهُوَى مِنْ ذِجَارِ (فِي الْوَرَى)
 وَقَدْ كَانَ تَحْتَ الْكَلِمِ (عُدْرِي) وَوَجَدَهُ
 وَيَحْسِبُهُ فِي (الْحَكْمِ) بِالْجُورِ « كِ » الْوَرَى
 إِذَا (بِالظَّنُونِ) الْكَاذِبَاتِ يَنَالُهُ

إِيَّاهُ لَطَمِي (فِي الْقَلْبِ) قَدْ شَبَّ وَقَدُهُ
 (عَنِ) الدَّنْفِ الْمُغْرَى بِهِ (١) فَتَصُدُّهُ
 وَرَوْضُ يُسَقِّمُهُ مِنَ الدَّمْعِ عَهْدُهُ
 [٨٤] وَ « فِي لُثْمِهِ » لَوْ جَادَ بِاللُّثْمِ قَصْدُهُ
 وَ « كَلَّ الْمُئِنَى » وَالْيُمْنُ يَحْوِيهِ بَرْدُهُ
 لَهُ دُرٌّ تَغْرُ « لَوْ يُنَالُ » وَعَقْدُهُ
 لِأَنَّ « كَانُ لِلشَّهْدِ » الْمَعْلَلُ وَرُدُّهُ
 « وَمَا ذُقْتُهُ » يَشْفِي مِنَ السُّتْمِ شَهْدُهُ
 وَيَجْنِي عَلَى قَلْبِي هَوَاهُ وَصَدَّهُ
 (فُؤَادِي إِذِ) يَشْفِي بِلِثْمِي حَذُّهُ
 (نِي لَهُ نَهْبُهُ) إِذَا الْقَلْبُ قَمَّرَا (٢) وَرُدُّهُ
 وَتَخْشَاهُ أَبْطَالُ (الْعَرِينِ) وَأَسَدُهُ (٣)
 (أ) لَا (هَكَذَا) قَلْبُ الْمَشُوقِ أَقْدُهُ
 وَ (الشَّرْعِ) فِي حَكْمِ الْغَرَامِ يَرُدُّهُ
 مُعْنَى (أ) لَذِي قَدْ طَالَ فِي الْحُبِّ جَهْدُهُ (٤)
 فُ « أَسْمَرُ مِنْهُ » مَا اخْتَفَى قَبْلَ صَدِّهِ
 وَهَلْ بَا « اسْلِيمِ » الْقَلْبُ يُحْسِبُ ضَدَّهُ
 يَنَامُ فَحَكْمُ عَمِ « اللَّيَالِ » يَ سُهْدُهُ

(١) في ط : « بها » .

(٢) في ت : « سرا » .

(٣) هذا البيت ساقط في ت .

(٤) في ط : « ججده » .

يلد «وح سنن» ا «ه» للَشُّوقِ وقربه
 وفي مجتلاه «الباهر» الحُسْنُ والرُّوا
 وأنش بالإِنصاف «مهما بدا» وإن
 ويبيديه نور الحسن وَهَنَّا «لمقتى»
 يميل على المشتاق (بالهجر) حكمة
 فياها جرى (والصدّة) للصب قاتل
 أما (والفتون) البابلي وسحره
 ويأبى قولى (مالى سوا) ك مؤازر
 فصغ لؤلؤا من (مدحى ابن) ملوكتنا
 مَنْ أورثه الملك المؤصل (نصر) ه
 لباب العلى «قطب المعالى و» تاجها
 به قد غدا تفر «الهدى» وهو باسم
 «و» أضحى «الكمال طود» ه فإن اعتدى
 ومهما عفا عاد «الحجا» وهو قاتل
 وبالشَّم يُزرى عقله «الأرجح» الذى
 فمعنى الخلى تهديه للقلب ذاته
 ومن كفه (غيث الندى) وغمامه
 إذا انهل منه (الواكف ال) ثر للورى

عليه حرام إذ (يحلل) بعده
 حياتى ، وشبهه (القتل) للنفس فقدته
 أرى (منه ظالماً) عاود القلب وجده
 ويخفيه فرغ فاحم الوصف جعده
 ف «منه» استعار الميل عنى قدّه
 وروض «نعيم» فى رضاك وخلده
 ليقنعنى هزل «الوصال» وجده
 ف «خل الهوى وامدح» لمن حقّ حمده
 «إمام الورى» الباهى على الخلق رفته (١)
 وأكسبه المجد المؤثّل سعده
 و(بدر الهدى) ووضّاح فى الدهر (٢) سعده
 منير سناه (مشرق) الأفق سعده
 على البدر نقص ف (الجبين) يمده
 ك(ذا الحلم والصفح) الذى أستعده
 لنج (٣) والمعالى والمجادة قصده
 و «سر العلى» يبيديه للعين مجده
 و «معنى السماح» المستراح ورغده
 فصنّه «و الندى و» الجود قد لذورده (٤)

[٨٥]

(١) فى ط : « الباهى على الخلق فده » .

(٢) فى ت : « فى البحر » .

(٣) فى ت : « له والمعالى » .

(٤) هذا البيت ساقط فى ط .

تخال (هتُون) البذل منهن زائلا
 وكل « نوال ه » امل من بنانه
 وفيض نداء « يشرح » الحال إنه
 (و) في غيظه التَّجَاج « للمعتق » الغنى
 والفضل والإحسان والبأس (سبة) ه
 وأفعاله عند استباق (المدا) شأت
 له مشرفي (دائم ال) قطع للطلا
 وبين (سكون) في الندى من الحجا
 وزينه من (قصده الجمع) للُعلا
 وحزم وعزم (بين بكر) وثيب
 فيوم الندى الإسلام يسعد دهره
 ومن بأسه « أضحى الحام » تَمَنُّعًا
 وتُمسى عداه « كالحميم » شراهم
 ويغدو « الموالد » في « سرور وغبطة
 قد اعتاد « ترك الكافر » ين وشأنهم
 فأبطالم « رهن الفنا » ه « و » ما لهم
 ولم يبق إلا من حمى الحسن (للعطا)
 وأصبح في العلياء (كالبحر) كفه
 فصوب الحيا (في جوده) برقه الظبي

يُكَيِّمُه برق « الجلال » ورعده^(١)
 فأقصى صفات الجود (قد جاز) جوده
 يمد الحيا (في السماح) إذ يستمده
 إذا ب (الأيادي) منه يبدأ رِفده
 وللملك والإسلام والعلم عَضُدُه
 و « فعل ظباه با » لكُباة وجُرده
 فكل كمي لـ « لعدا في » ه فقده
 (و) بين مضاء ب « القتال » يُعده
 كما زَيْن ا « لسيف » الصقيل فِرِنده
 ب « المرهف » الماضي يُفَلِّل حَدُّه
 و « يوم الوعى » الإشراف يتعس جده
 و (للفخر) منه صارم يستعده
 وما شيدوا (في دهره) فيهده^(٢)
 من البشر أباكرا (وعون) تَوَدُّه
 لهيب (وشأن ه) بما مل الدمع ورده
 إلى (البذل) عقباه وبالسيف رده
 وشفع في أـ (يا) ه^(٣) منه خذّه
 كما « قد غدا مثل ال » جواهر رِفده
 يريك « هشيم » الكفر مما يَمُدُّه

(١) هذا البيت ساقط في ط .

(٢) في ت : « لم يهده » .

(٣) في ط : « أحياه » .

ونَدَاهُ (المَعِين) الثَّرَّ قد نَمَّ الهدى
 وأَحْكَمَ «م رَفَع» المَلِكُ إِذْ نَصَبَ العَدَا
 أَيَا سَامِي «الْقَدْر» الَّذِي جَلَّ ذِكْرُهُ
 صِفَاتِكَ فِي العُلِيَا «عَزِيز» مَنَاهَا
 فَمَا شِئْتَهُ مِنْ عِزَّةِ الجَارِ وَ «الْحَمِي»
 وَأَبْعَدْتَ فِي (وَصِفِ العَلِي) عَنِ مَسَابِقِ
 وَجُودِكَ (فِيهِ ذُو) الرَّجَا مَغْرَمٌ فَإِنْ
 وَكَمْ مِنْ (فَنُونَ) يَسْتَمِدُّ بِهَا الضَّحَى
 وَكَمْ بَاتَ يَتَلَدُّ (وَسُورَةُ) الفَتْحِ عِزْمُهُ
 وَأَصْبَحَ بِاسْتِحْقَاقِهِ (الْحَمْدُ مِنْ) أَوْلَى الْإِلَهِ
 بَعْدَلٌ وَإِحْسَانٌ قَدَّ اخْتَلَمَتْهُمَا
 وَبَأْسٌ وَبَطْشٌ يَحْمِيَانِ «حَمَى الهَدَى»
 وَحَلْمٌ «وَجُودَهَا» تَنْ «ن» وَمَكَارِمٌ
 وَكَيْفٌ «يُنَالُ» المَدْحُ أَوْ صَافٍ مَا جَدَّ
 يَمُّ بَعْدُ «وَخَصَّ بَالُ» ذَنْبَ نَطْقِهِ
 وَلِلسَيْفِ نَصْرِيَا بِنِ «نَصَرَ عَلِي» العَدَا
 وَلِلْمَلِكِ عِزًّا كَسَبَ الذَّلَّ «مَنْ بَغَى»
 فِي ذِمَّةِ العُلِيَاءِ (تَلَكَّ الخِلَا) العُلَى
 أَتْرَتَ بِهَا مِنْ (فَاحِمِ) ظَلَمَ مَا دَجَا
 فَزَالَتْ (دَجُونَ) الجُورِ عَنِ مَطْلَعِ الهَدَى
 هُوَ «الْمَلِكُ» لَمْ تَغْبِطْهُ إِلَّا نِزَارُهُ

ويشقى به حزب «الضلال» وجندهُ
 على حال ذل (نال من) ضل^(١) جهدهُ
 ويا محرز (المجد) الذي غر نده
 لها (كل طبع) أحرز الفضل فرده
 «وقد» رسما فوق السماكين مجده
 لها و «تداني» من نوالك رغه
 حمى «جوده» ذم المهلب أزدُه
 إذا ما تنأى «الغمال» ممدُه
 ويحك «م مثل الأمور» النهى وجده
 عدالة في «الأحكام قد» بان رشده
 (حلاه) كما آخى المهني د غمده
 فحتى (لقد ت) لني مع السرح أسده
 (لاهن كل) الوصف عنها وجهده
 يود العلاء (حينه) ا وحيننا توده
 و (تهدى إلى الرشيد) المبين ألدُه
 فساعة (إذ يجلي) جلي الكفر حده
 فحقت به من مؤلم القهر نكده
 و «لما بدت» للدين أنجز وعده
 جلت «سعوده» ن الملك عضده
 فنور سنه «في اقتبال» وسعده
 بما ليس في إبه (كأنها) ومعدُه

[١٦]

(١) في ط: «كل» .

وفي منتهاك «الأشرف» الأصل للورى
 ويُمناك يوم الجود «ترب الحيا» اغتدت
 لك المرهفُ السفاح بالفتح (مُتَنَّى)
 وجمعت شتى الجود (في وتر) راحة
 فكم كامل (الأوصاف والاذات ماجدٍ
 على (يمين قل) تها غير حانث
 فقد عز في الدنيا (له المثل) في العلى
 وأين المُسامى (والمُضاهى) مجادة
 كريم المسامى حافظ الدين و«الهدى
 ففي الفخر أضحى «الفضل والمجد» طبعه
 ومحمد السامى «الكريم» نجاره
 فشتى «الخلال» الغرُّ جُمعنَ عنده
 ودونك يا مولاي حسناء غادة
 مُرنحة الأعطاف تلعب بالنهى
 هدية عبد مخلص لك قلبه
 فالفاظها تحكى جُمان دُموعه

قال جامع هذا التصنيف : أشار الرئيس أبو يحيى بهذا الشطر الأخير إلى

الكاغد الأصفر الذى كانت فيه هذه القصيدة مكتوبة ، ثم قال :

وأناقسها من كل لون غريبها وترتيبها من ذاته يستتبعده
 فأكلها من مقلتي أستميحه وأحمرها من أدعى أستتمده

وأخضرها من طيب عيشى الذى مَضَى لديك وأرجو بالرضا تسترُّهُ (١)
 وأعجب شىء أنها بكر فِكْرَتِي وما بَلَغَتْ مِعْشَارَ شَهْرٍ نَعْدُهُ
 وقد ولدت بُنْتَيْنِ ثِنْتَيْنِ مِثْلَهَا يروك من معناها ما تَوَدُّهُ
 وكلتاها قد جُرِّدَت من نظامها موشحة كالسيف راق فِرْنَدُهُ
 نغذها ففيها للتواظر مَسْرُوح ومن مدحك (٢) الحسن الذى تَسْتَمِدُّهُ
 بقيت كما تهواه ما هَبَّتِ الصَّبا فمالت بها بان العذيب ورَنَدُهُ

اتتهت القصيدة الفريدة ، وهأنا أذكر البنتين اللتين وُلِدَت ، ثم أذكر
 ما وُلِدَت كل واحدة منهما بحول الله وقوته .

فأما القصيدة الخارجة من المكتوب بالأخضر [فهذا نصها ، وتوشيحها
 ينتظم من المكتوب فيها بالأخضر] (٣) وهى هذه :

(تَنَارُ الدَّمْعِ) مِنْ جُمُونِي (كالدر) مِنْ سِلْكِهِ التَّمِينِ
 (مُدُّ أَعْوَزِ الوصلِ) وَالتَّلَاقِي (من بدر) حَسَنُ بِلَا قَرِينِ
 (عَلِقْتُ فِي الحَبِّ) ظَبْيِ أَنْسِ (جماله) مَرْتَعُ العَيُونِ
 (وَحَلَّ فِي القَلْبِ) عَن كِنَاسٍ (فماله) يَسْتَبِيحُ دِينِي
 (يَمْحُكُمُ بِالنَّهْبِ) فِي فَوَادِي (إذ ناله) نَهَبَهُ العَرِينِ
 (أَهَكَذَا الشَّرْعِ) فِي المَعْنَى (المعذرى) وَالْحَكْمُ بِالظَّنُونِ
 (يُحَلِّلُ القِتْلَ) مِنْهُ ظَلَمًا (بالحجر) وَالصَّدُّ وَالْفَتُونِ
 (مَالِي سَوَى مَدْحِي) ابْنَ نَصْرِ (بدر الهدى) المَشْرِقَ الجَبِينِ
 (ذَا الحِلْمِ وَالصَّفْحِ) وَالمَعَالِي (غيث الندى) الوَاكِفَ الهَتُونِ

(١) فى ت : « نستمده » .

(٢) فى ط : « مدحها » .

(٣) زيادة عن ت .

[٨٨]

(قد جاز في السمح) وَالْأَيَادِي (سبق المدى) دَأْمُ السُّكُونِ
 (وقصده الجمع) بَيْنَ بَكْرٍ (للفخر) فِي دَهْرِهِ وَعُونَ
 (وشأنه البذل) لِلْعَطَايَا (كالبحر) فِي جُودِهِ الْمَعِينِ
 (نال من الجحد) كُلِّ طَبْعٍ (وصف العلاء) فِيهِ ذُو فَنُونِ
 (وسور الجحد) مِنْ حِلَاةٍ (لقد تلا) هُنَّ كَلَّ حِينِ
 (تهدى إلى الرشد) إِذْ تُجَلِّي (تلك الحلى) فَاحْمَ الدُّجُونِ
 (كأنها الشفع) فِيهِ مَثْنِي (في وتر) الْأَوْصَافِ وَالْيَمِينِ
 (قل له المثل) وَالْمُضَاهِي (في الدهر) فِي رِفْعَةٍ وَدِينِ

انتهت البنت الخضراء ، وهذا نص بتمها الموشحة ، المستخرجة من الأخضر :

الموشحة الأولى

تَنَاطَرَ الدَّمْعُ ، كَالدَّرِّ مُذْ أَعْوَزَ الْوَصْلُ ، مِنْ بَدْرِ
 عَلِمْتُ فِي الْحُبِّ جَمَّالَهُ
 وَحَلَّ فِي الْقَلْبِ فَمَّالَهُ
 يَحْكُمُ بِالنَّهْبِ إِذْ نَمَّالَهُ
 أَهَكَذَا الشَّرْعُ ، الْعُذْرِي يُحْمَلُ الْقَتْلَ ، بِالْهَجْرِ
 مَالِي سِوَى مَدْحِي بَدْرَ الْهُدَى
 ذَا الْحِلْمِ وَالصَّفْحِ غَيْثَ النَّدَى
 قَدْ جَازَ فِي السَّمْحِ سَيْقَ الْمَدَى
 وَقَصْدِهِ الْجَمْعُ ، لِفَخْرِ وَشَأْنُهُ الْبَذْلُ ، كَالْبَحْرِ
 نَالَ مِنَ الْجَحْدِ وَصَفِ الْعَلَا
 وَسُورَ الْجَحْدِ لَقَدْ تَلَا
 تَهْدَى إِلَى الرُّشْدِ تِلْكَ الْحِلَى
 كَأَنَّهَا الشَّفْعُ ، فِي وَتْرِ قَلَّ لَهَا الْمَثَلُ ، فِي الدَّهْرِ

انتهت .

ويمكن أن تستخرج باختصار هكذا^(١) :

تنثر الدمعُ ، مُذْ أعوزَ الوصلُ
عَلِمْتُ فِي الحَبِّ ، وَحَلَّ بِالقَلْبِ ، يَحْكُمُ بِالنَّهْبِ
أَهْكَذَا الشَّرْعُ ، يُحَلِّلُ القَتْلَ ؟
مَالِي سِوَى مَدْحِي ، ذَا الحِلْمِ وَالصَّفْحِ ، قَدْ حَازَ فِي السَّمْحِ
وَقَصْدِهِ الجَمْعُ ، وَشأنَهُ البَذْلُ
لَهُ مِنَ المَجْدِ ، وَسُورِ الحَدِّ ، تَهْدِي إِلَى الرِّشْدِ
كَأَنَّهَا الشَّفْعُ ، قَلَّ لَهَا المِثْلُ

[٨٩]

انتهت .

وأما البنت الحمراء فهي الخارجة من المكتوب بالأحمر ، وتوشيحها ينتظم من

البنت الثانية

المكتوب فيها بالأحمر ، وهذا نصها :

« مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفُ » بِعَدِ المَطَالِ
« كَأَلْقَمِ الزَّاهِي » فِي نُورِهِ
« مَسْتَحْسِنِ القَدِّ » ذَكَى الشُّدَا
« مُورِدُ الخُدِّ » شَهِيءُ اللَّمَى
« كَأَنَّ لِلشَّهْدِ » وَمَا ذَقْتُهُ
« وَحِلْظُهُ الأَوْخُفُ » مَعَ سُقْمِهِ
« وَحُسْنِهِ البَاهِرُ » مَهْمَا بَدَا
« خَلَّ الهَوَى وَامدَحِ » إِمَامِ الوَرَى
« أَصْلَى لَغَى الوَجْدِ الأَلِيمِ » النِّكَالِ
« عَلَيْهِ كَاللَّيْلِ البَهِيمِ » الدَّلَالِ
« كَاللَّيْلِ فَرَعَا وَالقَنَا » فِي أَعْتَدَالِ
« فِي نَمِّهِ كُلِّ الأَمْنَى » لَوْ يُنَالِ
« رِضَابُهُ العَذْبِ الجَنَى » فِي المِثَالِ
« أَسْمَهُ مِنْهُ كَالسَّلِيمِ » اللَّيَالِ
« لَمَقَاتِي مِنْهُ نَعِيمُ » الوِصَالِ
« قُطْبِ العَالِي وَالهَدَى » وَالكَمَالِ

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت .

« طَوَّدَ الحِجَابَ الأَرَجِحَ » سرَّ العلى
 « نَوَّالُهُ يَشْرَحُ » للمعتدِّ في
 « لَسِيْفُهُ المَرْهَفِ » يوم الوغى
 « فَيَتْرُكُ الكَافِرَ » رَهْنُ الفَنَاءِ
 « مَرْقَعُ القَدْرِ » عَزِيْزُ الحِمَى
 « مُمَثِّلُ الأَمْرِ » والأحكام قد
 « وَخُصَّ بالنَصْرِ » على من بَغَى
 « المَلِكُ الأَشْرَفُ » تَرَبُّبُ الحَيَا
 « يَوسُفُ النَّاصِرُ » دِينَ الهُدَى

انتهت البنت الحمراء .

وهذا نصُّ مَوْشِيحَتِهَا ، وهى بنتها ، الخارجة منها من المكتوب بالأحمر :

الموشحة الثانية

مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفُ أَصْلَى لَطَى الوَجْدِ الأَلِيمِ
 كَالقَمَرِ الزَاهِي عَلَيْهِ كَاللَّيْلِ البَهِيمِ

مُسْتَحْسِنُ القَدِّ كَاللَّيْلِ فَرَعًا وَالقَنَا
 مُورِدُ الخَدِّ فِي لُئْمِهِ كُلِّ المُنَى
 كَأَنَّ للشَّهَادِ رِضَابَهُ العَذْبَ الجَنَى

وَلحَظَّهُ الأَوْطَفُ أَسْبَهْرُ مِنْهُ كَالسَّلِيمِ
 وَحَسَنُهُ البَاهِرُ لَمَقَاتِي مِنْهُ نَعِيمِ

خَلَّ الهوى وَامدَحُ قطب المعالي والهدى
 طوَدَ الحِجَا الأَرَجِحُ معنى السباح والندى
 نواله يَشْرَحُ فعل ظبَاه بالعدا

لسيفه المرفف أضحى الحمام كالحميم
 فيترك الكافر وقد غدا مثل المشيم

مرفع القدر وقد تدانى جوده
 ممثل الأمر حمى الهدى وجوده
 وحُصَّ بالنصر لما بدت سعوده

الملك الأشرف غيث الندى الهامى العميم
 يوسف الناصر ذو الفضل والمجد الكريم

ويمكن اختصارها أيضاً هكذا :

ما كنت لو أنصف ، كالقمر الزاهر
 مستحسن القدر ، مورد الخد ، كأن للشهد
 ولحظه الأوظف ، وحسنه الباهر
 خل الهوى وَامدَحُ ، طوَدَ الحِجَا الأَرَجِحُ ، نواله يَشْرَحُ
 لسيفه المرفف ، فيترك الكافر
 مرفع القدر ، ممثل الأمر ، وحُصَّ بالنصر
 الملك الأشرف ، يوسف الناصر

قلت : وإنما لم أجزم بهذه المختصرة لأجل أن الناظم صرّح بأن كل واحدة من البنيتين الحمراء والخضراء لم تلد إلا موشحة واحدة من البنيتين ، ولو ولدت موشحتين لصرّح بذلك ، ولا شك أن الموشحة غير المختصرة أتم معنى ، وأكمل مساقاً ، فالأصوب الاختصار عليها ، وإن كان يمكن استخراج أكثر منها لمن تأمل حق التأمل ، والله تعالى أعلم .

وعلى كل حال فقد أبدع هذا الرئيس في هذه القصيدة ، وإن كان فيها بعض تكافؤ ، وقصده أبدع من قصد صاحب عنوان الشرف الشامي^(١) . لأن هذا أخرج من الخارج شيئين^(٢) على ما لا يخفى ، غير أن صاحب عنوان الشرف أطال ، واستخرج أربعة علوم متباينة ، من أول وهلة ، وكلاهما قد أبدع رحمه الله ؛ ولم أتحقق : هل وقف ابن عاصم على كتاب عنوان الشرف ، فاهتدى بأضوائه أم لا ؟ والله تعالى أعلم .

موازنة بين ابن عاصم وصاحب عنوان الشرف الشامي

ومن كتاب جنة الرضى له رحمه الله ما نصه^(٣) :

مختار من كتابه جنة الرضى

« الحمد لله الذى عوّض من الخلاف وفاقاً ، وأعقب من الافتراق اجتماعاً وانتافاً ، وهيباً لأسواق الائتلاف برفع الخلاف^(٤) نفاقاً ، ويسر لوطن الجهاد^(٥) من توثير المهاد أرفاقاً ، وزين بأنجم المسعود من النصر الموعود آفاقاً ، وعقد على جمع الكلمة من الأمة المسامة إجماعاً وإصفاقاً . نجمده سبحانه وهو الحمدود بجميع اللغات ،

(١) كذا في الأصلين . واسم الكتاب : « عنوان الشرف الوافي ، في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والفوائى » ، وهو لشراف الدين بن المقرئ إسماعيل بن أبي بكر النجيبى ، المتوفى سنة ٨٣٧ هـ . (انظر كشف الظنون) .

(٢) في ط : « أشياء أخر » .

(٣) العبارة « له رحمه الله ما نصه » : ساقطة في ت .

(٤) في ت : « الاختلاف » .

(٥) في ت : « الاجتهاد » .

ونشكره على ما سَنَى من آمال على وَفْقِ الأُمْنِيَةِ مُبَلَّغَاتٍ ، وَنُتْنَى عَلَيْهِ بِمَا أَسَدَى مِنْ عَوَارِفِ نُحُورَاتٍ ، وَمَوَاهِبِ مُسَوِّغَاتٍ ؛ حَمْدًا نَسْتَكْثِرُ مِنْ دُرَرِهِ النَّفِيسَةِ إِتْفَاقًا ، وَأَمَانَتِهِ الْعَظِيمَةِ فَلَا نَأْبَى مِنْ حَمَلِهَا إِشْفَاقًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّهُ اللهُ (١) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ؛ شَهَادَةٌ تَرْفَعُ لَوَاهِهَا الْمَرْنَجَ (٢) الْعَدْبَاتِ خَفَاقًا ، فَلَا لَاقِي بَعْدَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ لِمُقَاصِدِ السَّعَادَةِ إِخْفَاقًا (٣) ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنَبِيُّهِ الْمُصْطَفَى وَخَلِيلِهِ ؛ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ، وَنُورِ الظُّلْمَةِ ، وَشَفِيعِ الأُمَّةِ ، وَالْمَبْعُوثِ بِالْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ، وَالْجَمُوعِ لَهُ بَيْنَ مَزِيَةِ السَّبْقِ وَمَزِيَةِ التَّمَتُّةِ ؛ شَهَادَةٌ تَسْتَحْفَظُ بِقَاعِ الأَرْضِ أَرْفَاقًا ، فَلَا تَخْشَى مَعَهَا الْقُلُوبَ ، وَقَدْ حَصَلَ مِنْهَا الْغَرَضُ الْمَطْلُوبُ ، شُكْرًا وَلَا نِفَاقًا ؛ وَنُصَلِّيْ عَلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، الْمَبْعُوثِ بِالْخَلْقِ الْعَظِيمِ ؛ صَلَاةَ نَحْلٍ بِهَا مِنْ عُقْمَةِ الذِّكْرِ وَثَاقًا ، وَنُؤَكِّدُ بِهَا الْقَبُولَ إِذَا عَارَضَ الْعَمَلَ الْقَبُولَ مِثَاقًا ؛ وَنَرَضَى عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ ، وَعَشِيرَتِهِ وَحِزْبِهِ ، الْمُتَخَصِّصِينَ بِقَرْبِهِ ، الْفَائِزِينَ بِالرِّضَا مِنْ رَبِّهِ ؛ أَوْ كَرَّمَ النَّاسَ أَعْرَاقًا ، وَأَعْظَمَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ إِطْرَاقًا ، وَأَبْهَرَهُمْ فِي مَقَامَاتِ الْمَدَايِدِ إِشْرَاقًا ؛ وَنَسْتَوْهَبُ مِنْهُ التَّأْيِيدَ وَالنَّصْرَ ، وَالْمُتَّحِجَ الَّذِي تَقْوَتْ عَجَائِبُهُ الْحَضْرَ ، وَالْمَنْحَ الَّذِي لَا تَعْرِفُ صَلَاةَ صَلَاتِهِ الْقَصْرَ ؛ لِهَذِهِ الْخِلَافَةِ الْغَالِبِيَّةِ ، الَّتِي أَطْبَقَتْ عَلَى الْإِغْضَاءِ أَجْدَاقًا ، وَأَظْهَرَتْ مِنَ الْحِلْمِ لِمَا كَانَ مِنْ مَكْتُونِ الْعِلْمِ صِدَاقًا ؛ وَنَبْتَهْلُ إِلَى اللهِ فِي دَوَامِ أَيَّامِهَا ، وَإِعْلَاءِ أَعْلَامِهَا ، وَإِمْضَاءِ ذَابِلِهَا الْمَرْهُوبِ وَحُسَامِهَا ؛ حَتَّى يَتَنَفَّسَ الْإِسْلَامُ خِنَاقًا ، وَتَسِيرَ بِهَا الرِّفَاقُ ، وَقَدْ تَهَادَتْهَا الْآفَاقُ ، وَخُدَّاءُ وَإِعْنَاقًا ، وَتَخَضَّعَ لَهَا الْجَبَابِرَةُ ، وَالْمُلُوكُ الْقِيَاصِرَةُ ، رِقَابًا وَأَعْنَاقًا ؛ وَنَمُدُّ إِلَيْهِ

[٩٢]

(١) في ط : « الذي » .

(٢) في ط : « المترنج » .

(٣) هذه العبارة ، من قوله : « فلا لاقى » إلى قوله : « إخفاقا » ساقطة في ت .

يَدَ الافتقار ، ونبسط كف الضراعة والاضطرار ؛ في كَفِّ التَّن ، عن هذا الوطن ؛
وكف الكفار ، عن هذه الديار ؛ وتيسير الفرج القريب ، لهذا القطر الغريب ؛
وتسهيل الصعب العسير ، لهذا الصقع النائي عن الولي والنصير ؛ فيجمع بين (١)
القلوب النافره ، والنفوس المتنافره ، افتراقاً ؛ ويجعل دم العُداة بسيوف الحُماة
السكامة مُراقاً ؛ ويُتخف بأنبائه المعجبه ، وأخباره المغربة المطربة ، شاماً وعراقاً .

أما بعد ، فإن الله على كل شيء قدير ، وإنه بعباده لخبير بصير ، وهو لمن
أهل نيته ، وأخلص طويته ، نعم المولى ونعم النصير ؛ بيده الرفع والخفض ،
والبسط والتقبض ؛ والرشدُ والغنى ، والنشر والطحى ؛ والمنح والمنع ، والضر والنفع ؛
والبطء والعَجَل ، والرزق والأجل ؛ والمَسْرَّة والمساءه ، والإحسان والإساءه ؛ [٩٣]
والإدراك والفوت ، والحياة والموت ؛ فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ،
فهو الفاعل في (٢) الحقيقة ، وتعالى الله عما يقول الآفِكُون ، وهو السكفيل بأن
يُظْهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ؛ وإن في أحوال الوقت الداهية ،
لندِكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وعبرة لمن تفهم قوله تعالى :
إن الله يفعل ما يشاء ، وإن الله يحكم ما يريد ؛ فبينما النُسُوت عامره ، والوُلاة
آسره ؛ والفئة مجموععه ، والدعوة مسموعه ؛ والإمرة مُطاعه ، والأجوبة سماعه
وطاعه ؛ إذا بالنعمة قد كُفِرت ، والذمة قد خُفِرت .

ثم قال رحمه الله :

« والسعيد من اتعظ بغيره ، ولا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً ، جعلنا الله ممن
قضى بخيره ؛ وبينما الفرقة حاصله ، والقطيعة فاصله ، والمصرّة واصله ؛ والحبل

(١) في ت : « به من » .

(٢) في ط : « على » .

في انبتات ، والوطن في شتات ، والخلاف يمنع رعى ممتات^(١) ، والقلوب شتى من قوم أشتات ؛ والطاغية يتمطى لقضم الوطن وقضمه ، ويلحظه لحظ الخائف على هضمه والأخذ بكظمه ، ويتوقع الحسرة^(٢) إن يأذن الله بجمع شمله ونظمه ، على رغم الشيطان ورغمه ؛ إذا بالقلوب قد ائتلفت ، والمتنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت ، والأفئدة بالألفة قد اقتربت إلى الله وازدلفت ، والمتضرعة إلى الله قد ابتهت ، في إصلاح الحالة التي سلفت ؛ فألقت الحرب أوزارها ، وأدنت الفرقة النافرة مزارها ، وجلت الألفة الدينية أنوارها ، وأوضحت العصمة الشرعية آثارها ، ورفعت الوحشة الناشبة أظفارها أعذارها ، وأرضت الخلافة الفلانية^(٣) أنصارها ، وغضت الغئة المعترضة^(٤) أبصارها ، وأصلح الله أسرارها ؛ فتجمعت الأوطان بالطاعة ، والتزمت نصيحة الدين بأقصى الاستطاعة ، وتسابقت إلى لزوم السنة والجماعة ، وألقت إلى الإمامة^(٥) الفلانية يد التسليم والضراعة ؛ فتقبّلت فيئاتهم ، وأحمدت جيئاتهم ؛ وأسعدت آمالهم ، وارْتَضِيَتْ أعمالهم ؛ وكملت^(٦) مطالبهم ، وتممت ما ربههم ؛ وقضيت حاجاتهم ، واستمعت مناجاتهم ؛ وألستهم بالدعاء قد انطلقت ، ووجهتهم في الخلوص قد صدقت ، وقلوبهم على جمع الكلمة قد اتفقت ، وأكفهم بهذه الإمامة الفلانية قد اعتلقت ، وكانت الإدالة في الوقت على عدو الدين قد ظهرت وبرقت .

[٩٤]

(١) الثبات (بفتح الميم) : ما يتوسل به من حرمة أو قرابة أو نحو ذلك .

(٢) في ت : « المسرة » .

(٣) يريد خلافة الغالب بالله صاحب غرناطة ، وقد سبق التصريح بذلك .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « المعترضة » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأمانة » .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وقلت » .

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

[وكفّت^(١) ، بقدره ربه ، القدرة القاهرة^(٢) ، والعزة الباهرة ، من عدوان الطاغية غوائل ، بإعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فوائح وأوائل .
ومعلوم بالضرورة أن الله لطيف بعباده حسبما شهد بذلك برهان الوجود ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها دليل على ما سَوَّغَ الكرمُ والجدود ؛ وإن من أعظم نعمه التي يُعْجِزُ عن أداء شكرها ، وإن طالت آماد الأعمار ، ويُتناغى في الثناء عليه في أمرها ، فلا يبلغون من ذلك معشار المعشار ، وتجارى الألسنة والأقلام في تقرير وصفها ، فلا تصل من ذلك إلى حد يُقنع ولا إلى مقدار ؛ وفي مثلها قال الله تعالى]^(٣) : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأتف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار » . وما ذلك إلا منةٌ قدرها عظيم ، وخطرُها جسيم ، وصراط العدل بها مستقيم ، وبها أمتن الله في قوله : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » إلى : « حكيم » .
فهل يُستطاع شكرُ النعمة التي لا يكون إنفاق الأرض جميعا لها قيمه ، أو يختلف اثنان بوجه أو حال في كون هذه النعمة عظيمة ، أو يتأرى أحدٌ في كون جمع الكلمة في هذا الوطن الغريب منةً كبيرة ومنحة كريمة !

ومن استقرأ التواريخ المنصوصه ، وأخبار الملوك المقصوصه ؛ علم أن النصارى دمرهم الله لم يدركوا في المسامين نارا ، ولم يرفعوا^(٤) عن أنفسهم عارا .

(١) كفت : صرفت ومنعت .

(٢) في نفع الطيب : « وكفت القدرة القاهرة » .

(٣) ما بين القوسين زيادة عن ت .

(٤) فيما مر من هذا الجزء (س ٥٠) : « ولم يرفعوا » .

قال جامع الموضوع وفقه الله :

قد قدّمتُ هذا من كلام الرئيس ابن عاصم ، وهو قوله : « ومن استقرأ التواريخ المنصوصة » فراجعها فيما سبق ، إلى قوله هناك : « وروية وارتجال » .
ثم قال هنا بإثره ما نصه :

« إلى أن استقلت هذه الدولة الفلانية على قواعدها ، واستقرت بأحلامها الراجحة ، وأعلامها الشامخة ؛ واستمرت على قوانين من السياسة كانت ضابطةً نشر الملكة عن الافتراق ، واستظهرت أبنائها الغرُّ من الوفاء بشيمٍ اعتلت بها أتم الاعتلاق ؛ حفظ الله الدولة الفلانية إلا في التُدْره ، ووقاها من ذلك الأمر الصعب بوقاية من الإِكتساب ووقاية من القدره ؛ وتناولت الأيام ما بين مهادنة ومقاطعة » .

[٩٥]

وقال جامع الموضوع وفقه الله : راجع تمام هذا الكلام فيما قدمناه إلى قوله هنالك : « اللهم احفظ علينا العقل والدين ، واسلك بنا سبيل المهتدين » .
وقال هنا بإثره ما نصه :

« وإِنما النعمة التي لا يُقدَّر قدرُها ، ولا يُوفَّى شكرُها ؛ هي التي تكفَلتُ بتبيينها تكمييفات [الأقدار ، وانجَلت عن بيانها تدييرات الفاعل المختار ؛ فجمع الله بها القلوب ، وهياً] ^(١) الغرض المطلوب ؛ وتتابعت بيعاتُ البلاد ، وتوافقت أهواءُ العباد ؛ وانتظم الملك جسماً واحداً له روح طاهر ، واستقل الإسلام رَسماً ثابتاً حكمه نصّ وعدله ظاهر ؛ وهدى الله المسلمين مع جمع الكلمة إلى القصد الشرعي ، ووقفهم إلى القيام بحكمه المحتوم وحقه المرعي ؛ فاتخاذُ السلطان في [مثل] ^(١)

هذه الأوطان واجب قياسا وسماعا، وتعذرُ الخلافة في مثل هذه المسافة غير جائز إجماعا .
أيها الملاء المشتمل على الشرفاء الذين بتقديمهم [يُسْتَنْجَز من البركة
موعودُها ، والعلماء الذين هم حَفَظَةُ الشريعة الحنيفية^(١) أن تُتَعَدَى حدودُها ؛
والأشياخ الذين بجهادهم استقرَّ واجبها^(٢) ، واستقام واجبها ، واستند عمودها ،
والقواد الذين بجمايتهم^(٣) تقام أحكامها ، وتُحاط أعلامها ، وتُوَفَّى عهودها ؛
والفرسان الذين هم حُماتها وأنجادها ، وأنصارها وجنودها ؛ والخاصة الذين بهم
يرجح عملها ، وينجح أملها ، ويتم مقصودُها :

تعملون حقاً أن هذا الوطن الفلاني كان قد تعيَّن للهلاك^(٤) ، بسبب هذا الخلاف ،
وتوقعت القلوب المُشفقة حدوثَ الفارقة بسبب هذا الاختلاف ؛ وأن الشارع
صلواتُ الله وسلامه عليه يمتنع من كل ما يؤدي إلى التفرقة بأتم الوجوه ، ويؤكد
الترغيب والترهيب بكل ما يخافه المؤمن ويرجوه ؛ وأن الفقه^(٥) المذهبي ، إذا
[٩٦] حصلت البيعة في الأعناق ، وتحملت بها تحلَّى الحَمَام بالأطواق ، معروف ومعلوم ؛
وأن اشتداده في سدِّ باب الافتراق ، على العموم والإطلاق ، لازم محتوم ؛
والأقذار الإلهية قد هيأت قصد الأئمة ، بلا كُلفه ؛ ويسرت سبب الاتفاق ،
بحكم الوفاق ؛ فأقبلوها نعمة مُسداة ، وتحفة مُهداه ؛ وشدُّوا عليها أيدي الضنن ،
واعلموا ما فيها لله عليكم من المنن ؛ وتعاهدوا على ألا تُبتقوا من الخلاف أثرا ،
واتفقوا على القصد الذي يخلصكم عند الله سمعاً ونظراً ؛ وفي هذا التيسير الذي
ساعدت به الألفاظ الخفية ، وساعفت به من قبل الربِّ الصنائع الخفية ؛ ما يتأكد

(١) في ت : « حفظ الشريعة الحنيفة » . وظاهر أنه محرف عما أبتناه .

(٢) استقر واجبها : سكن روعها بعد اضطراب .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) تعين ، أي تهلّل وتمزق ؛ مأخوذ من تعين السقاء ، وذلك إذا بلى ورق من مواضع .

(٥) في ط : « العقد » .

به الاعتبار ، ويرشد إلى أنه أراد الله نفوذه^(١) ، وربك يخلق ما يشاء ويختار .
ومما يستكمل هذا القصد الذى أشرنا إليه ويستوفيه ، قول تاج الدين رحمة الله
عليه : ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يُظهِر في الوجود غير ما أراد الله أن
يُظهِر فيه .

وفرض على كل إنسان في نفسه ما طلبه [به]^(٢) الشارع ، وعذبت فيه
بالتفويض لحكم الله^(٣) المَشارِع . فالواجب علينا أن نجتمع ونأتاف ، ونتفق ولا
نختلف ؛ ونعتمد صريح الفقه أخذاً وتركاً ، وتنبع صحيح النقل الذى لا يدع ربباً
ولا شكاً ؛ ونسأل من الله الهداية إلى سبيل السلف الذين سَبَقُوا ، ونعزم العزم على
أمر الله في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

وإن أولى الناس في ذلك بإرهاب العزيمه ، وتوخى السبل المستقيمه ؛
والقيام بمضمون هذا الرسم المستقل ، والوفاء بتكميل قَصْد الكاتب فيه والمُعل ؛
لِخَوَاصِ الدَّوْلَةِ الفلانية الذين لحقهم التَّحْيِصُ والاختبار ، وتحوَّلَتهم بأبلغ الموعظة
الأقضية والأقدار ؛ وهم الذين ربحت منهم في هذه السوق التجاره ، والمقصودون
بالخطاب من باب إياكِ اعنى واسمعى يا جاره ؛ وهم الممنون عليهم باسترجاع
المغصوب المُستحق ، والواقفون من انكسار القلوب ، والتنصل من الذنوب ،
موقف الأوتلى به والأحق ؛ والمعنيون بقوله : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » . ويختص منهم عماد الدوله ، وعميد الجمله ،
بالحظ الأوفر ، مما يتضمنه هذا التائب ؛ ويستمنح من الله عقب التذكرة ، بهذه
الموعظه : « وما يتذكر إلا من يُنيب » .

[٩٧]

(١) في ت : « لإنفاذ نفوذه » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ت : « لحكمه » .

فإنا إذا نظرنا إلى ما كان قد طرّق من الابتلاء ، وشاهدنا ما كان مُعَرَّضاً للوقوع من البلاء ؛ وراجعنا البصيرة في النعم التي كنا عنها مسلوبين ^(١) ، والثّربة ^(٢) التي كنا عليها مغلوبين ، والأبواب التي كنا عنها محجوبين ، والشّرذمة التي كنا بها مرّوبين ، [والأنفال] ^(٣) التي كنا في عدد من يحيي رسومها محسوبين ؛ وقد سلّط الله علينا كثيرا من الظّلمة الذين أعانهم ، فعمد ذلك لعنّاهم ، وأهاننا الذين كُنّا أكرمناهم ، جزاء لما احترمناهم ؛ فنسوّنا ، أحوج ما كنا إلى أن يذكرونا ، وخذلونا ، أفقر ما كنا إلى أن ينصرونا ، وأسأمونا ، أشد ما كنا فاقّة إلى أن يُنجِدونا ، وتركونا ، أعظم ما كنا حاجةً إلى أن يُسعِدونا ؛ وخانونا ، أظهر ما كنا اضطرارا إلى وفائهم ، وظاهروا علينا ، أتم ما كنا افتقارا إلى غنائهم ؛ فلا شك أن المؤاخذة كانت بسبب تلك الذنوب ، وأن الجناية هي التي أوجبت ما طرّقنا من الخطوب ؛ فأزف العذابُ ، وعاد من أعدى الأعدى الأحاب ، وتبرأ الذين اتّبَعوا من الذين اتّبَعوا وتقطعت بهم الأسباب ؛ وكادت العقوبة العظيمة أن تلحّق ، والأخذة الربانية أن تمحّق ؛ لولا أن الله تداركنا بالعمو ، وتجاوز عن الهمو ؛ وأنالكم من الإدالة ما كنتم تؤمّلون ، واستخلفكم في الأرض لينظر كيف تعملون . فلنجعل ما وعظنا الله به من تلك الأزّامات نُصب الأعين ، ولنتخذ حمده على ما منحنا من الإِنالة ^(٤) هجّير الألسن ^(٥) ؛ ولنعلم أن ذلك التمهيص إنما كان تنبيهاً من الله على ما عطّلنا من حُدوده ، وإيقاظاً من الغفلة عن القيام بحقوقه ، والوفاء بعهوده ؛ ولنتحقق أن ما منّ الله به من جبر الأحوال ، وخلف

(١) في ط : « مسلوبين » .

(٢) في ط : « الرتبة » .

(٣) زيادة عن ت :

(٤) في ط : « الإقالة » .

(٥) هجير الألسن ، أي دأبها وشأنها .

الأموال ؛ واستقبال العزغصاً جديداً ، وصرف الهون وقد كان عذاباً شديداً ؛ إنما هو إبلاغ في الحجّة علينا ، وإعذار بالموعظة إلينا ؛ وربما عاهدنا الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين ، ولننزعن عما ارتكبنه من جرائم العاصين وجرائم الطالحين ؛ فالوفاء الوفاء حتماً [إن أردنا] ^(١) أن نكون من المفلحين . وقلما ^(٢) أرف العذاب فرُفع إلا عن كان من المصلحين ، « فلولا كانت قرية آمنت » إلى قوله : « إلى حين » ؛ فلنقدّر [قدر] ^(٣) هذا التدارك ، الذى أخذ بأيدينا من مهاوى الانتقام ، ولنتأمل موقع هذا البلاء الذى أحلنا من تجديد النعمة بأسنى مقام ؛ ولنحذر نسيان ما ذكّرنا به ، فلم نذكر تلك الشدائد بل نسيناها ، ولا نفرح بما أوتينا [فرح] ^(٤) المغرور الذى لا يتراجع ولا يتناهى ؛ فإن في ذلك أمل الشيطان وسؤله ، ولعن الله وممّته ، قال الله تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء » إلى قوله : « بغته » .

اللهم هل بلغت ، وبالغت فى النصح وأبلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد .
 و « يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت » ،
 وإليه أبرأ من حولى وتقصيرى عما فيه قصرت ، وعما عنه نكلت » .
 ثم قال رحمه الله :

« وإن مولانا السلطان الملك الفاضل التالى الذاكِر ، العفيف الطاهر ، المسترجع الصابر ، المجاهد المصابر ، المرابط المشاعر ^(٣) ؛ أمير المسلمين ابن نصر الخزرجى نسيا ، السعدى ^(٤) منشأ ، النضرى جدا وأبا ؛ أيده الله على أعداء الدين ، وجعله

(١) زيادة عن ت .

(٢) فى ط : « وربما » .

(٣) المشاعر ، من الشغار ، وهو (هنا) : المعاونة فى الحرب .

(٤) السعدى : نسبة لى سعد بن عبادة سيد الخزرج ، وإليه ينتهى نسب بنى الأجر ملوك غرناطة .

من الأئمة المهتمين؛ ممن إذا جُنِيَ عليه غفر، لعلمنا به أنه حلیم والله آخذ بيده كما عثر؛ فأرشدنا بذلك إلى أنه كريم؛ ومَن تطرَّقه الخطوب، وهو بالأنطاف مصحوب، وتحدَّق إليه النواثب وهو من نظرها الشَّرُّر محبوب؛ وممن جمع له الناس على أن يخشاهم فزاده إيماناً، وقال: حسبى الله ونعم الوكيل، فانقلب بفضل من الله ونعمه، وممن صبر واسترجع في نقص الأموال والأنفس والثمرات، [فبشِّر] ^(١) بصلوات من ربه ورحمه؛ قتالاً على أذيتة أصناف من الناس في مرَّات متعدده، وآناء من الدهر متجدده؛ فاتمسَّ الله جدودهم، وأضرع إليه خدودهم، وأرغم بحوله وقوته أنوفهم، وردَّ عنه بسيف ^(٢) من الأقدار رماحهم وسيوفهم، وأدنى لهم بأسباب مختلفة الأنواع حُتُوفهم: فَمِنَ آمِنٍ أَخَذَ مِنْ مَأْمَنِهِ الَّذِي كَانَ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ، وَمِنَ خَائِفٍ قَدْ أَدهَشَهُ الرَّوْعُ فَهُوَ يَحْسِبُ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِ؛ فَكَأَنَّ أَسِنَّةَ الْأَقْدَارِ تَهَامُ عَنْ مَنَازَعَةِ الْإِرَادَةِ، وَكَأَنَّ وَعَظَ الْإِعْتِبَارِ يَحْذَرُهُمْ مِنْ شِقَائِهِمُ الْكَفِيلَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ؛ وَكَأَنَّ شَاهِدَ الْحَالِ يَقُولُ هَذِهِ إِرَادَةُ اللَّهِ قَضَاها، وَسُنَّتُهُ السَّابِقَةُ أَنْفَذَها وَأَمْضَاها؛ فَمِنَ الْمَنَازِعِ فِيمَا حَكَّمَ اللَّهُ بِهِ وَقَضَى، [١٠٠] وَمِنَ السَّخَطِ فِي الْحُلِّ الَّذِي يَطْلُبُ فِيهِ مِنَ اللَّهِ الرِّضَا؟ وَلَوْ كَانَ اسْتِيلاؤُهُ عَلَى الْمُلْكِ بِقُوَّةِ عَصَبِيَّتِهِ، وَإِهْلَاكِ مَنَاوِئِهِ عَنْ طَبِيعَةِ غَضَبِيَّتِهِ؛ لَارْتَابَ فِي ذَلِكَ النَّاظِرُ، وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى الْإِحْتِجَاجِ الْمُنَازِرِ؛ وَلَكِنَّهُ طَالَمَا عُوْرِضَ فِي الْمُلْكِ فَكَبَّا مَعَارِضَهُ لِفِيهِ، وَأَتَيْحَتْ لَهُ النَّصْرَةُ مِنْ مَحَلٍّ لَمْ يَحْسِبْهَا فِيهِ؛ وَشَدَّ مَا احْتَالَ عَلَى نَصْرَتِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ، فَانْعَكَسَتْ عَلَيْهِ حَيْلَتُهُ؛ وَتَوَسَّلَ إِلَى مَكْرُوهِهِ، فَطَاحَتْ فِي قَلْبِهِ الْإِنْقِلَابُ عَلَيْهِ وَسَيْلَتُهُ؛ وَبَغَى عَلَيْهِ غَيْرَ مَا مَرَّةً فَنَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْهِ،

(١) زيادة عن ت.

(٢) في ط: « بدفاع ».

(١) وابتغى بالسوء فردّه الله على من سَعَى به إليه ؛ ولعل ذلك لغيب عن العيان مكتوم ، وحُكْم من الحكيم العليم محتوم ؛ أو لأثر من الاختصاص قد علمه الله وليس لنا بعلوم ، أو لأمر قد تقاصرت عنه مدارك العقول ، وكَلَّتْ دونه رواجح الحُلُوم ؛ وهذه المعاني المقرّرة ، والمقاصد المحرّرة ، والمذاهب المفسّرة ، والفوائد المسطرّة ، وغرائب أحاديثها المشتهرة ، خصّ الملائم المقصود فيه بالتذكّر ، المعتمد منه بالإيقاظ والتبصره ؛ من أعضاء الدولة ، وسيوف الصّولة ؛ وأولياء الخُلوص الزكي الشيمه ، وموالي النعمة الفلانية ، وهم الذين خواتهم موعظته الحسنه ، وأعجبهم أغراضه المتعدده ، ومقاصده المستحسنه ؛ وعلموا أنه الحق ، فسألوا من الله التوفيق إليه ، والإرشاد إلى الاتصاف به والعمل عليه ، والهداية إلى التماس رضا الله لديه ؛ ووقفوا على ما هو لهم في هذا الكتاب منصوص ، وأن سلطانهم بمزية الدفاع عنه مخصوص ، وأنه قد تطابقت على إيثاره نصوص ، واستوى^(٢) في تسليم الطاعة له عموم وخصوص ؛ فجَدّدوا له البيعة الوثيقة ، على ما أوجب في ذلك الحكم المشروع ، وأعطوه على ذلك العهد الأکید حسبا اتفقت عليه أصول وفروع ؛ وعقدوا له مضمونها عقدا صحيحا ، وعهدوا^(٣) على ما تقتضيه الشئنة صريحا ؛ وشهدوا له فيه على أنفسهم أنهم بالوفاء بها قائمون ، ولشروطها المرعية حافظون ، وعلى أحكامها الشرعية محافظون ؛ وعلى ما يُبوع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعه ، وإحماض النصيحة جُهد الاستطاعة ؛ فأيديهم في السلم والحرب مصروفة^(٤) في مرضاته ، ونيتهم صادقة في مسنونات الوفاء ومفترضاته ؛ ولقد شاهدوا الفرقة وما جَنَّتْه ، والفتنة وما فتنته ، والألئمة وما سنَّته ، والهدنة

[١٠١]

(١) في ت : « وسمى » .

(٢) في ت : « واستولى في تسليم » . وفي ط : « واستوى في تسليم » . وظاهر أن كليهما محرف عما أئبتناه .

(٣) في ط : « وعهدا » .

(٤) في ت : « معروفة » .

وما قرّبت من إصلاح وأدنته ؛ فليغتبطوا بها عهدا كريما ، وعقدا قد تضمّن فضلا [عظيما بل] ^(١) عميا ، واستلزم إنعاما جسيما ، وليوفوا بها الوفاء الذي يؤلّيم بها نعيما مقيما ، ويدفع عنهم عذابا ألّيا ، فإنه عز وجل يقول : « فمن نكث » إلى قوله : « عظيما » . وقد بسطوا أكَفَّهُم إلى الله ضارعين ، وفي رحمته طامعين ، ولعظّمته خاضعين ، ومن هيبته خاشعين ، ولخليفته طائعين ، وفي الخيرات مسارعين ؛ يدعونه رَغْبًا وَرَهْبًا مستنزّلين لرحمته بالإخلاص والإنابه ، واقفين على قدم الرجاء بيباب الذي أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ؛ ويسألونه خير ما قدره وقضاه ، والسلوك على ما فيه رضاه .

اللهم بآبِكَ قَصَدْنَا ، وَقَبُولِكَ أَرَدْنَا ، وَعَلَى فَضْلِكَ اعْتَمَدْنَا ، وَإِلَى عِزَّتِكَ اسْتَدْنَا ، وَفِي مَرَضَاتِكَ اجْتَهَدْنَا ، وَبِهَدَايَتِكَ اسْتَرشدْنَا ؛ فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرَفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ ؛ اللَّهُمَّ إِنَّا بِكَ مُسْتَنْصِرُونَ ، وَبِعِزَّتِكَ مُسْتَظْهِرُونَ ، وَلِعَنَّاكَ مُفْتَقِرُونَ ، وَمِنْ تَقْصِيرِنَا مُسْتَعِيدُونَ ، وَمِنْ ذُنُوبِنَا مُسْتَغْفِرُونَ ، وَلِشَامِلِ ^(٢) [١٠٢] عَفْوِكَ مُنْتَظِرُونَ ، وَفِي خَفِيِّ الطَّافِكِ مُسْتَبْصِرُونَ ، وَلِعَظِيمِ انْتِقَامِكَ مُسْتَحْضِرُونَ ، وَاعْمِمْ صَفْحَكَ مُسْتَشْعِرُونَ ؛ فَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .
اللهم انصر من بايعناه سلطانا ، ومهد به بلاداً وأوطانا ، وأرغم بتوخيّه للحق طاعةً وشيطانا ، وآتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رَشَدًا . اللهم أعمر بالمسرة ناديه ، وكاف ^(٣) عَنَا أَيَادِيهِ ، وَاكْبِتِ اللَّهُمَّ أَعْيَادِيهِ ؛ وَكُنْ لَنَا وَلِيًّا وَنَصِيرًا ، فَأَنْتَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ . وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ، فَأَنْتَ اللَّطِيفُ وَأَنْتَ الْخَبِيرُ .

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ت : « لشمول » .

(٣) الأصل : كافي . سهل الهمزة ، ثم عامل الفعل معاملة ناقص .

انتهى ما أردت نقله من جنة الرضا للرئيس أبي يحيى بن عاصم رحمه الله عليه .
ورأيت بخط الوادى آشى ناقلاً من كتابه المسمى « بالروض الأريض » مانصه :
ابن فتوح إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي ، يكنى أبا إسحاق ، العالم
المتفنن ، صاحبنا ، محقق نظار ، وأستاذ فوائد تدرسه لُجَيْن ونُضار ؛ كلا بل
جواهر و يواقيت ، ومناسك هُدَى لها من السعادة مواقيت ؛ فحسب الطالب
الموثوق بفهمه ، المصروف للتحصيل مطالع مواقع سهمه ^(١) ، أن يلزم حلقة تعليمه ،
وأن يشد يد الضنة بما يلقي من محصول تفهيمه ؛ فإكسير الإفادة ، إنما حصله
الوافدون ، من جابر ^(٢) صنعته ؛ وكيمياء السعادة ، إنما يلقاها ^(٣) الظافرون في نضرة
روضه المُخَصَّل ونَبْعته ؛ وقرض الشعر مما يمكن دخوله تحت فرعه ، ويندرج
تحت قُدرة تصرفه بجنسه ونوعه ؛ إلا أنه لِمَا يَصْدُرُ منه عن قريحته كاتم ، وسالك
من البخل به على طرف التقيض مما سلكه حاتم .

فما علق بحفظي منه خطبة أرجوزة صنفتها في النجوم :

سبحان رافع السماء سَقفا ناصبها دلالة لا تخفى

مُبدعها فلا ترى فُرجا مُودعها الأفلاك والبروجا

[١٠٣]

انتهى . وإنما ذكرته لتعلم اصطلاحه في كتاب الروض الأريض . وقد
نقلت كلاماً آخر منه فيما سبق فراجعه ؛ ولو تتبعته ما حصل لدى من نظمه
ونثره لظال الكتاب جدا .

(١) كذا وردت هذه العبارة في ط . وفي ت : « المصروف للتحصيل مطامع... الخ » .
وكلتاها غامضة .

(٢) يورى باسم جابر بن حيان الصوفى من كبار الكيمائيين وتلميذ خالد بن يزيد بن
معاوية بن أبى سفيان .

(٣) في ط : « يتلقفها » .

نشور سلطان
ولي ابن عاصم
القضاء

وقد وقتت بتامسان المحروسة^(١) على ظهير منشور سلطاني أصدر للرئيس
أبي يحيى بن عاصم المذكور ، بتقديمه للنظر في أمور القضاء وغيره ، ونصه :
هذا ظهير كريم إليه أنهيت^(٢) الظهائر ، شرفاً علياً ؛ وبه تقررت المآثر ،
برهاناً جلياً ؛ وراقت الفاخر ، قلانداً وحلياً ؛ وتميزت الأكابر ، الذين افتخرت
بهم الأقلام والمحابر ، اختصاصاً مولولياً^(٣) . فهو وإن تكاثرت المرسومات
وتعددت ، وتوالت المنشورات وتجددت ، أكبرُ مرسومٍ تَمُّم في الاعتقاد نظراً
خطيراً ، وأحكم في التفويض أمراً كبيراً ، وأبرم في الاستخلاص^(٤) عزماً
أبياً ؛ اعتمد بمسطوره العزيز ، واختص بمنشوره الذي تلقاه اليمين بالتعزيز ، مَنْ
لم يزل بالتعظيم حقيقاً ، وبالإكبار خليقاً ، وبالإجلال حريئاً ؛ فهو شهير لم يزل
في الشهرة سابقاً ، هادٍ لم يزل بالهدى ناطقاً ، بليغ لم يزل بالبلاغة دريئاً ؛ عظيم
لم يزل في النفوس معظماً ، علم^(٥) لم يزل في الأعلام مقدماً ، كريم لم يزل في
الكرام سنيئاً ؛ اشتملت منه محافل الملك على [العقد]^(٦) الثمين ، وحات به
المشورة في الكنف المحوط والحرَم الأمين ، فكان في مشكاة الأمور هادياً ،
وفي ميدان المآثر^(٧) جريئاً ؛ فإلى مقاماته تبلغ مقامات الإخلاص ، وإلى مرتبته
تنتهي مراتب الاختصاص ؛ فيمن حاز فضلاً ، وزين فعلاً^(٨) ، وشرف نديئاً ؛
واستكملهما ، واستعمل قلماً ، واستخدم مشرفيئاً ؛ فله ! ما أعلى قدر هذا
الشرف ، الجامع بين المُتَدِّ والمُطَرَّف ، السابق في الفضل أمداً قصيئاً ؛ الحال من [١٠٤]

(١) الكلام من ابتداء هذه الكلمة إلى آخر نص الظهير ساقط من ت .

(٢) في نفع الطيب (ج ٣ ص ٤٨٩ ؛ طبعة الأزهرية) : « انتهت » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « قولياً » .

(٤) في نفع الطيب : « الاختصاص » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « عالم » .

(٦) زيادة عن نفع الطيب .

(٧) في نفع الطيب : « المرشد » .

(٨) في نفع الطيب : « حاز خصلاً ، وزين حفلاً » .

الاصطفاء مظهرًا ، الفارع من العلاء منبرًا ، الصاعد من العز كرسيًا ؛ حاز
الفضل إرثًا وتعصيبًا ، واستوفى السكّال حفا ونصيبًا ؛ ثناء أَرْجُه كالروض لو لم
يكن الروض ذابلا ، وهدياً نوره كالبدر لو لم يكن البدر آفلا ، ومجداً علوه
كالشها لو لم يكن الشها خفيا ؛ فما أشرفَ الملك الذي اصطفاه ، وكتمل له حق
التقريب ووفاه ، وأحلّه قرارة التمكين ، ومَنّ باختصاصه بالمكان المكين ،
فسبق في ميدان التفويض وسما ، ورأى من الأنظار الحميدة ما رأى ، صادعاً
بالحق إماماً عالماً ، موضحاً من الدين نهجاً أمماً ، هادياً من الواجب صراطاً سويّاً ؛
بانياً للمجد صرحاً مُشَيِّداً ، مشهراً للعدل قولاً مؤيِّداً ، مُبرماً للخير سبباً قويّاً ؛
فألّه تعالى يصل لمقام هذا^(١) الملك الذي أطلع في سمائه بدرأً دونه البدر ، وصدراً
تلوذ به الصدور ، سعداً لا تماطله^(٢) الأيام في تقاضيه ، ونصراً يَمْضى به نصل
الجهاد فلا يزال ماضيه ، على الفتح مَبْنِيّاً ؛ ويُوألى له عزاً يذود عن حرم الدين ،
ويَمْنحه تأييداً يُصْبِح في أعناق الكفر حديث سيفه قَطْعِيّاً ؛ أمر به مرسومًا
عزيزاً لا تبلغ المرسومات إلى مداه ، ولا تُبدي بآثار الاختصاص مثل ما أبداه ،
عبدُ الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله ، ابن الأمير المقدس فلان أيد الله تعالى
مقامه ، ونصر أعلامه ، وشكر إنعامه ، ويسر مرامه ؛ لإمام الأئمة ، وعلم
الأعلام ، وعماد ذوى العقول والأحلام ، وبركة حملة السيوف والأقلام ، وقُدوة
رجال الدين وعلماء الإسلام ؛ الشيخ الفقيه أبي يحيى ابن كبير العلماء ، شهير
العطاء ؛ حجة الأَكابر والأعيان ، مصباح البلاغة والبيان ؛ قاضى القضاة
وإمامهم ، أوحد الجِلَّة وطوّد شَمَاهم ، الشيخ الفقيه أبي بكر بن عاصم ، أبقاه الله
تعالى ؛ ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ، ومواهب الملك به معهودة الإحسان ،

(١) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « يصل لهذا » .

(٢) في نفع الطيب : « لا تماطله » .

وقلائد الأيادي منه مُقلِّدة^(١) بجيد كل إنسان ؛ قد تقرر والمفاخر لا تنسب إلا
لبنيتها ، والفضائل لا تعتبر إلا بمن يشيّد أركانها وينبئها ؛ والسكال لا يصفى [١٠٥]
شربه ، إلا لمن يؤمّن سرِّبه ؛ وإن هذا العلم الكبير ، الذى لا ينى بوصفه
التعبير ؛ علمٌ بآثاره يقتدى ، وبأنظاره يهتدى ؛ وبإشارته يُستشهد ، وبإرادته
يسترشد ؛ إذ لا أمد علوٌ إلا وقد تخطاه ، ولا مرّ كب فضل إلا وقد تمطّاه ؛
ولا شارقة هدى إلا وقد جلاها ، ولا لبّة نخر إلا وقد حلاها ؛ ولا نعمة إلا
وقد أسداها ، ولا سُومة^(٢) إلا وقد أبداها ؛ لما له فى دار الملك من الخصوصية
العظمى ، والمكانة التى تسوغ النعمى ؛ والترتب التى تسمو العيون إلى مرتقاها ،
وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتلقاها ؛ حيث سر الملك مكتوم ، وقِرطاسه محتوم ،
وأمره محتوم ؛ والأقلام قد رَوّضت الطروس وهى زاويه ، وقسّمت الأرزاق
وهى طاويه ؛ شقت السنّتها فنطقت ، وقطّأت أرجلها فسبقت ؛ ويست فأنمرت
إنعاما ، ونكّست فأظهرت قواما ؛ وخطّت فأعطت ، وكتبت فوهبت ، ومُشّقت
فدَفّقت^(٣) ، وأبرّمت فأنعمت ؛ فكم يسّرت الجبر ، وعقرت الهزبر ؛ وشنّقت
المسامع ، وكَيّقت المطامع ؛ وأقلّت فيما ارتفع من المواضع ، وأحلت لما امتنع
من المراضع ؛ فهى تنجز النعم ، وتحجّز النقم ؛ وتبث المذاهب ، وتحث المواهب ؛
وتروض المرّاد ، وتُهضّ المواد^(٤) ؛ وتحرس الأكناف ، وتغرس الأشراف ؛
مُصيخة لنداء هذا العباد الأعلى ، طاححة لمكانه الذى سما واستعلى ؛ فيما يملى عليها
من البيان ، الذى يقر له بالتفضيل ، الملك الضليل^(٥) ؛ ويشهد له بالإحسان ،

(١) فى نفع الطيب : « متقلّدة » .

(٢) كذا فى نفع الطيب . والسومة (فى الأصل) : العلامة . وفى الأصلين : « حرفة » .

(٣) فى نفع الطيب : « فرقت » .

(٤) فى ط ونفع الطيب : « المراد » . ولعلها محرفة عما أئبتناه .

(٥) الملك الضليل : لقب امرئ القيس بن حجر الكندى الشاعر المعروف .

لسان حسان ؛ ويحكم له يرمى القوس ، حبيب بن أوس ؛ ويهيم بما من الأساليب عنده ، شاعر كنده^(١) ؛ ويستمطر سحبه الثَّره ، فصيح المعره^(٢) ؛ إلى مشور تزيل الفقر فقره ، وتدّر الرزق درره ؛ لو انهمى إلى قس إياك لشكر في الصنعة أياديه ، واستمطر سحبه وغواديه ؛ أو بلغ إلى سحبان لسحره ، وما فارقه عشيقته ولا سحره ؛ ولو رآه الصابي لأبدى إليه من صبوته ما أبدى ؛ أو سمعه ابن عبّاد ، [١٠٦] لكان له عبدا ؛ أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائعه ، واستنزر بضائه ؛ أو أتحف به البسّتي لا تحذه بستانا ، أو عرض على عبد الحميد لأحمد من صوبه هتانا ؛ فأعظم به من عال لا ترقى ثنيته ، ولا تحاز مزيتته ؛ ولا يرجم أفته ، ولا يكتم حقه ؛ ولا ينقام له عن^(٣) اكتساب الحمد ناظر ، ولا ينقاس به في الفضل مناظر ؛ وهل تقاس الأجادل بالبعثات ، أو الحقائق بالأضغاث ؛ ألا وإن بيته هو البيت الذي طلع في أفته كل كوكب وقاد ، ممن رسخ^(٤) به للعلوم اتقاء واتقاد ، وتراعى^(٥) به للمدارك ذكاء وانتقاد ؛ فأعظم بهم أعلاما وصدورا ، وأهله وبدورا ؛ خلدت ذكرهم الدواوين المسطره ، وسرت في محامدهم الأنفاس المعطره ، إلى أن نشأ في سماءهم هذا الأوحد ، الذي شهرة فضله لا تجحد ؛ فكان قرهم الأزهر ، ونيرهم الأظهر ؛ ووسيطه عقدهم الأنفس ، ونتيجة مجدهم الأقس ؛ فأبعد في المناقب أماده ، ورفع الفخر وأقام عماده ؛ وبني^(٦) على تلك الآساس المشيده ، وجرى لإدراك تلك الغايات البعيده ؛ فسبق وجلى ، وشنف بذكره المسامع وحلى ؛ ورفع

(١) شاعر كنده : أبو الطيب أحمد بن الحسين الثنفي لأنه ولد بجملة كنده بالكوفة .

(٢) فصيح المعرة : أبو العلاء المعري .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « على » .

(٤) في نفع الطيب : « وشيخ » .

(٥) في نفع الطيب : « وتراعى » .

(٦) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « وبناء » .

المشكل ببيانه ، وحرّر الملتبس ببرهانه ؛ إلى أن أحله قضاء الجماعة ذروة أفضه الأصدق ، وبوأه عزيز ذلك المقعد ؛ فشرّف الخطه ، وأخذ على الأيدي المشتطه ؛ لا يراقب إلا ربه ، ولا يضر إلا العدل وحبه ؛ والمجلس السلطاني أعلاه ^(١) الله تعالى يختصه بنفسه ، ويفرغ عليه من حُلل الاصطفاء ولبسه ؛ ويستمطر فوائده ، ويجرى ^(٢) بأنظاره حقوق الملك وعوائده ؛ فكان بين يديه حكماً مُقسّطاً ، ومقسّماً لحظوظ الإنعام مقسّطاً ، إلى أن خصّه بالكتابة المولوية ، ورأى له في ذلك حق الأولوية ؛ إذ كان والده المقدّس نعم الله ثراه ، ومنحه السعادة في أخراه ؛ مُشرّف ذلك الديوان ، ومُعَلّي ذلك الإيوان ؛ يُخبّر رفاع ^(٣) الملك فتروق ، وتلوح كالشمس عند الشروق ؛ فخلّ ابنه هذا الكبيرُ شرفاً ، الشهير سلفاً ؛

مرتبته التي سمّت ، وافترّت به عن السعد وابتسمت ؛ فسحبت به للشرف مطارف ، [١٠٧] وأحرزت به من الفخر التالد والطارف ؛ فهو اليوم في وجهها غرّه ، وفي عينها قرّه ؛ والله هو في ملاحظة الحقائق ورعيها ، وسمع الحجج ووعينا ؛ فلقد فضل بذلك أهل الاختصاص ، وسبقهم في تبين ما يشكّل منه وما يعتاص ؛ إذ المشكلة معه جلية الأغراض ، والآراء لديه آمنة من ماخذ الاعتراض ؛ فكم رتبة عمرها بذويها ، فأكسبها تشريفاً وتنويهاً ^(٤) ؛ وعلى ذلك فأعلام قضاة الوطن ، ومن عبّر منهم وقطن ؛ مع أقدارهم الساميه ، ومعاليهم التي هي للزهر مُساميه ؛ إنما رقتهم ^(٥) وساطته التي أحسنت ، وزينت بهم المجالس وحسنت ؛ فيه أمضوا

(١) في نفع الطيب : « أسماء » .

(٢) في نفع الطيب : « يجرب » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « وقائع » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « تنزيها » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « راقهم » .

أحكامهم ، وأعملوا في الأباطيل احتكامهم ؛ وكتبوا الرسوم ، وكتبوا الخصوم ؛ وحلوا دَسْتِ القضاء ، وسلّوا سيف القضاء ؛ وفي زمانه تخرّجوا ، وفي بُستانه تأرّجوا ؛ ومن خُلِقَه اكتسبوا ، وإلى طُرُقِه انتسبوا ؛ وعلى مَواردِه حاموا ، وحول فرائده^(١) قاموا ؛ وبتعريفه عُرِفوا ، وبتشريفه شَرُفوا^(٢) ؛ وبصفاته كَلِفوا ، وبعرفانه وقَمَوا ؛ فأمنوا مع انسكاب سُحُبِ إفادته من الجَدْبِ ، وقاموا بذلك الغرض بسبب ذلك النَّدْبِ ؛ وهل العلماء وإن عمّت فوائدهم ، وانتظمت بجياد الأذهان فرائدهم ؛ إلا من أنواره مُستمدّون ، وإلى الاستفادة من أنظاره ممتدّون ، وبهركانه معتدّون ، وبأسبابه مشتدّون ؛ فيه اجتُنبت من أفنان المنابر ثمراتهم ، وتآرّجت في روضات المعارف زهراتهم ؛ وبه عمروا الحَلَقَ ، وآثلق من أنوارهم ما أثلق ؛ إذ كلٌّ من اصطناعه محسوب ، وإلى بركته منسوب ؛ فهو بدرهم الأهدى ، وغنيهم الأجدى ؛ وعقدّم المُقتنى ، ورَوّضهم المُجتنى ؛ وبدر منازلهم ، وصدّر محافلهم ؛ وعلى ما أعلى المقام المولوى من مكانه ، وقضى به من استمكانه ؛ واعتمد من إرامه ، وأبزم من اعتماده ، ومهد من إكرامه ، وأكرم من مهاده ؛ واختصّ من علاه ، وأعلى من اختصاصه ، واستخلص من حُلاه ، وحلّى من استخلاصه ؛ ووقى من تكرّمه ، وكرم من وفائه ، واصطفى من مجّده ، ومجد من اصطفاؤه ؛ وقدّم من براعته ، وحكّم من يراعته^(٣) ؛ وشقق^(٤) من كتابته ، وأنطق من خطابته ؛ وسجّل من أنظاره ، وعدّل^(٥) من اختياره ؛ فدكا ذكْرُه ،

[١٠٨]

(١) في نفع الطيب : « فوائده » .

(٢) في ط : « ألفوا » .

(٣) في ط : « بداعته » .

(٤) شقق ، يريد : افتن . مأخوذ من شقق الرجل الكلام ، وذلك إذا أخرجه

أحسن مخرج .

(٥) في ط : « عجل » .

وسطا سَطْرُهُ ؛ وأمعن مَعْنَاه ، وأغنى مَعْنَاه . أشار أَيْدَهُ اللهُ تعالى بامتئنانف
 خُصُوصِيَّتِهِ وتَجْدِيدِهَا ، وإثبات مقاماته وتَحْدِيدِهَا ؛ لَتُعْرَفَ تلكَ الحدودَ فلا
 تُتَخَطَّى ، وتُكَبَّرُ تلكَ المَرَاتِبَ فلا تُسْتَعطَى ؛ فأصدر له — شكر الله تعالى إصداره ،
 وعَمَّرَ بالنصر داره — هذا المنشورَ الذي تَأْرَجُ بِمِحامده نَشْرُهُ ، وتضمَّن من مناقبه
 البديعَ فَرَأَقَ طِيَّهَ ونَشْرَه ؛ وغداً وفرائدُ المآثرَ لِيَدِيهِ مُوجِدةٌ مَكُونَه ، وأصبح
 للمفاخر مالِ كَالْمَا أتى به مُدَوِّنةٌ ؛ وخصَّه فيه بالنظر المُطلقِ الشُّروطِ ، الملازمِ
 للتفويضِ ملازمةً الشُّرْطِ للشُّروطِ ؛ المستكملِ الفروعِ والأصولِ ، المُستوفى
 الأجناسِ والفصولِ ؛ في الأمور التي تختصُّ بأعلامِ القضاةِ الأَكْبَرِ ، وكتابِ
 القضاةِ ذوى الأَقْلَامِ والحِجَابِ ، وشيوخِ العلمِ وخطباءِ المنابرِ ، وسائرِ أربابِ الأَقْلَامِ
 القاطنِ منهم والغابرِ ؛ بالحضرةِ العليِّه ، وجميعِ البلادِ النُصْرِيه ؛ تولى اللهُ جميعَ
 ذلكَ بِمَعهودِ سَتْرِهِ ، ووَصَلَ له ^(١) ما تَعَوَّدُ من شَفْعِ اللطفِ ووِترِهِ ؛ يحوطُ مراتبَهُم
 التي قُطِفَتْ من روضاتها ثمراتُ الحُكْمِ وجُنَيْتِ ، ويُرَاعِي أمورَهُم التي أُقيمتُ
 على القواعدِ ^(٢) وُبُنِيَتْ ، وحقَّقَهُم التي حُفِظَتْ لَهُم في المجالسِ السُلْطَانِيَّةِ
 ورُعيَتْ ؛ ويُحَلِّ كلِّ واحدٍ منهم في منزلته التي تليقُ ، ومُرتبته التي هو بها خَلِيقٌ ؛
 على مُقْتَضَى ما يَعْلَمُ من أدواتِهِم ، وَيَخْبُرُ من تباينِ ذواتِهِم ؛ وَيُرْشِحُ كلِّ واحدٍ
 إلى ما اسْتَحَقَّهُ ، وَيُؤْتِي كلَّ ذى حقِّ حَقَّهُ ، اعتماداً على أَعْرَاضِهِ التي عَدَلَتْ ،
 وصدَّحت على أُنْفَانِهَا من الأفواهِ طيورُ الشُّكْرِ وهَدَلَتْ ؛ واستناداً في ذلكَ إلى
 آرائِهِ ، وتقويضاً له في هذا الشَّانِ بينَ خُلُصاءِ المَلِكِ وظُهرانِهِ ؛ وذلكَ لِمُقْتَضَى
 ما كانَ عليه أعلامُ الرِياسَةِ الذين سبقوا ، واتَهَضُوا بِهِمَّهِمَ واستَبَقُوا ؛ كالشَيْخِ

(١) في نفع الطيب : « لِيَدِيهِ » .

(٢) في نفع الطيب : « العوائد » .

الرئيس الصالح أبي الحسن بن الجيّاب ، والشيخ ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب ، رحمهما الله تعالى .

[١٠٩] فليقم — أبقاه الله تعالى — بهذه الأعمال التي سمّت واعتزّت ، ومالت بها أعطاف العدل واهتزت ؛ وسار بها الخبر حيث سرى ^(١) ، وصار بها الحقّ مَشْدُودَ العُرَى ؛ وعلى جميع القضاة الأصفياء ، والعلماء الأَرْضِيَاء ، والخطباء الأولياء ، والمُتْرَيْنِ الأذكياء ، وحملة الأَقْلَامِ الأَحْطِيَاء ؛ أن يعتمدوا على هذا الوليّ العِمَادِ في كل ما يرجع إلى عوائدهم ، ويختصّ في دار الملك من مرتباتهم وفوائدهم ؛ وما يتعلق بولاياتهم [وأمنياتهم] ^(٢) ، ويليق بمقاصدهم ونتائهم ^(٣) ؛ فهو الذي يُسَوِّغُهُم المَشَارِبَ ، ويُبلِّغُهُم المَآرِبَ ؛ ويستقبل العليّ بالعليّ ، والعاطل بالحقّليّ ، والمُشْكِلَ بالحقّليّ ؛ والمُفْرِقَ بالتاج ، والمقدّمة بالإنتاج ؛ وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرهم على ولايتهم ^(٤) وأبقاهم ، ولقاهم من حفظ المراتب ما رقاهم ؛ فليجروا على ما هم بسبيله ، وليهتدوا برُشد ^(٥) هذا الاعتناء ودليله .

وكتب في صفر عام سبعة وخمسين وثمان مئة . انتهى .

وإنما كتبه برؤيته لتعلم به مصداق ما قدمناه من تمكّن ابن عاصم المذكور من مراتب الاصطفاء والاحتفاء ^(٦) .

ولنختم ترجمته ، رحمه الله ، بتخميس عجيب من نظمه :

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ الأَنْوَارَ وَاحْتَجَبَهَا وَكَلَّمَ حَمْدَ وَتَمَجِيدَ لَهُ وَجَبَّأ

(١) في نفع الطيب : « ... الخبر حثيث السرى » .

(٢) زيادة عن نفع الطيب .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « وأفضياتهم » .

(٤) في نفع الطيب : « ولاياتهم » .

(٥) في نفع الطيب : « برشد » .

(٦) إلى هنا ينتهي الساقط من نسخة ت .

إذا ابتغى العقلُ في إدراكه سبباً جاء الحجابُ فألقى دونه الحُجُباً
حتى إذا ما تَلاشى عندها ظهراً

سُبْحان مَنْ كان والأَكوانُ لم تكنِ في غيرِ أينٍ ولا وَقتٍ ولا زَمَنِ (٢)
حتى أتى الجودُ بالإيجادِ والمِئِنِ وكان ما (١) قد رَسَمناه بما وَمَنِ (٣)

وأظهر الشمسَ ذاتَ النُّورِ والقمرَ

سُبْحانَ مَنْ حَجَبَ الأبصارَ فاحتجبتُ وكَم أراد مُريدٌ نيلها فأبتُ
مَنْ حَدَّثته أمانيه فقد كذبتُ حَقِيقَة ذاتها عن ذاتها وَجَبْتُ

لا يُدركُ العقلُ من أخبارها خَبراً

سُبْحانَ مَنْ شأنه في شأنه عَجِبُ يَخْفَى فيظهُرُ أو يبدو فيحتجِبُ [١١٠]
بأيها العاكفون السادةُ النَجِبُ هل فيكمُ مَنْ سعى سَعياً كما يجبُ
فماز بالعرضِ المطلوبِ أو ظفراً

سُبْحانَ مَنْ لم يزل بالعلمِ مُنفرداً ومن تعالى عن الأشباهِ فاتَّحداً
سبجانه وتعالى واحداً صَمِداً تبارك اللهُ لم يولد ولم يلدْ (٤)
تَنَزَّ اللهُ عَمَّا يَلْحَقُ البَشَرا

سبجان من أخرج الموجودَ من عَدَمِ رَسْماً برى كَوْنَه في غيرِ مُرْتَسِمِ
فلا محَلَّ سِوَى كُنْهِ من الكَلَمِ ولم يَزَلْ هو في دَيْمومةِ القِدَمِ
مُؤَثِّراً يخلقُ التَأثيرَ والأثْراً

سبجانَ من خلقِ الأشياءِ أجمَعها فَمَنْ رآها رأى أفعالها معها

(١) الأين : الإعياء .

(٢) في ط : « من » .

(٣) بما ومن : يريد ما خلق الله مما لا يعقل ومن يعقل .

(٤) في ط : « وما ولدا » .

وكان أتقنها صنعا وأبدعها نفس إلى العالم العلوي رفعتها
وخصها من معاليه بما بهرا

سبحان من عمم بالإينعام ما خلقا وشفع العدل بالإحسان فاتقيا
وزاد بالذكر في قلب التقي تقى فاستكمل الدين والإيمان والخلقيا
وكان مدركه الصديق أو عمرا

سبحان من سبخته كل ساجدة وكل عائمة في الماء ساجدة
وكل غادية تعدو ورأحة وسبخته خفايا كل جانحة
لم تعرف السر حتى جاورت صوراً

سبحان من حمدته السن البشر في السر والجهر والأصل والبكر
وفي دجى تشدو نصف الليل والسحر بالشكر والدكر والآيات والشور
تؤليه حمدا وتلو بعده سوراً

سبحان من نزهته السن عزفت عن كل ما يؤهم التشبيه إذ وصفت
صفا لها مورد التحقيق حين صفت فلم تقارقه حتى أثبتت ونفت
ولم تدع شبهة تؤذي ولا ضرراً

سبحان من شكره في الدين مفترض وليس يشبهه جسم ولا عرض
ينهى ويأمر ما في ذا وذا غرض فاذكر لنعاه ذكراً ليس يفترض
فمن تحدث بالنعى فقد شكر

سبحان من خضع السبع الطباق له وأعظمته قلوب حشوها وله [١١١]
تريد أن تعلم الأبقى وتقله طوبى لمن أمل الأبقى وأم له (١)
واستكثر الزاد لما آنس السفرا

(١) ورد هذا البيت محرفاً هكذا في ت :

تريد تعلم ماتق وتعلمه طوبى لمن أمل الأتقا وأم له

سُبْحَانَ مَنْ زَيْنَ الْأَفْلاكِ بِالشُّهُبِ وَيَبَيِّنُ الدِّينَ بِالآياتِ ^(١) وَالكِتَابِ
وَلَمْ يَدْعُنَا لَدَى لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ ^(٢) لَكِنْ نَهَانَا وَأَتَانَا عَلَي الرُّتَبِ
حَتَّى اتَّمِينَا وَأَدْعُنَا لِمَا أَمَرَا

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْأَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ فِتَارَةً تَتَنَاضَى ثُمَّ تَأْتَلِفُ
هَذَا الظُّلَامَ بِنُورِ ^(٣) الصُّبْحِ يَنْصَرِفُ كَمَا الضُّلَالُ لِنُورِ العِلْمِ لَا يَبْقَى
فَسَلَهُ نُورًا يُبَيِّرُ السَّمْعَ وَالْبَصْرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْأَخْلَاقَ وَالخَلِيقَا وَالشَّمْسَ وَالْبَدْرَ وَالظُّلُمَا وَالنَّسَمَا
يَرُوقُ الكُلُّ مَجْمُوعًا وَمُفْتَرَقًا وَاَنْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَسْأَلُكَ نَحْوَهُ طُرُقًا
فَأَسْعُدُ النَّاسَ مَنْ فِي نَفْسِهِ نَظْرًا

سُبْحَانَ مَنْزِلِ مَاءِ المَرْزَنِ فِي المَطَرِ يُرْوِي النَّبَاتَ وَيَسْقِي يَارِيعَ الثَّمَرِ
كَأَنَّمَا الزُّهُرُ تُهْدِيهِ إِلَى الزَّهْرِ إِذَا رَأَيْتَ تَلَاقِيهَا عَلَى قَدَرِ
رَأَيْتَ صُنْعَ قَدِيرٍ أَحْكَمَ القَدَرَا

سُبْحَانَ مَنْ قَدَّرَ الْأَقْوَاتَ وَالْأَجَلَا وَتَابَعَ الوَحْيَ وَاسْتَتَلَى بِهِ الرُّسُلَا
فَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ الفَوْقِ قَبِيلَ غَلَا وَمَنْ تَجَوَّزَ مُنْحَطًا فَقَدْ سَفَلَا
وَمَنْ تَخَطَّى خُطُوطَ الْمُنتَهَى كَفَرَا

سُبْحَانَ مَنْ فَجَّرَ الْأَنْهَارَ فَانْفَجَرَتْ وَقَدَّرَ الخَيْرَ فِي إِجْرَائِهَا فَجَعَلَتْ
فَرِينَةَ الْأَرْضِ بِالْأَزْهَارِ قَدْ ظَهَرَتْ وَاللِّبْصِيرَةَ عَيْنُ كَلَّمَا نَظَرَتْ ^(٤)
رَأَتْ جَمَالًا وَإِجْمَالًا وَمُعْتَبَرًا

(١) في ط : « في الآيات » .

(٢) في ت : « ولا لعب » .

(٣) في ت : « بضوء » .

(٤) في ت : « بصرت » .

سبحانَ من خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ وأَعْتَبَ اللَّيْلَةَ اللَّيْلَاءِ بِالْعَسَقِ
يا مَهْجَةَ الشَّمْسِ دُونِي عُدَّتْ^(١) من فَلَقِ^(٢) وَيَا سَنَا الْبَدْرَ عَارِضَ مُخْمَرَةِ الشَّفَقِ

حَتَّى تُعِيدَ لَنَا مِنْ لَيْلِنَا سَحَرًا

سُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ وَسَلَّطَ الْهَمَّ وَالْبَلْوَى عَلَى الْهَمِّ
فَقَاوَمَتْهَا جُنُودُ الصَّبْرِ وَالْكَرَمِ ثُمَّ ابْتَلَى قَلْبَ غَيْرِ الْعَارِفِ الْفَهْمِ

فَمَا أَطَاقَ وَلَا أَوْفَى وَلَا صَبْرًا

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ فَلَيْسَ يَمْشِي إِلَى شَيْءٍ عَلَى مَهَلٍ
وَلَا يَقُولُ سِوَى هَذَا وَذَلِكَ لِي مُتَمَسِّمِ الْحَالِ بَيْنَ الْحِرْصِ وَالْحَيْلِ

فَلَيْسَ تَلْقَاهُ إِلَّا ضَارِعًا حَذِرًا

سُبْحَانَ مَنْ زَانَهُ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَبِالْفَضَائِلِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّلَبِ
فَلَا يَزَالُ حَلِيفَ الْفِكْرِ وَالتَّعَبِ رَامَ الْكَمَالَ فَلَمْ يَبْلُغْ وَلَمْ يَجِبْ

وَلَمْ يَرِدْ بَعْدُ فِي رِيٍّ وَلَا صَدْرًا

سُبْحَانَ مَنْ شَانَهُ بِالْكِبَرِ وَالْأَشْرِ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ فِي غَيٍّ وَفِي بَطْرِ
مُرْدَدِّ الْعَزْمِ بَيْنَ الْجِبْنِ وَالْخَوْرِ لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الشَّاكْوَى إِلَى الْبَشْرِ

وَلَا يُرْخِزِحُ عَنْ ظَلَمٍ إِذَا قَدَّرَا

سُبْحَانَ مُحْرِقِهِ فِي وَقْدَةِ الْحَسَدِ فَلَا يَزَالُ أَخَا غَيْظٍ وَفِي نَكَدِ
كَالْبَحْرِ يَرْمِي إِلَى الْعَيْنِينَ بِالزَّبْدِ إِذَا رَأَى أَثَرَ الثُّغْمَى عَلَى أَحَدِ

يُودُّ لَوْ كَانَ أَعْمَى لَا يَرَى ضَجْرًا

(١) في ت : « النفس » .

(٢) في ت : « عدت » بالبدال المهملة .

سُبْحَانُ مَنْ أَمَرَ الْأَرْوَاحَ فَأَتَمَّرَتْ ثُمَّ اسْتُدِّمَتْ فَلَمْ تَنْهَضْ بِمَا أَمَرَتْ
وَكَلَّتْ نَفْسٌ إِذَا سَأَحَتْهَا جَبْرَتْ فَلَا تَصِلُهَا إِذَا خَانَتْكَ أَوْ غَدَرَتْ
وَاقْطَعْ عِلَاقِقَ مَنْ قَدْ خَانَ أَوْ غَدَرَ

سُبْحَانُ مَنْ بَسَطَ التَّعْلِيمَ ثُمَّ طَوَى فَأَعْقَبَ الْقَلْبَ وَجَدًّا دَائِمًا وَهَوَى
وَذَابَ^(١) فِي مُلْتَضَى أَشْوَاقِهِ وَذَوَى وَكَانَ أَرْزَعًا وَاسْتَوَى الْمُنَى وَنَوَى
حَجًّا فَلَمَّا أَتَى مِيقَاتَهُ حُصِرَا

سُبْحَانُ مَنْ فِي بَسَاطَةِ الْعَدْلِ أَجْلَسَنَا وَبِاغْتِفَارِ عَظِيمِ الذَّنْبِ آنَسَنَا
وَزَانَ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا فَكَانَ أَعْظَمَنَا قَدْرًا وَأَنْفَسَنَا
مَنْ اتَّهَى أَوْ نَهَى أَوْ خَافَ فَازْدَجَرَ

سُبْحَانُ مَنْ خَصَّ بِالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا وَخَافَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ أَنْفُسَنَا
لَوْلَاهُ لَمْ نَعْرِفِ الْمَعْرُوفَ^(٢) وَالْحَسَنَا وَلَا اسْتَفَدْنَا لِسَانًا نَاطِقًا لَسْنَا
وَلَا دَرَيْتَنَا : أَبَاحَ الشَّرْعُ أَوْ حَظَرَ

سُبْحَانُ مَنْ جَعَلَ الْإِيمَانَ بِالْقَدْرِ وَالْحَشْرَ وَالنَّشْرَ مَنَجَاتٍ مِنَ الضَّرْرِ
فَلَا خُلُودَ مَعَ الْإِيمَانِ فِي سَقَرٍ وَلَا وُصُولَ إِلَى أَمْنٍ بِلَا حَدَرٍ
حَتَّى تَكُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ مُؤْتَمِرًا

سُبْحَانُ مَنْ إِنْ يَشَاءُ أَعْطَاكَ أَوْ مَنَعَا وَمَنْ إِذَا شَاءَ أَمْرًا حَادِثًا وَقَعَا [١١٣]
وَتَارَةً يَخْفِضُ الْأَمْرَ الَّذِي رَفَعَا يَوْمًا يَفْرُقُ لِلْإِنْسَانِ مَا جَمَعَا
وَلَا يَبَالِي بِمَنْ أَثَرَى وَمَنْ خَسِرَا

سُبْحَانُ مَنْ هُوَ يَوْمَ الْفَصْلِ يَجْمَعُنَا وَاللِّتَمِيمَ بِفَضْلٍ مِنْهُ يَرْفَعُنَا

(١) في ط : « وزاد » .

(٢) في ت : « السنون » .

مِنْ بَعْدِ رُؤْيَةِ أَهْوَالِ تَرْوَعِنَا يُرْمَى لَهَا وَالْمَاهَا هَيَّانَ أَوْرَعُنَا
 حَيْرَانَ عُرْيَانَ يُبْدِي كُلَّ مَا سُرَّتَا
 سُبْحَانَ مَنْ شَاءَ فِي الدُّنْيَا سَعَادَتَنَا بِطَاعَةٍ أَحْسَنَتْ مِنَّا إِرَادَتَنَا
 وَيَبْتَلِينَا وَيَسْتَحْلِي عِبَادَتَنَا حَتَّى إِذَا شَاءَ فِي الْآخِرَى إِعَادَتَنَا
 أَعَادَنَا مِثْلَ مَا كُنَّا كَمَا ذَكَرْنَا
 سُبْحَانَ مَنْ يَحْشُرُ الْإِنْسَانَ مُكْتَتِبًا خَوْفَ الْجَزَاءِ وَيَجْزِيهِ بِمَا كَسَبَا
 وَيَحْكُمُ الْحُكْمَ يُمَيِّضُهُ كَمَا وَجَبَا فَالْقَاسِطُونَ إِلَى نِيرَانِهِ غُصْبَا^(١)
 وَالْمُقْسِطُونَ إِلَى جَنَّتِهِ زُمْرَا
 سُبْحَانَ مَنْ فَضَّلَ الْإِسْلَامَ فِي الْأُمَمِ بِالطَّيِّبِ الطَّاهِرِ الْمَبْعُوثِ فِي الْحَرَمِ
 مُحَمَّدٍ خَيْرٍ مَنْ يَمْشَى عَلَى قَدَمِهِ إِذَا عَدَدْتَ بَيْوتَ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ
 فَمنه حَتَّى إِلَى عَدْنَانَ أَوْ مُضَرَ
 سُبْحَانَ مَنْ خَتَمَ الْأَدْيَانَ فِي الْأَرْزَلِ بِالْمَلَةِ السَّمْحَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الْمِلَلِ
 أَنَّى بِهَا خَيْرٌ مَأْمُورٌ وَمُمْتَلِ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ السَّادَاتِ وَالرُّسُلِ
 وَخَيْرٌ مِنْ حَجِّ بَيْتِ اللَّهِ وَاعْتَمَرَا
 إِذَا وَصَفْنَا فَبِالتَّقْصِيرِ نَعْتَرِفُ فَكُلُّ لَفْظٍ بَلِيغٍ دُونَهُ يَقِفُ
 هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي فِي ذِكْرِهِ شَرَفٌ فَإِنْ طَلَبْتَ رِضَاهُ بِالذِّى تَصِفُ
 فَكُنْ عَلَى وَصْفِهِ فِي الذِّكْرِ مُقْتَصِرَا
 صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْهِ مَا بَدَأَ قَرُّ وَمَا سَرَّتْ فِي الدِّيَاجِي أَنْجَمُ زُهْرُ
 وَمَا تَبَايَنَتِ الْأَشْكَالُ وَالصُّورُ وَمَا تُدَوِّرُ سَتِ الْآيَاتِ وَالشُّورُ
 وَمَا قَضَى مُؤْمِنٌ مِنْ حَاجَةٍ وَطَرَا

وبالجملة فابنُ عاصمٍ أبو يحيى كان يسميه أهلُ زمانه ابنَ الخطيب الثاني ،
حَسْبًا قاله الوادى آشى وغيره .

[١١٤] ولا بد أن نلِمَ بببذة من أخبار ابن الخطيب [السلماني الوزير] ^(١) : إذ هو
لسان الدين ، ونخرا الإسلام بالأندلس في عصره ، فنقول : هو محمد بن عبد الله
ابن سعيد [بن عبد الله بن سعيد] ^(٢) بن علي بن أحمد السلماني ، قرطبي الأصل ،
ثم لَوْشِيَّة ^(٣) ، يُكْنَى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرفة بلسان الدين ،
الوزير الشهير ، الطائر الصيت ، المثل المصروب في الكتابة والشعر والمعرفة
بالعلوم على اختلاف أنواعها ، رحمه الله .

تعريف
بابن الخطيب

أوليته :

أوليته ونسبه

قال ابن الأحرر ^(٣) في نثر فرائد الجوان في حقه ما نصه : « ذو الوزارتين الفقيه
الكتاب ، أبو عبد الله محمد ، ابن الرئيس الفقيه الكاتب المُقْتَى ^(٤) ببلدة لَوْشَة ،
عبد الله ، ابن الفقيه القائد الكاتب سعيد بن عبد الله ، ابن الفقيه الصالح
ولى الله الخطيب سَعِيدِ السَّلْمَانِي اللُّوْشِيّ ، المعروف بابن الخطيب » . انتهى .
وقال غيره : إن بيتهم يُعرَف في القديم ببني الوزير ^(٥) ، ثم في الحديث

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) لَوْشِيَّة : نسبة إلى لَوْشَة (بفتح فسكون) : مدينة بالأندلس غربي ألبيرة قبل قرطبة ،
منحرفة يسيرا ، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا ، وبينها وبين غرناطة عشرة
فراسخ . (عن معجم البلدان) .

(٣) ابن الأحرر : هو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن السلطان القائم بأمر الله محمد
ابن الأحرر .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « المعتزى » . يريد المنتسب إلى بلدة لَوْشَة . إلا أن هذا
القول يتعدى إلى . وفي نفع الطيب المطبوع والمخطوط : « المنتزى » :

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « وزير » . وفي ت : « وزيد » .

بني الخطيب . وسعيدٌ جدُّه الأعلى أول من تلقب بالخطيب ، وكان من أهل العلم والدين والخير ، وكذلك سعيد جده الأقرب كان على خلال حميدة ، من خَطِّ ، وتلاوة ، وفقه ، وحساب ، وأدب ، خيراً ، صدراً ، تُوفِّي عام ثلاثة وثمانين وست مئة ؛ وأبوه عبدُ الله كان من أهل العلم بالأدب والطب ، وقرأ على أبي الحسن البلوطي ، وأبي جعفر بن الوزير^(١) ، وغيرها^(٢) ، وأجازته طائفة من أهل المشرق ، وتُوفِّي بطريف عام واحد وأربعين وسبع مئة شهيداً يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى من العام مفقوداً^(٣) ثابت الجأش ، شكر الله فعله .

قال ابنه لسان الدين صاحب الترجمة : أنشدتُ والدي أبياتاً من شعري ،

فسرُّ وتهلَّل ، وارتجبل رحمه الله تعالى :

الطبُّ والشُّعرُ والكِتَابُ سِمَاتُنَا فِي بَيْتِ النَّجَابَةِ
هي^(٤) ثلاثٌ مُبَلَّغَاتٌ مراتباً بِمَعْضُهَا الْحِجَابَةِ

[١١٥]

اتمى .

نشأته :

نشأ لسان الدين على حالة حسنة سالكا سنن أسلافه ، فقرأ القرآن على المكتِّب ، الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولى العواد ، تكتُّباً ، ثم حفظاً ، ثم تجويداً ؛ ثم قرأ القرآن أيضاً على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي ، وقرأ عليه العربية ، وهو أول من انتفع به ؛ وقرأ على الخطيب أبي القاسم بن جُزَيّ ؛

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « زبير » .

(٢) كذا في ت ونفع الطيب . والذي في ط : « وقرأ على أبي الحسن البلوطي ، وأبي

إسحاق بن زروال ، « وغيرها » .

(٣) كذا في الأصلين ونفع الطيب .

(٤) في نفع الطيب : « هن » .

ولازم قراءة العربية والفقهر والفسير على الشيخ الإمام أبي عبد الله بن الفخار البيرى ، شيخ النحويين لعهدده ؛ وقرأ على قاضى الجماعة أبى عبد الله بن بكر ؛ وتآدب بالرئيس أبى الحسن بن الجيباب ؛ وروى عن كثير من الأعيان ، كالحديث شمس الدين بن جابر ، وأخيه أبى جعفر ، والقاضى أبى البركات بن الحاج ، والشيخ أبى محمد بن سلمون ، وأخيه أبى القاسم بن سلمون ، وأبى عمرو بن الأستاذ أبى جعفر بن الزبير ، وله رواية عالية ، والأستاذ اللغوى أبى عبد الله بن بيش^(١) ؛ والحديث الكاتب أبى الحسن التلمسانى المسن ، والقائد الكاتب أبى بكر بن ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الحكيم ، والقاضى الحديث أبى بكر ابن شيرين^(٢) ، والشيخ أبى عبد الله ابن الفقيه القاضى أبى عبد الله بن عبد الملك ، والخطيب أبى جعفر الطنجالى ، والقاضى أبى بكر بن منظور ، والراوية أبى عبد الله بن حزب الله ، وعن أشهر أسلافنا المتأخرين القاضى أبى عبد الله محمد المقرئ القرشى ، التلمسانى المولد والمنشأ والمقبر ، قاضى الجماعة بفاس ، وعن [١١٦] الشريف أبى على حسن بن يوسف ، وعن الخطيب الرئيس الراوية أبى عبد الله ابن مرزوق ، وعن الحديث الفاضل الحسيب أبى العباس بن يربوع السبتي ، والرئيس الكاتب أبى محمد بن عبد المهيمن الحضرمى السبتي ، والشيخ المقرئ أبى محمد بن أيوب المالتى ، آخر الرواة عن^(٣) ابن أبى الأحوص ، وعن أبى عثمان ابن ليون من أهل المرية ، وعن القاضى أبى الحجاج المنتشافرى^(٤) ، من أهل رندة ، إلى غيرهم ممن يطول ذكره من أهل الأندلس ، والعدوة الغربية ،

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « بيس » .

(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « بشرين » .

(٣) فى ت : « على » .

(٤) كذا فى نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٣ ، ٣٩٥ طبعة بلاق) . وفى ط : « المشافرى » .

وفى ت : « المتشافرى » .

والمشرق وإفريقية بالإجازة ؛ وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا يحيى بن هذيل ، ولازمه .

تأليفه :

قال ابن الأحرار رحمه الله : « [لابن الخطيب ^(١)] الأوضاع المصنفات ، التي آدان إحسانها هي المقرّطات المشكّفات ، منها في التصوف الذي أكثر أهل الحقائق إليه نظر التشوّف : روضة التعريف بالحب الشريف . » انتهى .

ثم سرد غيرها من كتبه ، ومنها : الإحاطة ، في تاريخ غرناطة ، في خمسة عشر سفراً ؛ واللّمحة البدرية في الدولة النّضرية ؛ والحلّل المرّقومة ؛ ومثلي الطريقة ، في ذم الوثيقة ؛ والسحر والشعر ^(٢) ؛ وريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب ، في أسفار ؛ والصيّب والجهام ، والماضي والكهام ، في مجموع شعره ؛ ومعيار الاختيار ^(٣) ؛ ومفاضلة مالقة وسلا ؛ ورسالة الطاعون ؛ والمسائل الطبية ، في سفر ؛ والرّجز في عمل التّرياق ؛ واليوسفي في الطب ، في سفرين ؛ والتاج الحلي في مساجلة التّدح المعلى ؛ والكتيبة الكامنة ، في أدباء ^(٤) المئة الثامنة ؛ ونفاضة الجراب ، في أربعة أسفار ، وهي من أحسن تأليفه ، ولم أزل أكثر البحث في هذا التاريخ عنها ، فلم أقف منها على عين ولا أثر ، إلا عدة أوراق متفرقة ، وقد كنت قبل هذا التاريخ رأيت بعضها . والبيطرة ، في سفر جامع ، لما يرجع إليه من محاسن الخيل وغيره ؛ ورسالة تسكوتن الجنين ؛ والوصول لحفظ الصحة في الفصول ؛ ورجز الطب ؛ ورجز الأغذية ؛ ورجز السياسة ؛

(١) زيادة عن نفع الطيب (ج ٤ ص ٦٥٢) .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب (ج ٤ ص ٦٥٤) . وفي ت : « والشعر » .

(٣) في نفع الطيب : « الأخبار » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « في شعراء » . وفي ط : « في آداب » .

[١١٧] وكتاب الوزارة ؛ ومقامة السياسة ؛ والغيرة على أهل الحَيِّرة ؛ وحمل الجمهور على السَّنَنِ المشهور ؛ والزُّبْدَةُ المَخْوضَةُ ؛ والرد على أهل الإباحة ؛ وسد الذريعة ؛ في تفصيل الشريعة ؛ وخطرة الطيف ؛ ورحلة الشتاء والصيف ؛ وطرفة العصر في دولة بني نصر ، في ثلاثة أسفار ؛ وتقرير الشبه ؛ وتحرير الشبه ؛ واستنزال اللطف الموجود في سر الوجود ؛ وبستان الدول ، وهو غريب في معناه ، في فنون السياسة ، في ثلاثين جزءاً ، ولم يكمل ؛ وأبيات الأبيات ، فيما اختاره رحمه الله من مطالع ماله من الشعر ؛ وورق الحُلَل في نظم الدول ، في غاية من الحلاوة والعدوبة والجزالة ؛ وفتات الخوان ، ولقط الصوان ، في سفر يتضمن المقطوعات ؛ وعائد^(١) الصَّلَّة ، في سفرين ، وصل به صلة الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبَيْر ؛ وتخليص^(٢) الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات ؛ وجيش التوشيح ؛ ورجز في أصول الفقه ، شرحه ولي الدين بن خلدون ، صاحب التاريخ المشهور ؛ والإكليل الزاهر^(٣) ؛ وكُنَاسَةُ الدُّكَّان بعد انتقال الشكان ؛ وعمل مَنْ طَب لمن حَب ؛ والدرر^(٤) الفاخرة ، والألجج الزاخرة ، جمع فيه نظم بن صفوان ؛ والمباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية ؛ وخلع الرَسَنِ في أمر القاضي ابن الحسن ؛ وأعمال الأعلام ، فيمن^(٥) بوبع من ملوك الإسلام ، قبل الاحتلام^(٦) . وألف أيضاً في الموسيقى ، ومصنفاته زادت على الخمسين ، وقد ذكرنا نحو الخمسين^(٧) .

(١) في ط : « غاية » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « تلخيص الذهب ... الخ » .

(٣) اسم الكتاب كاملاً كما في نفع الطيب : « الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر » .

(٤) كذا في نفع الطيب (ج : ص ٦٥٥) . وفي الأصلين : « والدرة » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « بمن » .

(٦) اسم الكتاب كما في نفع الطيب : « أعمال الأعلام فيمن بوبع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، وما يجر ذلك من شجون الكلام » .

(٧) تختلف مؤلفات ابن الخطيب المذكورة في نفع الطيب (ج : ص ٦٥٣ — ٦٥٥) عنها هاهنا زيادة ونقصانا .

رأى ابن الأحمر
فيه

هاله :

قال ابن الأحمر :

« هو شاعر الدنيا ، وعلم المُفرد والثُّنْيَا ؛ وكاتب الأرض ، إلى يوم
العرض ؛ لا يدافع مدَّحه في الكتب ، ولا يُجَنِّحُ فيه إلى العتَب ؛ آخر من
تقدَّم في الماضي ، وسيف مَقُولَة ليس بالكهَم إذ هو الماضي ؛ وإلا فانظر [١١٨]
كلام الكُتَّاب الأول من العُصْبَة ، كيف كان فيهم بالإفادَة صاحب القصبه ؛
للبراعه ، بالبراعه ؛ وبه أسكَّت صائلهم ، وما مُحَدَّت بُكرهم وأصائلهم ؛
المشوبة ^(١) بالخلاره ، المُمكنة من مفاصل الطَّلاوه ؛ وهو نفيس العُدوتين ،
ورئيس الدولتين ؛ بالاطلاع على العلوم العقلية ، والإمتاع بالفهوم الثقليه ؛ لَكِنَّ
صِلَّ لِسَانِه في الهجاء لَسَع ، ونجاد نِظَاقِه في ذلك اتسع ؛ حتى صَدَمَنِي ، وعلى
القول فيه أقدمني ؛ بسبب هجوه في ابن عمي ملك الصَّعق الأندلسي ، سلطان
ذلك الوطن في نفر الجنسي ، المعظم في الملوك بالقول الجَنِّي والإنسي ؛ ثم صفحت
عنه صفحة القادر ، الوارد من مياه الظفر غير الصادر ؛ لأن مثلي لا يليق به إظهار
العورات ، ولا يجمل به تتبع العثرات ؛ اتباعاً للشرع في تحريم الغيبه ، وضرباً
عن الكريهة ، وإثباتاً لحظوظ النقيمة الرغيبه ؛ فما ضره لو اشتغل بذنوبه ،
وتأسف على ما شرب من ماء الهجو بذنوبه . وقد قال بعض الناس : من تعرض
للأعراض ، أرسى عِرْضه هدفاً لسهام الأعراض » . انتهى كلام ابن الأحمر .

وقال غيره :

تقلد ^(٢) الكتابة أيام السلطان أبي الحجاج ، في أخريات دولته ، بعد

(١) في ت : « المشربة » .

(٢) أبو الحجاج : هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر الأنصاري

الجزرسي ، من أمراء المسلمين بالأندلس .

شيخه ابن الجيّاب .

قال ابن الصباغ العقيلي : « كان أبو الحسن بن الجياب رئيس كتاب الأندلس ، وهم رؤساء غيرهم ، واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب اختصاصاً تاماً ، وأورثه رتبته من بعده ، وعهد بها إليه ، مشيراً بذلك على من استشاره من أعلام الحجاج عند حضور^(١) عمره . وتدرّب بكائه ، حتى استحق أزنته ، فأنسى بحسن سياسته شيخه المذكور ، ونال التي لا فوقها من الحظوة ، وبعُد الصيت ، وسعادة البخت .

كلام لابن الصباغ
عنه وعن قوة
بديته

اتفق له يوماً بعد ما عزم النصراني على ورود البلاد^(٢) ، وضاعت به الصدور ، [١١٩]
فأنشد ابن الجياب بديهاً بمحضر الكتاب :

هذا العدو قد ظني وقد تعدّى وبغى

[وقال لابن الخطيب : أجز أبا عبد الله ، فأنشده بديهاً]^(٣) :

وأظهر السّلم وقد أسرّ حسّواً في أرتغاً

فبلغ الرحمن سيف النصر فيه ما ابتغى^(٤)

ورده ردّ ثمودَ والفصيلُ قد رغا

حتى يرى وليمةً لكل مرّهوب الثغأ^(٥)

(١) في ت : « ظهور » .

(٢) في ت : « البلد » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) رواية هذا البيت في ت :

فأبلغ الرمح بسيف النصر فيه ما ابتغى

(٥) الثغاء (ممدودا وقصر للشعر) : صوت الشاء والمغز وما شاكلها ، ويريد به صوت

المفترس من الحيوان ، أو صوت الرماح والسيف .

فقال ابن الجيّاب : هكذا وإلا فلا ، وعجب الحاضرون من هذه البديهة .
انتهى كلام ابن الصباغ .

أيام ابن الخطيب
مع السلطان
أبي عبد الله

ولما توفي أبو الحجاج ازدادت^(١) منزلة ابن الخطيب عند ابنه أبي عبد الله ، إلى أن كانت عليه الدائرة ، فقبض على ابن الخطيب وعلى أملاكه ، ثم تخلص منها نكبةً مصحفيةً^(٢) بشفاعة السلطان المستعين بالله أبي سالم إبراهيم ابن السلطان الشهير الكبير أبي الحسن المريني ، صاحب المغرب ، وكان^(٣) تحريك عنائم السلطان أبي سالم للشفاعة فيه بسعاية الغالب على دولته الحاجب الرئيس الخطيب الرّحّال أبي عبد الله بن مرزوق . ولما تخلص ابن الخطيب من هذه الأنشطة لحق بسلطانه أبي عبد الله ، كما نذكره قريبا ، وورد صُحْبَتُهُ المغرب ، واستقرّ أبو عبد الله بن الخطيب بسلاّ تحت الجِراية التامة ، متكلّفا خدمة ضريح الملوك من بني مرّين ، ليُمْتَّ بذلك إلى صاحب المُلك من بينهم ، كما يقضى له ما بقي من مآربه^(٤) بالأندلس ، بشفاعة غير مردودة ؛ وفي أثناء هذه المدة كان يتطوف ببلاد المغرب مثل مراکش وأنظارها^(٥) . ثم لما رجع مخدومه لغرناطة عاد هو في حُجبة أولاده ، فالتقى إليه مقاليد رياسته ، وأزمة سياسته ، ورقاه إلى الدرّوة

(١) في ت : « زادت » .

(٢) مصحفية : نسبة إلى المصحف جعفر بن عثمان الحاجب . ويشير إلى نكته على يد ابن أبي عامر التي انتهت بسجنه في المطبق ثم موته . وإلى هذه النكبة يشير ابن الخطيب بيته :

تخلصت منها نكبة مصحفية لفقداني المنصور من آل عامر

(انظر نفع الطيب ج ٢ ص ٥٩ — ٦٤ طبعة أوربا ، ج ٣ ص ٤٢ طبعة بلاق)

(٣) نص هذه العبارة في ت : « وكان من تحريك السلطان أبي سالم للشفاعة فيه بسعاية الغالب على دولة أبي سالم الحاجب .. الخ » .

(٤) في ط : « أعراضه » .

(٥) هذه العبارة من قوله « وفي أثناء » إلى قوله « وأنظارها » ساقطة في ت .

[١٢٠] التي لا فوقها؛ ثم سَمَّ الخدمة، وتسَخَط النِّعمة، وأضمر الفرار عند ما سمع بأن المَلِك استوثق للسلطان أبي فارس بن أبي الحسن العَرِينِي، وأنه مَلَكَ تَمِسَّان، فأظهر الذهاب إلى تَقَدُّ أحوال بعض الثغور، فكان آخَرَ عهد الأندلس به، وخرج بِتَمِسَّان، واهتزت دولة السلطان أبي فارس لَقُدومه، ثم كان من أمره ما سنذكره.

ولنورد بعض تفصيل لما سبق الإمام به، وما لم يسبق، فنقول: قال في كتابه المسمى باللمحة البدرية، في الدولة النصرية، عند ذكره حلع السلطان أبي عبد الله، وقيام الأمير إسماعيل عليه، وذلك في شهر رمضان المعظم من عام ستين وسبع مئة، ما نصه:

تفصيل لشكبة
السلطان أبي عبد
الله وذهابه إلى
فاس

« وكان السلطان أبو عبد الله عند تَصَيُّر الأمر إليه قد أُلزم أخاه إسماعيل قسراً من قصور أبيه بجوار داره، مَرُفَهَا ^(١) عليه، متممةً وظائفة له، وأسكنه معه أمه وأخواته منها، وقد أستأثرت يوم وفاة والده بمال جمّ من خزائنه الكائنة في بيتها، فوجدت السبيل إلى السعي لولدها، فجعلت تُواصل زيارة ابنتها التي عقد لها الوالد مع ابن عمه الرئيس أبي عبد الله ابن الرئيس أبي ^(٢) الوليد، ابن الرئيس أبي عبد الله المبايع له بأندرش، ابن الرئيس أبي السعيد جَدِّهم الذي تجمعهم جُرثومتهم، وشَمَر الصَّهْر المذكور عن ساعد عَزَمه وجِدِّه، وهو [علي] ^(٣) ما هو من الإقدام ومُدَاخلة ذُوْبَان الرجال، وأستعان بمن آسفته ^(٤) الدولة، وهَفَّت به الأَطَاع، فتألَّف منهم زهاء مئة قَصَدوا جهة

(١) كذا في ط ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤٥). وفي ت: « صرفها ».

(٢) كذا في ط ونفح الطيب. وفي ت: « ابن ».

(٣) زيادة عن نفح الطيب.

(٤) آسفته: أغضبته.

من جهات القلعة مُتَسَمِّينَ شَفَا صَعَبَ المُرْتَقَى ، واتخذوا آلة تُدْرِك ذروته لصعود^(١) [بِنِيَّة] ^(٢) كانت به عن التمام ، وكبسوا حَرَسِيًّا بأعلاه بما اقتضى صُمَاتِهِ ^(٣) ، فاستَوَوْا به ، ونزلوا إلى القلعة سَحَر ^(٤) الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبع مئة ، فاستظهروا بالمشاعل والشراخ ، وعالجوا دار الحاجب رضوان ، ففَضُّوا أغلاقها ودخلوها ، فقتلوه بين أهله وولده ، واتهبوا ما اشتملت عليه داره ، وأسرعت طائفة مع الرئيس ، فاستخرجت الأمير الممتمل إسماعيل وأركبته ، وقُرِعَت الطبول ، ونُودَى بدعوته ، وقد كان أخوه السلطان مُتَحَوِّلاً بولده إلى سُكْنَى الجَنَّة المنسوبة للعريف ، لَصِقَ داره ، وهى المثل المضروب فى الظل الممدود ، والماء المسكوب ، والنسيم البليل ، يفصل بينها وبين مَعْتَل الملك السُّور المنيع ، والخندق المصنوع ؛ فما راعه إلا النداء والعجيج ، وأصوات الطبول ، وهَبَ ^(٥) إلى الدخول إلى القلعة ، فألقاها قد أخذت دونه شِعَاهُ كُلِّهَا ونقابها . وقذفته الحِراب ، ورشقته السِّهَام ، فرجَع أدرأجه ، وسدده الله فى محل الحَيِّرة ، ودسَّ له عِرْقَ الفحول من قومه ، فامتطى صَهْوَة فرس كان مرتبطاً عنده ، وصار لوجهه فأعيا المتبع ، وصَبَّح مدينة وادى آس ، ولم يشعر حافظ قصبتهما إلا به ، وقد تَوَلَّجَ عليها ، فالتفَّ به أهلها ، وأعطوه صَفَقَتَهُم بالنَّبِّ عنه ، فكان أملكَ بها ؛ وتجهزت الحشود إلى منازلته ، وقد جدَّد

[١٢١]

(١) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب (المحفوطة بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٠

تاريخ). وفى ط والنسخة المطبوعة فى بلاق من نفح الطيب : « لنعود » . وفى ت : « لعقود » .

(٢) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٣) الصمات (بالضم) : الصمت والسكوت . ولعله يريد : موته .

(٤) فى الأصلين ونفح الطيب : « سحور » .

(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وذهب » .

أخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة ، باحتياجه إلى سلم المسلمين ،
 لجراء فتنة بينه وبين البرجلونيين من أمته ؛ واغتنب به أهل المدينة ، فذبوا
 عنه ، ورضوا بهلاك نعمتهم دونه ، واستمرت الحال إلى يوم عيد النحر من عام
 التاريخ ، ووصله رسول صاحب المغرب ^(١) [مستنزلاً منها ^(٢)] ، ومستدعياً إلى حضرته
 لما عجز عن إمساكها . وراسل ^(٣) ملك الروم ^(٤) فلم يجد عنده من موعول ،
 فانصرف ثانياً يوم عيد النحر المذكور ، وتبعه الجمع الوافر من أهل المدينة خيلاً
 ورجلاً إلى مرّبة من ساحل إجازته . وكان وصوله إلى مدينة فاس ، مُضْحَباً من
 البرّ والكرامة بما لا مزيد عليه ، في السادس من شهر محرم ، فاتح عام واحد
 وستين وسبع مئة ، وركب السلطان للقائه ، ونزل إليه عند ما سلم عليه ، وبالغ [١٢٢]
 في الحفاية به .

وكنت قد لحقت به مُفْلِتاً من شَرِكِ النكبة التي استأصلت المال ، وأوهمت
 سوء الحال ، بشفاعة السلطان أبي سالم قدّس الله روحه ، فقامت بين يديه
 في المحفل المشهود حينئذ ، وأنشدته :

قصيدة
 ابن الخطيب بين
 يدى السلطان أبي
 سالم يستصرخه
 لمولاه

سَلَا هَل لَدَيْهَا مِنْ مَحْبَرَةٍ ذِكْرُ وهل أعشب الوادى ونمّ به الزهرُ
 وهل باكر الوسمى داراً على اللوى عفت آيها إلا التوهّم والذكرُ
 بلادى التي عاطيت مشمولة الهوى با كنافها والعيشُ فينانُ مخضّرُ
 وجوى الذى رَبّى جَنَاحِي وَكْرُهُ فها أنا ذا مالى جَنَاح ولا وَكْرُ

(١) هو السلطان المولى أبو سالم ، كما سيأتى قريباً .

(٢) كذا في النسخة الخطية من نفح الطيب . وفي ت والنسخة المطبوعة : « عنها » .

يريد : من وادى آش ، أو عن وادى آش .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي ت : « وأرسل » :

(٤) ما بين القوسين زيادة عن ت ونفح الطيب .

نَبَتْ بِي لَاعِنَ جَفْوَةَ وَمَلَالَةَ وَلَا نَسَخَ الْوَصَلَ الْهَنَىٰ بِهَا هَجْرُ
 وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا قَلِيلٌ مَتَاعُهَا وَلَذَاتُهَا دَابًّا تَزُورُ وَتَزُورُ
 فَمَنْ لِي بِقُرْبِ الْعَهْدِ مِنْهَا وَدُونِهَا مَدَىٰ طَالِ حَتَّىٰ يَوْمُهُ عِنْدَنَا شَهْرُ
 وَلِلَّهِ عَيْنًا مِنْ رَأَانَا وَاللَّاسِي ضِرَامٌ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ جَمْرُ
 وَقَدْ بَدَّدَتْ دُرَّ الدَّمُوعِ يَدُ النُّوَى ^(١) وَلِلشُّوقِ أَشْجَانٌ يَضِيقُ لَهَا الصَّدْرُ
 بَكَيْنًا عَلَى النَّهْرِ الشَّرُوبِ عَشِيَّةً فَعَادَ أَجَابًا بَعْدَنَا ذَلِكَ النَّهْرُ
 أَقُولُ لِأَطْعَانِي وَقَدْ غَالَهَا الشَّرَى وَأَنْسَهَا الْحَادِي وَأَوْحَشَهَا الرَّجْرُ
 رُوَيْدِكَ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرَانًا أَبْشِرِي بِإِنْجَازِ وَعْدِ اللَّهِ قَدْ ذَهَبَ الْعُسْرُ
 وَاللَّهُ فِينَا سِرٌّ غَيْبٌ وَرُبَّمَا أَتَى النَّفْعُ مِنْ حَالٍ أُرِيدُ بِهَا الضَّرَّ
 وَإِنْ تَخُنَ الْأَيَّامُ لَمْ تَخُنِ النَّهْيَ وَإِنْ يَخْذُلِ الْأَقْوَامُ لَمْ يَخْذُلِ الصَّبْرُ
 وَإِنْ عَرَكَتْ مَتَى الْحُظُوبُ مَجْرَبًا نِقَابًا تَسَاوَىٰ عِنْدَهُ الْحُلُوفُ وَالْمُرَّ ^(٢)
 فَقَدْ عَجَمَتْ عَوْدًا صَلِيبيًا عَلَى الرَّدَى ^(٣) وَعَزْمًا ^(٤) كَمَا تَمْضِي الْمَهْنَدَةُ الْبُتْرُ
 إِذَا أَنْتَ بِالْبَيْضَاءِ قَرَّرْتَ ^(٥) مَنزِلِي فَلَا اللَّحْمَ حِلًّا مَا حَيِيْتُ وَلَا الظَّهْرُ
 زَجْرَنَا يَا إِبْرَاهِيمَ بُرَّهً ^(٦) مُهُومِنَا فَلَمَّا رَأَيْنَا وَجْهَهُ صَدَقَ الزَّجْرُ
 بِمُنْتَخَبٍ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ كَلِمَا دَجَا الْخَطْبُ لَمْ يَكْذِبْ لِعَزْمَتِهِ فَجْرُ
 تَنَاقَلَتِ الرَّكْبَانُ طَيْبَ حَدِيثِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ صَدَقَ الْخَبْرَ الْخُبْرُ
 نَدَىٰ لَوْ حَوَاهِ الْبَحْرُ لَدَّ مَذَاقَهُ وَلَمْ يَتَعَقَّبْ مَدَّهُ أَبَدًا جَزْرُ

(١) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « الهوى » .

(٢) النقب : الفطن العالم بالأشياء .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « النوى » . وفي ت : « الندى » .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « وعرفا » .

(٥) كذا في النسخة الحطية والمطبوعة من نفح الطيب . وفي الأصاين : « قدرت » .

(٦) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « جل » .

وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى
 أطاعته حتى العضم في قنن الربا
 قصدناك يا خير الملوك على النوى
 كففنا بك الأيام عن غلوائها
 وعذنا بذاك المجد فانصرم الردى
 ولما أتينا البحر يرهب موجة
 خلافتك العظمى ومن لم يدن بها
 ووضفك يهدى المدح قصد صوابه
 دعتك قلوب المؤمنين وأخلصت
 ومدت إلى الله الألف ضراعة
 وألبسها النعمى ببيعتك التي
 فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا
 وأممت بالسلم البلاد وأهلها
 وقد كان مولانا أبوك مُصرّحا^(٢)
 وكنت خليفًا بالإمارة بعده
 وأوحشت من دار الخلافة هائلة
 فرد عليك الله حقك إذ قضى
 وقاد إليك الملك رفقًا بخلقته

وترفل في أثوابه الفتحة البكر
 وهشت إلى تأميله الأنجم الزهر
 لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
 وقد رابنا منها التعسف والكبر
 ولذنا بذاك العز فانهمزم الدع
 ذكرنا نذاك العمر^(١) [فاحتقر البحر
 فأيمانهُ لغو وعرفانه نُكر
 إذا ضل في أوصاف من دونك الشعر
 وقد طاب منها السر لله والجهر
 فقال نهن الله قد قضى الأمر
 لها الطائر الميمون والمحتد الحر
 | وقد كان مما نابه ليس يفتتر
 فلا ظبة تعرى ولا زوعة تعرو
 بأنك في أبنائه الولد البر
 على القور لكن كل شيء له قدر
 أقامت زمانًا لا يلوح بها^(٣) البدر
 بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
 وقد عدموا ركن الإمامة واضطروا

(١) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب (ج ٣ ص ٤٧ طبعه بلاق) . وفي ت : « لها » .

وزادك بالتمحيص عزاً ورفعاً
وأنت الذي تُدعى إذا دهم الردى
وأنت إذا جار الزمان مُحكماً
وهذا ابن نصرٍ قد أتى وجناحه
غريب يُرجى منك ما أنت أهله
فقر يا أمير المسلمين^(٢) ببيعة^(٣)
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا
وخذ يا إمام الحق^(٤) بالحق ثاره
وأنت لها يناصر الحق فلتقم
فإن قيل مالٌ مالك الدهر وافر
يكف بك العادي ويحيا بك الهدى
أعده إلى أوطانه عنك راضياً
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها
وهم يرقبون الفعل منك وشفقة
سرامك سهل لا تؤودك كلفة
وما العمر إلا زينة مُستعارة
ومن باع ما يفنى بباقي مخلد

وأجراً ولولا السبك ما عرف^(١) التبر
وأنت الذي تُرجى إذا أخلف القطر
لك النقض والإبرام والنهي والأمر
مهيمض ومن عليك يلتمس الجبر
فإن كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
مؤتقة قد حلَّ عروقتها الفدر
بياتمرين جاءه العز والنصر
ففي ضمن ما تأتي به العز والأجر
بحق فما زيد يُرجى ولا عمرو
وإن قيل جيشٌ عندك المسكر المجر
ويبني بك الإسلام ما هدم الكفر
وطوقه نعامك التي مالها حصر
فقد صدّهم عنه التغلب والقهر
تحاولها يملك ما بعدها خسر
سوى عراض ما إن له في العلا خطر
ترد ولكن الثناء هو العمر
فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر

[١٢٤]

(١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « لم يعرف » .

(٢) في ط : « المؤمنين » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « لبيعه » .

(٤) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « الخلق » .

وَمِنْ دُونَ مَا تَبَغِيهِ يَا مَلِكَ الْهُدَى
 وَرَادٌ وَشَقْرٌ وَاضْحَاتُ شِيَاتِهَا
 وَشَهْبٌ إِذَا مَا ضَمُرْتُ يَوْمَ غَارَةٍ
 وَأُسْدٌ رِجَالٍ مِنْ مَرَيْنٍ مُخِيفَةٌ
 عَلَيْهَا مِنَ الْمَادَى كُلِّ مُفَاضَةٍ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ هَبُّوا لِكَشْفِ مُلْتَمَةٍ
 إِذَا سُئِلُوا أَعْطَوْا وَإِنْ نُوذِعُوا سَطَوْا
 وَإِنْ مُدِحُوا اهْتَزَوْا ارْتِيحًا كَأَنَّهُمْ
 وَإِنْ سَمِعُوا الْعَوْرَاءَ فَرُّوا بِأَنْفُسِ
 وَتَبَسُّمٌ مَا بَيْنَ الْوَشِيحِ ثَعُورُهُمْ
 أَمْوَالَى غَاضَتْ فِكْرَتِي وَتَبَلَّدَتْ
 وَلَوْلَا حَنَانٌ مِنْكَ دَارَكْتَنِي بِهِ
 فَأَوْجَدْتَنِي مَنَى فَائِتَا أَيْ فَائِتِ
 بَدَأْتَ بِفَضْلٍ لَمْ أَكُنْ لِعَظِيمِهِ
 وَطَوَّقْتَنِي النُّعْمَى الْمُضَاعَفَةَ الَّتِي
 وَأَنْتَ بِنَتْمِيمِ الصَّنَاعِ كَافِلٌ
 جَزَاكَ الَّذِي أَسْنَى مَقَامَكَ عِصْمَةً
 إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِمِدْحَةٍ
 وَلَكِنَّا نَأْتِي بِمَا نَسْتَطِيعُهُ

جِيَادُ الْمَذَاكِي وَالْمُحَجَّلَةُ الْغُرُ
 فَأَجْسَامُهَا تَبْرُ وَأَرْجُلُهَا دُرٌّ
 مَطْهَمَةٌ غَارَتْ بِهَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
 عَمَامُهَا بَيْضٌ وَأَسْمَالُهَا سُمرٌ
 تَدَافِعُ فِي أَعْطَافِهَا اللَّجْجُ الْخُضْرُ
 فَلَا الْمُلْتَقَى صَعْبٌ وَلَا الْمُرْتَقَى وَعَرُ
 وَإِنْ وَاَعْدُوا وَقَوَّأُوا إِنْ وَاَعْدُوا بَرُّوْا
 نَشَاوَى تَمَشَّتْ فِي مَعَاطِفِهِمْ خَمْرُ
 حَرَامٌ عَلَى هِمَّاتِهَا فِي الْوَعَى الْفَرَّ (١)
 وَمَا بَيْنَ قُضْبِ الدَّوْحِ يَتَسَمَّى الزُّهْرُ (٢)
 طِيَاعِي فَلَا طَبْعٌ يُعِينُ وَلَا فِكْرُ
 وَأَحْيَيْتَنِي لَمْ تَبْقَ عَيْنٌ وَلَا أَثْرُ
 وَأَنْشَرْتَ مَيْتًا ضَمَّ أَشْلَاءَهُ قَبْرُ
 بِأَهْلِ فَجَلِّ اللَّطْفِ وَانْفَرَجَ الصَّدْرُ
 يَقِلُّ عَلَيْهَا مَنَى الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
 إِلَى أَنْ يَعُودَ الْجَاهُ وَالْعِزُّ وَالْوَفْرُ
 يُفَكُّ بِهَا عَانَ وَيُنْعَشُ مُضْطَرٌّ
 فَهَيْهَاتَ يُحْصَى الرَّمْلُ أَوْ يُحْصَرُ الْقَطْرُ
 وَمَنْ بَدَلَ الْمَجْهُودِ حَقَّ لَهُ الْعُدْرُ

(١) العوراء : الكلمة الفصيحة .

(٢) الوشيج : الرماح .

فلا تسأل عن امتعاض وانتقاض^(١)، وسداد أنحاء في التأثر لنا وأغراض،
والله غالب على أمره .

انصراف
السلطان
أبي عبد الله
إلى الأندلس

[١٢٥] وفي صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين وستين
وسبع مئة كان انصرافه إلى الأندلس ، وقد ألح صاحب قشتالة في طلبه ،
وترجّح الرأي على قصده ، ففعد السلطان بقبة العرّض من جنة المصارّة ، وبرز
الناس وقد أسمعمهم البُريح^(٢) ، واستحضرت البُنود ، والطبول والآلة ، وألبس خِلة
الملك ، وقيدت له مرآكبه فاستقلّ ، وقد التف عليه كل من جلا عن الأندلس
من لُدُنِ الكائنة في جملة كثيفة ، ورئى من رقة الناس وإجهاشهم وعلوّ
أصواتهم بالدعاء ما قدم به العهد ، إذ كان مَظنة ذلك سكوناً وعطافاً^(٣) وقرّبا ،
قد ظلّه الله برواق الرحمة ، وعطف عليه وشأج الحبة ، إلى كونه مظلوم العقْد ،
منتزع الحق ، فتبعته الخواطر ، وحميت عليه الأنفس ، وانصرف لوجهته ؛ وهو
الآن برُندة مستقل بها وبجهاتها ، ومقتنع برسم [سلطنتها^(٤)] وقد قام له برسم
الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن على بن يوسف بن كمّاشة الحضرمي ، وبكتابته
الفقيه أبو عبد الله بن زمرّك ، وقد استفاض عنه من الحزم والتدرب والتميقظ
للأمور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا يُنكر ، كان الله له ولنا بفضلّه .

انتهى كلام ابن الخطيب في اللحة البدرية .

(١) كذا في نفع الطيب المطبوع والمخطوط . وفي الأصلين : « وانتفاض » .

(٢) البريع (كلمة دخيلة وهي كما في دوزي) : بمعنى الصريح ، أو إعلان الحرب ، أو
التهاتف بالتعبئة .

(٣) كذا في النسخة الخطية من نفع الطيب . وفي المطبوعة والأصلين : « وعفافا » .

(٤) زيادة عن نفع الطيب . ومكان هذه الكلمة في ط : « الوزارة » .

وقد عرفت أنه في ذلك التاريخ لم يكن دخل السلطان غرناطة ، ولم يلحق به ابن الخطيب حتى دخلها .

وقد ذكر ولي الدين بن خلدون هذه الواقعة في تاريخه الكبير ، وأحسن سردها ، فقال في ترجمة أيام السلطان أبي سالم مانصه :

خير هذه القصة
كما رواها ابن
خلدون

الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غرناطة
ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان

لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين [وسبع مئة^(١)] ونصب ابنه محمد للأمر ، واستبد عليه رضوان مولى أبيه ، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته ، فلما عدلوا بالأمر عنه حجّبوه ببعض قصورهم ، وكان له صهر من ابن عمه محمد بن إسماعيل بن الرئيس أبي سعيد ، فكان يدعو سرّاً إلى القيام بأمره ، حتى أمكنته فرصة في الدولة بخروج السلطان إلى بعض مُتَنَزّهاته برياضه ، فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في [بعض]^(٢) أو شاب جمعهم من الطّعام لثورته ، وعمد إلى دار الحاجب رضوان ، فافتحم عليه الدار ، وقتله بين حرّمه وبناته ، وقرّبوا إلى إسماعيل فرسه فركب ، فأدخلوه القصر ، وأعلنوا بيعته ، وقرعوا طبولهم بسور الحمراء ، وفرّ السلطان من مكانه بمنزّهه ، فلحق بوادي آش ، وغدا^(٣) الخاصة والعامّة على إسماعيل فبايعوه ، واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه ، فخلعه لأشهر^(٤) من بيعته ، واستقل

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٠٦ طبعة بلاق) .

(٣) الكلام من قوله «وغدا» إلى قوله «بوادي آش» ساقط في تاريخ ابن خلدون .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « فخلعه لشهرين » .

بسلطان الأندلس . ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادي آش ، بعد مقتل حاجبه رضوان ، واتصل الخبرُ بالسلطان المولى أبي سالم ، امتعض لمهلك رضوان ، وخلع السلطان رَعِيًا لما سلف له في جوارهم ، وأزعج حِينَهُ أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه ، فوصل إلى الأندلس ، وعقد مع أهل الدولة على إجازة المخلوع من وادي آش إلى المغرب ، وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله ابن الخطيب ، كانوا اعتقالوه لأول أمرهم ، لما كان رديفا للحاجب رضوان ، ورُكِنَا لدولة المخلوع ، فأوصى المولى أبو سالم إليهم بإطلاقه فأطلقوه ؛ ولحق مع الرسول أبي القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادي آش للإجازة إلى المغرب ، وأجازَ لِنَدَى القعدة من سنته ، وقَدِمَ على السلطان بفاس ، وأجَلَ قَدومَه ، وركب للقائه ، ودخل به إلى مجلس ملكه ، وقد احتفل ترتيبه وغُصَّ بالمشيخة والعليّة ، ووقف وزيره ابن الخطيب ، فأنشد السلطان قصيدته الرائية يَسْتَصْرِخُه لسلطانه ، ويستجثّه لمظاهرتة على أمره ، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس ، شفقة له ورحمة .

ثم سرّد وليّ الدين بن خلدون القصيدة التي قدمنا ذكرها إلى آخرها ، قال (١) : ثم انقض المجلس ، وانصرف ابن الأحمر إلى منزله (٢) وقد فرّشت له القصور ، وقُرِّبَت الجياد بالمرائب الذهبية ، وبُعِثَ إليه بالسكسى الفاخرة ، ورُتِبَت الجرايات له ولمواليه من المغلوجي (٣) ، وبطانته من الصنائع ، وحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل ، ولم يفقد من القاب ملكه إلا الآلة (٤) ،

(١) في ت : « ثم قام ثم انقضى ... الخ » .

(٢) كذا في ت ونفح الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفي ط : « منزله » .

(٣) يريد المغلوجين ، أى الموالى من النصارى . (عن تكملة المعجمات لدوزى) .

(٤) في تاريخ ابن خلدون : « الأداة » .

أدبا مع السلطان ، واستقر في مُجملته إلى أن كان من لحاقه بالأندلس ، وارتجاع مُلكه سنة ثلاث وستين ، ما نحن نذكره .

اتمى كلام ابن خلدون ، وفيه بعض مخالفة يسيرة لكلام ابن الخطيب في اللوحة البدرية .

ولا بد أن نسرّد كلام ابن خلدون في شأن ابن الخطيب ، إذ ذكره في ترجمة السلطان أبي فارس ابن السلطان أبي الحسن المريني بما نصه :

شيء عن أحوال
ابن الخطيب كما
رواها ابن خلدون

الخبر عن قدوم الوزير ابن الخطيب على السلطان بتلمسان
نازعا إليه عن سلطانه ابن الأحمر صاحب الأندلس

أصل هذا الرجل من لَوْشَة ، على مرحلة من غرناطة ، في الشمال من البسيط الذي فيه ساحتها ، المسمى بالعرّج ، على وادي شَنْجِيل ، ويقال شَنْبِيل^(١) ، المحترق^(٢) في ذلك البسيط من الجنوب إلى الشمال ، كان له بها سلفٌ معدود في وزرائها ، وانتقل أبوه عبدُ الله إلى غرناطة ، [واستُخدمَ للموكِّ بنِي الأحمر ، واستعمل على مخازن الطعام ، ونشأ ابنه محمد بَغْرناطَة^(٣)] وقرأ وتآدب على مشيختها ، واختصَّ بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هُذَيْل ، وأخذ عنه العلوم الفلّسفية ، وبرّز في الطب ، وانتحل الأدب ، وأخذ عن أشياخه ، وامتلا حوض^(٤) السلطان من نظمه

(١) كذا في الأصلين وابن خلدون . وظاهر أن الكلمتين محرفتان عن « شنبيل » وهو اسم نهر غرناطة الشهير ، وقد ولع الشعراء بوصف هذا الوادي وتفصيله على النيل بزيادة الشين ، وهي ألف من العدد ، أي أنه يفضل النيل بألف ضعف . (راجع نفع الطيب ج ١ ص ٩٤ طبعة أوروبا والإحاطة ج ١ ص ٢٦) .

(٢) في تاريخ ابن خلدون : « المنحرف » .

(٣) هذه العبارة ساقطة في ط .

(٤) كذا في تاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين ونفع الطيب : « وامتلا من حول السلطان نظمه » .

ونثره ، مع انتقاء الجيد منه ، ونبغ في الشعر والترسيل ، بحيث لا يجارى فيهما ،
وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر لعصره^(١) ، وملاً الدنيا بمدائحهم ،
وانتشرت في الآفاق ، فرقاه السلطان إلى خدمته ، وأثبتته في ديوان الكتاب
ببابه ، مرءوسا بأبي الحسن بن الجيَّاب ، شيخ العُدوتين في النظم والنثر ، وسائر
العلوم الأدبية ، وكاتب السلطان بقرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه ، [١٢٨]
عند ما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه ، كما مرّ في أخبارهم . فاستبد
[ابن الجيَّاب برياسة الكتاب من يومئذ إلى أن هلك في الطاعون الجارف
سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فولى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد]^(٢)
ابن الخطيب رياسة الكتاب^(٣) ببابه ، مُثَنِّاة بالوزارة ، ولقَّبه بها ، فاستقل
بذلك ، وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العُدوة ،
ثم داخله السلطان في تولية العَمال على يده بالمشارطات ، فجمع له بها أموالا ،
وبلغ به في المحالطة^(٤) إلى حيث لم يبلغ بأحد من قبله ؛ وسَفَر عنه إلى السلطان
أبي عِنانٍ ملك بني مَرين بالعُدوة ، معزِّيا بأبيه السلطان أبي الحسن ، فخلَّى في
أغراض سفارته . ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ، عدا عليه
بعض الزعانف [يوم الفطر بالمسجد]^(٥) في سجوده للصلاة ، وطعنه فأشواه ،
وفاظ لوقته^(٥) وتعاورت سيوف الموالى الملعوجي^(٦) هذا القاتل ، فمزقوه أشلاء ،

(١) هذه الكلمة : « لعصره » . ساقطة في ت وتاريخ ابن خلدون .

(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الكتابة » .

(٤) كذا في ت والنسخة الخطية من نفع الطيب . وفي ط وابن خلدون والنسخة

المطبوعة من نفع الطيب : « في الخالصة » .

(٥) هذه العبارة : « وفاظ لوقته » ساقطة في ت . وفاظ : مات .

(٦) انظر الحاشية رقم ٣ من ٢٠٣ من هذا الجزء .

وبويح ابنه محمد [بالأمر] ^(١) لوقته ، وقام بأمره مولاهم رضوان ، الراسخ القدم في قيادة عساكرهم ، وكفالة الأصغر من ملوكهم ، واستبد بالدولة ، وأفرد ابن الخطيب بوزارته . كما كان لأبيه ، [واتخذ لكتابته غيره] ^(٢) وجعل ابن الخطيب رديفاً له في أمره ^(٣) ، ومشاركاً في استبداده معه ، فجرت الدولة على أحسن حال ، وأقوم طريقة ، ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيراً إلى السلطان أبي عنان ، مستمدين له على عدوهم الطاغية ، على عادتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه ، تقدم الوفد الذين معه من وزراء الأندلس وفتياتها ، واستأذنه في إنشاد شعر ^(٤) قدّمه بين يدي نجواه ، فأذن له ، وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدرُ علاك ما لاح في الدجى قرُ
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى لنا وفي الحل كفك المطر
والناس طراً بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وجملة الأمر أنه وطن في غير عليك ما له وطر ^(٥)
ومن به مذ ^(٥) وصلت حبلم
وقد أهتمهم بأنفسهم فوجهوني إليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له في الجلوس ، وقال له قبل أن يجلس :

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٢) كذا في ط وتاريخ ابن خلدون . وفي ت ونفع الطيب : « رديفاً لرضوان في أمره » .

(٣) في تاريخ ابن خلدون : « شيء من الشعر » .

(٤) هذا البيت ساقط في تاريخ ابن خلدون .

(٥) كذا في نفع الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين : « قد » .

ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم ، ثم أثقل كاهلهم بالإحسان ، وردّهم بجميع ما طلبوه . وقال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف ، وكان معه في ذلك الوفد : لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا .

ومكثت دولتهم هذه بالأندلس خمس سنين ، ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عم السلطان ، شرّكه في جدّه الرئيس أبي سعيد ، وتخيّن خروج السلطان إلى منزله خارج الحمراء ، وتسوروا دار المُلْك المعروفة بالحمراء ، وكبس رضوان في بيته ، فقتله ونصب المُلْك إسماعيل بن السلطان أبي الحجاج ، بما كان صهْرَه على شقيقته ، وكان معتقلاً بالحمراء ، فأخرجه ، وبايع له ، وقام بأمره مستبداً عليه ، وأحسن السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان ، فركب ناجياً إلى وادي آش ، وضبطها ، وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على مُلْك آبائه بالمغرب ، وقد كان مشواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس ، واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب ، وضيق عليه في محبسه ، وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مُقامه بالأندلس ، وكان غالباً على هوى السلطان أبي سالم ، فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش ، يعدّه زبوناً^(١) [١٣٠]

على أهل الأندلس ، ويكفّ به عادية القرابة المرشحين هنالك ، متى^(٢) طمحووا إلى ملك المغرب ، فقبل ذلك منه ، وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه ، وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمساني ، وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب ، وحلّ مُعتقله ، فأطلق ؛ وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادي آش ، وسار في ركاب سلطانه ، وقدموا على

(١) زبونا ، أى حرباً وقوة . (انظر تكملة المعجمات لدوزي مادة زن) .

(٢) كذا في نصح الطيب . وفي ط : « كما » . وفي ت : « بمن » .

السلطان أبي سالم ، فاهتزَّ لتقدوم ابن الأحمر ، وركب في الموكب لتلقيه ، وأجلسه إزاء كرسيه ، وأنشد ابن الخطيب قصيدته كما مر ، يستصرخ السلطان لنصره ، فوعده ، وكان يوماً مشهوداً ، وقد مر ذكره ، ثم أكرم مشواه ، وأرغد نزله ، ووفَّر أرزاق القادمين في ركابه ، وأرغد عيش ابن الخطيب في الجراية والإقطاع . ثم استأنس^(١) واستأذن السلطان في التجوال بمجبات^(٢) مراكش ، والوقوف على آثار الملِك بها ، فأذن له وكتب إلى العمَّال بإتحافه ، فتباروا^(٣) في ذلك ، وحصلَ منه على حظ . وعند ما مر بسلا إثر قفوله من سفره ، دخل مقبرة الملوك بشالة ، ووقف على قبر السلطان أبي الحسن ، وأنشد قصيدة على روى الراء [الموصولة] ^(٤) ، يرثيه ويستجيره به في استرجاع ضياعه بفرناطة ، مطلعها :

إن بان منزله وشطَّت دارُهُ قامت مقامَ عيانه أخبارُهُ
قسَمَ زمانك عِبْرَةً أَوْ عِبْرَةً هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة ، فشَفَعوه ، واستقر هو بسلا ، مُنْبَذًا عن سُلْطانه طول مُقامه بالعدوة . ثم عاد السلطان محمد الخلوغ إلى ملكه بالأندلس سنة ثلاث وستين ، وبعث عن مَخْلَفه بفاس من الأهل والولد ، والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله بن علي ، فاستقدم ابن الخطيب من سلا ، وبعثهم لنظره ، فسُرَّ السلطان بتقدمه ، وردَّه إلى منزلته ، كما كان مع رضوان كافله ، وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية في ركاب أبيه ، عندما أحسَّ بالشر من الرئيس

(١) في ط ونجح الطيب : « استأنس » .

(٢) في تاريخ ابن خلدون : « في التحول إلى جهات . . . الخ » .

(٣) في تاريخ ابن خلدون : « فتباروا » .

(٤) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

صاحب غرناطة ، وأجاز يحيى من هنالك إلى العُدوة ، وأقام عثمانُ بدار الحَرَب ، فصَحِبَ السلطانُ [في مَثْوَى اغترابه هنالك ، وتقلَّب في [مذاهب] ^(١) خدمته ، وانحرفوا عن الطاغية بعد ^(٢) ما يئسوا من الفتح على يده ، فتحولوا عنه إلى نُغُورِ بلادهم ، وخاطبوا [الوزير] ^(١) عمر بن عبد الله في أن يملكهم من بعض الثغور الغربية ^(٣) التي لطاغيتهم ^(٤) بالأندلس ، يرتقبون منها الفتح ، وخاطبني السلطانُ الخلووع في ذلك ؛ وكانت بيني وبين عمر بن عبد الله أَدَمَةٌ مَرَعِيَّةٌ ، وخاصةً متأكِّدة ، فوفيت ^(٥) للسلطان بذلك من عُمر بن عبد الله ، وسمَّته على أن يرد عليه مدينة رُنْدَةَ ، إذ هي من تراث سلفه ، فقبل إشارتي في ذلك ، وتَسَوَّغَهَا السلطانُ الخلووع ، ونزل بها وعثمانُ بن يحيى في جملته ، وهو المقدم في بطانته ، ثم غزوا منها مالقة ، فكانت ركابا للفتح ، وملكها السلطانُ ، واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة ؛ وعثمانُ بن يحيى متقدم القوم في الدولة ، عريق في الخالصة ، وله على السلطان دَالَّةٌ ، واستبداد على هواه . فلما وصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده ، وأعادته إلى مكانه في الدولة ، من علوِّ يده ، وقبول إشارته ، أدركته الغيرة من عثمان ، ونكِر على السلطان الاستكفاء به ، و [أراه] ^(١) التخوف من هؤلاء الأعياض ^(٦) على ملكه ، فخذره السلطان ، وأخذ في التدبير عليه ، حتى نكبه وأباه وإخوته في رمضان سنة أربع وستين ، وأودعهم ^(٧) المُطْبِق ، ثم غرَّ بهم بعد ذلك ، وخلا ابن الخطيب

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) كذا في تاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين : « عند » .

(٣) كذا في نفع الطيب وابن خلدون . وفي الأصلين : « الغربية » .

(٤) في تاريخ ابن خلدون . « أطاعتم » .

(٥) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأعياض » .

(٧) في ط : « وأودعهم » .

الجو ، وغلب على هوى السلطان ، ودفع إليه تدبير الدولة ، وخلط بينه بُدْمَانَه وأهل خَلْوَتِه ، وانفرد ابن الخطيب بالحلّ والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، [١٣٢] وعَلِقَتْ به الآمال ، وَعَشِيَ بآبِه الخاصة والكافة ، وَعَصَّتْ به بِطَانَة السلطان وحاشيته ، فتنفنونوا^(١) في السعَايَات فيه ، وقد صُمِّمَ السلطان عن قَبُولها ؛ ونَمَى الخبر بذلك إلى ابن الخطيب ، فشمّر عن ساعده في التفويض ، واستُخْدِمَ للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ، ملك العُدوة يومئذ ، في القبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبي يَفْلُوسن ابن السلطان أبي عليّ ، كانوا قد نَصَبُوهُ شيخاً على الغزاة بالأندلس ، لما أجاز من العُدوة بعد ما جاسَ خِلَالها ، لطلب الملك ، وأضرم بها نار الفتنة في كل ناحية ، وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله ، القائم حينئذ بدولة بني مرين ، فاضطرَّ إلى الإجازة إلى الأندلس ، فأجاز هو ووزيره مسعود بن ماساي ، ونزلوا على السلطان الخلوع عام سبعة وستين ، فأكرم تَرْكُهُم ، وتُوَفِّيَ عليّ بن بدر الدين شيخ الغزاة ، فقدم عبد الرحمن مكانه . وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله ، فغصَّ بما فعله السلطان الخلوع من ذلك ، وتوقع انتقاض أمره منهم ، ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسرَّ بها في بني مرين ، فجزع لذلك ، ودخله ابن الخطيب في اعتقال ابن يَفْلُوسن وابن ماساي ، وإراحة نفسه من شغبهم ، على أن يكون له المكان من دولته متى نزع إليه ، فأجابه إلى ذلك ، وكتب له العهد بخطه ، على يد سفيره إلى الأندلس وكتبه أبي يحيى بن أبي مدين^(٢) ؛ وأغرَى ابن الخطيب سُلْطَانَه بالقبض على ابن يفلوسن وابن ماساي ، فقبض عليهم [١٣٣] واعتقلهم ، وفي خلال ذلك استحكمت نُفُورَة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة ،

(١) في تاريخ ابن خلدون : « فتوافقوا على ... الخ » .

(٢) العبارة من قوله : « جزع » إلى هنا ساقطة في تاريخ ابن خلدون .

من القدح فيه والسعاية ، وربما تخيل أن السلطان مال إلى قبولها ، وأنهم قد أحفظوه عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان في تفقد الثغور [الغربية] ^(١) ، وسار إليها في لُمة من فرسانه ، ومعه ابنه عليّ الذي كان خالصة للسلطان ، وذهب لِطَيْتِهِ ، فلما حاذى جبلَ الفتح ، فرضةَ الجاز إلى العدو ، مال إليه ، وسرح إذنه بين يديه ، ونخرج قائد الجبل لتلقيه . [وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز إليه بذلك ، وجهاز له الأسطول من حينه ، فأجاز إلى سبته ، وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة ، وامتثال المراسم ، ثم سار لقصد السلطان ، فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين ، بمقامه تَمَسَّان ، فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطانُ خاصَّته لتلقيه] ^(٢) ، وأحلّه من مجلسه بمحلّ الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان التنويه والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس في أهله وولده ، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة ، ثم أكثر ^(٣) المنافسون له في شأنه ، وأغروا سلطانه بتبع عثراته ، وإبداء ما كان كامناً في نفسه من سقطاته ، وإحصاء معايبه ، وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزندقة ، أحصوها عليه ونسبوها [إليه] ^(٢) ، ورُفِعَت إلى قاضي الحضرة أبي الحسن بن الحسن فاسترعاها ، وسجّل عليه بالزندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبعث القاضي ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجّلات ، وإمضاء حكم الله فيه ، فصمّ عن ذلك ، وأنِفَ لذمته أَنْ تُخْفَرَ ، وجواره أَنْ يُرَدَّ ، وقال لهم : هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأتمّ عالمون بما كان عليه ! وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جوارى ؛ ثم وفرّ

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٢) زيادة عن ت وابن خلدون ونفع الطيب .

(٣) في ابن خلدون : « لفظ » .

الجريّة والإقطاع له ولبنيه ، ولمن جاء من أهل الأندلس في جملة . فلما هلك
السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ، ورجع بنو مرين إلى المغرب ، وتركوا [١٣٤]
تلمسان ، سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غازي ، القائم بالدولة ، فنزل
بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنق في بناء المساكن ، واغترس
الجنات ، وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى ،
واتصلت حاله على ذلك ، إلى أن كان ما نذكره .
انتهى كلام ابن خلدون وأكثره بلفظه .

قلت : وقد وقعت على كتاب للقاضي أبي الحسن بن الحسن المذكور يخاطب
به ابن الخطيب ويعظه ، ويشير إلى ما اشتغل به من البنيان ، وفيه ما بين كلام
ابن خلدون السابق وزيادة ، وما يدل على ما ذكره ابن خلدون من أنه سجّل
عليه بأمر منكرة ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وقد أسقطت بعضه اختصارا ،
ونص ما تعلق به الغرض قوله يخاطب الوزير ابن الخطيب :

كتاب القاضي
أبي الحسن إلى
ابن الخطيب

فشرعتم في الشراء ، وتشبيد البناء ؛ وتركتم الاستعداد لهادم اللذات ،
هيئات هيئات ؛ تبنون مالا تسكنون ، وتدخرون مالا تأكلون ، وتؤملون مالا
تدركون ؛ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مُشَيِّدة ، فأين للمهرب
مما هو كائن ! ونحن إنما نتقّب في قدرة الطاب ، شرّ قَم أو غمّ بتم ، [والأيام
تتقاضى الدّين ، وتنادى بالنفس الفرّارة إلى أين إلى أين ! ونترك الكلام مع
الناقد] ^(١) فيما ارتكبه من تركيته نفسه ، وعدّ ماجلبه من مناقبه ، ما عدا ما هدّد
به من حديد لسانه ، خشية اندراجة في نمط من قال فيه رسول الله صلى الله عليه

(١) ما بين الفوسين زيادة عن ت و نفع الطيب .

وسلم : « إن من شر الناس من تركه الناس اتقاء فُحْشه »^(١) . ولا غيبة فيمن ألقى جلباب الحياء عن وجهه ؛ وترجمه على ما أبداه وأهداه من العيوب التي نَسبها لأخيه ، واستراح على قوله بها فيه ، ونذكره على طريقة نصيحة الدين ، بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : [١٣٥]

« أتدرون من المُفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ! فقال : إن المُفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطُرِحَ عليه ، ثم طرح في النار » . ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق ، هو الذي حملني على نُصحكم ومُراجعتكم في كثير من الأمور ، منها الإشارة عليكم بإذهاب عين ما كتبتم به في التاريخ وأمثاله ، فإنكم نفعتم بما وقعتم فيه من الغيبة المحرمة أحياء وأمواتاً ، لغير شيء حصل بيدكم ، وضررتم أنفسكم بما رتبتم لهم من المطالبات بنص الكتاب والسنة قبلكم ، والرضا بهذه الصفقة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل . وقد قلت لكم غير ما مرّة عن أطراسكم المسوذة ، بما دعوتهم إليه من البدعة ، والتلاعب بالشريعة : إن حقها التخريق والتحريق ، وإن من أطراها لكم فقد خدع نفسه وخدعكم ، والله الشهيد بأنني نصحتكم وما غششتكم ، وليس هذا القول وإن كان ثقيلاً عليكم ، بمخالف كل الخالفة لما ذنبتم^(٢) به من تقدم المواجبة بالملطفة ، والمعاملة بالكارمة ، فليست المداراة بقادحة في الدين ، بل هي مجحودة

(١) الحديث كما في الجامع الصغير للسيوطي (ج ١ ص ٢٢٨) : « إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه » .

(٢) كذا في الأصلين ونفح الطيب . ولعلها محرفة عن « زنتم به » ، أي ظنتم به .

في بعض الأحوال ، مستحسنة على ما بينه العلماء ، إذ هي مقاربة^(١) في الكلام ، أو مجاملة بأسباب الدنيا ، لصلاحها أو صلاح الدين ، وإنما المذموم المداهنة ، وهي بذل الدين لمجرد الدنيا ، والمصانعة به لتحصيلها ؛ ومن خالط للضرورة مثلكم وزايله بأخلاقه ، ونصحته مخاطبة ومكاتبة ، واستدل له بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحة مقالته ، فقد سَلِمَ والحمد لله من مدهانتها ، وقام لله [١٣٦] بما يجب عليه في حكم من التحذير والإنكار ، مع الإشفاق والوجل . وأكثرتم في كتابكم من المنِّ بما ذكركم أنكم صنعتم ، وعلى تقدير الموافقة لكم ، ليتكم فعلتم فسلمنا من المعرة وسلمتم ، وجلَّ القائل سبحانه : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حلِيم » . وقلما شاركتم أتم في شيء إلا بأعراض حاصلة في يدكم ، أو لأغراض دنيوية خاصة بكم ، فالملام إذاً في الحقيقة إنما هو متوجه إليكم . وأما ما أظهرتم بمقتضى حركاتكم وكلامكم ، من التندم^(٢) على فراق محلكم ، والتعلل بأخبار قطركم وأهلكم ، فتناقض منكم ، وإن كنتم فيه بغدركم^(٣) : أتبكي على لبي وأنت تركتها فكنت كاتٍ حنفته^(٤) وهو طائع وما كل ما منتك نفسك خالياً^(٥) تلاقٍ ولا كل الهوى أنت تابع فلا تبكين في إثر شيء ندامة إذا نزعته من يدك النوازع^(٦)

(١) في النسخة الخطيبة من نفع الطيب . « مقاربة » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الشؤم » .

(٣) كذا في نفع الطيب المطبوع والخطي . وفي الأصلين : « بغدركم » .

(٤) كذا في الأغاني (ج ٩ ص ٢١٧ طبعة دار الكتب) . وفي الأصلين ونفع

الطيب : « غيه » .

(٥) كذا في الأغاني . وفي الأصلين ونفع الطيب : « مخليا » .

(٦) البيت كما في الأغاني :

فلا تبكين في إثر لبي ندامة وقد نزعها من يدك النوازع

وهذه الأبيات من شعر لعيس بن ذريح في زوجته لبي بنت الحباب الكعبية .

وعلى أن تأسفكم^(١) لما وقعتم فيه من الغدر لسلطانكم ، والخروج للضرورة غالبية عن أوطانكم ، من الواجب بكل اعتبار عليكم ، سيما وقد مددتم إلى التمتع لغيرها عينكم . ولو لم يكن لهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة إلا ما خست به من بركة الرباط ، ورحمة الجهاد ، لكفأها نفعاً على ما يجاورها من سائر البلاد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه » ، وقال عليه السلام : « الرُّوحَةُ بِرُوحِهَا الْعَبْدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْعِدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . وعلى كل تقدير فإذا لم يكن يا أخى فرارك من الأندلس إلى الله وحده بالتوبة المكتملة والاستغفار ، مع الانقطاع في أحد المواطن المكرومة المعظمة بالإجماع ، وهي طيبة أو مكة أو بيت المقدس ، فقد خسرتم صفقة رحلتكم ، وتبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم ؛ اللهم إلا إن كنتم قد لاحظتم مسألة الرجل الذى قتل مئة نفس ، وسأل أعلم أهل الأرض ، فأشار عليه بعد إزماع التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب ، واكتسب بها العيوب ؛ فأمره آخر ، مع أن كلام العلماء في هذا الحديث معروف^(٢) ؛ ويقال لكم من الجواب الخاص بكم : فعليكم إذاً بترك القيل والقال ، وكسر حربة الجدال والقتال ، وقصر ما بقى من مدة العمر على الاشتغال بصالح الأعمال . ووقعت في مكتوبكم كلمات أوردها النقد في قالب الاستهزاء والازدراء ، والجهالة بمقادير الأشياء ، منها : ریح صرصر ، وهو لغة القرآن ، وقاع قرقر ، وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم . ثبت فى الصحيح فى باب التغليظ فىمن لا يؤدى زكاة ماله ، « قيل : يا رسول الله ، والبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم

(١) فى ت : « أسفكم » .

(٢) انظر القرطبي (ج ٦ ص ١٥٣ طبعة دار الكتب) عند تفسير قوله تعالى :

« أو ينفوا من الأرض » .

لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بَطِّحَ لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً، تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها^(١). الحديث الشهير. قال صاحب المعلم^(٢):
بَطِّحَ لها بقاع قرقر، أى ألقى على وجهه، والقاع: المستوى من الأرض، والقرقر: كذلك؛ هذا ما حضر من الجواب. وبقي في مكتوبكم حشو كثير من كلام الإقذاع، وفحش بعيد من الحشمة والحياء، رأيت أن من الصواب الإضراب عن ذكره، وصون اليد عن الاستعمال فيه، والظاهر أنه إنما صدر عنكم وأتم بحال مَرَضٍ، فلا حرج فيه عليكم إن شاء الله، أجلكم، ومكن أمنكم، وسكن وجلكم، ومنه جل اسمه^(٣) نسأل لى ولكم حسن الخاتمة، والفوز بالسعادة الدائمة، والسلام الأتم يعتمدكم، والرحمات والبركات من كاتبه على بن عبد الله بن الحسن، وفقه الله.

وذلك بتاريخ أخريات جمادى الأولى من عام ثلاثة وسبعين وسبع مئة.

وقيد رحمه الله في مُدْرَج طى هذا الكتاب ما نصه:

يا أخى، أصلحني الله وإياكم، بقي من الحديث شيء، الصواب الخروج [١٣٨] عنه لكم، إذ هذا أوانه، وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه، وليكن البناء بعد أن كان على أصل صحيح بحول الله، وحاصله:

أنكم عددتم ما شاركتكم فيه بحسب الأوقات، وقطعتم بنسبة الأمور كلها لنفسكم^(٤)، وأنها إنما صدرت عن أمركم وبإذنينكم، من غير مشاركة في شيء منها لكم، ثم منتم بها المنّ القبيح، المبطل لعمل بركم، على تقدير

(١) ارجع إلى مسلم والبخارى في باب الزكاة في لفظ الحديث روايات.

(٢) لعله يريد: المعلم بفوائد مسلم، وهو شرح على صحيح مسلم للإمام أبي عبد الله محمد التميمي.

(٣) في النسخة الخطية من نفع الطيب: «ومنه سبحانه نسأل... الخ».

(٤) في نفع الطيب: «إلى أنفسكم».

التسليم في فعله لكم ، ورميتم غيركم بالتقصير في حاله كله ، طريقة من يبصر القذى في عين أخيه ويدع الجذع في عينه ، وأقصى ما تسنى للمحب أيام كونكم بالأندلس ، تقلد كلفة قضاء الجماعة ، وما كان إلا أن وليتها بقضاء الله وقدره ، فقد تبين لكل ذى عقل سليم أنه لا موجد إلا الله ، وإذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلًا بإيجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه ، من غير عاضده على تحصيل مراده ولا معين ، ولكننه ، جلت قدرته ، وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه ، وأوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه ، وكأني بكم تضحكون من تقرير هذه المقدمة ، وما أحوجكم إلى تأملها بعين اليقين ، فكابدت أيام تلك الولاية النكدة^(١) من النكايه ، باستحقاقكم للقضايا الشرعية ، وتهاونكم بالأمر الدينية ، ما يعظم الله به الأجر ، وذلك في جملة مسائل ، منها مسألة ابن الزبير المقتول على الزندقة بعد تقضى موجباته ، على كره منكم ؛ ومنها مسألة ابن أبي العيش المثقف^(٢) في السجن على آرائه المضلة ، التي كان منها دخوله على زوجه إثر تطليقه إياها بالثلاث ، وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مشافهة بالاستمتاع بها ، لملمتم أحد ناسكم تناول إخراجه من التقاف^(٣) ، من غير مُبالاة بأحد ؛ ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم توجهت عليه مطالبة بدم قتيل ، وسيق المدعى عليه للذبح^(٤) بغير سكين ، فما وسعني بمقتضى الدين إلا حبسه على ما أحكته السنة ، فأنقمت لذلك ، وسجنتم الطالب^(٥) ولي الدم ، وسرحتم الفتى المطلوب على الفور ، إلى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ، ولا يجمل بي ولا بكم

[١٣٩]

- (١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « المنكرة » .
- (٢) المثقف : المسجون . (عن تكملة المعجمات لدوزي) .
- (٣) التقاف : الحبس والسجن . (عن دوزي) .
- (٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الذبيح » .
- (٥) في النسخة الخطية من نفع الطيب : « الطالب » .

ذكره . والمسألة الأخرى أتم توليتم كبرها ، حتى جرى فيها القدر بما جرى من الانفصال ، والحمد لله على كل حال . وأما الرمي بكذا وكذا مما لا علم لنا بسببه ، ولا عذر لكم من الحق في التكلم به ، فشيء قلما يقع مثله من البهتان ، ممن كان يرجو لقاء ربه ، وكلامكم في المدح والمجور هو عندي من قبيل اللغو الذي نمر به كرما ، والحمد لله فكثروا^(١) أو أقلوا من أى نوع شئتم ، أتم وما ترضونه لنفسكم^(٢) ، وما فُهِتْ لَكُمْ بما فُهِتْ من الكلام ، إلا على جهة الإعلام ، لا على جهة الانفعال ، لما صدر أو يصدر عنكم من الأقوال والأفعال ، فذهبي غير مذهبيكم ، وعندى ما ليس عندكم .

وكذلك رأيتم تكثرون في مخاطبتكم من لفظ الرقية في معرض الإنكار لوجود نفعها ، والرمي بالمتقصة والحق لمستعملها ، ولو كنتم قد نظرتم في شيء من كتب السنة ، وسير الأمة المسلمة ، نظر مصدق ، لما وسِعكم إنكار ما أنكرتم ، وكتبه بخط يديكم ، فهو قادح كبير في عقيدة دينكم ، فقد ثبت بالإجماع في سورة الفلق أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن المراد بها هو وآحاد أمته ؛ وفي أمهات الإسلام الخمس أن رسول صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى رقا جبريل ، فقال : بسم الله يُبريك^(٣) ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شرّ حاسد إذا حسد ، [١٤٠] ومن شر كل ذي عين . وفي الصحيح أيضاً أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر ، فرأوا بحى من أحياء العرب ، فاستضافوهم فلم يضيفوهم ، فقالوا : هل فيكم راق ؟ فإن سيد الحى لديغ أو مصاب ؛ فقال رجل من القوم : نعم ، فأتاه فرقاها بفاتحة الكتاب ، فبرى الرجل ، فأعطى قطيعا من

(١) في النسخة الخطية من نفع الطيب : « أكثروا أو قللوا » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « لأنفسكم » .

(٣) يريد : « يبرئك » فسهل .

غنى ، الحديث الشهير . قال أهل العلم : فيه دليل على جواز أخذ الأجرة على الرقمية والطب وتعليم القرآن ، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبي ثور وجماعة من السلف ، وفيه جواز المقارضة ، وإن كان ضد ذلك أحسن ، وفي هذا القدر كفاية . وما رقيت قط أحداً على الوجه الذى ذكرتم ، ولا استرقيت ، والحمد لله ، وما حمأنى على تبين ما بينته الآن لكم فى المسأله ، إلا إرادة الخير التام لجهتكم ، والطمع فى إصلاح باطنكم وظاهرهم ، فأبى أخاف عليكم من الإفصاح بالظن فى الشريعة ، ورمى علمائها بالمنقصة ، على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم ، منكر علم الجزئيات ، القائل بعدم قدرة الرب على جميع الممكنات ؛ وأنتم قد انتقلتم إلى جوار أناس أعلام ، قلما تجوز عليهم ، حَفِظَهُمُ اللهُ ، المغالطات ، فتأسرهم شهادة العدول التى لا مدفع لكم فيها ، وتقع الفضيحة ، والدين النصيحة ، أعاذنا الله من دَرَكِ الشقاء ، وشماتة الأعداء ، وجهد البلاء .

وكذلك أحذركم من الوقوع بما لا ينبغى فى الجناب الرفيع ، جناب سيد المرسلين ، وقائد العُرِّ المحجَّلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه نقل عنكم فى هذا الباب أشياء منكورة ، يكبر فى النفوس التكلم بها ، أنتم تعلمونها ، وهى التى زرعت فى القلوب ما زرعت من بغضكم ، وإيثار بعدمكم ، مع استشعار الشفقة والوجل من وجه آخر عليكم ، ولولا أنكم سافرتم قبل تقلص ظل السلطنة عنكم ، لكانت الأمة المسلمة ، امتعاضاً لدينها ودينهاها ، قد برزت بهذه الجهات ، لطلب الحق منكم ، فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خدام الدول ما صدر عنكم ، من العبث فى الأبخار والأموال ، وهتك الأعراض ، وإفشاء الأسرار ، وكشف الأستار ، واستعمال المكر والحيل والغدر فى غالب^(١) الأحوال ، للشريف والمشروف ، والخديم والخدم ، ولو لم يكن فى الوجود من الدلائل على صحة ما رضيتم به لنفسكم ، من

الاتسام بسوء العهد، والتجاوز المحض، وكفران النعم، والركون إلى ما تحصل من الحطام الزائل^(١)، إلا عملكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم، أيده الله بنصره، وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه، وفي الكثير من أهل قطره، لكفناكم وضمّة لايعسل دَنَسها البحر، ولا ينسى عازها الدهر، فإنكم تركتموه أولاً بالمغرب عند تلون الزمان، وذهبتُم للكديهِ^(٢)، والأخذ بمقتضى المقامة الساسانية، إلى أن استدعاه الملك، وتخلصت له بعد الجهد الأندلس، فسقطتم عليه سقوط الذباب على الحلواء، وضربتم وجوه رجاله بعضاً ببعض، حتى خلا لكم الجو، وتمكن الأمر والنهي، فهمزتم ولمزتم، وجمتم من المال ما جمعتم، ثم ورّيتُم بتفتد ثغر الجزيرة الخضراء، مكرراً منكم، فلما بلغتُم أرض الجبل انخرقتُم عن الجادة، وهربتم بأثقالكم الهروب الذي أنكره عليكم كل من بلغه حديثكم أو يبلغه إلى آخر الدهر في العُدوتين، من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة بتصرفاتكم حازم، أو يثق بكم في قول أو فعل صالح أو طالح. ولو كان قد بقي لكم من العقل [١٤٢] ما تتفكرون به في الكيفية التي ختمتم بها عملكم بالأندلس، من الزيادة في الغرم وغير ذلك، مما لكم وزره ووزر من عمل به بعدكم إلى يوم القيامة، حسبما ثبت في الصحيح لملككم على مواصلة الحزن، وملازمة الأسف والندم على ما أوقعتُم فيه نفسكم الأمانة، من التورط والتنشّب في أشطان الآمال، ودسائس الشيطان، ونعوذ بالله من شرور الأنفس، وسيئات الأعمال.

وأما قولكم عن فلان: إنه كان حشرة في قشور^(٣) اللوز، وإن فلاناً كان

(١) كذا في فتح الطب. وفي الأصلين: «الحطام باليد».

(٢) كذا في فتح الطب المطبوع. وفي النسخة الخطية: «للكديهِ». وفي الأصلين: «للكديهِ».

(٣) في فتح الطب: «في قلوب».

بُرْغوثًا في تراب الخمول ، فكلام سَفَسَاف ، يقال لكم من الجواب عليه : وأتم
يا هذا ، أين كنتم منذ خمسين سنة مثلا ؟ خلق الله الخلق لا استظهاراً بهم ولا
استكثاراً ، وأنشأهم كما قدر أحوالاً وأطواراً ، واستخلفهم في الأرض بعد أمة
أئمة ، وبعد عصر أعصاراً ، وكلفهم شرائعه وأحكامه ، ولم يتركهم هملاً ، وأمرهم
ونهاهم ، ليلبؤهم أيُّهم أحسن عملاً ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وبكل اعتبار
فلا نعلم في نَمَطِ الطلبة تدريجاً كان أسمح في تدريجكم ، ونبدأ من كذا ، فإنه
كان كذا وكذا ، وأكثر أهل زمانه تخملاً وتقللاً في نفسه بالنسبة إلى منصبه ،
كان الشيخ أبو الحسن بن الجياب ، ولكنه حين علم رحمه الله من نشأتكم ؛
وحالتكم ما علم ، نبذ مصاهرتكم ، وصرف عليكم صداقكم وكذلك فعلت بنت
جَزَى زوج الرهيصي معكم ، حسبا هو مشهور في بلدكم ، وذكرتم أنكم ما زلتم
من أهل الغنى حيث تقرتم بذكر العَرَض [وهو بفتح العين والراء : حُطام
الدينيا ، على ما حكى أبو عبيد ، قال أبو زيد : هو بسكون الراء : المال الذي
لا ذهب فيه ولا فضة] ، وأى مال خالص يعلم لكم أو لأبيكم بعد الخروج
من الثفاف^(١) ، على ما كان قد تبقى عنده من مجبى قرية مترايل ،
ثم من العدد الذي برز قبلكم ، أيام كانت أشغال الطعام بيدكم ، على ما شهد به
الجمهور من أصحابكم ؛ وأما الفلاحة التي أشرتم إليها ، فلا حق لكم فيها ، إذ هي
في الحقيقة لبيت مال المسلمين ، مع ما بيدكم ، على ما تقرر في الفقهيات ، والمعدوم
شرعا كالمعدوم حسا ، ولو قبل من أهل المعرفة بكم بعض ما لديهم من سَقَطَاتكم
في القال والتليل ، ولم يُصْرَف إلى دفع معرفتها عنكم وجهُ التأويل ، لكانت مسألتكم
ثانية لمسألة أبي الخير بل أبي الشر ، الحادثة أيام خلافة الحكم ، المسطورة في نوازل

[١٤٣]

(١) يريد : الحبس والسجن . (انظر تكملة المعجمات لدوزي) .

أبي الأصبع بن سهل ، فاعلموا ذلك ، ولا تهملوا إشارتي عليكم قديماً وحدثاً بلزوم الصلوات ، وحضور الجماعات ، وفعل الخيرات والعمل على التخليص من التبعات ، إنَّ وعد الله حقّ ، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرّنكم بالله العرور .

وقلم في كتابكم : أين الخطط المتوارثة عن الآباء والأجداد ؟ وقد أذهب الله عنا ببركة الملة المحمدية غيبة الجاهلية ، في التفاخر بالآباء ، ولكنني أقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم : إن كانت الإشارة إلى الجيب بهذا ، فمن المعلوم المتحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الأصالة أحد أمائل قطره . قال القاضي أبو عبد الله ابن عسكر : وقد ذكر في كتابه من سألني فلان بن فلان ما نصه : وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة ، لم يزالوا يرثون ذلك كبراً عن كابر ، استقصى جده المنصور ابن أبي عامر . وقال غيره وغيره ، ويبدى من عهود الخلفاء ، وصكوك الأمراء المكتتة بخطوط أيديهم ، من لدن فتح جزيرة الأندلس إلى هذا العهد القريب ، [١٤٤] ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد ، والمنته لله وحده . وإن كانت الإشارة إلى الغير^(١) من الأصحاب في الوقت ، حفظهم الله ، فكل واحد منهم إذا نظر إليه بعين الحق ، وجد أقرب منكم نسباً للخطط المعتبرة ، وأولى ببيرائها بالفرض والتعصيب ، أو مساوياً على فرض المسامحة لكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، حرام دمه وماله وعرضه .

وترجع إلى طريقة أخرى فنقول : من كان يافلان من قومكم في عمود نسبكم فقيهاً مشهوراً ، أو كاتباً قبلكم معروفاً ، أو شاعراً مطبوعاً ، أو رجلاً نبيهاً مذكوراً ، ولو كان يالوشى وكان ، لكان من الواجب الرجوع إلى التناصف

(١) في النسخة المطبوعة من نفع الطيب : « للغير » .

والتواصل والتواضع ، وترك التحاسد والتباغض والتفاطع ، إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبدانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .

وكذلك العَجَبُ كل العجب من تسميتكم الخَرِبَات التي شرعتم في بنائها بدار السلامة ، وهيمات هيمات ، المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وِجَلَاء ، وعَنَاء وفناء ، ولو لم يكن من الموعدة الواقعة بتلك الدار في الوقت إلا موت سعيدكم عند دخولها ، لأغناكم عن العلم اليقيني بما لها ، وأظهرتم سروراً كثيراً بما قلتم إنكم نلتهم حيث أنتم من الشهوات التي ذكرتم أن منها الإكثار من الأكل والحرق ، والقعود بإزاء جارية الماء على نِطْع الجلد ، والإمساك أولى بالجواب على هذا الفصل ، فلا خفاء بما فيه من الخِسة والخبائث والخبث ، وبالجملة ، فسرور العاقل إنما ينبغي أن يكون بما يجمل تقديمه من زاد التقوى للدار الباقية ، فما العيش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا عيش الآخرة ، فقدموا إن قبلكم وصاة الحبيب أو البغيض [١٤٥] بَعْضاً ، عسى أن يكون لكم ، ولا تخلفوا كيلاً^(١) يكون عليكم ، هذا الذي قلته لكم وإن كان لدى من يقف عليه من نمط^(٢) الكثير ، فهو في اعتبار المكان ، وما سر من الزمان في حيز اليسير ، وهو في نفسه قول حق وصدق ، ومُستندٌ أكثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبيائه ، فاحمدوا الله العلي العظيم على تذكيركم به ، إذ هو مجرى النصيحة الصريحة ، يسترني الله وإياكم لليسرى ، وجعلنا ممن ذُكِرْتُمْ فانتفع بالذكرى ، والسلام .

انتهى كلام القاضي ابن الحسن النبأى رحمه الله .

قلت : ولعل هذا الكلام وأشباهه هو الحامل لابن الخطيب على هجو القاضي

(١) كذا في ط . وقت ونفع الطيب : « كلا » .

(٢) في النسخة الخطية من نفع الطيب : « وغط » .

ابن الحسن المذكور في السكتيبة الكامنة ، حيث ذكره ولقبه بـجُعموس^(١) ، ووصفه بما لا يليق ذكره ، ثم ألف في ذلك تأليفاً مستقلاً ، سماه بـجُلمع الرّسن ، في وصف القاضي ابن الحسن ، حسبما ألفت ذلك بخط شيخ شيخنا القاضي سيدي عبد الواحد الوانشريسي رحمه الله ، ولا يخلو كلام كل واحد منهما من تحامل على صاحبه ، والله يسمح لنا ولها بجاه النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ولي الدين بن خلدون في تاريخه ، في موضع آخر ما نصه :

كان محمد بن الأحمر الخلوع قد رجع من رُندة إلى ملكه بغيرناطة ، في جمادى من سنة ثلاث وستين ، وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنزى على ملكهم ، حين هرب من غرناطة إليه ، وفاءً بعهد الخلوع ، واستوى على كرسيه ، واستقل بملكه ، ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب ، فاستخلصه ، وعقد له على وزارته ، وفوض إليه في القيام بملكه ، فاستولى عليه ، [١٤٦] ومملك هواه ، وكانت عينه ممتدة إلى المغرب وسكنائه إلى إن نزلت به آفة في رياسته ، فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكة ، وكان لأبناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرةٌ من^(٢) ولد عمهم السلطان أبي علي ، ويخشونهم على أمرهم ، ولما لحق الأمير عبد الرحمن بن أبي يفوسن بالأندلس ، اصطفاه ابن الخطيب ، واستخلصه لنجواه ، ورفع في الدولة رتبته ، وأعلى منزلته ، وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناته ، مكان بنى عمه من الأعياض^(٣) ، فكانت له آثار في الاضطلاع بها ، ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره ، واستقل بملكه ، وكان ابن الخطيب ساعياً في مرضاته عند سلطانه ، فُدس^(٤) إليه باعتقال عبد الرحمن

(١) الجعموس : الفصير الدميم .

(٢) في تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٣٧ طبعة بلاق) : « على » .

(٣) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « الأعياض » .

(٤) كذا في ط وتاريخ ابن خلدون ونفح الطيب . وفي ت : « فأسر » .

ابن أبي يفلوسن ، ووزيره [المطارد به] ^(١) مسعود بن ماساي ؛ وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره ، وحمل السلطان عليهما ، إلى أن سطا بهما ابن الأحمر ، واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز ؛ وتغير الجو بين ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم ، وتنكر له ، فنزع عنه إلى عبد العزيز ^(٢) سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين ، لما قدم من الوسائل ، ومهد من السوابق ؛ فقبله السلطان ، وأحلّه من مجلسه محل الاصطفاء والقرب ، وخاطب ابن الأحمر في أهله وولده ، فبعثهم إليه ، واستقر في جملة السلطان . ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الأحمر ، فرغب السلطان [عبد العزيز] ^(٣) في ملك الأندلس ، وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان إلى المغرب ؛ ونمى ذلك إلى ابن الأحمر ، فبعث إلى السلطان [عبد العزيز] ^(٣) بهدية لم يُسمع بمثلا ، انتقى فيها من متاع الأندلس وماعونها ، وبغالها الفارهة ومعلوجي ^(٤) السبي وجواريه ، وأوفد بها رسله ، يطلب إسلام وزيره ابن الخطيب إليه ، فأبى السلطان من ذلك ونكره . ولما هلك واستبد الوزير ابن غازي بالأمر ، تميز إليه ابن الخطيب ودخله ، وخاطبه ابن الأحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان [عبد العزيز] ^(٣) ، فلج واستنكف عن ذلك وأصبح الرد ، وانصرف رسوله إليه وقد رهب سطوته ؛ فأطلق ابن الأحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ، وأركبه الأسطول وقذف به إلى ساحل بطوية ^(٥) ، ومعه الوزير مسعود بن ماساي ، ونهض — [يعني ابن الأحمر] — ^(٣) إلى جبل الفتوح ، فنازله بمساركه ، ونزل عبد الرحمن ببطوية .

(١) زيادة عن ابن خلدون .

(٢) العبارة من قوله « وتغير الجو » إلى قوله « عبد العزيز » ساقطة في تاريخ ابن خلدون .

(٣) زيادة عن نفع الطيب .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

(٥) بطوية : من حصون ورباطات سفاقس ، وهي على البحر وبها منار مفرط في الارتفاع .

(عن المغرب للبكري) .

ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا، تركته لطوله، وملخصه: أن الوزير أبو بكر ابن غازي، الذي كان معه^(١) ابن الخطيب، ولى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبته، خوفا عليها من ابن الأحمر، ونهض هو، أعنى الوزير، إلى منازل عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ببطوية، إذ كانوا قد باعوه، فامتنع عليه، وقاتله أياما، ثم رجع إلى تازا^(٢)، ثم إلى فاس، واستولى عبد الرحمن على تازا، وبينما الوزير أبو بكر بفاس يدبر الرأي، إذ وصله الخبر بأن ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبي سالم، وهو المعروف بذي الدولتين، وهذه هي دولته الأولى، وذلك أن ابن عم الوزير، وهو محمد بن عثمان، لما تولى سبته، كان ابن الأحمر قد طاول حصار جبل الفتاح، وأخذ بمخنقته، وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب، فاستعجب له، وقبح ما جاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازي، من الاستغلاظ له في شأن ابن الخطيب وغيره، فوجد ابن الأحمر بذلك السبيل إلى غرضه، وداخله في [١٤٨] البيعة لابن السلطان أبي سالم، من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقة، وأن يقيمه للمسلمين سلطانا، ولا يتركهم فوضى وهملات تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ، ولا تصح ولايته شرعا، وهو السعيد بن أبي فارس، الذي بايعه الوزير أبو بكر بن غازي بتلمسان حين مات أبوه، واستبد عليه، واختص ابن الأحمر أحمد ابن أبي سالم من بين أولئك الأبناء، لما سبق بينه وبين أبيه أبي سالم من الموالاة. وكان ابن الأحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا، منها أن ينزلوا له عن جبل الفتاح، الذي هو محاصر له، وأن يبعثوا إليه جميع أبناء الملوك من بني مرين، ليكونوا تحت حوطة، وأن يبعثوا إليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا

(١) في فتح الطيب: «الذي كان تميز إليه ابن الخطيب».

(٢) تازا: موضع من أعمال بني العافية، في جبل منه الذهب. (عن المغرب للبكري).

عليه ؛ فاعتقد أمرهم على ذلك ، وتقبل محمد بن عثمان شروطه ، وركب من سبتة إلى طنجة ، واستدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله ، فبايعه ، وحمل الناس على طاعته ، واستقدم أهل سبتة للبيعة وكتابتها ، فقدموا وبايعوا ، وخاطب أهل جبل الفتوح ، فبايعوا ، وأفرج ابن الأحمر عنهم . وبعث إليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتوح ، وخاطب أهله بالرجوع إلى طاعته ؛ فارتحل ابن الأحمر من مائة إليه ، ودخله ، ومحا دعوة بني مرين ، مما وراء البحر ، وأهدى للسلطان أبي العباس ، وأمده بعسكر من غزاة الأندلس ، وحمل إليه مالا للإعانة على أمره . ولما وصل الخبر بهذا كله إلى الوزير أبي بكر بن غازي ، قامت عليه القيامة ، وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب إليه يموه بأن هذا عن أمره ، فتهرباً من ذلك ، ولاطف ابن عمه أن ينقض ذلك الأمر ، فاعتل له بانعقاد البيعة لأبي العباس . وبينما الوزير أبو بكر ينتظر إجابة ابن عمه إلى مارامه منه ، بلغه الخبر بأنه أشخص الأبناء المعتقلين كلهم للأندلس ، وحصلوا تحت كفالة ابن الأحمر ، فوجم وأعرض عن ابن عمه ، ونهض إلى تازا المحاصرة عبد الرحمن بن أبي يفوسن ، فاهتبل^(١) في غيبة ابن عمه محمد بن عثمان مُلك المغرب ، ووصله مدد السلطان ابن الأحمر من رجال الأندلس الناشبة^(٢) نحو ستمائة ، وعسكرهم آخر من الغزاة . وبعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمه السلطان أحمد ، ومظاهرتة ، واجتماعهما على مُلك فاس ، وعند بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه ، فتراضيا . وزحف محمد بن عثمان وسلطانه إلى فاس ، وبلغ الخبر إلى الوزير أبي بكر بمكانه من

(١) اهتبل : غم .

(٢) الناشبة ، يريد : الرماة .

تازا ، فانفضَّ معسكره ، ورجع إلى فاس ، ونزل بكُدَيْة العرائس ؛ وانتهى
السلطان أبو العباس أحمد إلى زرهون^(١) ، فصمد إليه الوزير بعساكره ، فاقتل
مَصَافَه ، ورجع على عقبه مفلولا ، وانتهب عسكره ، ودخل البلد الجديد البيضاء ،
وجأجا^(٢) بالعرب أولاد حسين ، فعسكروا بالزَيْتُون ظاهر فاس ، فنهض إليهم
الأمير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الأجلاف ، وشردهم إلى
المصحراء ، وشارف السلطان أبو العباس أحمد بمجموعة من العرب وزناته ،
وبعثوا إلى وليّ دولتهم ونزمار بن عريف ، بمكانه من قصره الذي اختطه
بمَلْوِيَّة^(٣) ، فجاءهم وأطلعوه على كامن أسرارهم ، فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق ،
فاجتمعوا بوادي النجا ، وتحالفوا ، ثم ارتحلوا إلى كُدَيْة العرائس في ذى القعدة
من سنة خمس وسبعين ، وبرز إليهم الوزير بعساكره ، فانهمزمت جموعه ، [١٥٠]
وأحيط به ، وخلص إلى البلد الجديد بعد غص الريق . واضطرب معسكر
السلطان أبي العباس بكُدَيْة العرائس ، ونزل الأمير عبد الرحمن بإزائه ، وضربوا
على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار ، وأنزلوا بها أنواع القتال والإرهاب ؛
ووصلهم مدد السلطان ابن الأحمر ، فأحكموا الحصار ، وتحكموا في ضياع ابن
الخطيب بفاس ، فهدموها ، وعاثوا فيها . ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل
محمد بن عثمان ابن عمّه الوزير أبا بكر في النزول عن البلد الجديد ، والبيعة للسلطان ،
لكون الحصار قد اشتد به ويئس ، وأعجزه المال ، فأجاب ، واشترط عليهم الأمير

(١) الذي في المغرب للبكري : « زرهونة » .

(٢) كذا في ت ونفح الطيب : وجأجا : أهاب ودعا . وفي ط : « وجاء » .

(٣) ملوية : نهر كبير مشهور في المغرب الأقصى ويصب إليه نهر سجلماسة ويصيران
نهرًا واحدًا يصب في بحر الروم في شرقي سبتة وجنوبها على ثلاث مئة وعشرة
أميال . (عن تقويم البلدان) .

عبد الرحمن التجاني له عن أعمال مراکش بدل سجالسة ، فقد واه على كره ، وطوّوا على المكر ، وخرج الوزير أبو بكر إلى السلطان أبي العباس وبايعه ، واقتضى عهده بالأمان وتخلية سبيله من الوزارة ، ودخل السلطان أبو العباس إلى البلد الجديد صباح المحرم ، وارتحل الأمير عبد الرحمن يومئذ إلى مراکش ، واستولى عليها .

محنة ابن الخطيب ووفاته :

ثم ذكر ابن خلدون الخبر عن مقتل ابن الخطيب فقال :

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه [فاتح] ^(١) سنة ست وسبعين ، استقلّ بسطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه ، وسليمان بن داود بن أعراب كبير بني عسكر رديف له ، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر عندما بويح بطنجة على نكبة ابن الخطيب ، وإسلامه إليه ، لما نعى إليه عنه أنه كان يفرى السلطان عبد العزيز المريني ^(٢) بملك الأندلس ، فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ، ولقيه أبو بكر بن غازي بساحة البلد الجديد ، فهزمه السلطان ، ولازمه بالحِصار ، أوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد ، خوفا على نفسه . فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ، ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه ، فقبضوا عليه ، وأودعوه السجن ، وطَيروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر ؛ وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب ، لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على مشيخة

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في ت ونفع الطيب .

الغزاة بالأندلس ، متى أعاده الله إلى ملكه ، فلما استقر له سلطانه ، أجاز له سليمان سفيرا عن [الوزير] ^(١) عمر بن عبد الله ، ومقتضيا عهده من السلطان ، فصدده ابن الخطيب عن ذلك ، [محتجا] ^(١) بأن تلك الرياسة إنما هي لأعياض الملك من بني عبد الحق ، لأنهم يعسوب زناتة ؛ فرجع سليمان ، وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ، ثم جاوز الأندلس لحل إمارته من جبيل الفتح ، فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ، يشير ^(٢) كل واحد منهما لصاحبه بما يحفظه ، مما كمن في صدورهما . وحين بلغ خبر القبض على ابن الخطيب إلى السلطان ابن الأحمر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ، وهو أبو عبد الله ابن زمرك ، فقدم على السلطان أبي العباس ، وأحضر ابن الخطيب بالمشور ^(٣) في مجلس الخاصة ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في المحبة ^(٤) ، فعظم النكير فيها ، فوبخ ونكّل ، وامتنحن بالعداب بمشهد ذلك الملام ، ثم نُقل ^(٥) إلى محبسه ، واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه ، وأفتى بعض الفقهاء فيه ، ودسّ سليمان بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ، ومعهم زعانفة جاءوا في لقيف الخدم ، مع سفراء السلطان ابن الأحمر ، وقتلوه خنقا في محبسه ، وأخرج شلوه من الغد ، فدُفن في مقبرة باب المحروق ، [١٥٢] ثم أصبح من الغد على شافة ^(٦) قبره طريحا ، وقد جمعت له أعواد ، وأضمرت

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) في نفع الطيب : « ينفث » .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب . والمشور : يريد مجلس المشورة . (راجع تكملة العجبات

لدوزي) . وفي ط : « بالمشور » .

(٤) في ت : « بالمحبة » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب المطبوع . وفي ت والنسخة الخطية من نفع الطيب « نل » .

(٦) كذا في الأصين . وفي نفع الطيب المطبوع والخطي : « سافة » . وفي الاحطة :

« سافة » . ولعل الكلمة محرفة عن : « حافة » .

عليه نار ، فاحترق شعره ، واسودَّ بشره ، فأعيد إلى حفرته ، وكان في ذلك انتهاء محنته . وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان ، واعتدوها من هَنَاتِه ، وعظمُ التَّكْيِيرِ فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته ، والله الفعال لما يريد . وكان ، عفا الله عنه ، أيام امتحانه بالسجن يتوقَّع مصيبة الموت ، فتجشَّش هواتفه بالشعر ، يبكي نفسه ، ومما قال في ذلك :

بَعْدُنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتُ وَجِئْنَا بَوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ
وَأَنْفَاسُنَا سَكَنْتْ دَفْعَةً كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهِ الْقُنُوتُ
وَكُنَّا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا وَكُنَّا نَقُوتُ فِهَانِ نَحْنُ قُوتُ
وَكَنَّا شَمُوسَ سَمَاءِ الْعُلَا غَرَبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْنَا السَّمُوتُ^(١)
فَكَمْ خَذَلَتْ ذَا الْحُسَامِ الطُّبَا وَذُو الْبُخْتِ كَمْ جَدَّلَتْهُ الْبُخُوتُ
وَكَمْ سَيْقَ اللَّقْرِ فِي خِرْقَةٍ فَتَى مُلِئَتْ مِنْ كُسَاهِ التَّخُوتِ
فَقُلْ لَعْدَا ذَهَبِ ابْنِ الْخَطِيبِ وَفَاتِ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ
وَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ فُقُلْ : يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتُ
انتهى كلام ابن خلدون في ديوان العبر .

ورأيت تخميسا لبعض بنى الصباغ على هذه القطعة ، لكنَّه زاد فيها بعض أبيات على ما ذكره ابن خلدون ، وها أنا أثبتُّه تميما للفائدة ، وهو :

أَيَا جَاهٍ لَا غَرَّهَ مَا يَفُوتُ وَأَلْهَاهُ حَالٌ قَلِيلُ الثَّبُوتِ
تَأْمَلْ لِمَنْ بَعْدَ أَنْسِ يَصُوتُ^(٢) بَعْدُنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتُ
وَجِئْنَا بَوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ

(١) السموت : الطرق ؛ الواحد : سمت . ولعله يريد : مدارات النجوم .

(٢) في ط ونفح الطيب : « يفتوت » .

لقد نلتُ من دَهْرنا رِفْعَةً تَقَضَّتْ كَبْرُقَ مَضَى سُرْعَةً
فهيّاتِ تَرْجُو لها رَجْعَةً وَأَصْوَاتنا^(١) سَكَنْتِ دَفْعَةً

كجهر الصلاة تلاه القنوت

بدا لي من العزِّ وجهُ شابٍ يُؤمِّلُ سَيْبِي وبأسى يُهابُ^(٢) [١٥٣]
فَسَرعانَ مَرْقُ ذاكِ الإهابِ وَمَدَّتْ وَقَدْ أَنْكَرْتنا الثيابُ
علينا^(٣) نَسأُجِها العنكبوتُ

فأها لعزِّ تَقَضَّى مَنامًا مُنِحْنا به الجاهِ دَوماً^(٤) كِرامًا
وَكنا نَسُوسُ أَمورًا عِظامًا وَكنا عِظامًا فَصِرْنا عِظامًا
وَكنا نَقوتُ فها نَحْنُ قُوتُ

وَكنا لَذا المُلكِ حَلِيّ الطَّلَا فَأها عليه زَمانًا خِلالًا
نُعَوِّضُ مِنْ جِدَّةِ البَلْبَلِي وَكنا شُموِسَ سَماءِ العُلالَا
غَرَبْنَ فَناحَتْ عَلينا السُّموتُ

تَعَوَّذْتُ بِالرِغْمِ صَرفِ اللَّيالِي وَحَمَلْتُ نَفْسِي فِوقَ اِحْتِمالِي
وَأيقَنْتُ أَنْ سَوفَ يَأْتِي اِرتِحالي وَمَنْ كانَ مُنتَظِرًا لِلزَّوالِ
فَكيفَ يُؤمِّلُ مِنْه الثَبوتُ

(١) فيما مر: « وأنفاسنا » .

(٢) كذا في نفع الطيب . والسبب : العطاء . وفي ت : « يؤمن سبي » . وفي ط :

« يؤمن سيني وسيني .. الخ » .

(٣) في ط : « عليها » .

(٤) كذا في ت . وفي ط : « قدما » . وفي نفع الطيب : « قوما » .

هو الموت يا ما له من نَبَأٍ^(١) . يَجُوزُ الْحِجَابَ إِلَى مَنْ أُنِي
ويألف^(٢) أخذ سنى الحَبَا^(٣) فكم أسامت ذَا الحُسَامِ الطَّبَا
وذا البخت كم جدلته البُخوت

هو الموتُ أَفْصَحَ مِنْ مُجْمَعَةٍ وَأَيْقَظَ بِالْوَعْظِ مِنْ نَوْمَةٍ
وسلّى عن الحزن ذَا حُرُوقَةٍ فكم سيق للقبْرِ^(٤) فِي خِرْقَةٍ
ففي مُلْتَمَسٍ مِنْ كُسَاهِ التُّخوت

تَقْضَى زِمَانِي بِعَيْشِ حَصِيبٍ وَعِنْدِي لَدُنِّي انْكَسَارُ المُنِيبِ
وها الموتُ قَدْ صُبَّتْ مِنْهُ نَصِيبِي^(٥) قُتِلَ لِلْعَدَا ذَهَبَ ابْنُ الخَطِيبِ
وفات ومن ذَا الذى لا يفوت

مَضَى ابْنُ الخَطِيبِ كَمَنْ قَبْلَهُ وَمَنْ بَعْدَهُ يَتَقَفَى سُبُلَهُ
وهذا الرَدَى نَاثِرٌ شَمْلَهُ^(٦) فَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ
فقل يفرح اليوم من لا يموت

- (١) يريد : « نبأ » فسهل للشعر .
(٢) كذا في نفع الطيب المطبوع . وفي الأصلين والنسخة الخطية من نفع الطيب :
« ويألف » .
(٣) كذا في النسخة الخطية من نفع الطيب ، يريد : الحباء ، وقصره للشعر . ويريد
بسنى الحباء : الشريف العزيز المتنع في خيائه . وفي الأصلين ونفع الطيب
المطبوع : « الحبا » .
(٤) في ت (هنا) : « للموت » .
(٥) كذا في نفع الطيب المطبوع والمخطوط . وفي ت : « قد ضقت منه نصيب » .
وفي ط : « قد ضعت منه نصيب » .
(٦) موضع هذا الشطر في الأصلين بياض . وقد زدناه عن نفع الطيب .

هو الموتُ عمَّ فما للعدَا يُسرُّون بي حين^(١) ذقتُ الردَى
ومن فاته اليومَ يأتي غداً سَيَبْلِي الجديدُ إذا ما المدى

[١٥٤]

تتابع آحاده والشبوت

أخىَّ توحَّ طريقَ النجاةِ وقدَّم لنفسك قبل الماتِ
وشمرَّ بجِدِّ لما هو آتى ولا تغترِّزِ بسرَّاب الحياةِ
فإنك عمَّا قريب تموتُ

انتهى . وقد تذكرت بقوله :

سَيَبْلِي الجديد إذا ما المدى تتابع آحاده والشبوت
قول الآخر :

نَطَوِي سُبُوتَا وآحادا وننشرها ونحن في الطَّيِّ بين السَّبْتِ والأحدِ
فَعُدَّ ما شئتَ من سَبْتٍ ومن أحدٍ لا بد أن يدخل المطويُّ في العدَدِ

سَمَره :

شعر ابن الخطيب

قال بعض الأعلام : شعر ابن الخطيب ما بعده مطمع لطامع ، ولا مَعْرَجَ
على شاعر بعده للأذان والمسامع ؛ فمن ذلك قوله ساحمحه الله :

عسى خَطْرَةٌ بِالرَّكْبِ يَا حَادِي الْعَيْسِ عَلَى الْمُضْبَعَةِ الشَّمَاءِ مِنْ قَصْرِ بَادِيسِ^(٢)
^(٣)

(١) في ت : « حيث » .

(٢) كذا في ط ونفتح الطيب (ج ٤ ص ٥٨٤) . وفي ت : « نظرة » .

(٣) باديس : فرضة بينها وبين سبنة مئة ميل ، ويقابلها من الأندلس مالقة . (عن

تقوم البلدان) .

- لَنظْفُرَ مِنْ ذَاكَ الزُّلَالِ بِعَالَّةٍ وَنَنَمُ فِي تِلْكَ الظَّلَالِ بِتَعْعِيرِيسٍ^(١)
- حَبَسْتُ بِهَارِكُنِي فُوقًا وَإِنَّمَا عَقَدْتُ عَلَى قَلْبِي لَهَا عَقْدَ تَحْبِيسٍ^(٢)
- لَقَدْ رَسَخَتْ آئِي الْجَوَا فِي جَوَانِحِي كَمَا رَسَخَ الْإِنْجِيلُ فِي قَلْبِ قَيْسِيسٍ
- بِمَيْدَانِ جَفْنِي لِلسَّهَادِ كَتِيبَةٌ تُغَيِّرُ عَلَى سَرَّحِ الْكِرَى فِي كِرَادِيسٍ^(٣)
- وَمَا بِي إِلَّا نَفْحَةٌ حَاجِرِيَّةٌ سَرَّتْ وَالِدَجِي مَا بَيْنَ وَهْنٍ وَتَغْلِيسٍ^(٤)
- أَلَا نَفْسٌ يُرَاحُ مِنْ جَانِبِ الْحَمِي تُنَفِّسُ مِنْ نَارِ الْجَوِي بَعْضَ تَنْفِيسٍ
- وَيَاقِلِبَ لَا تُلْقِ السَّالِحَ فَرِيحًا تَعَذَّرَ فِي الدَّهْرِ اطْرَادُ الْمُتَاقِيسِ
- وَقَدْ تُعْتَبُ الْأَيَّامُ بِعَدِّ عِتَابِهَا وَقَدْ يُعْتَبُ اللَّهُ النِّعَمَ مِنَ الْبُوسِ
- وَلَا تُخْشَى لُجَّ الدَّمْعِ يَا خَطْرَةَ الْكِرَى إِلَى الْجَهَنَّمَ بَلْ قَيْسِي عَلَى صَرَّحِ بَلْقَيْسِيسٍ^(٥)
- تَقُولُ سُلَيْمِي : مَا لِحَسَمِكَ شَاحِبًا مَقَالَةٌ تَأْتِي بِشَابِ ابْنِ تَانِيسِ
- وَقَدْ كُنْتَ تَعْطُونَ كَمَا هَبَّتِ الصَّبَا بَرِيَّانَ فِي مَاءِ الشَّبِيبَةِ مَغْمُوسِ
- وَمَنْ رَاحَ الْأَيَّامُ يَا بِنْتَ عَاصِرٍ يَجُوبُ الْفَلَاحَ رَاحَتِ يَدَاهُ بِتَغْلِيسِيسٍ^(٦)

- (١) التعريس : النزول للاستراحة آخر الليل .
- (٢) الفواق (بالصم والفتسح) : ما بين الخلتين من الوقت ؛ أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع . يريد : وقتنا قصيرا .
- (٣) الكراديس : القطع العظيمة من الخيل . يريد : جيوش السهاد .
- (٤) حاجرية : نسبة إلى حاجر . وهو منزل من منازل الحاج . والوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . والتغليس : آخره .
- (٥) لا تخش : الصواب فيه فتح الشين وإسكان الياء ، إلا أن الوزن لا يستقيم بهذا الضبط . ويشير بصرح بلقيس إلى الآية الكريمة : « قيل لها ادخلي الصرح » .
- (٦) راح الأيام : غالبها ، يرجو أن ترجع كفته .

وَمُنَا نَشَاوَى عِنْدَمَا ^(١) مَتَعَ الضُّحَى كَمَا نَهَضَتْ غُلْبَ الْأَسْوَدِ مِنَ الْخَيْسِ ^(٢)
 قَال : لِبئْسَ الْمُسْلِمُونَ ضِيوفَنَا أَمَا وَأَبِيكَ الْحَبْرَ ^(٣) مَا نَحْنُ بِالْبَيْسِ ^(٤)
 وَهَلْ فِي بَنِي مَثْوَاكَ إِلَّا مُبْرَزٌ بِحَلْبَةِ سُورَى أَوْ بِحَلْقَةِ تَدْرِيسِ
 إِذَا هَزَّ عَسَّالَ الْبِرَاعَةِ فَاتَكَأَ أَسْأَلُ نَجْمِيعَ الْحَبْرِ فَوْقَ الْقِرَاطِيسِ
 يَقْلَبُّ تَحْتَ النَّتْعِ مُقْتَلَةٌ ضَا حَك إِذَا تَفَتَّتِ الْأَبْطَالُ عَنْ مَقْتَلِ شُوسِ ^(٥)
 سَبِينَا عُقَارُ الرُّومِ فِي عُقْرِ خَانِنَا ^(٦) بِحِيلَةٍ ^(٧) تَمُوِيهِ وَخُدْعَةٍ تَدْلِيسِ
 لئنْ أَنْكَرْتِ شَكْلِي فَفَضْلِي وَاضِحٌ وَهَلْ جَائِزٌ فِي الْعَقْلِ إِنْكَارَ مُحْسُوسِ !
 رَسَبَتْ بِأَقْصَى الْغَرْبِ ذُخْرُ مَضْنَةٍ ^(٨) وَكَمْ دُرَّةَ عَلِيَاءِ فِي قَاعِ قَامُوسِ
 وَأَعْرَبَتْ سُوسِي ^(٩) بِالْعُدَيْبِ وَبَارِقِ عَلَى وَطَنِ دَانِي الْجَوَارِ مِنَ الشُّوسِ ^(١٠)

ومن ذلك قوله رحمه الله في الميلاذ النبوى على صاحبه الصلاة والسلام
 يمدح مخدومه أبا عبد الله الخلوع :

ما على القلب بعدكم من جناح أن يرى طائراً بفجر جناح

(١) في ت : « بعدما » .

(٢) متع الضحى : بلغ آخر غايته .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « الخير » .

(٤) بالبيس : يريد : بالبئس ، أى لسنا بمن يقال لهم : بئس المسلمون .

(٥) شوس ، أى تنظر بمؤخر العيون غضبا .

(٦) في نفع الطيب : « دارها » .

(٧) في ط ونفع الطيب : « بحيلة » .

(٨) في نفع الطيب : « نقر مضلة » .

(٩) كذا في الأصلين ونفع الطيب المطبوع . والسوس (هنا) : السجية والطبع . وفي

النسخة الخطية من نفع الطيب : « موسى » .

(١٠) العذيب وبارق : موضعان بالكوفة وفيهما يقول أبو الطيب :

تذكرت ما بين العذيب وبارق بحر عوالينا وبحرى السوابق

والسوس : كورة بالمغرب مدينتها طنجة .

وعلى الشوق أن يُشَبَّ إذا هَبَّ بأنفاسكم نسيمُ الصباحِ
 جيرةَ الحى والحديثِ شُجونٍ والليالى تلينُ بعد الجِراحِ
 أتروُن السَّلْمُوَ خامرَ قلبي بعدكم؟ لا ، وفالقِ الإِصباحِ
 ولو أنى أُعْطِيَ اقتراحى على الأيامِ ما كان بُعْدُكم باقتراحى [١٥٦]
 ضابقتنى فيكمُ صروفُ الليالى واستدارت علىّ دَوْر الوِشاحِ^(١)
 وسَقَّتْنى كأسُ الفراقِ دِهاقًا فى اغتِباقِ مُواصِلِ واضطِباحِ^(٢)
 واستباحَت من جِدَّتِي وفتائِي حَرَمًا لَمْ أَخْلُهُ بالمُسْتَباحِ
 ومنها :

يأتُرَى والنفوسُ أُسْرَى أمانى ما لها من^(٣) وَثاقها من سَراحِ
 هل يُباحُ الوُرودُ بعدَ زيادِ أو يُباحُ اللِّقاءُ بعدَ انتِزاحِ
 وإذا أعوذَ الجِسومَ التِّلاقِي نَابَ عنه تَعارُفُ الأرواحِ

وهى طويلة ، ولم يحضرنى منها فى هذا التاريخ سوى ما كتبتة . قلت : وأظن
 أن الفقيه الكاتب أبازكريا يحيى بن خلدون كاتب الإنشاء بتلمسان المحروسة ،
 أيام السلطان أبى حمو^(٤) موسى بن يوسف الزبائى رحمه الله نسج على منوال
 هذه القصيدة فى قصيدة بديعة له ، ورفعها إلى السلطان أبى حمو فى مولد سنة

قصيدة
 لأبى زكريا
 ابن خلدون
 يحاكي بها
 قصيدة
 ابن الخطيب

(١) الوشاح (بالضم والكسر) : أديم مريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها
 وكشحتها .

(٢) الاغتباق : شرب الفبوق ، وهو شراب العشى . والاضطباح : شرب الصبوح ،
 وهو شراب الصبح .

(٣) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٦٠٢) . وفى ت : « عن » .

(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين هنا : « حم » .

ثمان وسبعين وسبع مئة . وهذا ابن خلدون أخو ولي الدين صاحب التاريخ
المشهور ، ونص القصيدة :

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُنَاحِ أَنْ يَرَى حِلْفَ عَبْرَةٍ وافتضح
وإذا ما المَحِبِّ عَيْلَ اصطبارا كيف يُضغِي إلى نصيحة لآحي
يَا رَعَى اللهُ بِالْمَحْضَبِ رَبْعَا آذَنْتْ عَهْدَهُ النَّوَى بِاتِّزَاحِ^(١)
كَمْ أَدْرْنَا كَأْسَ الْهَوَى فِيهِ مَرْجَا رَبِّ جِدِّهِ مِنَ الْجَوَى فِي الْمَزَاحِ
هَلْ إِلَى رَسْمِهِ الْمُحِيلِ سَبِيلِ يَا حُدَاةَ الْمَطَى تَلِكِ الطَّلَاحِ^(٢)
نَسْأَلُ الدَّارَ بِالْخَلِيطِ وَنَسْقِي ذَلِكَ الرَّبِيعَ بِالذُّمُوعِ السَّفَاحِ
أَيَّ شَجْوٍ عَايَنْتُ بَعْدَ نَوَاهَا مِنْ أَسَى لَازِمٍ وَصَبْرٍ مُزَاحِ^(٣)
أَهْلَ وُدِّي إِنْ رَابَكُمْ بَرْحٌ وَجَدِي مِنْ صَبَابٍ بَارِحٍ وَبَرْقِ لِيَاكِ
فَاسْأَلُوا الْبَرْقَ عَنْ خُفُوقِ فَوَادِي وَالصَّبَابَ عَنْ سَقَامِ جِسْمِي الْمُتَاحِ
يَا أَهْيَلِ الْحَمَى نَدَاءُ مَشُوقِ مَا لَهُ مِنْ هَوَى الدُّمَى مِنْ بَرَّاحِ
طَالَمَا اسْتَعَذَبَ الْمَدَامِعَ وَرَدَا فِي هَوَاكُمُ عَنْ كُلِّ عَذْبِ قَرَّاحِ
عَادَهُ بِالطَّلُولِ لِلشُّوقِ عَيْدُ مِنْ حَمَامٍ بَدَوْحِهِنَّ صِدَاحِ
مَنْ لَقِبَ مِنَ الْجَوَى فِي ضِرَامِ وَلَجَفْنَ مِنَ الْبُكََا فِي جِرَاحِ
وَلصَبِّ يَهْيِجُهُ الذِّكْرُ شَوْقَا فَهُوَ سُكْرًا يَرْتَاحُ مِنْ غَيْرِ رَاحِ
وَلِيَالٍ قَضَيْتُ لِلَّهِ فِيهَا وَطَرَا وَالشَّبَابِ ضَافِي الْجَنَاحِ

[١٥٧]

(١) المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب . (عن معجم البلدان) .
(٢) الطلاح : الإبل التي أعيها السفر وأضناها .
(٣) مزاح : بعيد .

راكباً في الهوى ذُلُولَ تَصَابٍ^(١) ساحباً في الغرام ذيلَ مَراحِ
 ونجومُ الثُّنى تُنيرُ إلى أنْ رَوَّعَ الشَّيْبُ سِرْبَهَا بِالصَّبَاحِ
 أَى مَسْرَمَى حَمِدَتْ لَمْ أُخَلِّ^(٢) مِنْهُ بسوى حمرَةٍ وطولِ افْتِضَاحِ
 وَأَخْسَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللهُ زَلَّتِي وَاجْتِرَاحِي
 لَمْ أَقْدَمْ وَسَيْلَةً فِيهِ إِلَّا حُبَّ خَيْرِ الْوَرَى الشَّفِيعِ الْمَاحِي
 سَيِّدِ الْعَالَمِينَ دُنْيَا وَأُخْرَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ فِي الْعَالَا وَالسَّمَاحِ
 سَيِّدِ الْكُونَ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضِ سِرُّهُ بَيْنَ غَايَةِ وَافْتِتْحَاحِ
 زَهْرَةِ الْغَيْبِ مَظْهَرِ الْوَحْيِ مَعْنَى النُّورِ كُنْهُ الْمَشْكَاةِ وَالْمِضْبَاحِ
 آيَةِ الْمَكْرُمَاتِ قُطْبِ الْمَعَالِي مِصْطَفَى اللهِ مِنْ قُرَيْشِ الْبِطَاحِ
 أَوَّلِ الْأَنْبِيَاءِ تَخْصِيصِ زُفْنِي آخِرِ الْمُرْسَلِينَ بَعَثَ نَجَاحِ
 صَفْوَةِ الْخَلْقِ أَرْفَعِ الرِّسْلِ قَدْرَا وَسِرَاجِ الْهُدَى وَشَمْسِ الْفَلَاحِ
 مَنْ لِمِيلَادِهِ بِمَكَّةَ ضَاءَتْ مِنْ قُرَى قَيْصَرَ جَمِيعِ الضَّوَاحِي
 وَخَبَّتْ نَارُ فَارِسٍ وَتَدَاعَتْ مِنْ مَشِيدِ الْإِيوَانِ كُلِّ النُّوَاحِي
 مِنْ رَقِي فِي السَّمَاءِ سَبْعًا طِبَاقَا وَرَأَى آتَى رَبَّهُ فِي اتِّضَاحِ
 وَدَنَا مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ قُرْبَا ظَافِرًا فِي الْعُلَى بِكُلِّ اقْتِرَاحِ
 مِنْ هَدَى الْخَلْقِ بَيْنَ حُمْرٍ وَسُودِ وَجَلَّ لِئَلَّا غَيَّبَهُمُ بِالصَّبَاحِ
 مِنْ يُجَيْرِ الْوَرَى غَدَا يَوْمَ يُجْزَى كُلُّ عَاصٍ وَطَائِعٍ بِاجْتِرَاحِ

(١) في نفع الطيب : « تقاب » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب الخطى والمطبوع . وفي ت : « لم أنل » .

مَنْ إِلَى حَوْضِهِ وَظِلُّ لَوَاهِ (١)
 أَحْمَدَ الْمُجْتَبَى حَبِيبًا وَأَنَّى
 فِي أَنَاجِيهِ لِهَ الْمَسِيحِ تَلَاهِ
 وَلَكُمْ حُجَّةٌ وَبِرْهَانٍ صَدَقَ
 إِنَّ فِي النَّجْمِ وَالنَّبَاتِ لَأَيًّا
 مَعْجَزَاتٍ فَتَنَ الْمَدَارِكَ وَضَفًّا
 يَا رُؤَاةَ الْقَرِيضِ وَالشَّعْرِ عَجْرًا
 إِنَّمَا حَسَبْنَا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ [١٥٨]
 يَا إِلَهِي بِحَقِّ أَحْمَدَ عَفْوًا
 وَأَدِمْ دَوْلَةَ الْخَلِيفَةِ مُوسَى
 مَفْخَرُ الْمَلِكِ مُسْتَقَرُّ الْمَرَايَا
 نَاصِرُ الْحَقِّ خَازِلُ الْجَوْرِ عَدْلًا
 يَتَلَقَّى النَّسْدَى بِوَجْهِ حَبِيبِي
 وَلَهُ الْمَكْرُمَاتُ إِرْتَاءً وَلُبْسًا (٢)
 مِنْ عُلَا بَاذِخٍ وَفَخْرٍ صَمِيمٍ
 وَأَحَادِيثَ فِي الْمَعَالَى حِسَانٍ
 عَاقِدَ صِفْتَةَ الْعُلَا كُلِّ حِينٍ
 يَلْجَأُ النَّاسُ بَيْنَ ظَامِهِ وَضَاحِي (٣)
 فَوْقَ عِزِّ الْحَبِيبِ مَرْمَى طِيَّاحِ
 بِاسْمِهِ وَالْكَلِيمِ فِي الْأَلْوَابِ
 فِي سَمَاعِ أَنَّى بِهَا وَالنَّيَّاحِ
 بَهَّرَتْ وَالْجَمَادِ وَالْأَرْوَاحِ
 وَحِسَابَا كَلْزَهْرٍ أَوْ كَالصَّبَّاحِ
 مَا عَسَى تُدْرِكُونَ بِالْأَمْدَاحِ
 وَهِيَ لِلْفَوْزِ آيَةٌ أُسْتَفْتَحَ
 عَنْ (٣) ذُنُوبٍ جَنَيْتِهِنَّ قِبَاحِ
 ذِي الْمَعَالَى الْمُبِينَةَ الْأَوْضَاحِ
 مَظْهَرُ اللَّطْفِ ذُو التَّقَى وَالصَّلَاحِ
 مَلْجَأُ الْخَائِفِينَ بِحَمْرِ السَّمَاحِ
 وَيُلَاقِي الْعِدَا بِبَاسِ صِفَاحِ
 حَازَ حَمْدًا بِهَا مُعَلَّى الْقِدَاحِ
 وَكَمَالِ بَحْتٍ وَتَجْدٍ صُرَاحِ
 رُوِيَتْ عَنْهُ فِي الْعَوَالِي الصَّحَاحِ
 فَائِزٌ فِيهِ سَعْيُهُ بِالرَّبَّاحِ

(١) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « حماه » .

(٢) الضاحي : الذي يبرز للشمس ويصلي حرها .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « من » .

(٤) كذا في الأصلين ونفح الطيب . ولعلها : « كسبا » .

لِلنَّدَى وَالْهُدَى يَرْوِحُ وَيَمْدُو أَيَّ مَقْدَى إِلَى الْعَلَا وَمَرَّاحٍ
 مَلِكٍ تَشْرِيقِ الْأَمِيرَةِ مِنْهُ فِي سَمَاءِ السَّرِيرِ نُورِ صَبَاحِ
 وَإِذَا مَا عَالًا بَعَالَى الْعَوَالِي صَهْوَةَ الْجُرْدِ فَهَوَ لَيْثُ الْكِفَاحِ
 لَيْسَ الدَّهْرُ مِنْهُ حُجْلَةٌ حُسْنٌ وَتَنَى لِلشَّرُورِ عِطْفَ مِرَاحِ
 وَعَلَا عَاتِقَ الْخِلَافَةِ مِنْهُ طِرْزٌ فَخْرٍ سَبَى النُّهَى بِالتَّاحِ
 وَرِثَ الْمُلْكَ شَاغِحًا عَنْ سَرَاةٍ شَيْدُوا رُكْنَهُ بِأَيْدِي الصَّفَاحِ
 مِنْ بَنِي الْقَاسِمِ الَّذِينَ تَحَلَّوْا بِالْمَعَالِي وَاسْتَأْتَرُوا بِالْفَلَاحِ
 فَرَعَوْا هَضْبَةَ الْخِلَافَةِ مَجْدًا رَفَعُوا سَقْفَهُ عَلَى الْأَرْمَاحِ
 نَشَرُوا رَايَةَ الْمَفَاخِرِ حَمْدًا خَافِقَ النُّورِ بِالرُّبَا وَالْبِطْجِ
 يَا إِمَامًا بَدَّ الْمُلُوكَ جَلَالًا وَجَمَّالًا فُذِّتَ بِالْأَرْوَاحِ
 أَنْتَ شَمْسُ الْكَمَالِ دُمْتَ عَلِيًّا فِي اغْتِبَاقِ مِنَ الْعُنَى وَاضْطِجَبَاحِ
 وَبَنُوكَ الْأَعْلُونَ أَنْجَمُ سَعْدِ زَاهِرَاتُ بِنُورِكَ الْوَضَّاحِ
 وَأَبُو تَاشَفِينِ بَدْرٌ مُنِيرِ زَانَهُ اللهُ بِالْخِلَالِ الصَّبَّاحِ
 أَكْمَلَ الْعَالَمِينَ خَلْقًا وَخُلُقًا أَشْرَفَ النَّاسِ فِي النَّدَى وَالْكَفَاحِ
 وَبِكُمْ زُيِّنَتْ سَمَاءُ الْمَعَالِي وَاهْتَدَى النَّاسُ فِي الدُّجَى وَالصَّبَّاحِ

قلت : قوله :

أَكْمَلَ الْعَالَمِينَ خَلْقًا وَخُلُقًا أَشْرَفَ النَّاسِ فِي النَّدَى وَالْكَفَاحِ

لا يخلو من قلة تحفظ ، ومثل هذا في الحقيقة إنما يُطلق على رسول صلى الله عليه [١٥٩] وسلم ، وإن كان المتكلم أراد أهل عصره .

وكان السلطان أبو حمو^(١) موسى بن يوسف المدوح في هذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال ، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك ، ولا يقع منهم فيه إغفال ؛ وقد تقدم أن العزني صاحب سبته هو الذي سنّ ذلك في بلاد المغرب ، وأتى بزُني تدينه إلى الله وتُرب ؛ واقتنى الناس سنّته ، وتقلدوا مِنّنه ؛ تعظيماً للجناب الذي [وَجِبَ] له السموة والعلو ، على أن بعضهم قد خرج في ذلك إلى حد الإصراف والغلو ؛ وكل يعمل على شاكلته .

ومن جملة احتفال السلطان أبي حمو^(١) المذكور ما قاله صاحب راح الأرواح^(٢) : « إنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام ، بمشورة من تلمسان المحروسة ، مدعاة حفيظة ، يحشُر فيها الناس خاصة وعامة ، فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزرّابي مبثوثة ؛ وبُسُط مؤشاه ، ووسائد بالذهب مُغشاه ؛ وشمع كالأسطوانات ، وموائد كالهالات ؛ ومباخر صُفُر منصوبة كالقباب ، يخالها المبصر من تبر [مذاب]^(٣) ؛ ويُفاض على الجميع أنواع الأَطعمه ، كأنها أزهار الربيع المنمنمة ؛ تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ، ويخالط حُسن رباها^(٤) الأرواح ويُخامر ؛ رُتّب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال ، وقد علت الجميع أهبّة الوقار والإجلال ؛ وبعقب ذلك يحتفل المُسمِعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومُكفّرات ترغّب في الإقلاع عن الآثام ؛ يخرجون فيها من فن إلى فن ، ومن أسلوب إلى أسلوب ؛ ويأتون من ذلك بما^(٥) تطرب له

[١٦٠]

- (١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « أبو حم » .
- (٢) صاحب راح الأرواح هو أبو عبد الله التنسي ثم التلمساني .
- (٣) التكملة عن نفع الطيب .
- (٤) في ط : « رؤياها » .
- (٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « ما » .

وصف ليل
مولد النبي
أيام السلطان
أبي حمو

النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب ؛ وبالقرب من السلطان ، رضوان الله عليه ،
 خزانة [المنجاة] ^(١) ، قد زُخِرَتْ كأنها حُلَّةٌ يمانية ، لها أبواب مرْتَجَّةٌ ^(٢) ، على
 عدد ساعات [^(٣)] الليل الزمانيه ؛ فهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها ،
 وفتح عند ذلك باب من أبوابها ؛ وبرزت منه جارية صُوِّرَتْ في أحسن صوره ،
 في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطوره ؛ فتضعها
 بين يدي السلطان بلطافه ، ويُسراها على فيها كالمؤدية بالمبايعه حق الخلافه ؛
 هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصباح ، ونداء المنادى حتى « على الفلاح » .
 انتهى كلام صاحب راح الأرواح .

وقال ^(٤) في نظم الدرر والعقيان في هذا المعنى ما نصه :

« وكان ، يعنى السلطان أبا حمو ، يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ،
 ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم ، يُقيم مَدْعَاة ، يحشر لها الأشراف والشُّوقَة ،
 فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزراني مبثوثة ، وشمع كالأسطوانات ، وأعيان
 الحضرة على مراتبهم ، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخرز الملون ، وبأيديهم
 مياخر ومرشّات ، ينال كل منها بحظه ، وخزانة المنجاة ذات تماثيل الحُجُين
 محكمة الصنعة ، بأعلاها أيكة تحمل طائرا ، فرّخاه تحت جناحيه ، ويحتله
 فيهما ^(٥) أرقم ، خارج من كوة بجذر الأيكة صُعُدا ^(٦) ، وبصَدْرِها أبواب مرْتَجَّة

(١) المنجاة : آلة لرصد الوقت . (انظر تكلمة المعجمات لدوزى) .

(٢) كذا في النسخة الخطية من نفح الطيب وفيما سيأتى في الأصلين . وفي الأصاين هنا
 ونفح الطيب المطبوع : « موجفة » .

(٣) التكملة عن ت ونفح الطيب .

(٤) يريد أبا عبد الله التلمساني ثم التنسي صاحب راح الأرواح .

(٥) في نفح الطيب : « فيها » .

(٦) في نفح الطيب : « صاعدا » .

بعدد ساعات الله الزمانية ، يصاقب طَرَفِهَا بابان كبيران ، وفوق جميعها دُورَيْنِ
رأس الخِزَانَةِ ، قرأ كل ، يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك ، ويُسامت
أول كل ساعة بأبها المرتج ، فينقُضُ من البابين الكبيرين عُقَابَانِ ، بِفِي (١) كل
واحد منهما صَنْجَعَةٌ صُفْرٌ ، يلقىها إلى طَسْتٍ من الصُّفْرِ مجوّف ، بوسطه ثقب يفضى
بها إلى داخل الخِزَانَةِ فيرن ، وبينهش الأرقم أحد الفرخين ، فيصفر له أبواه ، فهنا [١٦٦]
يفتح باب الساعة الزاهية ، وتبرز منه جارية محتزِمة ، كأظرف ما أنت راء ،
يمينها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ، ويسراها موضوعة على فيها ، كالمبايعة
بالخلاقة ، والمُسمِعِ قائم ينشد أمداح سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يُؤْتِي آخرَ الليل بموائد كالهالات دَوْرًا ،
والرياض نَوْرًا ؛ قد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشتهيها الأنفس ،
وتستحسنها الأعين ، وتلذّ بسامع أسمائها الأذن ، ويشهره مُبْصِرُهَا للقرب منها
والتناول وإن كان ليس بقرّنان ؛ والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه
فيه ، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع ، حتى يصلّي هنالك صلاة الصبح .

على هذا الأسلوب تمضى ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع أيام
دولته ، أعلى الله مقامه في عليين ، وشكر له في ذلك صنعه الجميل ، آمين .

وما من ليلة مولد مرت في أيامه إلا ونظم فيها [قصيدا] (٢) في مدح المصطفى
صلى الله عليه وسلم أول ما يتبدى المُسمِعُ في ذلك الحفل العظيم بإنشاده ، ثم يتلوه
إنشاد من رفع إلى مقامه العلى في تلك الليلة نظما .

اتهى كلام صاحب نظم الدرر والعقيان ، وهو أتم مساقا من كلامه في
راح الأرواح .

(١) في فتح الطيب : « في يد » .

(٢) زيادة عن ت وفتح الطيب .

شعر لأبي زكريا
ابن خلدون
في المنجاة

أقول : ولا بد أن نذكر جملة من القطع التي أنشأها الكاتب أبو زكرياء
يحيى بن خلدون كاتب السلطان أبي حمو المذكور ، على لسان جارية المنجاة ،
مخاطبة بما سر من الليل ، وكانت الجارية تأتي بها في يدها اليمنى ، كما ذكرناه ؛
فمن ذلك [قوله رحمه الله في مضيّ ساعتين من الليل :

أخليفةَ الرحمن والملك الذي تعنو لعزّ علاه أملاكُ البَشَرِ
لله مجلسك الذي يحكي عُلاَّ بك مالِكِي أفقِ السماء لمن نظر
أَوْ ما ترى فيه النجومَ زواهرها وجهُ الخليفةِ بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قد انقضت تُثني عليك ثنا الرياض على المطر
لا زال هذا المُلكَ منصوراً بكم وبلغتَ ممّا ترتجى أسنى الوطر

[١٦٢]

و] قوله رحمه الله في انقضاء ثلاث ساعات من الليل :

أمولاي يابن الملوك الألى لهم في المعالي سَنِي الرتبِ
تولت ثلاثٌ من الليل أبقت لك الفخرَ في عُجمها والعرب
فدُم حجةَ الله في أرضه تنالُ الذي شئتُه من أرب

وقوله رحمه الله في مضيّ ست ساعات :

يا ماجدا وهو فردُ تحاله في عَسَاكِرِ
سِتُّ من الليل وَاَتَّ ما إن لها من نظائرِ
دامت لياليك حتى إلى المعاد نَوَاضِرِ

وقوله رحمه الله في مضيّ ثمان ساعات :

يا أكرمَ الخلق ذاتا وأشرفَ الناسِ أُسْرَةَ
مَرَّتْ ثمانٌ وأبقتُ في القلبِ مِنِّي حَسْرَةَ

فِيهِنَّ كَانَ شِبَابِي أَخَا نَعِيمٍ وَنَضْرِهِ
وَلَىٰ بِهَا الدَّهْرُ عَنِّي تُرْسِي لَهَا بَعْدُ كَرَاهِي
فَاللَّهُ يُبْقِيكَ مَوْلى يُطِيلُ فِي السَّعْدِ عُمْرِهِ

وقوله رحمه الله في مضي عشر ساعات :

يا مالكا الخير والخيال التي حكمت له بَعِزَّةٍ عَلَى الْأَيَّامِ مُقْتَبَلِ
هذا الصباح وقد لاحت بشائره وَاللَّيْلُ وَدَعْنَا تَوَدِيعَ مُرْتَعَلِ
لله عشر من الساعات باهرة مَضَيْنَ لَا عَن قَلِي مَنَا وَلَا مَلَلِ
كذا تَمَرَّ لِيَالِي الْعُمْرِ رَاحِلَةً عَنَّا وَنَحْنُ مَعَ الْأَمَالِ فِي شُغْلِ
نُصِيبِي وَنُضْجِحُ فِي لَهْوٍ نُسْرُهُ بِهِ جَهْلًا وَذَلِكَ يُذِنِينَا مِنَ الْأَجَلِ
والعمر يَمْضِي وَلَا نَدْرِي فَوَا أَسْفَا عَلَيْهِ إِذْ مَرَّ فِي الْأَنَامِ وَالزَّلَلِ
يا ليت شعري غداً كيف الخلاص به ^(١) وَلَمْ نَقْدِّمَ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْعَمَلِ
يا رَبُّ عَفْوِكَ عَمَا قَدْ جَنَّتْهُ يَدِي فَلَيْسَ لِي بِجِزَاءِ الذَّنْبِ مِنْ قَبَلِ
يا رَبِّ وَانصُرْ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ أَبَا حَمُو الرِّضَا وَأَنَّ لَهُ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَأَبْقِ فِي الْعِزِّ وَالتَّمَكِينِ مَدَّتَهُ وَأَعْلَى دَوْلَتِهِ النَّعْرَا عَلَى الدُّوَلِ

[١٦٣]

ومن الموشحات التي خوطب بها السلطان أبو حور رحمه الله في مولد سنة سبع وستين وسبع مئة ، قول طبيب دولته أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الشهرير بالتلايلسي ، رحمه الله تعالى :

لِي مَدْمَعِ هَتَّانَ يَنْهَلُ مِثْلَ الدَّرَزِ
قَدْ صَيَّرَ الْأَجْفَانَ مَا إِنْ لَهَا مِنْ أُنْزِ

(١) كذا في نفع الطب . وفي ط : « ياليت أن غدا » . وفي ت « ياليت غدا » .
وما ظهرتا التعريف .

حُقِّقَ لَهُ يَجْرِي دَمًا عَلَى طُولِ الدَّوَامِ
 مُذْ جَدَّ فِي السَّيْرِ نَاسٌ إِلَى خَيْرِ الأَنَامِ
 وَعَاقِبَنِي وَزَرِي يَا صَاحِبَ عَن ذَاكَ المَقَامِ
 وَسَارَتِ الأَطْعَانُ يُحْدِي بِهَا فِي السَّحَرِ
 فَاسْتَبْشِرِ الرِّكْبَانَ بِقَرَبِ نَيْلِ الوَطْرِ
 يَا سَعْدَةَ مَنْ زَاوَى قَبْرَ النَّبِيِّ المِصْطَفَى
 مُحَمَّدِ المَخْتَارِ قُطْبِ المَعَالِي وَوَفَا
 فِي مَدْحِهِ قَدْ حَازَ الخَلْقُ طُرًّا وَكُفَى
 فِي مُحْكَمِ القُرْآنِ وَشَرَحِهِ وَالسَّيْرِ
 فَضَّلَهُ الرَّحْمَنُ عَلَى جَمِيعِ البَشَرِ
 يَا حَادِيَ الرِّكْبِ بِاللَّهِ إِنْ جِئْتَ البَقِيعَ
 تَحِيَّةَ الصَّابِ بَلِّغْ إِلَى الهَادِي الشَّفِيعَ
 غُرْبَتُ بِالعَرَبِ عَن ذَاكَ المَعْنَى الرِّفِيعَ
 وَبَلِّغْ لِي إِسْكَانَ يُنْهَضِي لِلسَّفْرِ
 إِلا مَنَ السُّلْطَانَ المَلِكِ المِظْفَرِ
 مَن لَمْ يَزَلْ يَسْمُو إِلَى المَعَالِي كُلِّ حِينِ
 ذَاكَ أَبُو حَمَّوِ المَوْلَى أَمِيرُ المَسْلَمِينَ
 طَاعَتُهُ غُنْمٌ نَلْنَا بِهَا دُنْيَا وَدِينِ
 أَظْهَرَ فِي البُلْدَانِ مَن عَدَلَهُ المُشْتَهَرَ
 وَعَمَّ بِالإِحْسَانِ لِلبِدْوِ ثُمَّ الحَضَرَ

قَابَلَهُ إِسْمَاعَادُ تَكَلَّ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ
 قَبِيلُ عَبْدِ الْوَادِ^(١) بِهِ غَدَتِ فِي سُلْطَنِهِ
 أَيَامُهُ أَعْيَادُ يَالَيْتَهَا أَلْفَا سَنَتَهُ
 مُلْكُ بَنِي زَيْبَانَ بِالْمَشْرِفِيِّ الذِّكْرِ
 أَحْيَاهُ إِذْ قَدْ كَانَ لَيْسَ لَهُ مِنْ خَبَرِ
 تَاهَتْ تَلْمِيسَانُ بِمَلِكِهِ عَلَى الْبِلَادِ
 صَارَ لَهَا شَانُ وَسَعْدُهَا حِلْفُ ازْدِيَادِ
 قَدْ ضَلَّ إِنْسَانُ قَالَ بِهَا يَشْكُو الشُّهَادِ
 لَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانُ وَالْحَبِّ تَرَبُّ السَّهْرِ
 وَالصَّبْرُ لِي خَوَانُ وَالنُّوْمُ مِنْ عَيْنِي بَرِّي^(٢)

وكان هذا السلطان أبو حمو رحمه الله يقرض الشعر، ويحب أهله، وله
 رحمه الله تأليف حسن في السياسة، نخص فيه «سُلُوَانُ الْمُطَاعِ» لابن ظَفَرٍ،
 وزاد عليه فوائد، وأورد فيه جملة من نظمه، وأمورا جرت له مع معاصريه من
 ملوك بني مَرَيْنٍ وغيرهم، وصنّفه برسم ولي عهده أبي تاشَفِينِ، وسمّاه «نظم
 السلوك، في سياسة الملوك».

وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب المذكور آنفا كثيرا
 ما يوجه إليه بالأمداح، ومن أحسن ما وجه له^(٤) قصيدة سينية فائقة، وذلك [١٦٥]
 عند ما أحسن بتغير سلطانه عليه، فجعلها مقدمة بين يدي نجواه، لتمهد له مثواه؛

(١) في ط: «الجواد».

(٢) كذا في ط. وفي ت: «عن».

(٣) برى: يريد: «برى» فسهل للشعر.

(٤) كذا في ط وفتح الطيب (ج ٤ ص ٢٧؛ طبعة بلاق). وفي ت: «إليه».

وتحصل له المستقرّ ، إذا ألباه الأمر إلى المقرّ ؛ فلم تساعده الأيام ، كما هو شأنها
في أكثر الأعلام ؛ وهي هذه :

أُطْلَعْنَ فِي سُدْفِ الْفُرُوعِ شُمُوسًا ضَحِكَ الظَّلامَ لها وكان عُبُوسًا
وَعَطَفْنَ قُضْبًا لِلْقُدُودِ نَوَاعِمًا بُوئِنَ أدواحِ النِّعَمِ غُرُوسًا
وَعَدَلْنَ عَنِ جَهْرِ السَّلَامِ مَخَافَةَ الْوَأَشَى فَجِئْنَ بِلَفْظِهِ مَهْمُوسًا
وَسَقَرْنَ مِنْ دَهْشِ الْوَدَاعِ وَقَوْمِهِنَّ إِلَى التَّرْحَلِ قَدْ أَنَاخُوا الْعِيسَا
وَحَلَسْنَ مِنْ خَلَلِ الْحِجَالِ إِشَارَةَ فَتَرَكَنَ كُلَّ حِجَالِهَا مَخْلُوسًا
لَمْ أَنْسَهَا مِنْ وَحْشَةِ وَالْحَيْ قَدْ زَجَرَ الْحَوْلَ وَأَتَرَ التَّغْلِيسَا
لَا الْمُلْتَقَى مِنْ بَعْدِهَا كَتَبٌ^(١) وَلَا عُوجُ الرِّكَّابِ تَسَامُ التَّخْيِيسَا^(٢)
فَوَقَفْتُ وَقِفَةَ هَائِمِ بُرْحَاوُهُ وَقَفَّتْ عَلَيْهِ وَحُبِّسَتْ تَحْيِيسَا
وَدَعَوْتُ عَيْنِي عَاتِبًا وَعُيُونِهَا بَعْصَا النَّوَى قَدْ بُجِّسَتْ تَبْجِيسَا
نَافَسْتُ يَا عَيْنِي دُرَّ دُمُوعِهِمْ فَعَرَضْتُ دُرًّا لِلدَّمُوعِ نَفِيسَا
مَا لِلْحِمَى بَعْدَ الْأَحْبَةِ مُوَحِّشًا وَلَكَمْ تَرَأَى أَهْلًا مَأْنُوسًا
وَلِسِرِّهِ حَوْلَ الْحَيْمَالَةِ نَافِرًا عَمَّنْ يُحْسِنُ بِهِ وَكَانَ أَنْيسَا
وَلِظَلِّهِ الْمُرُودِ عَمَّرُ قَلْبِيهِ لَا يَقْتَضِي وَرْدًا وَلَا تَعْرِيسَا^(٣)
حَيِّئْتُهُ فَأَجَابَنِي رَجْعُ الصَّدَى لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا إِذَا مَا قَيْسَا
مَا إِنْ يَزِيدُ عَلَى الْإِعَادَةِ صَوْتَهُ حَرْفًا فَيْشْفِي بِالْمَزِيدِ نَسِيسَا^(٤)

(١) كتب ، أى قريب .

(٢) كذا في ط . والتخييس : أن تدلل الدابة وتراض بالركوب . ووق ت ونفح
الطيب : « التخييسا » .

(٣) القليب : البئر . وغمره : أى ماؤه الفاسر . والتعريس : النزول آخر الليل .

(٤) النسيس : غاية جهد الإنسان .

نَضَبَ المَعِينِ وَقَلَّصَ الظِّلَّ الَّذِي ظَلْنَا وَوُفُوا عِنْدَهُ وَجُلُوسَا
 نتواعد الرُّجُوعِي وَنَقَتَمِ اللِّقَا وَنُدِيرُ مِنْ شَكْوَى الغَرَامِ كَوْوسَا
 فَإِذَا سَأَلْتَ فَلَا تَسْأَلِ مُخْبِرَا وَإِذَا سَمِعْتَ فَلَا تُحَسِّ حَسِيدَا
 عَهْدِي بِهِ وَالدَّهْرُ يُنْحِفُ بِالمُنَى وَقَدْ اقْتَضَتْ نِعْمَاهُ أَنْ لَا بُوسَا^(١)
 وَالعَيْشُ غَضُّ الرَّبْعِ وَالدُّنْيَا قَدِ اجْتُمَلِيَتْ بِمَعْنَاهُ^(٢) عَلَى عَرُوسَا
 أَتْرَى يُعِيدُ الدَّهْرُ عَهْدًا لِلصَّبَا دَرَسَتْ مَعَانِي الأَنْسِ فِيهِ دُرُوسَا
 [أوطانٍ أوطارٍ تَعَوَّضَ أَفْقَهَا مِنْ رَوْنَقِ البِشْرِ البِهِيَّ عُبُوسَا]^(٣)
 هِيهَاتَ لَا تُغْنِي لَعَلٌّ وَلَا عَسَى فِي مِثْلِهَا إِلَّا لآيَةُ عِيسَى
 وَالدَّهْرُ فِي دَسْتِ القَضَاءِ مُدْرَسٌ فَإِذَا قَضَى يَسْتَأْنِفُ التَّسْدِيرِسَا
 تَقَسَّتْ فِي جُمَلِ الوَرَى أَبْحَانَهُ لِاسِيًّا فِي بَابِ رِغْمٍ وَبِيسَا
 وَسَجِيَّةُ الإِنْسَانِ لَيْسَ بِنَاصِلِ مِنْ صِبْغِهَا حَتَّى يُرَى مَرْمُوسَا
 يَغْتَرُّ مَهْمَا سَاعَدَتْ أَمَالُهُ فَإِذَا عَرَاهُ الخَطْبُ كَانَ يُمُوسَا
 فَلَوْ أَنَّ نَفْسًا مُكَنَّتْ مِنْ رُشْدِهَا يَوْمَا وَقَدَّسَهَا الهُدَى تَقْدِيسَا
 لَمْ تَسْتَفْزِ رَسُوخَهَا التُّغْمَى وَلَا هَلَعَتْ إِذَا كَثُرَتْ^(٤) إِلَيْهَا البُوسَا
 قَلْ لِلزَّمَانِ إِلَيْكَ عَنِ مُتَدَمِّمِ^(٥) بَضْمَانِ عِزِّ لَمْ يَكُنْ لِيخْبِيسَا^(٦)

[١٦٦]

(١) لا بوسا : لا بؤسا ، فسهل .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « بمعناه » .

(٣) التكلمة عن ت ونفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « كسرت » . وفي ط : « كثرت » وكلاهما تحريف .

(٥) التذمم : المستنكف .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « تبخيسا » .

فإذا استحرَّ جِلادُهُ فأنا الذي اسـتَغشيت مِن سَرَدِ^(١) اليقين لبُوسا^(٢)
 وإذا طفا فِرْعونهُ فأنا الذي مِن صُرّه وأذاه عُدْتُ بموسى
 أنا ذا أبو مشواه^(٣) مِن يَحْمِي الحمى لَيْثًا وَيُعَلِّمُ بِالزَّيْرِ الحِيسا
 بِحِمَى أَبِي سَحْمٍ حَطَطْتُ رِكائِي لَمَّا اخْتَبَرْتُ اللَّيْثَ وَالعَرِيسا
 أَسَدَ الهِياجِ إِذا خَطَا قُدُما سَطًا فَيُخَلِّفُ الأَسَدَ الهِزْبُ فَرِيسا
 بَدْرَ الهُدَى يَأبَى الظَّلَالَ ضِياؤُهُ أبدأً فيجولُ الظلمةَ الحَندِيسا^(٤)
 جَبَلَ الوَقارِ رَسًا وَأشْرَفَ واعْتَلَى وَسَمًا فَطَاطَتِ الجِبالُ رُوسا
 عَمِيثَ النِوالِ إِذا الغامُ حَلوبَةٌ مَثَلَتْ بِأَيْدِي الحالِبِينَ بَسُوسا^(٥)
 تَلقاه يَومَ الأَنسِ رَوضًا ناعِما وَتراه بأَسًا في الهِياجِ بَئِيسا
 كَمَ غَمْرَةٍ جَلَى وَكَمَ خَطْبٍ كَفَى إِنْ أوطأَ الجُرْدَ العِتاقَ وَطِيسا
 كَمَ حِكْمَةٍ أَدبَى وَكَمَ قَصْدٍ هَدَى لِلسائِلِكينِ أبا نَ مِنْهُ دَرِيسا^(٦)
 أَعلى بَنى زِيانَ وَالقَدَّ الذي لَيْسَ الكِمالُ فزِينَ المَلْبُوسا
 جَمَعَ النَدى والباسَ وَالشيمَ العُلاَ وَالسُودَدَ المتواتِرَ القُدُموسا^(٧)
 وَالحَلْمَ لَيْسَ يُباينُ الخُلُقَ الرِّضا وَالعَلْمَ لَيْسَ يعارِضُ الناموسا

(١) سرد اليقين : أى درع من اليقين .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وقت : « البوسا » .

(٣) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « مشواى » .

(٤) الجنديس : الشديد الظلمة .

(٥) البسوس : الناقة التى لا تدر إلا على الإساس ، أى التلطف ، بأن يقال لها : بس

بس ، تسكينها لها .

(٦) الدريس : الطريق الخفى .

(٧) القدموس : القديم .

والسعد يفتى حكمه عن نَصْبَةٍ تستخبرُ التربيعَ والتسديسا
 كم راضٍ صعباً لا يراضُ مُعاصيا كم خاض حَرّاً لا يُخاض ضَرُوسا
 بَلَّغَ التي لا فَوْقَهَا مَتَمَّهلاً وَعَلَا السَّهْمَا واستسفلَ البرجيسا^(١)
 يا خَيْرَ مَنْ خَفَّتْ عَلَيْهِ سَحَابَةٌ لِلنَّصْرِ تُمْظِرُهُ أَجْشٌ بِجَيْسَا^(٢)
 وَأَجَلٌ مَنِ حَمَلَتْهُ صَهْوَةٌ سَابِحٌ إِنْ كَرَّ ضَعُضَ كَرَّهَ السُّكْرُدُوسَا^(٣)
 قَسَمًا بَيْنَ رَفَعِ السَّمَاءِ بغيرِ مَا عَمَسِدٍ وَرَفَعِ فَوْقَهَا إِدْرِيسَا
 وَدَحَا البَسِيطَةَ فَوْقَ لُجِّ مَزِيدٍ مَا إِنْ يَرَالِ عَلَى القَرَارِ حَبِيسَا
 حَتَّى يَهَيَّبَ بِأَهْلِهِ الوَعْدُ الَّذِي حَشَرَ الرَّئِيسَ إِلَيْهِ وَالرَّوَسَا
 مَا أَنْتَ إِلَّا ذَخْرٌ دَهْرَكَ دُمْتُ فِي الصَّوْنِ الحَرِيرِ مُمْتَعًا محرومًا [١٦٧]
 لَوْ سَاوَمْتَهُ الأَرْضُ فَيَكُ بِمَا حَوَتْ لَوَ آكَ مُسْتَمَامًا بِهَا مَبْخُوسَا
 حَلَفَ^(٤) البُرُورِ بِهَا أَلِيَّةَ صَادِقٍ وَيَمِينُ مَنْ عَقَدَ اليمينِ غُمُوسَا^(٥)
 مَنْ قَاسَ ذَاتَكَ بِالذَّوَاتِ فَإِنَّهُ جَهَلَ الوِزَانَ وَأَخْطَأَ التَّمْيِيسَا
 لَا تَسْتَوِي الأَعْيَانُ فَضْلَ مَزِيَّةٍ وَطَبِيعَةَ فَطَرَ الإِلَهَ وَسُوسَا^(٦)
 لِعُنَايَةِ التَّخْصِيسِ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ قَبْلِ ذَرَّةِ الخَلْقِ خَصَّ نَفُوسَا
 مَنْ أَنْكَرَ الفَضْلَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ جَعَدَ العِيَانَ وَأَنْكَرَ الحُسُوسَا

(١) البرجيس (بالكسر) : نجم ، أو هو المشتري .

(٢) بجيسا : غزيرا .

(٣) السكردوس : القطعة العظيمة من الخيل .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصاين : « كلف » .

(٥) عين : يكذب . واليمين الغموس : التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار ، وهي

الكاذبة التي يعتمدها صاحبها عالماً بأن الأمر بخلافه .

(٦) السوس : الطبيعة والسجية .

من دَانَ بالإِخْلَاصِ فِيكَ فَمَقْدُهُ لَا يَقْبَلُ التَّمْوِيهَ وَالتَّلْبِيصَا
 وَالتَّنَمِّيَ الْعَلَوِيَّ عَيْصُكَ لَمْ تَكُن لِتَرَى دَخِيلَا فِي بَنِيهِ دَسِيمَا^(١)
 بَيْتَ الْبَتُولِ وَمُنْتَمَى الشَّرْفِ الَّذِي تَحْمِي الْمَلَائِكُ دَوْحَهُ الْمَفْرُوسَا
 أَمَّا سِيَاسَتُكَ الَّتِي أَخْكَمْتَهَا فَرَمَيْتَ بِالتَّقْصِيرِ أُسْطَاطِلِيصَا
 فَلَوَّانَ كِسْرَى الْفَرَسِ أَبْعَرُ بَعْضَهَا مَا كَانَ يَطْمَعُ أَنْ يُعَدَّ سَوْوَسَا^(٢)
 لَوْ سَارَ عَدْلُكَ فِي السَّنِينَ لِمَا اشْتَكَّتْ بِنْحَسَا وَلَمْ يَكُ بَعْضُهُنَّ كَبِيصَا
 وَلَوْ الْجَوَارِي الْخُنْسُ انْتَسَبَتْ إِلَى أَقْوَامٍ عَزَّكَ مَا خَنَّسْنَ خُنُوسَا^(٣)
 قُدَّتِ الصَّعَابُ فَكُلِّ صَعْبٍ سَامِحٌ لَكَ بِالْقِيَادِ وَكَانَ قَبْلُ شَمُوسَا
 تَلْقَى اللَّيْثَ وَالتَّقَامَ غَمَامَةً قَدَحَ الصَّفِيحُ وَمِيصَهَا الْمُقْبُوسَا
 وَكَانَتْهَا تَحْتَ الدُّرُوعِ أَرَاقِمٌ يَنْظُرُونَ مِنْ خَلَلِ الْمَغَاغِرِ شُوسَا^(٤)
 مَا لَبِنَ مَامَةً فِي التَّقْدِيمِ وَحَاتِمٍ ضَرَبَ الزَّمَانَ بِجُودِهِمْ نَاقُوسَا^(٥)
 مِنْ جَاءَ مِنْهُمْ مِثْلَ جُودِكَ كَلِمَا حَسِبُوا الْمَكَارِمَ كُسُوءَ أَوْ كِيصَا
 أَنْتَ الَّذِي افْتَتَكَ السَّفِينَ وَأَهْلَهُ إِذْ أَوْسَعْتَ سُبُلَ الْإِخْلَاصِ طُمُوسَا
 أَنْتَ الَّذِي أَمَدَدْتَ ثَعْرَ اللَّهِ بِالصَّـ سِدَقَاتِ تَبْلَسُ كَرَّةً إِبْلِيصَا
 وَأَعْنَتَ أُنْدُلُسَا بِكُلِّ سَبِيكَةٍ مَوْسُومَةٍ لَا تَعْرِفُ التَّدْلِيصَا

(١) العيص : الأصل .

(٢) في نفع الطيب المطبوع والمخطوط : « بسوسا » .

(٣) الجوارى الخنس : منها زحل والمرغ والمشتري وعطارد والزهرة ؛ وخنوسها : اختفاؤها .

(٤) شوسا : ناظرة بمؤخر العين غضبا .

(٥) ابن مامة : هو كعب ، وهو من أجواد العرب .

وشحنته بالبرِّ في سُبُل الرضا والبرِّ قارب قاعها القاموسا
 إن لم نَجْرَ بها الخَمِيسَ فطالما جهّزت فيها للنّوال خميسا
 ومَلأت أيدِها وقد كادت على حُكْم القضاء تُشابه التّفليسا
 صدّقتَ للآمالِ صنّعة جابرٍ ^(١) وكفّيتها التّشميع والتّشميسا ^(٢) [١٦٨]
 والحلِّ والتّقطير والتّضميد والتّ خميرَ والتّصويل والتّكليسا ^(٣)
 فسبكت من آمالها مالا ومن أوراقها ورقًا وكُنْ طرُوسا
 بهتوا فلما استخبروا لم يُنكروا وزنا ولا لونا ولا مَلُوسا
 تديير من قلب السُّطورِ سبائكا منها ومن طبع الحُرُوفِ فُلُوسا
 ونحوت نحو الفضل تعضد منه بالـمسموع ما ألفت منه مقيسا
 وجبرت بعد الكسر قومك جاهدا تغني العديم وتُطلق المخبوسا
 ونشرت راية عزّم من بعدما دال الزمان فسامها تنكيسا
 أحكت حيلة برّهم بلطافة قد أعجزت في الطّب جالينوسا
 وقلت من حدّ الزمان وإنه أوحي وأمضى من غرار المومسي
 وشحذت حدًا كان قبلُ مثلما ونعشت جدًا كان قبلُ تعيسا

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٧١ من هذا الجزء) .

(٢) التّشميع : تليين الشيء وتصويره كالشمع . (عن مفاتيح العلوم للخوارزمي) .

(٣) الحل : أن تجعل المنقذات مثل الماء . والتقطير : مثل صنعة ماء الورد ، وهو أن يوضع الشيء في الفراع ويوقد تحته ، فيصعد ماؤه إلى الأنبيق ، وينزل إلى القالبه ، ويجمع فيه . والتضميد : شبيهه بالتقطير ، إلا أن أكثر ما يستعمل في الأشياء اليابسة . والتصويل : أن يجعل الشيء الذي يرسب في الرطوبات طافيا ، وذلك أن يصير مثل الهباء حتى يصول على الماء . والتكليس : أن يجعل جسد في كيزان مطينة ويعمل في النار حتى يصير مثل الدقيق . والشيء يكلس ثم يصول . (عن مفاتيح العلوم) .

لم تَرَجُ إِلَّا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ فِي شِدَّةِ تُكْفَى وَجُرْحِ يُوسَى
 قَدِمْتَ صَبِيحًا فَاسْتَضَاتْ بِنُورِهِ وَوَجَدْتَ عِنْدَ الشِّدَّةِ التَّنْفِيسَا
 مَا أَنْتَ إِلَّا فَالِحٌ ^(١) مُتَيَقِّنٌ بِالنُّجُحِ تَعَمَّرُ مُمَرَّعًا وَيَبِيسَا
 وَمُتَاجِرٌ جَعَلَ الْأَرِيكَةَ صَهْوَةً عَرَبِيَّةً وَاللَّثْكَ الْقَرَبُوسَا ^(٢)
 مَا إِنْ تُبَاعِجُ أَوْ تُشَارِي ^(٣) وَائْتَقَا بِالرِّيحِ إِلَّا الْمَلِكَ الْقُدُوسَا
 وَالْعَزْمُ يَفْتَرَعُ النُّجُومَ بِنَاؤُهُ مَهْمَا أَقَامَ عَلَى التُّقَى تَأْسِيسَا
 وَمَقَامُ صَبْرِكَ وَاتِّكَالِكَ مُذْكَرٌ بِحَدِيثِهِ الشُّبْلِيِّ أَوْ طَاوُوسَا ^(٤)
 وَمَنْ ارْتَضَاهُ اللَّهُ وَفَّقَ سَعْيُهُ فَرَأَى الْعَظِيمَ مِنَ الْحُظُوظِ خَسِيسَا
 مَا أَزْدَدَتْ بِالْتَمَحِيصِ إِلَّا جِدَّةً وَنُضُوتَ مِنْ خِلَعِ الزَّمَانِ لَبِيسَا
 وَلِظَالِمَا طَرَقَ الْخُسُوفُ أَهْلَةً وَلِظَالِمَا اعْتَرَضَ الْكُسُوفُ شُمُوسَا
 ثُمَّ انْجَلَتْ نَسَمَاتُهَا عَنِ مَشْرِقِ لِلسَّعْدِ لَيْسَ بِحَاذِرٍ تَتَعِيسَا
 خُذْهَا إِلَيْكَ عَلَى النَّوَى سَيْنِيَّةٍ تُرْضِي الطَّبَاقَ وَتَشْكُرُ التَّجْنِيسَا
 إِنْ طُوِلَتْ ^(٥) بِالذَّرْمِ مِنْ حَوْلِ الطُّلَى يَوْمًا تَشَكَّتْ حَظَّهَا الْمَوْكُوسَا
 لَوْلَاكَ مَا أَضَعْتَ لِحِطْبَةِ خَاطِبِ وَلَعُنَّتْ فِي بَيْتِهَا تَعْنِيسَا
 قَصَدَتْ سَلِيمَانَ الزَّمَانَ وَقَارَبَتْ فِي الْخَطْوِ تَحْسِبُ نَفْسَهَا بَلْقِيسَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِينَ وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « وَاج » .

(٢) الْقَرَبُوسُ : حَنُوسُ السَّرِجِ .

(٣) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلِينَ : « مَا إِنْ يَبَاعِجُ أَوْ يَشَارِي » .

(٤) الشُّبْلِيُّ : هُوَ أَبُو بَكْرٍ دَلْفُ بْنُ جَعْدَرِ الصُّوفِيِّ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٣٣٤ هـ .

وَطَاوُوسُ : هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو سَعِيدِ الْمَالِئِيِّ الصُّوفِيِّ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ

سَنَةَ ٤١٢ هـ .

(٥) كَذَا فِي ط وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « طَوْلَتْ » .

لى فيك ودِّ لم أكن من بعدما أعطيتُ صَفَقَةَ عهده لِأَخِيْسَا
 كَمْ لى بَصَحَّةَ عَقْدِهِ مِنْ شَاهِدٍ لَا يَحْذَرُ التَّجْرِيحَ وَالتَّنْذِيلِيسَا
 يَبْقَوُ الشَّهَادَةَ بِالْيَمِينِ وَإِنَّهُ لَمَوْءَمَّنٌ مِنْ أَنْ يُعَدَّ فَيْسِيَا^(١)
 لَا يَسْتَقَرُّ قَرَارُ أَفْكَارِي إِلَى أَنْ أُسْتَقِرَّ لَدَى عُلَاكَ جَلِيْسَا
 وَأَرَى تَجَاهَكَ مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ لِلْقَصْدِ الَّذِي أُعْمَلْتُهُ مَعْكَ وَمَا
 هِيَ دِينَ أَيَامِي فَإِنْ سَمَحْتَ بِهِ لَمْ يَبْقَ مِنْ شَيْءٍ عَلَيْهِ يُوسَى
 لَا زَالَ صُنْعَ اللَّهِ مَجْنُوبًا إِلَى مَشَاكٍ يَهْدِي الْبِشْرَ وَالتَّنْأِيْسَا
 مُتَتَابِعًا كَتَتَابِعِ الْأَيَامِ لَا يَذُرُّ التَّعَاقُبَ مُجْمَعَةً وَخَمِيْسَا
 فَلَوْ أَنْصَفْتِكَ إِيَالَةَ الْمَلِكِ الَّتِي رُضْتُ الزَّمَانَ لَهَا وَكَانَ شَرِيْسَا
 قَرَنْتَ بِذِكْرِكَ وَالدَّعَاءِ لَكَ الَّذِي تَخْتَارُهُ التَّسْبِيْحَ وَالتَّقْدِيْسَا
 الْقَلْبُ أَنْتَ لَهَا رَيْسَ حَيَاتِهَا لَمْ تَعْتَبِرْ مَهْمَا صَلَّحْتَ رَيْسَا

[١٦٩]

قال الحافظ أبو عبد الله التنسي، رحمه الله ورضي عنه : هذا ابن الخطيب
 في هذه السينية حدوا أبي تمام في قصيدته التي أولها :

أَقْشِيْبَ رَبِّعِهِمْ أَرَاكَ دَرِيْسَا تَقْرِي ضِيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيْسَا
 واختلس كثيرا من ألفاظها ومعانيها . انتهى .

ووصل ابن الخطيب هذه السينية بنثر بارع يخاطب به السلطان أبا حمو
 المذكور، ونصه :

(١) الفيس : الأحمق الضعيف العقل . وفي ت : « قيسا » بالفاء بدل الفاء ،
 وهو تصحيف .

« هذه القصيدة ، أبقى الله أيام المثابة المولوية الموسوية متمتعاً بالشمل المجموع ،
والثناء المسموع ، والملك المنصور الجموع ؛ نَفْثَةً من باح بسرِّ هواه ، ولَبَّيْ دَعْوَةَ
الشوق العايب بلبه ^(١) وقد ظفّر بمن يهدى خبر جواه إلى محلِّ هواه ؛ ويختلس
بعث تحمّيته ، إلى مُثِير أريحيته ؛ وهي بالنسبة إلى ما يعتقد من ذلك الكمال ، الشاذّ
عن الآمال ؛ عنوان من كتاب ، وذوّاق من أوقار ذات أقتاب ؛ وإلا فمن يقوم
بحق تلك المثابة لسانه ، أو يكافئ إحسانها إحسانه ؛ أو يستقل بوصفها يراعه ،
أو تنهض بأيسر وظيفها ذراعه ؛ ولا مكابرة بعد الاعتراف ، والبحر لا ينفد
بالاعتراف ؛ لا سيما وذاتكم اليوم والله يُبقيها ، ومن المكاره يقيها ، وفي معارج
القُرْب من حضرة القدس يُرقيها ، ياقوتة اختارها واعتبرها ، ثم بلاها بالتحميم [١٧٠]
في سبيل التخصيص واختبرها ، وسبيكة خلصها وسجّرها ، نخلصها بسجّره
من الشوب ، وأبرزها من لباب الذّوب ^(٢) ؛ وقصرت عن هذه الأثمان ، وسرّ
بصدق دعواه ^(٣) البهرمان ^(٤) ؛ ليفاضل بين الجهام والصيّب ، ويميز الله الخبيث
من الطيّب ؛ فأراكم أن لا جدوى للعديد ولا للعُدّه ، وعرفكم بنفسه في حال
الشّده ، ثم فسّح لكم بعد ذلك في المُدّه ؛ لتعرفوه إذا دال الرّخاء ، وهبّت بعد
تلك الزعازع الرّيح الرّخاء ؛ وملاكم من التجارب ، وأوردكم من الطافه أعذب
المشارب ؛ ونقلكم بين إمرار الزمان وإجلانه ، ولم يسلبكم إلا احتيرا عند أوليائه ؛

(١) وردت هذه العبارة محرفة في ت هكذا : « ودعوة الشوق الثابت بلبه » .

(٢) وردت هذه العبارة في الأصلين هكذا : « وسبيكة خلصها وشعرها نخلصها

الشجيرة من الشوب وأبرزتها من ... الخ » . وفي نفتح الطيب : وسبيكة خلصها

وسخرها ، نخلصها لتسخيره من الشوب ... الخ » . والعبارة في كل ذلك قلقة ،

ولعل ما أثبتناه أقرب إلى المعنى المراد . والسجّر : مصدر سجر التنور ونحوه ،

إذا أحماه .

(٣) كذا في نفتح الطيب . وفي ت : « دموعه » . وفي ط : « دعوته » .

(٤) البهرمان : المصفر ، وهو دون الأرجوان شدة حمرة .

وأعادكم المعاد المطهر ، وألبسكم من أثواب اختصاصه المعلم المشهر ؛ فأتم اليوم بعين العناية ، بالإفصاح والكناية ، قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف بالجنایه ؛ فإن كان الملك اليوم عالماً يُدرّس ، وقوانين في قوة الحفظ تُعْرَس ، وبضاعة برصدِ التجارب تُحْرَس ؛ فأتم مالك دار هجرته المحسوبة ، وأصمعي شعوبه المنسوبة ؛ إلى ما حُزتم من أشتات الكمال ، المُربّية على الآمال ؛ فالبيت علويّ المنتسب ، والمُلك بين الموروث والمكتسب ؛ والجود يعترف به الوجود ، والدين يشهد به الركوع والسجود ؛ والبأس تعرفه التهامم والتجود ، والخلق يحسده الروض المَجُود ؛ والشعر يغترف من عذب نمير ، ويصدق من قال بُدِيْ بأَميرٍ وخِمْ بأَميرٍ ؛ وإن مملوكم حَوِّم من بابكم على العذب البرود ، فعاقه الدهر عن الورود ؛ واستقبل أفته ليحقق الرصد ، ولكنه أخطأ القصد ؛

[١٧١]

ومن أخطأ الغرض أعاد ، ورجا من الزمان الإسعاد ؛ فربما خبي نصيب ، أو كان مع الخواطي سهم مُصِيب ؛ وكان يؤمل صحبة ركّاب الحِجَاز ، فانتقلت الحقيقة منه إلى الحجاز ؛ وقطعت القواطع التي لم ينلها الحساب ، ومنعت الموانع التي خَلَص منها إلى الفتنة الانتساب ؛ ومن طلب الأيام أن تجرى على اقتراحه ، وجب العمل على أطراحه ؛ فإنما هي البحر الزاخر ، الذي لا يُدرك منه الآخر ؛ والرياح متغايره ، والسفينة الحائرته ؛ فتارة يتعذر من المُرسى الصّرف ، وتارة تقطع المسافة البعيدة قبل أن يرتد الطرف ؛ هذا إن سالها عطبها ، وأغني من الوقود حطبها ؛ ولقد علم الله جلّ جلاله أن لقاء ذلك المقام الكريم عند المملوك تمام المطلوب ، ممن ^(١) يجبر كسر التلوب ؛ فإنه مما انعقد على كماله الإجماع ، وصح في عوالم معاليه السماع ، وارتفعت في وجود مثاله الأطماع ؛ أخلاقاً هذبها الكرم الوضاح ،

(١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « فن » .

وسجية كلف بها السكال الفصاح ؛ وحرصا على الذكر الجميل ، وما يتنافس فيه
إلا من سمت هممه ، وكرمت ذممه ، وألفت الخلد ريمه ؛ إذ الوجود سراب ، وما
فوق التراب تراب ؛ ولا يبقى إلا عمل راق ، أو ذكر بالجميل يُسَطَّر في أوراق^(١) ؛
حسبا قلت من قصيدة كتبها على ظهر [مكتوب]^(٢) موضوع ، أشار به من
كانت له طاعة ، فوفت بمقترحه استطاعه :

يمضي الزمان فكلّ فانِ ذاهبٌ إلا جميلَ الذكر فهو الباقي
لم يبق من إيوانِ كسرى بعد ذا لك الحقلُ إلا الذِّكرُ في الأوراق
هل كان للسفاح والنصور والهدى من ذِكرٍ على الإطلاق
أو للرشيد وللأمين وصنوه لولا شأبأه يراعَه الوراق
رجع التراب إلى التراب بما اقتضت في كلِّ خلقٍ حكمة الخلاق
إلا الثناء الخالد العطرَ الشذا يَهْدِي حديث مكارم الأخلاق

[١٧٢]

والرغبة من مقامكم الرفيع الجنب ، أن يمكنها من حُسن المثاب^(٣) ؛ فتحظى
بجول ساحتها ، ثم بلثم راحتها ؛ ثم بالإصفاء ، ولا مزبد للابتغاء ؛ إلى أن ترتفع
الوساطة ، وتغني عن التركيب البساطه ؛ ويُندسى الأثر بالعين ، ويُحسِن الدهر
قضاء الدّين ؛ ونسأل الذي أغرى بها القريحه ، ولم يجعل الباعث إلا الحجة الصريحه ؛
أن يُبقي تلك المثابة زينا للزمان ، وذخرا مكنوفا باليمن والأمان ، مظلا برحمة
الرحمن ، بفضلهِ وكرمه . انتهى .

ومن مقطوعاته ، أي ابن الخطيب ، البديعة في مخاطبة هذا السلطان أبي حمّو
صاحب تلمسان ، قوله يشكره على ما كان أعان به أهل الأندلس :

بعض مقطوعات
لابن الخطيب
في السلطان
أبي حمو

(١) في ط : « أو ذكر جميل » .

(٢) زيادة عن نفع الطيب .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « المثاب » .

لقد زار الجزيرة منك بحرٌ
يُمَدّ فليس تعرف منه جزراً
أعدت لها بعهدك عهد موسى
سميك فهي تلو منه ذكرا
أقتت جدارها وأفدت كنزا
ولو شئت اتخذت عليه أجرا

وقوله :

وقالوا الجزيرة قد صوّحت
فقلت : غمام الندى تنتظر
إذا وكفت كف موسى بها
غماما يعود الجناب الخضر
ومخاطبات الوزير ابن الخطيب للسلطان أبي حمو كثيرة جدا ، ولنقتصر منها
على ما ذكرناه .

ومن نظم ابن الخطيب رحمه الله :

يا إمام الهدى وأى إمام
أوضح الحق بعد إخفاء رسمه
أنت عبد الحليم حاكم نرجو
فالمسمى له نصيب من اسمه

[وله يخاطب عبد الواحد بن زكرياء بن أحمد اللحياني أبا مالك ابن سلطان
إفريقية مؤدعا :

أبا مالك أنت نجل الملوك
ومثلك يرتاح للمكرّمات
عزيز بأنفسنا أن نرى
وقد خبرت منك خلقا كريما
وفازت^(١) لديك بساعات أنس
ولولا تعلنا أننا
غيوث الندى وليوث التزال
ومالك بين الورى من مثال
ركابك مؤذنة بارتحال
أناف على درجات الكمال
كما زار في الليل طيف الخيال
نزورك^(٢) فوق بساط الجلال

(١) كذا في نفع الطيب (ج ٤ ص ١٧٦) . وفي الأصلين : « وجزت » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « بزورك » .

ونبلُغُ فيكَ الذي نبتغي وذاك على الله سهل المنال
لما فَتَرْتُ أَنفُسَ مِنْ أُمِّي وَلَا بَرِحْتُ أَدْمَعُ فِي انْهَمَالِ
تَلَقَّتْكَ حَيْثُ احْتَلَلْتُ السَّعُودُ وَكَانَ لَكَ اللهُ فِي كُلِّ حَالِ
وتوفى أبو مالك الخطاطب بهذا ببلد الجريد سنة خمسين وسبع مئة^(١).

ومن أبدع ما وقع لابن الخطيب لاميته التي أولها :

* الحق يعلو والأباطل تسفل *

قال ابن حجة في شرح بديعته ، الذي سماه بتقديم أبي بكر ، ما نصه :
« ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الأعداء ، براعة الاستهلال للعلامة إمام
المغرب ، ذى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، وهى :

من قصيدة
« المنح الغريب »
له

الحق يعلو والأباطل تسفل والله^(٢) عن أحكامه لا يُسأل [١٧٣]

فإنه قال : نظمت للسلطان أسعده الله تعالى وأنا بمدينة سلا ، لما انفصل
طالباً حقه بالأندلس ، قصيدة كان صنع الله براعة استهلالها^(٣) ، ووجهت بها إليه
إلى رُندة قبل الفتح ، ثم لما قَدِمْتُ أنشدتها [بين يديه]^(٤) بعد الفتح وفاء
بنذرى ، وسَمَّيْتُهَا : « المنح الغريب ، فى الفتح القريب » ، منها قوله رحمه الله :
وإذا استحال حالة وتبدلت فالله عز وجل لا يتبدل
واليسرُ بعد العسر موعود به والصبر بالفرج القريب مؤكَّل
والمستعدُّ لما يؤمَل ظافر وكفالك شاهد « قِيدُوا وَتَوَكَّلُوا »

(١) فى نفع الطيب : سنة ٧٤٠ .

(٢) فى شرح بديعية ابن حجة : « والحق » .

(٣) فى شرح البديعية المذكور : « كان صنع الله مطابقا لاستهلالها » .

(٤) الزيادة عن شرح البديعية لابن حجة .

أحمد والحمد منك سجية
 أما سُعودك فهو دون مُنازع
 ولك السجايا الغرُّ والشيم التي
 ولك الوَفار إذا تَزَلَّزَتِ الرُّبا
 عَوِّذُ كمالك ما استطعتَ فإنه
 تاب الزمان إليك مما قد جَنَى
 إن كان ماضٍ من زمانك قد مضى
 هذا بذاك فشفع الثاني (٢) الذي
 والله قد ولّاك أمرَ عباده
 وإذا تَعَمَّدك الإله بنصره
 وطمعت عن أوطان ملكك راكبا
 والبحرُ قد حُنيت (٥) عليك ضلوعه
 ولك الجوارى المنشآت قد اغتدت
 جوفاء يحملها ومن حملت به
 صبَّحتهم غرَرَ الحِياد كأنما
 بحُلَيْمها دون (١) الورى تتجملُ
 عَقْد بأحكام القضاء مُسَجَّل
 بغيريها يَتَمَثَّل المَتَمَثَّل
 وهَفَّت من الرِّوعِ الهِضاب المَثَل
 قد تنقصُ الأشياءُ مما تكمل
 والله يأمرُ بالمتاب وَيَقْبَل
 بإسائةٍ قد سَرَكَ المُسْتَقْبَل
 أرضاك (٣) فيما قد جناه الأول
 لما ارتضاك ولايةً لا تُغزَل
 وقضى لك الحُسنى فمن ذا يَخْذَل
 مَن (٤) العُباب فأى صبرٍ يجمل ؟
 والريح تقطع للزفير (٦) وترُسل
 تختالُ في بُرْدِ الشباب وترْفَل
 من يعلم الأثنى وماذا تحمل
 سَدَّ (٧) الثنية عارضٌ مهلَّل

(١) في شرح البديعية : « بين » .

(٢) كذا في البديعية . وفي الأصلين : « الجاني » .

(٣) كذا في ط . وفي ت : « ارتضاك » .

(٤) كذا في البديعية . وفي الأصلين : « بين » .

(٥) كذا في نفتح الطيب ، وفي ط : « خفقت » وفي ت : « خفت عليه » .

(٦) في البديعية : « تبتلع الزفير » .

(٧) كذا في البديعية . وفي ت : « كأنها بيد الثنية » أى بطريق الثنية . وفي ط :

« كأنها أسد الثنية » وهي محرقة عما أثبتناه في صلب الكتاب .

مِنْ كُلِّ مَنْجَرِدٍ أَغْرَتْ مُحَجَّلٌ يرمى الجياد^(١) به أغرُّ مُحَجَّلٌ
زَجَلَ الْجَنَاحَ إِذَا أُجِدَّ لِفَاغَرَةٍ^(٢) وإذا تَغَنَّى لِلصَّهِيلِ فُجْلِبُلٌ
جَيِّدٌ كَمَا التَّفَتَ الظَّلِيمُ وَفَوْقَهُ أُذُنٌ مَمَشَّقَةٌ وَطَرْفٌ أَكْحَلٌ
ومنها :

[١٧٤] وخليج هندٍ راقٍ حسنٌ صفائه حتى يكاد يعوم^(٣) فيه الصيقل
غرقت بصفحته النِّمَالُ وأوشكت تبغى النجاة فأوثقتها الأرجل
فالصرح منه ممرِّدٌ، والصفح منه مؤرِّدٌ، والشطُّ منه مُصْنَدَلٌ^(٤)
وبكل أزرَقٍ إنْ شَكَتْ الحَاظُهُ مَرَّةَ العُيُونِ فبالعجاجة يُكْحَلُ^(٥)
مُتَأَوِّدٌ أَعْطَافُهُ فِي نَشْوَةِ مِمَّا يُعَلُّ مِنَ الدَّمَاءِ وَبُنْهَلٌ
عَجَبًا لَهُ أَنْ النَجِيعَ بِطَرْفِهِ رَمَدٌ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مُقْتَلٌ
لله موقفك الذي وثباته وثباته مَثَلٌ بِهِ يُتَمَثَّلُ
والنَّصْلُ خَطٌّ، والمَجَالُ صَحِيفَةٌ والسَّمَرُ تَنْقُطُ، والصَّوَارِمُ تَشْكُلُ
والبييض قد كسرت حروفُ جُفُونِهَا وعوامل الأَسَلِ المَثْقَفُ تَعْمَلُ

وهي طويلة ، وجميعها فرائد ؛ ولم أكثر منها إلا لعلمي أن كلام لسان الدين
ابن الخطيب غريب في هذه البلاد . انتهى كلام ابن حجة رحمه الله .

ومن هذه بعد قوله « وطرف أكحل » :

فكأنما هو صورة في هيكل من لطفه وكأنما هو هيكل

(١) كذا في البديعة . وفي الأصلين : « الجراد » .

(٢) في ت والبديعة : « لغاية » .

(٣) في البديعة . « يقول » .

(٤) في ط والبديعة ونفع الطيب : « مهذل » .

(٥) مره العيون : خلوها من الكحل ، أو فسادها لتركة .

ومنها ، بعد قوله : « والبيض قد كسرت » البيت ، قوله :

لله قومك عند مُشْتَجِرِ القَنَا إِذْ تَوَّبَ الدَّاعِي المُهَيَّبَ وَأَقْبَلُوا
قوم إذا لَفَحَ الهَجِيرَ وَجُوهَهُمْ حَجَبُوا بِرَايَاتِ الجِهَادِ وَظَلَلُوا

ومن مقطوعات ابن الخطيب قوله لما أشرف على مراکش :

ماذا أُحَدِّثُ عَنْ بَحْرِ سَبَّحَتْ بِهِ مِنْ البَحَارِ فَلَا إِثْمَ وَلَا حَرَجُ
دَحَاهُ مَبْتَدِعِ الأَشْيَاءِ مُسْتَوِيَا مَا إِنْ بِهِ دَرَكٌ كَلَّاءٌ وَلَا دَرَجُ
حتى إذا ما للمنار الفرد لاح لنا صَحَّتْ أبشري يامطايا^(١) جَاءَكَ الفَرْجُ
قَرُبْتُ مِنْ عَامِرٍ دَاراً وَمَنْزَلَةً وَالشَّاهِدُ العَدْلُ هَذَا الطَّيِّبُ والأَرْجُ
وقال رحمه الله :

كأنَّا بِنَامِسِنَا نَجُوسٌ خَلَاهَا وَمَمْدُودَهَا فِي سِيرِنَا لَيْسَ يُبْقِرُ
مراكبُ فِي البَحْرِ المَحِيْطِ تَحْبَبْتُ وَلَا جِهَةٌ تَدْرِي وَلَا البَرُّ يُبْصِرُ

[١٧٥]

قال ابن الخطيب : ولما قضى الله عز وجل بالإدالة ، ورجعنا إلى أوطاننا من العُدوة ، واشتهر عنى ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة ، والتَّيِّه على السلطان ، والدالة^(٢) والتكبر على أعلى رُتَبِ الخدمة ، وتطارحتُ على السلطان في استنجاز وَعَدِ الرحلة ، ورغبت في تَبَرُّة^(٣) الذمة ، ونفرت عن الأندلس بالجملة ، خاطبني ، يعنى أبا جعفر بن خاتمة ، بعد صدر بلغ من حسن الإشارة ، وبراعة الاستهلال الغاية ، بقوله :

(١) هذه الكلمة ساقطة في ت .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « والدولة » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « تفدية » وفي ط : « تفويت » .

« وإلى هذا يا سيدي ومحل تعظيمي وإجلالي ، أمتع الله تعالى بطول بقائكم ، وضاعف في العز درجات ارتقائكم ^(١) ؛ فإنه من الأمر الذي لم ينب عن رأى العقول ، ولا اختلف فيه أرباب العقول ؛ أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها ، وتاج مفرقها ؛ وواسطة سلكها ، وطراز ملكها ؛ وقلادة نحرها ، وفريدة دُرّها ^(٢) ، وعقد جيدها [النصوص] ^(٣) ، وكال زينها ^(٤) على العموم والخصوص ؛ ثم أتم مدار أفلاكها ، وسر سياسة أملاكها ؛ وترجمان بيانها ، ولسان إحسانها ، وطبيب ^(٥) مارستانها ؛ والذي عليه عقد إدارتها ، وبه قوام إمارتها ؛ فلديّه يُحلّ المشكل ، وإليه يلتجأ في الأمر المعضّل ؛ فلا غرّ وأن تنقيد بكم الأسماع والأبصار ، وتحديق نحوكم الأذهان والأفكار ؛ وميز جرعكم السامح والبارح ، ويُسْتَنْبأ ما تطرف عنه العين وتحتلج الجوارح ؛ استقراء لمرامكم ، واستطلاعاً لطالع اعتزامكم ، واستكشافاً عن سراي سهامكم ؛ لا سيما مع إقامتكم على جناح خُفوق ، وظهوركم في مُلتَمَع بُروق ، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق ؛ حتى تستقر بكم الديار ، ويلقى عصاه التسيار ؛ ولها العذر في ذلك ، إذ صدّعها بفرّاقكم لم يندمل ، وسرورها ببقائكم لم يكتمل ؛ فلم يبرّ بعد جناحها المهيمض ، ولا جَمّ ماؤها المغيض ، [١٧٦] ولا تميزت من داجيها لياليها البيض ؛ ولا استوى نهارها ، ولا تألقت أنوارها ؛ ولا اشتملت نعاؤها ، ونسيت غماؤها ؛ بل هي كالناقة ، والحديث العهد بالمكاره ، تستشعر نفس العافيه ، وتمسح منكم باليد الشافيه ؛ فبحنانكم عليها ، وعظيم

(١) في ط : « ارتفاعكم » .

(٢) في ط : « دهرها » .

(٣) التكملة عن نفع الطيب .

(٤) في نفع الطيب : « وتام زينتها » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وطب » .

حرمتكم على من لديها ؛ لا تشوبوا لها عذب المُجاج بالأجاج ، وتقطموها عما
عُودت من طيب المزاج ؛ فما لدائها — وحياة قريبكم — غير طِبِّكم من علاج ؛ وإني
ليخطرُ بخاطري محبة فيكم ، وعناية بما يعنيتكم ، ما نال جانبكم — صانه الله — بهذا
الوطن من الجفاء ، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء ؛ وأن الوطن
إحدى الحواضن الأظفار ، التي يحق لها جميل الاحتفاء ، وما يتعلق بكم من حرمة
أولياء القرابة وأوداء الصفاء : فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنح ، وبحق
نفسكم عن حق أوليائكم أسمح ، والتي هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسبح .
وهب أن الدرّ لا يحتاج في الإثبات ، إلى شهادة النحور واللِّبّات ؛ والياقوت
غنى المكان ، عن مظاهرة القلائد والتهيجان ، أليس أنه أعلى للعيان ، وأبعد
عن مكابرة البُرْهان ، تألقها في تاج الملك أنوشِروان ؛ فالشمس وإن كانت أم
الأنوار ، وجلاء الأبصار ، مهما أغشى مكانها من الأفق قيل : أليل هو أم نهار ؛
وكما في علمكم ما فارق ذوو الأرحام ، وأولو الأحلام ؛ مواطن استقرارهم ، وأما كن
قرارهم ، إلا برغمهم واضطرارهم ، واستبدال دار خير من دارهم ؛ ومتى توازن
الأندلس بالمغرب ، أو يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب ؟ ما تحت أديمها أشلاء
أولياء وعُباد ، وما فوقه مرابط جهاد ، ومعاقد ألوية في سبيل الله ومضارب
أوتاد ؛ ثم يموتى ولده مَبُوءاً أجداده ، ويجمع له بين طارفه وتِلاده ؛ أعيد
أنظاركم المسدّدة من رأى فائل ، وسعى طويل لم يحل منه بطائل ، فحسبكم من
هذا الإياب السعيد ، والعود الحميد . . وهي طويلة .

[١٧٧]

قال ابن الخطيب : فأجبتة بقولى :

لَمْ فِي الْهَوَى الْعُذْرَى أَوْ لَا تَلْمُ فَالْعَدْلُ لَا يَدْخُلُ أَسْمَاعِي
شَأْنُكَ تَعْنِينِي وَشَأْنِي الْهَوَى كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي

رد ابن الخطيب
على كتاب
ابن خاتمة

أهلاً بتُحفّة القادِم ، وريحانة المُنادِم ، وذِكْرى الهوى المتقادِم ؛ لا يُصْفِرُ^(١) الله
مَسْرَاك ، بما أسْرَاك ؛ لقد جُبْتُ^(٢) إلى من هومى ليلا ، وجست رَجْلاً وخيلاً ،
ووفّيت من صاع الوفاء كيلاً ، وظنّنت بي الأسف على مافات فأعملت الالتفات
لكيلاً ؛ فأقسم لو أن أمرى اليوم بيدي ، أو كانت اللّمة السوداء من عُددي ؛
ما أفلتت شراكي المنصوبة لأمثالك ، حول المياه وبين المسالك ، ولا علمت
ما هنالك ؛ لكنك طرقت حَمِي كَسَعْتَهُ الغارة الشَّعواء ، وغيّرت ربه الأنوان ؛
نعمد بعد ارتجاجه ، وسكت أذِينُ دَجَاجه ، وتلاعبت الرياح الهُوج فوق فجاجة ؛
وطال عهده بالزمان الأوّل ، وهل عند رسم دارس من مُعَوَّل ؛ وحيّا الله ندباً
إلى زيارتي ندبك ، وبآدابه الحكّمية أدبك :

فكان وقد أفاد بك الأمانى كمن أهدى الشفاء إلى العليل

وهى شيمة بوركت من شيمه ، وهبة الله قبّله من لدن المشيمه ، ومن مثله
في صِلَة رَعَى ، وفضّل سَعَى ، وقولٍ ووَعَى ؟

قسماً بالكواكب الزُّهُر وانزهر عاتمّه

[١٧٨]

إنما الفضل مِلّة ختمت بابن خاتمّه

كسأني حُلّة فضله ، وقد ذهب زمان التجمّل ، وحملنى شكره وكِتدى واهٍ عن
التَّحْمَل ، ونظرنى بالعين الكليّة عن العيب فهلا أجاد التأمل ، واستطلع طلع
نَتَى ، ووالى فى مَبْرَك المَعْجِزَة حَتَّى ، إنما أشكو بَتَى :

* ولو تُرُك القطا ليلا لنا ما *

(١) فى ط ونفع الطيب : « لا يصفر » .

(٢) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « جئت » .

وما حال شَمَلٌ وتَدُه مفروق ، وقاعدته فرُوق ، وصُواع بنى أبيه مسروق ؛ وقلب قرحُه من عضة الدهر دام ، وجمرة حَسْرته ذات احتدام ؛ هذا وقد صارت الصغرى ، التي كانت الكبرى ؛ لمشيب^(١) لم يدع أن هم لما نجم ، ثم تهلل عارضه وانسجم :

لا تجمعي هَجْرًا علىَّ وغُرْبَةً فلهجر في تَلَف الغريب سريع
نظرتُ فإذا الجنب ناب ، والنفس فريسة ظُفر وناب ، والمال أكيّلة انتهاب ،
والعمر رَهْن ذهب ، واليد صِفر من كل اكتساب ، وسوق المَعاد مترامية
والله سريع الحساب :

ولو نُعْطَى الخيَارَ لما افترقنا ولكن لا خيارَ مع الزَّمانِ
وهبُ أن العمرَ^(٢) جديد ، وظل الأمن مديد ، ورأى الاغتباط بالوطن شديد ،
فما الحُجَّة لنفسى إذا مرت بمطّارح جفوتها ، وملاعب هفوتها ؛ ومثاقف قناتها ،
ومظاهر عُرْأها ومَنَاتها ؛ والزمان ولود ، وزناد السكون غير صلُود !
وإذا امرؤٌ لدَغْتُهُ ألقى مرة تركته حين يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرَق

ثم إن المرغَّب قد ذهب ، والدهر قد استرجع ما وهب ، والعارض قد اشتهب ؛
وآراء الاكتساب مرجوحة^(٣) مرفوضة ، وأسماؤه على الجوار مخفوضة ، والنية
مع الله على الزهد فيما بأيدي الناس معقوده ، والتوبة بفضل الله عز وجل منقوده ،
غير معترضة ولا منقوده^(٤) ؛ والمعاملة سامرية ، ودروع الصبر سابرية ؛ والاقتصاد

[١٧٩]

(١) كذا في نفع الطبيب . وفي الأصلين : « لسبب » وهو تصحيف .

(٢) في ط : « الأمر » .

(٣) في ط : « مرجومة » .

(٤) منقودة (الأولى) : من نقد الثمن ، وهو تعجيله . و(الثانية) : من النقد ، وهو

تمييز ما في الشيء من حسن وقبح .

قد قرت العين بصحبته ، والله قد عوض حب الدنيا بمحبته ؛ فإذا راجعها مثلي
من بعد الفراق ، وقد رَقَى لَدَعْتَهَا أَلْفَ رَاقٍ ؛ وجمعتني بها الحجرة . فما الذي تكون
الأجره ؟ جل شأني ، وإن رضى الوامق^(١) وسخِطَ الشاني ؛ إني إلى الله مهاجر ،
وللعرض الأدنى هاجر ، ولأطعان الشرى زاجر ، لنجد إن شاء الله تعالى أوحاجر ؛
لكن دعاني للهوى ، إلى هذا المولى المنعم هوى ؛ خلعت نعلى الوجود وما خلعت ،
وشوق أمرنى فأطعته ، وغالبَ صبرى والله فما استطعته ؛ والحال أغلب ، وعسى
ألا ينجيب المطلب ؛ فإن يسر رضاه فأمل كَمَل ، وراحل احتمال ، وحادٍ أشجى
الناقة والجل ؛ وإن كان خلاف ذلك ، فالزمان جم العوائق ، والتسليم بمقامى لائق ؛
ما بين غمضة عين وانتباهتها يصرف الأمر من حال إلى حال
وأما تفضيله هذا الوطن على غيره ، لئمن طيره ، وعموم خيره ؛ وبركة جهاده ،
وعُمران رُباه ووهاده . بأشلاء عباده وزُهاده ؛ حتى لا يفضله إلا أحد الحرمين ،
فحق برى من المين ؛ لكننى للحرمين جَنَحْتُ ، وفي جو الشوق إليهما سَنَحْتُ ؛
فقد أفضت إلى طريق قصدى مَحَجَّتْهُ ، ونصرتنى والمنه لله حُجَّتْهُ ؛ وقصد سيدى
أُسْنَى قَصْدٌ توخاه الحمد والشكر ، ومعروف عُرِفَ به التُّكْرُ ؛ والآمال من فضل
الله بعد تُمْتار ، والله يخلق ما يشاء ويختار ؛ ودعاؤه بظهر الغيب مَدَد ، وعُدَّة
وعَدَد ، وبره حالى الظعن والإقامة معتمل ومعتمد ، ومجال المعرفة بفضل له لا يحصره
أمد . والسلام . انتهى .

وقال في الإحاطة في ترجمة السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن المريني ،
بعد كلام كثير ، ما نصه :

من رثاء السلطان
أبي سالم

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « الموافق » .

« فلقد كان بقية البيت ، وآخر القوم دمانة وحياء ، وبعداً عن الشر ، وركونا للعافية ، وأنشدت على قبره الذي وُوريت به جثته بالقلعة من ظاهر المدينة ، قصيدة أدت فيها بعض حقه ، وهي :

بنى الدنيا بنى لَمَعَ السَّرَابِ لِدُوا لِمَوْتِ وَاِبْنُوا لِلخِرَابِ
اتمى المقصود منه .

ومن نظم ابن الخطيب في الرغبة إلى الله تعالى :

إِلَهِي بِالْبَيْتِ التَّقْدُسِ وَالْمَسْعَى وَجَمْعٍ إِذَا مَا الْخَلْقُ قَدْ نَزَلُوا جَمْعًا
وَبِالْمَوْقِفِ الشَّهُودِ يَا رَبِّ فِي مَنِي إِذَا مَا أَسَالُ النَّاسُ مِنْ خَوْفِكَ الدَّمْعَا
وَبِالْمُصْطَفَى وَالصَّحْبِ عَجَلُ إِقَالَتِي وَأَخْبَحُ دُعَائِي فِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ يُدْعَى
صَدَعْتُ وَأَنْتَ الْمَسْتَعَاثُ جَنَابِهِ أَقِلْ عَثْرَتِي يَا مَأْمُولِي وَاجْبُرِ الصَّدْعَا

وقال رحمه الله عقب الإياب من الرحلة المراكشية :

أفادت وجهتي بنداك مالا قضى ديني وأصلح بعض حالي
ومتعت الخواطر بالشرح وأطرفت النواظر باكتحال
وأبت خفيف ظهري والمطايا بجاهك تشتكي ثقل الرّحال
وشانى للعالم غير شانى وحالى بالمكارم جدّ حال
فحبّ علاك إيماني وعقدى وشكر نداك ديني وانتحالي
كأنّ قد صحّ لله انتطاعي بتأميلي جنابك وارتحالي
وما يبقى سوى فعل جميل وحال الدهر لا تبقى بحال
وكل بداية فإلى انتهاء وكل إقامة فإلى ارتحال
ومن سام الزمان دوام أمر فقد وقف الرجاء على المحال

شعره في
الرغبة إلى الله

شعره
بعد عودته
من الرحلة
المراكشية

وقال رحمه الله في الضراعة إلى مولاه :

مولاي إن أذنبت، يُنكر أن يُرى منك الكمالُ ومنى النقصان ؟
والعفو عن سبب الذنوب مُسبَّب لولا الجِنَاية لم يَكُنْ عُفْران
[وقال ساجد الله مما كُتِب في حيطان المدرسة التي بناها السلطان أبو الحجاج :

وله في مدرسة

ألا هكذا تَبَنَى المدارس للعلمُ وتبقى عهود المجد ثابتة الرسم
ويُتقصد وجهه الله بالعمل الرضا وتُجنى ثمار العز من شجر العزم
تفاخر منى حضرة الملك كلما تقدم خصم في الفخار إلى خصم
فأجدي إذا ضن الغامُ من الحيا وأهدى إذا جنَّ الظلام من النجم
فيا ظاعناً للعلم يطلب رحلة كُفيت اعتراض البيدأ وأجج اليم
بباني حُطَّ الرُحْل لا تنو وجهه فقد فزت في حال الإقامة بالغنم
فكم من شهاب في سمائي ناقب ومن هالة دارت على قمر تم
يُفيضون من نور مبین إلى هدى ومن حكمة تجلو القلوب إلى حُكم
جزى الله عنى يُوسُفا خير ما جرى ملوك بني نصر عن الدين والعلم

وقال ابن الخطيب مررت يوماً مع شيخنا أبي البركات ببعض مسالك

وله في غرناطة

غرناطة ، فأشدد من نظمه :

« غرناطة ما مثلها حَضْرَه الماء والبهجة والخضْرَه

واستجازني رحمه الله تعالى ، فقلت « (١) :

سكانها قد أُسْكِنُوا جَنَّةً فَهَمُّ يُلَقَوْنَ بِهَا نَصْرَه [(٢)

وكتب رحمه الله عن سلطانه أبي عبد الله بن نصر يخاطب الضريح المقصود ،
والمهمل المورود ، والمرعى المنتجع ، والخوان الذي يكفي الغرّي ، ويمرّض المرضي ،

وله يخاطب قبر
الولي السبتي

(١) ما بين هذين القوسين « عن نفع الطيب وهو ساقط من ت .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

[١٨١] ويقوت الزماني ، ويتعداهم إلى أهل الجِدَّة زعموا والغني ، قبر ولي الله سيدي أبي العباس السبتي^(١) ، نفعنا الله به وجبر جالنا ببركاته النعم ، ودفع علينا النقم :

يا ولي الإله أنت جواد وقصدنا إلى حماك المنيع
راعنا الدهر بالخطوب فحسنا نرتجي من علاك حسن الصنيع
فمددنا لك الألف نرجي عودة العز تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلة ترهبك الزا كي وزلني إلى العليم السميع
كم غريب أسرى إليك فوافي برضاً عاجلٍ وخير سريع

يا ولي الله الذي جعل جاهه سبباً لقضاء الحاجات ، ورفع الأزمات ، وتصريفه باقياً بعد المات ، وصدق نقل الحكايات ظهور الآيات ؛ نفعني الله بنيتي في بركة تربك ، وأظهر علي أثر توسلي بك إلى الله ربك ؛ مزق شملي ، وفرق بيني وبين أهلي ؛ وتعدى علي ، وصرفت وجوه^(٢) المسكايد إلى ؛ حتى^(٣) أخرجت من وطني وبلدي ، ومالي وولدي ؛ ومحل جهادي ، وحق الذي صار لي طوعاً عن آبائي وأجدادي ؛ عن بيعة لم يحل عقدها الدين ، ولا ثبوت جريمة تشين ؛ وأنا قد قرعت باب الله بتأميلك ، فالتمس لي قبوله بقبولك ؛ ورُدني إلى وطني على أفضل حال ، وأظهر علي كرامتك التي تُشد إليها ظهور الرجال ؛ فقد جعلت وسيلتي إليك رسول الحق ، إلى جميع الخلق ؛ والسلام عليك أيها الولي الكريم ، الذي يأمن به الخائف وينتصف الغريم ، ورحمة الله .

(١) أبو العباس السبتي هو الولي الصالح الشيخ أحمد بن جعفر السبتي الحزرجي ، وهو غير أبي العباس الشريف السبتي الذي تقدم ذكره في هذا الجزء في صفحة ٣٢ وما بعدها .

(٢) في ت : « وجهة » .

(٣) في ت : « حين » .

وقال سماحه الله في معنى التورية الطبية ، بالدواء المسمى بدم الأخوين ،
في شأن سلطان الأندلس القائم عليهم وأخيه ، وشأن ذلك الدواء النفع من الجراح :

وله يورى
بدم الأخوين

بإسماعيل ثم أخيه قيس تأذن هم ليلى بانبلاج
دم الأخوين داوى جرح قلبي وعالجني وحسبك من علاج

وقال مقتبساً في غير ذلك :

وله في اقتباس

يا من بأكناف فؤادي ربيع^(١) قد ضاق بي في حبك المتسع
ما فيك لي جدوى ولا أروعى شح مطاع وهوى متبع

وقال في التورية بالطب :

شعر له في
التورية بالطب

إني وإن كنتُ ذا اعتلالٍ رثَّ القوى بين الهزال
في «عارض التيس» لي شفاء فكيف في عارض الغزال

وقال يُخاطب الحاجبَ الفقيهَ الخطيبَ ، سيدي أبا عبد الله بن مَرزوق ،

وقال يخاطب
ابن مَرزوق

وطفا على بيت المشاركة في العذار :

أما والذي تُبلى لديه السرائرُ لَمَّا كنتُ أرضى الخسفَ ولا الضرائرُ
غدوتُ لضميمِ ابنِ الرّيبِ فريسةً أما ثار من قومي لنصرى ثائر^(٢)
إذا التمت كفى لديه جرايتي كأني جانٍ^(٣) أو بقتته الجرائرُ
وما كان ظني أن أنال جِراية يُحكّم من جرّائها في جائرُ
متى جاد باللّينار أخضرَ زائفاً ودارته دارتُ عليها الدوائرُ
وقد أخرج التعنيتُ كيسَ مَراتي ورقّت لبسواي النفوسُ الأخابرُ

[١٨٢]

(١) ربيع : أقام وسكن .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « ناصر » .

(٣) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « جار » وهو تحريف .

تذكرت بيتاً في العذار لبعضهم له مثل بالحسن في الأرض سائر:
 « وما اخضر ذلك الخدّ بنتا وإنما لكثرة ما شقت عليه المرائر »^(١)
 وجاه ابن مرزوق لدى ذخيرة وللشدة العظمى تعدّ الذخائر
 ولو كان يدري مادها نى لساء وأنكر ما صارت إليه المصار
 وكان ابن الربيب هذا من خدام السلطان أبي سالم ، وكانت جريّة
 ابن الخطيب وغيره ممن قدم من أعيان الأندلس على يده ، فكان لا يوفى بحقوقهم ،
 فاشتكى ابن الخطيب به إلى الحاجب ابن مرزوق بهذا النظم المذكور ، وإلى الله
 ترجع الأمور .

شعر له في مخاطبة
 أحد الشرفاء

وقال رحمه الله يخاطب أحد الشرفاء الكرام :

أعياء اللقاء على إلا لمحّة في جملة لا تقبل التفصيل
 فجعلت بابك عن يمينك نائباً أهديه عند زيارتي تقيلاً
 فإذا وجدتك نلت ما أمّلته أو لم أجدك فقد^(٢) شفيت غليلاً

[١٨٣]

وقال يشكر
 السلطان أبا سالم
 على تخليصه إياه

وقال في مخاطبة السلطان أبي سالم رحمه الله في سبيل الشكر ، عندما خلّصه
 من الورطة بشفاعته التي قدّمنا ذكرها :

سمي خليل الله أحيت مهجتي وعاجلني منك الصريح على بُعد
 فإن عشت أبلغ فيك نفسى عذرها وإن لم أعش فالله يجزيك من بعدى

قال : وقلت في التغزل ، وما أبعده عني في الوقت ، والحمد لله :

(١) هذا البيت لعيسى بن سنجر المعروف بالحاجري المتوفى سنة ٦٣٢ هـ من قصيدة مطلعها :

على دمع عيني من فرائك ناظر يرفقه إن لم ترقه الحاجر

(٢) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « فإه » .

أصبح الخلد منك جنة عدن مجتلى أعين وشم أنوف
ظلتها من الجفون سيوف جنة الخلد تحت ظل السيوف

وخاطب صاحب الأشغال أبا عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين يهنته
بتقلد الخطه من رسالة :

من رسالة له
في تهنته ابن أبي
مدين بتقلد الخطه

تعود الأمانى بعد انصراف ويعتدل الشيء بعد انحراف
فإن كان دهرك يوماً جنى فقد جاء ذا خجل واعتراف

طلع البشير ، أبقاك الله ، بقبول الخلافة المرينيه ، والإمامة السننيه (١) ،
خصها الله بنيل الأمانيه ؛ على تلك الذات التي طابت أرومتها وزكت ، وتأوّهت
العلياء لتذكر عهدها وبكت ، وكاد السرور ينقطع لولا أنها تركت منك الوارث
الذى تركت ؛ فلولوا العذر الذى تأكدت ضرورته ، والمانع الذى ربما تقررت
لديكم صورته ؛ لكنت أول مشافه بالهناء ، ومصارف لهذا الاعتناء ، الوثيق البناء ،
فنقول والحمد لله والتناء . وهى طويلة .

وقال يخاطب السلطان أبا سالم عند انقطاعه بضريح والده بشالة سلا ، حيث
مدفن ملوك بني مرين :

رسالته إلى
السلطان
أبي سالم
مستعينا به

عن باب والدك الرضا لا أبرح يأسو الزمان لأجل ذاك ويجرح (٢)
ضربت خياحى فى جماه فصبيتى تجنى الجميم (٣) به وبهيمى تشرح
حتى يراعى وجهه فى وجهتى بعناية تشفى الصدور وتشرح
أيسوغ عن مشواه مسيرى خائبا ومنابر الدنيا بذكرك تصدح

(١) فى ط : « السريه » :

(٢) فى ط : « لأجل ذا أو يجرح » .

(٣) كذا فى الأصلين والسلاوى ، ولعلها مصحفة عن « الجميم » وهو النبات الكثير .
يريد أنهم فى بسطة من العيش .

أنا في حماه وأنت أبصر بالذى يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
 في مثلها سيف الحمية يُنتضى في مثلها زند الحفيظة يُقدح
 وعسى الذى بدأ الجميل يُعيده وعسى الذى سد المذاهب يفتح

[١٨٤] ومما كتب به إلى السلطان أبي سالم من مدينة سلا ، بعد عودته من
 مرّا كش .

مولاي المرجو لإتمام الصنعة ، وصلة النعمة ، وإحراز الفخر ، أبقاكم الله
 تُضرب بكم الأمثال في البر والرضا ، وعلو الهمة ، ورعى الوسيلة .

مقبّل موطنى قدمكم ، المنقطع إلى تربة المولى والدكم ابن الخطيب ، من
 الضريح المقدس بشالة ، وقد حطّ رحل الرجاء في القبة المقدسة ، وتيمّم^(١) بالتربة
 الزكية ، وقعد بإزاء لحد المولى أبيكم ، ساعة إياه من الوجهة المباركة ، وزيارة الرُّبُط
 المقصودة ، والترّب المعظمة ، وقد غزم ألا يبرح طوعاً من هذا الجوار الكريم ،
 والدخيل المرعى ، حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى ،
 العزيز على أهل الأرض ثم عليكم ، والتماس شفاعته في أمر سهل عليكم ، لا يجر
 إنفاذ^(٢) مال ، ولا اقتحام خطر ، إنما هو إعمال^(٣) لسان ، وخط بنان ، وصرف
 غزم ، وإحراز نخر وأجر ، وإطابة ذكر ، وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم ،
 أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدس بلسان المقال ، ما يحضر مما يفتح الله فيه ،
 ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ، ما يتلقى عنه من الجواب . وقال لى صدر
 دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم ، سيدى الخطيب ، سنى الله أمله ، من

(١) كذا في السلاوى (ج ٢ ص ١١٥) . وفي الأصلين : « وتدم » .

(٢) في السلاوى : « إنقاد » .

(٣) في ت : « عمل » .

سعادة مقامكم ، وطول عُمركم : يا فلان ، أنت والحمد لله ممن لا يُنكر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من البشر والقبول والإيناع ما صدر ، جزاكم الله جزاء المحسنين . وقد تقدم تعريف مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله إلى التربة الزكية عنكم ، حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد الآن يعرض عليكم الجواب ، وهو أني لما فرغت من مخاطبته بمراى من الملائك الكبير ، والجم الغفير ، أكبت على اللحد الكريم ، داعياً ومخاطباً ، وأصغيت [١٨٥] بأذني نحو^(١) قبره ، وجعل فؤادي يتلقى ما يوحيه إليه لسان حاله ، فكأنني به يقول لي : قل لمولائك : يا ولدي ، وقرّة عيني ، المخصوص برضاي وبري ، الذي ستر حريمي ، ورد ملكي ، وصان أهلي ، وأكرم صنائي ، ووصل عملي ، أسلمّ عليك ، وأسأل الله أن يرضى عنك ، ويُقبل عليك ؛ الدنيا دار غرور ، والآخرة خير لمن اتقى ، وما الناس إلا هالك وابن هالك ، ولا تجد إلا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة ، أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ، ومثلك من ذكّر فتذكر ، وعُرّف فما أنكر ؛ وهذا ابن الخطيب [قد^(٢) وقف على قبري ، وتهتم بي ، وسبق الناس إلى رئائي ، وأنشدني ومجّدي ، وبكاني ودعا لي ، وهنأني بمصير أمرى إليك ، وعمر وجهه في تربي ، وأمّلتني لما انقطعت مني آمال الناس ، فلو كنت يا ولدي حياً لما وسعني أن أعمل معه إلا ما يليق بي ، وأن أستقل فيه الكثير ، وأحتقر العظيم ، لكن لما عجزت عن جزائه ، وكنته إليك ، وأحلته يا حبيب قلبي عليك ، وقد أخبرني أنه سلب المال ، كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر في عدَم^(٣) نشاطه أثر السن ، وأمّل أن ينقطع بجوارى ، ويستتر بدخيلي

(١) كذا في السلاوى . وفي الأصلين : « عند » .

(٢) التكملة عن السلاوى .

(٣) في ط : « في عظيم » .

وخدمتى ، ويردّ عليه حقّه بحرمتى ، ووجهى ووجوه من ضاجفى من سلفى ،
ويعبد الله تحت حرمتك وحرمتى ، وقد كنت تشوفت إلى استخدامه فى الحياة ،
حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة ، أبو عبد الله
ابن سرزوق ، فسله يذكرك ، واستخبره يخبرك ، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا
الرجل خديمى بعد المات ، إلى أن نلحق جميعاً برضوان الله ورحمته التى وسعت [١٨٦]
كل شىء ، وله يا ولدى ولد نجيب يخدم ببابك ، وينوب عنه فى ملازمة بيت
كُتّابك ، وقد استقر بدارك قراره ، وتعين بأمرك مرّته ودثاره ، فيكون
الشيخ خديم الشيخ ، والشاب خديم الشاب ، هذه رغبتى منك ، وحاجتى
إليك . واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يذكر ويُتحدّث به فى الدنيا ، وبين
أيدى الملوك والكبراء ، فاعمل ما يبقى لك نخره ، ويتخذ ذكره ، وقد أقام
مجاوراً ضريحى ، تالياً كتاب الله علىّ ، منتظراً ما يصله منك ، ويقرؤه علىّ ،
من السعى فى خلاص ماله ، والاحتجاج بهذه الوسيلة فى جبره ، وإجراء ما يليق
بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فالله الله يا إبراهيم ، اعلم ما يُسمع عنى
وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال . [انتهى] (١) .

والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمة وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته ،
ولتعلموا وتحققوا أنى لو ارتكبت الجرائم ، ورزأت الأموال ، وسفكت الدماء ،
وأخذت حسائف (٢) الملوك الأعزّة ممن وراء النهر من التتر ، وخلف البحر من
الروم ، ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكنهم الله منى من غير عهد ، بعد أن
بلغهم تدمى بهذا الدخيل ، ومقامى بين هذه القبور الكريمة ، ما وسع أحداً
منهم من حيث الحياء والحشمة من الأموات والأحياء ، وإيجاب الحقوق ، التى

(١) التكملة عن السلاوى .

(٢) الحسائف : العداوات ، جمع حسيفة .

لا يغفلها الكبار للكبار، إلا الجود الذي لا يتعقبه البخل، والعمو الذي لا تقسده
المؤاخذه، فضلا عن سلطان الأندلس، أسعده الله بمواليتكم، فهو فاضل، وابن
ملوك أفاضل، وحوله أكياس، ما فيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم، لاسيا مولاي
والدكم، الذي أتوسل به إليكم وإليهم، فقد كان يتبني مولاي أبا الحجاج، ويشمله
بكنفه، وصارخه بنفسه، وأمهه بأمواله، ثم صير الله ملكه إليكم، وأنتم من [١٨٧]
أنتم ذاتا وقبيلا، فقد قررت يا مولاي عين العبد بما رأيت في هذا الوطن المراكشي،
من وفور حشودكم، وكثرة جنودكم، وترادف أموالكم وعددكم، زادكم الله من
فضله. ولا شك عند عاقل، أنكم إن انحلت عروة تأميلكم، وأعرضتم عن ذلك
الوطن، استولت عليه يد عدوه، وقد علم تطارحي بين الملوك الكرام، الذين
خضعت لهم التيجان، وتعلق بثوب الملك الصالح، والد الملوك [الكرام] ^(١)،
مولاي والدكم، وشهرة حُرمة شالة معروفة، حاش لله أن يضيعها أهل الأندلس،
وما تُوسل إليهم قطُّ بها إلا الآن، وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة،
وأملى منكم أن يتعين من بين أيديكم خديم، بكتاب كريم، يتضمن الشفاعة
في رد ما أخذ لي، ويخبر بمشواي متراميا على قبر والدكم، ويقرر ما لزمكم بسبب
هذا الترامي، من الضرورة المهمة، والوظيفة الكبيرة، عليكم وعلى قبيلكم حيث
كانوا، وتطلبون منهم عادة المكارمة بحل هذه العقدة، ومن المعلوم أني لو طلبت
بهذه الوسائل من طيب ^(٢) ما لهم، ما وسعهم بالنظر العقلي إلا حفظ هذا الوجه مع
هذا القبيل وهذا الوطن، فالحياء والحشمة يبيان العذر عن هذا في كل ملة ونحلة،
وإذا تم هذا الغرض، ولا شك في إتمامه بالله، تقع صدقتكم على القبر الكريم

(١) الكلمة عن السلاوي.

(٢) في ت: « صلب ».

بي ، وتعينونني لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقدته ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المولد في جواره ، وبين يديه ، وهو غرض غريب مناسب لبركم به ، إلى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعيا مثنيا ، مستدعيا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذمتي بالأندلس ذمة بهذا الرِّباط المبارك ، يرثها ذريتي ، وقد ساومتُ في شيء من ذلك ، منتظرا ثمنه ، مما يباع بالأندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم في مثل هذا ، أو يتوقع فيه وحشة أو جفاء ، والله ما طلبته ، لكنهم أسرى وأفضل ، وانقطاعي أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدكم إلا عمل ما يليق بكم فيه ، وهأنأ ارتقب جوابكم ، بما لي عندكم من القبول ، ويسعني مجدكم في الطلب ، وخروج الرسول لاقضاء هذا الفرض ، والله يطلع من مولاى على ما يليق به . والسلام .

[١٨٨]

وكتبه في الحادى عشر من رجب ، عام أحد وستين وسبع مئة .

وفي مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة :

فابذل من البر المقدر فيكا	مولاى هأنأ في جوار أبيكا
والله يسمعك الذى يرضيكا	أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى
تهدى إليك النصر أو تهديكا	واجعل رضاه إذا نهدت كتيبة
وتطالع الفتح المبين وشيكا	واجبرْ لجبرى قلبه تنل المنى
وأبيه فاشرع شرعه لبنيكا	فهو الذى سن البرور بأتمه
وبما تؤمل نيــــــــــــــــله يأتيكا	وابعث رسولك منذرا ومحذرا
وأخاف مملوكا به ومليكا	قد هز عزمك كل قطر نازح
ففضونه ثمر المنى تجنيكا	فإذا سموت إلى مرام شاسع
لما جعلتكَ فى الثواب شريكا	ضميت رجالُ الله منك مطالبى

فلئن كَفَيْتَ وُجُوهاها في مقصِدي ورَعَيْتَها بِرِكاتِها تَكفِيكَ
 وإذا قَضَيْتَ حوائِجِي وأرَيْتِي أُملي فَرَبِكَ ما أَرَدتَ يَريكَ
 واشدَدَ عَلى قَولِي يَداهُ الَّذِي بِرِهانِهِ لا يَقبَلُ التَّشكِيكَا
 مَولاي ما اسْتَأثَرْتَ عَنكَ بِمُهجَتِي أَنِي ومُهَجَتِي الَّتِي تَفدِيكَ
 لَكن رَأَيْتَ جَنابَ سائِلَةٍ مَغنا يُضِفي عَلى العَـزِّ في نَاديكَ
 وفَروضَ حَقِّكَ لا تَفوتُ فَوَقتَها باقِ إذا اسْتَجزَيْتَهُ يَجزِيكَ
 ووعدَتِي وتَكرَّرَ الوَعدَ الَّذِي أَبَتِ المَكارِمَ أن يَكُونَ أَفيكَ
 أَضفي عَليكِ اللهُ سِـمَّ عَنايَةٍ مِن كُلِّ مَحذورِ الطَـرِيقِ يَفيكَ
 بِبقائِكَ الدَنيَا تُحاطُ وَأَهلُها فَاللهُ جَلَّ جِلالُهُ يُبقيكَ

ولما وصل هذا السلطان أبا سالم رحمه الله راجعه بما نصه ، بعد البسملة [١٨٩]

والصلاة :

رد السلطان
أبي سالم على
ابن الخطيب

من عبد الله المستعين بالله إبراهيم أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ،
 ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، [أبي الحسن ، ابن مولانا
 أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين] ^(١) أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين
 المجاهد في سبيل رب العالمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، أيد الله أمره ،
 وأعز نصره ، إلى الشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعز الأخطى ، الأوجه الأنوه ،
 الصدر الأحفل ، المصنف البليغ ، الأعرف الأكمل ، أبي عبد الله ابن الشيخ
 الأجل الأعز الأسنى ، الوزير الأرفع الأنجد ، الأصيل الأكمل ، المرحوم المبرور
 أبي محمد بن الخطيب ، وصل الله عزته ، ووالى نعمته ^(٢) .

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت وعن السلاوى .

(٢) في ت : « رفعتة » .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم المصطفى ، والرضا عن آله وصحبه أعلام الإسلام ، وأئمة الرشد والهدى ، وصلة الدعاء لهذا الأمر العلي العزيز المنصور المستعيني ، بالنصر الأعز ، والفتح الأسنى .

فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم بلوغ الأمل ، ونجح القول والعمل ، من منزلنا الأسعد ، بصفة وادى ملويه ، يمنه الله ، وصنع الله جميل ، ومثله جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المتكفلة^(١) برعى الوسائل ، ذلكم لما تميزتم به من التمسك بالجناب العلي المولوى العلوى ، جدد الله عليه ملابس غفرانه ، وسقاه غيوث رحمته وحنانه ، وبما أهديتم إلينا ، من التقرب لدينا ، بخدمة ثراه الطاهر ، والاشتغال بمطارف حُرْمته السامية المظاهر ، وإلى هذا وصل الله حظوتكم ، ووالى رفعتكم ، فإنه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابل بالإسعاف المستعذب وردة ، فوقفنا على ما نصّه ، واستوفينا ما شرحه وقصّه ، فأترنا حسن تلتطفكم فى التوسل بأكبر الوسائل إلينا ، ورعيينا أكلل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا ، وفى الحين^(٢) عيّنا لكالم مطلبكم ، وتمام مآربكم ، والتوجه بخطابنا فى حقكم ، والاعتمال بوقفكم ، خديمينا أبا البقاء بن تاشكورت ، وأبا زكرياء بن فرقاجة ، أنجدهما الله وتولاهما ، وأمس تاريخه انفصلا مودعين إلى الغرض المعلوم ، بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذى يوفيه ، فكونوا على علم من ذلكم ، وابسطوا له جملة آمالكم ، وإننا لندرجو ثواب الله فى جبر أحوالكم ، وبرء اعتلاككم ، والله سبحانه يصل

[١٩٠]

(١) فى ت : « المتكفلة » .

(٢) فى ت : « فى الحسن » ، وهو تحريف .

مبرتكم ، ويتولى تكرمتم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
 كتب في الرابع والعشرين لرجب عام واحد وستين وسبع مئة .
 فراجعه ابن الخطيب بما نصه :

رد ابن الخطيب
 على السلطان أبي
 سالم شاكرا

مولاي خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الأرض عن حجة ، ومعدن الشفقة
 والرحمة ، ببهان وحكمة ، أبقاكم الله على الدرجة في المنعمين ، وافر الحظ عند
 جزاء المحسنين ، وأراكم ثمرة بر أبيكم في البنين ، وصنع لكم في عدوكم الصنع
 الذي لا يقف عند معتاد ، وأذاق العذاب الآليم من أراد في مثابتم بالحداد .
 عبدكم الذي ملكتم رقه ، وآوitem غربته ، وسترتم أهله وولده ، وأسنتم رزقه ،
 وجبرتم قلبه ، يُقبل موطىء الأخصص الكريم من رجلكم الطاهرة ، المستوجبة
 بفضل الله لموقف النصر ، الفارعة هضبة العز ، المعملة الخطو في مجال السعد^(١) ،
 ومسير^(٢) الحظ ، ابن الخطيب من شألة التي توكّد بملككم الرضى احترامها ،
 وتجدد برعيكم عهدا ، واستبشر بملككم دفينها ، وأشرق بمحسناتكم نورها ، [١٩١]
 وقد ورد على العبد الجواب المولوى ، البر الرحيم ، المنعم المحسن ، بما يليق بالملك
 الأصيل ، والقدر الرفيع ، والهمة السامية ، والعزة القعساء ، من رعى الدخيل ،
 والنصرة^(٣) للذمام ، والاهتزاز^(٤) ابر الأب الكريم ، فتاب الرجاء ، وانبعث
 الأمل ، وقوى العصد ، وزار اللطف ، فالحمد لله الذى أجرى الخير على يدم
 الكريمة ، وأعانكم على رعى ذمام الصالحين ، المتوسّل إليكم أولا بقبورهم

(١) في ط : « السعة » .

(٢) كذا في السلاوى . ذا الأصلين : « وميسر » .

(٣) في ت : « والعرة » .

(٤) في ت : « والاعتزاز » .

ومتعبداتهم ، و تراب أجدانهم ، ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق أجمعين ،
الذى تسبب في وجودكم ، واختصكم بحبه ، وغمركم بلطفه وحنانه ، وعلمكم آداب
الشريعة ، وأورثكم ملك الدنيا ، وهياتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة ،
بعد طول المدى ، وانفساح البقاء ، وفي علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات
عن العرب ، من النصره^(١) عن طائر داست أفرأخه ناقة في جوار رئيس
منهم ، وما انتهى إليه الامتعاض لذلك ، مما أهينت فيه الأنفس ، وهلكت
الأموال ، وقضارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خدامكم ، من
عرب تامسنا ، فما الظن بكم وأتم الكريم ابن الكريم [ابن الكريم]
فيمن لجأ أولاً إلى حاكم بالأهل والولد ، عن حسنة تبرعتم بها ، وصدقة حملتكم
الحرية على بذلها ، ثم فيمن حطَّ رحل الاستجارة بضحك أكرم الخلق عليكم ،
دامع العين ، خافق القلب ، دامى القرحة^(٢) ، يتغضى بردائه ، ويستجير بعليائه ،
كأننى تراميتُ عليه في الحياة أمام الذعر الذى يُذهل العقل ، ويحجب عن
التمييز ، بقصر داره ، ومضجع رقادته ، ما من يوم إلا وأجهر بعد التلاوة :
[١٩٢] يا ليعقوب ، يا لمرين ، نسأل الله ألا يقطع عنى معروفكم ، ولا يسلبنى عنايتكم ،
ويستعملنى ما بقيت فى خدمتكم ، ويتقبل دعائى فيكم ، ولحين وصول الجواب
الكريم ، نهضت إلى القبر المقدس ، ووضعته بإزائه ، وقلت : يا مولاي ، يا كبير
الملوك ، وخليفة الله ، وبركة بنى مرين ، صاحب الشهرة والذكر فى المشرق
والمغرب ، عبدك المنقطع إليك ، المترامى بين يدى قبرك ، المتوسل إلى الله ثم إلى
ولديك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاة ولدك ما يابق بمقامه ، من رعى وجهك ،
[والتقرب إلى الله برعيتك] ، والاشتهار فى مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأتم من

(١) كذا فى ط والسلاوى . وفى ت : « النمرة » .

(٢) فى السلاوى بدل هذه العبارة : « واهى الفزعة » .

أتم ، من إذا صنع صنعة كملها ، وإذا بدأ مئة تممها ، وإذا أسدى يدا أبرزها
 طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقصة ، وأنا بعد تحت ذيل حرمتك ،
 وظل دخيلك ، حتى يتم أملى ، ويخلص قصدى ، وتحف نعمتك بي ، ويطمئن
 إلى مأمك قلبي .

ثم قلت للطلبة : أيها السادة ، بينى وبينكم [تلاوة] كتاب الله منذ أيام ،
 ومناسبة النحلة ، وأخوة التألف بهذا الرباط المقدس ، والسكنى بين أظهركم ،
 فأمّنوا على دعائى بإخلاص من قلوبكم ، وانذفعت فى الدعاء والتوسل ، الذى
 نرجو أن يتقبله الله ولا يضيعه ، وخاطب العبد مولاه شاكراً لنعمته ، مُشيداً
 بصنيعته ، مسروراً بقبوله ، وشأنه من التعلق والتطرح شأنه ، حتى يكمل القصد ،
 ويتم الغرض ، معمور الوقت بخدمة يرفعها ، ودعاء يردده ، والله المستعان .

تهنئته للسلطان
 أبى سالم
 بفتح تلسان

وفى يوم الخميس سابع عشر من شعبان ، من العام المؤرخ ، ورد كتاب فتح
 تلمسان ، فأصدر ابن الخطيب إلى باب السلطان أبى سالم ما نصه : [١٩٣]

مولاي فتّاح الأقطار والأمصار ، فائدة الزمان والأعصار ، أثير هبات الله
 الآمنة من الاعتصار ، قدوة أولى الأيدي والأبصار ، ناصر الحق عند قعود
 الأنصار ، وهى طويّلة ، انظرها فى الريحانة ، وبعدها قصيدة بديعة مطاعها :

أطاع لسانى فى مديحك إحسانى وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان

ومن مخاطباته للحاجب ابن مرزوق .

من مخاطباته
 لابن مرزوق

سيدى ، بل مالسكى ، بل شافعى ، ومنثلى من الهفوة ، ورافعى وعاصمى
 عند تجويد حروف الصنائع ، ونافعى الذى بجاهه أجزأت المنازل قرأى ، وفضلت
 أولأى ، والمنة لله أخراى ، وأصبحتُ وقول الحسن هجيرأى :

عَلَّقْتُ بِحَبْلِ مِنْ حَبَالِ مُحَمَّدٍ أَمِنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ
تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلا يَسِرُ يَرَانِي
فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي مَا دَرْتُ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنِي مَكَانِي

وصلت مكناسة ، حرسها الله تعالى ، تحت غيبِ حَدَانِي حَدُونَدَاك ، وسحائب
لولا الخصال المبرة قُلْتُ يَدَاك ، وكان الوطن لاغتباطه بجواري ، وما رآه من
انتياب زُوَّارِي ، أو عز إلى بهت يقطع الطريق ، وأطلق يده على التفریق ،
وأشراق القوافل مع كثرة المساء بالريق ، فلم يسع إلا المُقَام أَيَّامًا ، قُعودًا في البر
وقياما ، واختيارا لضروب الأنس واعتياما ، ورأيت بلدةً معارفها أعلام ،
وهواؤها برد وسلام ، ومحاسنها تعمل فيها ألسنة وأقلام ، فحيا الله سيدي ، فلکم
من فضل أفاد ، وأنس أحياء وقد باد ، وحفظ منه على الأيام الذخر والعتاد ، كما
مَلَّكَهُ زِمَامُ الْكَمَالِ فَاقْتَاد ، وأنا أنطرح عليه في صلة تفقده ، وموالاته يده ، بأن
يسهمني في فرض مخاطباته مهما خاطب ، معتبرا في هذه الجهات ، ويصحبني من
مناصحته بكتوس مسرة ، يعمل فيها هاك وهات ، فالعز بعزه معقود . والسعد بوجوده
موجود ، ومنهل السرور بسروره مورود ، والله عز وجل يبقيه ببقاء الدهر ،
[ويجعل حبه وظيفة السر ، وحمده وظيفة الجهر ، ويحفظ على الأيام من زمنه
زين الدهر] ويصل لنا تحت إيلته العام بالعام والشهر بالشهر ، آمين آمين . انتهى .
وقال رحمه الله :

[١٩٤]

حضرت يوما بين يدي السلطان أبي عنان في بعض وفاداتي عليه ، لغرض
الرسالة ، وجرى ذكر بعض أعدائه ، فقلت ما اعتقدت في اطراء ذلك العدو ،
وما عرفته من فضله ، وأنكر على بعض الحاضرين ، ممن لا يحطَّب إلا في جبل
السلطان ، فصرفت وجهي وقلت : أيدكم الله ! تحقير عدو السلطان بين يديه

شيء من صراحة
ابن الخطيب في
مجلس السلطان
أبي عنان

ليس من السياسة في شيء ، بل غير ذلك أحق وأولى ، فإن كان السلطان غالبا عدوه كان قد غلب غير حقير ، وهو الأولى بفخره ، وجلالة قدره ، وإن غلبه العدو لم يغلبه حقير ، فيكون أشد للحسرة ، وأوكد للفضيحة . فوافق رحمه الله على ذلك ، واستحسنه ، وشكر عليه ، وخجل المعترض . انتهى .

ومن نظمه رحمه الله :

شعره في
مكناسة

مكناسةٌ جُمِعتُ بها زُمُرُ العِدا فمدى بريدٍ فيه ألف بريد
من واصلٍ للصوم لا للرياضة أو مدمن للجوع غير مُريد
فإذا سلكت طريقها متصوفا فابن السلوك بها على التجريد

ولما دخل رحمه الله مدينة آتني ، ومر منها على دار عظيمة ، تنسب إلى والي جبايتها « عبو » من بني الترحمان ، فارون قومه ، وغنى صنفه ، قال :

شعره في
مدينة آتني

قد مررنا بدار « عبو » الوالي وهي ثكلى تشكو صرف الليالي
أقصدتُ ربها الحوادث لما رشقته بصائبات نبال
كان بالأمس واليا مستطيلا وهو اليوم ما له من وال

ومن نظمه رحمه الله في الشيخ ابن بطان الصنهاجي :

شعره في
ابن بطان

[١٩٥] لله درك يا ابن بطان فـا لشهير جودك في البسيطة جاحد
إن كان في الدنيا كريم واحد يزن الجميع فأنت ذاك الواحد
أجريت فضلك جعفرا يحيا به ما كان من مجد فذكرك خالد
فالقوم منك تجمعوا في مُفرد ولد كما شاء العـلاء ووالد
وهي الليالي لا تزال صرفها يشقى بموقعها الكريم للماجد
وبمستعين الله يصلح منك ما قد كان أفسده الزمان الفاسد

وقال رحمه الله وقد انتابه البرغوث :

زَحَفْتُ إِلَى رَكَائِبِ الْبُرْغُوثِ نَمَّ الظَّلامُ بِرَكْبِهَا المَحْثُوثِ
 بِالْحَبِيبَةِ السُّوداءِ قَابِلِ مَقْدَمِي لَلَّهِ أَيُّ قِرْيَى أَعَدَّ خَبِيثِ
 كَسَحَتْ بِهِنِ ذَبَابٌ سَرَحٌ تَجَلَّدِي ^(١) لَيْلًا فَحَبَّلَ الصَّبْرَ جِدًّا رَثِيثِ
 إِنْ صَابَرْتَ نَفْسِي أَذَاهُ تَعَبَّدْتُ أَوْ صَحَّتْ مِنْهُ أَنْفَتُ مِنْ تَحْنِيثِ
 جَيْشَانِ مِنْ لَيْلٍ وَبُرْغُوثِ فَهَلْ جَيْشِ الصَّبَاحِ لَصَرَخَتِي بِمُغِيثِ

[ومن نظمه رحمه الله في عثمان بن يحيى بن عمر بن روح :

أَسْمِي ذِي النُّورِينَ وَجُهْكَ فِي الوَغَى شَمْسُ الضَّحَى حَلَّتْ بَلِيثَ عَرِينِ
 إِنْ تَفْتَخِرَ بِمَرِّينَ أَرْضُ العُدُوَّةِ أَلْمَقْصُوصَى أَنْتَ نَخْرَ مَرِّينَ] ^(٢)

وقال يخاطب الوالى محمد بن حَسُونِ بن أبى العلاء ، وصدَّرَ بها رسالة :
 لَمْ يَبْقُ لِي جُودُ الوِلايَةِ ^(٣) حَاجَةً فِي الأَمْنِ أَوْ فِي الجِلاءِ أَوْ فِي المِسالِ
 بَعْدَ اللِّقَاءِ أَوَّلِ الفُضائلِ بَغِيثِي وَرَأَيْتُ هَذَا القِصْدَ شَرطَ كِمالِ
 أَجْمَلْتَهُ وَتَشَوَّفْتُ لِبَيانِهِ هِمَمٌ فَكُنْتُ مَفْسرَ الإِجْمالِ
 وَخَصَصْتُ بِالإِغْراءِ غَيْرَكَ غَيْرَةً وَجَعَلْتُ ذَكَرَكَ شَاهدَ الأَعْمالِ
 أَلْبَسْتُ ^(٤) يابْنَ أبى العِلاقِ شُبَّ المِلا وَتَرَكْتُ أَهْلَ الأَرْضِ فِي أَسْمالِ
 إِنْ دَوَّنَ الفُضلاءُ فَضلاً مُعَما فَلَقَدْ أَتَيْتَ عَلَيْهِ بِالِإِكمالِ
 تُنْثِي عَلَيْكَ رَعِيَّةَ آمالِها فِي أَنْ تَفوزَ بِإِداكَ بِالِأَمالِ

(١) كذا في نفح الطيب والسلاوى . وفي الأصلين : « به دباج » . وهو محرف عما أثبتناه .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت .

(٣) في الأصلين : « الخلافة » . وقد أثبتنا رواية نفح الطيب لملاءمتها السياق .

(٤) في نفح الطيب : « للبت » .

شعر له
في البرغوث

شعر له
في ابن روح

شعر له صدر
به رسالته إلى
ابن حسون

أزْعَيْتَهَا هَمًّا فَلَمْ يَطْرُقْ لَهَا بَمَنْعِ سُورِكَ طَارِقُ الْإِهْمَالِ
 مِنْ كُنْتِ وَالِيهِ تَوْلَتْهُ الْغُلَا وَمِنْ اطَّرَحْتَ فَمَا لَهُ مِنْ وَالِي
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ وَقُوفِهِ عَلَى مَرَاكَشٍ ، وَاعْتَبَارِهِ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا ^(١) :

شعره في ندب
 مراکش بعد
 الموحدین

[١٩٦]

بَلَدٌ قَدْ غَزَاهُ صَرَفُ اللَّيَالِي وَأَبَاحَ الْمَصُونِ مِنْهُ مُبِيحُ
 فَالَّذِي خَرَّ مِنْ بِنَاهُ قَتِيلُ وَالَّذِي خَرَّ مِنْهُ بَعْضُ جَرِيحِ
 وَكَأَنَّ الَّذِي يَزُورُ طَيْبٌ قَدْ تَأْتَى لَهُ بِهَا النُّشْرِيحِ
 أُعْجِمْتَ مِنْهُ أَرْبُعَ وَرُسُومِ كَانَ قَدِّمًا بِهَا اللِّسَانَ الْفَصِيحِ
 كَمْ مَعَانٍ غَابَتْ بِتِلْكَ الْمَغَانِي وَجَمَالِ أَخْفَاءِ ذَلِكَ الضَّرِيحِ
 وَمُلُوكٍ تَعَبَدُوا الدَّهْرَ لَمَّا أَصْبَحَ الدَّهْرُ وَهُوَ عَبْدُ صَرِيحِ
 دُوخُوا نَازِحَ الْبَسِيطَةِ حَتَّى قَالَ مَا شَاءَ ذَابِلِ وَصَفِيحِ
 حَيْثُ ^(٢) شُبَّتْ لَهْمٌ مِنَ الْبَاسِ نَارِ ثُمَّ هَبَّتْ لَهْمٌ مِنَ النَّصْرِ رِيحِ
 أَتْرَيْتَ نِدْبَ الْمُؤَثَّرِ لَمَّا طَالَ ^(٣) بَعْدَ الدَّوِّ مِنْهُ النَّزُوحِ
 سَاكِنُ الدَّارِ رُوحَهَا كَيْفَ يَبْقَى جَسَدٌ بَعْدَ مَا تَوَلَّى الرُّوحِ

وقال يخاطب عميد مراكش ^(٤) ، المتميز بالرأى والسياسة والهمة ، وإفاضة العدل ، وكف اليد ، والتجاني عن مال الجباية ، عامر بن محمد بن علي الهنتائي :

شعره يخاطب به
 عامر الهنتائي

تَقُولُ لِي الْأَضْعَانُ وَالشُّوقُ فِي الْحَشَى لَهُ الْحُكْمُ يَمْضِي بَيْنَ نَاهٍ وَأَمْرِ
 إِذَا جَبَلَ التَّوْحِيدَ أَصْبَحْتَ فَارِعَا نَفِيْمٌ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي دَارِ عَامِرِ

(١) كذا في الأصلين وفي نفع الطيب . وفي السلاوى زيادة في هذه العبارة يتضح بها المقام ، قال : « ولما وقف على مصانع مراکش وقصورها وقصبتها واعتبر ما صار إليه أمرها بعد الموحدین قال » .

(٢) في ط : « حين » .

(٣) في ط : « كان » .

(٤) في السلاوى : « عميد البلاد المراكشية » .

وَزُرَّتْ تربة المعلوم إن مزارها هو الحجَّ يُفَضَى نحوه كل ضامرٍ
 سَمَلَقِي بِمَوَى عامر بن محمد ثور الأمانى من ثنايا البشائر
 والله ما تبلوه من سعد وجهه والله ما تلقاه من يمن طائر
 وتُستعمل الأمثال في الدهر منكما بخير مَرُور أو بأغبط زائر

أقول : عامر بن محمد هذا ، هو قريع^(١) هَتَاتة ، وكانت له مع أبي الحسن
 المريني في الوفاء أحاديث ، صححت عند أبي عنان وغيره مثناته ، ولم يزل في رياسته
 مدة أبي عنان ومن بعده من ملوك بني مرين ، إلى زمن أبي فارس عبد العزيز
 ابن أبي الحسن ، فنازله بجنوده ، وحاصره بمعتقه ، حتى استولى عليه وقتله .

وقد ساق أسرَه ابنُ خلدون واستوفاه ، ومنعني من الإتيان به ما حصل
 من التطويل في هذه الترجمة ، وقد أشار إليه ابن الأحرر في « نثر فرائد الجنان »
 عند ما ذكر الشريف الشبوكي ، ونصه :

« صاحبنا الفقيه ، محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف ، يُكنى أبا
 عبد الله ، ويعرف بالشبوكي ، رأيتُه وصحبتُه ، ونسبته حسبا نقلته من خطه على
 متن كتاب ، وأخبرني هو به ، وسمعتُه أيضا بفاس ، من بعض الناس ، وهو محمد
 ابن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمران بن عبد الرحيم بن نوح بن
 شعيب بن علي بن أبي محمد بن حَيَّان بن فضل بن طاهر بن مطهر بن حمود بن زياد
 ابن محمد بن الحسن^(٢) بن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، ويعرف بالشبوكي .
 وشبوكة : قرية بينها وبين مدينة فاس ثلاثة أميال^(٣) ؛ وأخبرني أن جده عبد الرحيم

[١٩٧]

(١) القريع : السيد الرئيس .

(٢) في ط : « الحسين » .

(٣) في ت : « أيام » .

تعريف
عامر الهتاتانيشيء عن الشريف
الشبوكي

أتى من المشرق إلى المغرب ، واستوطن بشبوكة ، وهو شريف ؛ ويوسف أبوه كان رحمه الله جميل الوجه جدا ، شاعرا مجيدا فقيها ، وبرّز عدّلا في سِمَاطِ شهود فاس ، واستخدمه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان المريني شاهدا في دار صناعته ؛ وأحمد والد يوسف كان فقيها صوفيا ؛ ومحمد والد أحمد كان فقيها صالحا ؛ ويوسف والد محمد كان فقيها عالما صالحا مكاشفا محجّاب الدعوة ، من أهل الطبقة العليا في الصلاح ؛ وأبو عبد الله هذا كتب الوثيقة بشهود فاس .

هاله أكرم الله : هو فارس القريض ، وحامل لوائه الطويل العريض ، وله وجه وسيم ، وحياء جسيم ، وسموّ همته لم يبلغها إنسان ، ولم يُسمع بمثله في سالف الأزمان ، ويؤثر غزاة نفسه على هواه ، ويختار مهّيع السمو على ماسواه ، وأنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز المريني ، بعد قتله لوزيره المتغلب على أمره ، عمر بن عبد الله بن علي اليباباني ، ويجرضه على قتال الشيخ [١٩٨] أبي ثابت عامر بن محمد بن علي الهنتاتي ، صاحب جبل هنتاتة ، من حوز سراكش ، حين خرج عليه به ، بالسلطان المعتمد على الله أبي الفضل محمد بن أخى السلطان عبد العزيز هذا :

شعر للشبوكي في
مدح أبي فارس
والتحريض على
الهنتاتي

أبان في حبّه ما قال عاذلهُ
دمعُ جرى فوق صَفْح الخد هاملهُ
فبات من وطأة التفريق ذا وجل^(١)
يستنجد الصبر عونا وهو خاذله
صَبَّ إذا ما بدا بالرقّتين له
وميض برق الحمي هاجت بلابله
يبكي لمنزل أنس بان آهله
وظاعن عنه قد شطّت منازله
يا حسن عصر بهم قضيته زمنا
رقت حواشيه إذ رقت أصائله

(١) في ط : « في وجل » .

كأنَّ صوبَ دموعي بعد بُعْدِهِمْ سَيْبَ المَلِيكِ إِذَا وَاوَاهُ سَائِلُهُ
 عبد العزيز الذي عزت بدولته مراتب الحق والتاحت دلائله
 وأصبح الملك في أمن وفي دعة مِنَ الَّذِي كَانَ غَالَتْهُ غَوَائِلُهُ
 عادت بعبيد لنا منه نضارته فَعَادَ يَافِعُهُ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ
 كالرؤض باكره ظلَّ على ظمأ وَجَادَهُ بِمَدِّ ذَاكَ الطَّلِّ وَابِلُهُ
 هو الإمام الذي من أمِّ ساحته جَادَتْ عَلَيْهِ بِجُدِّ وَاهَا أَنَامِلُهُ
 ومن تخلف جهلا عن إجابته سَارَتْ إِلَيْهِ عَلَى عِلْمِ صَوَاهِلِهِ
 قلُّ للذي عنه أفضته جرائمه وَعَقَلَّتْهُ عَنِ العَلِيَا مَعَاقِلُهُ
 زُرَّ حَضْرَةَ المَلِكِ المَيْمُونِ طَالِعُهُ تَحَظُّ بِمَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ آمَلُهُ
 فطَبَّعَهُ الصَّفْحَ وَالمَعْرُوفَ شِيْمَتُهُ وَالحِلْمَ وَالصَّوْنَ وَالتَّقْوَى شِمَائِلُهُ
 أبلغ جميع العدا أن سوف يشملهم مِنَ الطَّبِيِّ كُلِّ مَاضِي الحُدِّ فَاصِلُهُ
 هذا المليك أتاهم في كتابه لَنَسَخِ آجَالَهُمُ تُنْضَى رَوَاحِلُهُ
 بكل خرق طويل الباع مُتَّئِد مَقْصَرٍ عَمَرَ مِنْ تَلَقَّى مَنَاصِلُهُ (١)
 وجحفل فيه سُمر الخط مُشْرَعَةٌ قَدْ حَجَبَتْ أَنْجُمَ الشَّعْرَى قَسَاطِلُهُ
 سيعلم العُمر عُقْبَى مَا جَنَاهُ إِذَا كَلَّتْ مَوَاضِيَهُ وَانْقَضَتْ كَلَالُهُ
 وحاط بالجبل البحر المحيط ولا حَتَّ فَوْقَ أَرْوُسِهِمْ مِنْهُ جِدَاوِلُهُ
 فانهض إليهم أميرَ الساميين فقد أُعْطِيَتْ كُلُّ المُنَى فِيمَا تَحَاوِلُهُ
 من ذَا يُنَازِلُ جَيْشًا أَنْتَ قَائِدُهُ يَوْمَ الكَرِيهَةِ أَوْ مَنْ ذَا يُنَاصِلُهُ

[١٩٩]

(١) المناصل : السيف ؛ الواحد : منصل (بضم الميم وسكون النون مع ضم الصاد وفتحها) .

ألا ترى المارق الرَّعِيدَ حين عتا وأضمر المكر صَادَتَهُ حِبَائِلُهُ
 ظنَّ الضنين بأن يسمو ويعلو في دنيا سَمَتْ وعلت فيها بواطله
 فغادرته الصَّعَادَ الزُّرْقَ مَنْجِدِلَا فوق الصَّعِيدِ تَنَادِيهِ جَنَادِلُهُ
 دنياه تَضْحَكُ مِنْ أحواله عجبا به وفي الحَيِّ تَبْكِيهِ أَرَامِلُهُ
 فَلَيْهِنَ دِينَ الهدى من بعد مدته أَنْ أَنْتِ يَا ذَا الْمُحْيَا الطَّلُقَ كَافِلُهُ
 لم ينتصب قَطُّ فِي الدنْيَا لَوَاهِ عَلَا إِلَّا وَمِنْ آلِ عبدِ الحقِّ حَامِلُهُ
 مولاى مولاى دُمُ مَاعَشْتِ مُصْطَحِبَا عُلَاً وَغُرَاً وَعِزًّا لَا تَزَالُهُ
 إن سار جيشك فالتأييد يقدِّمه والنصر عاجله يتفوه آجله
 انتهى كلام ابن الأحرر .

وأقارب هذا الشريف الشبوكتي لم يزالوا إلى الآن ، ولهم مصاهرة مع ولينا
 الفقيه المحدث ، الحاج الرِّحَالِ الْبَرَكَةَ ، القدوة الصالح الناصح ، أبي عبد الله سيدى
 محمد بن الوليِّ الصالح سيدى أبى بكر بن محمد ، صاحب الدِّلَالِ^(١) ، أبى الله علام ،
 وأعانهم على ما أولاهم .

ولنرجع إلى ابن الخطيب فنقول :

وقال رحمه الله ، وقد شاهد بجبل هنتاته محل وفاة السلطان أبى الحسن
 المريني ، حيث أصابه طارق الأجل ، الذى فَصَّلَ الخُطَّةَ ، وأصمت الدعوة ،
 ورفع المنازعة ، وعابنه مُرْفَهَا^(٢) عن الابتذال بالسكنى ، مفترشا بالحصباء ،
 مقصودا بالابتهاال والدعاء ، فلم يبرح يومَ زيارة محل وفاته أن قال :

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصلين ، ولم نفهم المراد منها ، ولم نثر على مرجع
 آخر لهذا الكلام المنقول عن ابن الأحرر ، لنعارض به هذا النص .

(٢) كذا في الأصلين . وفي نصح الطيب : « مرصفا » .

يا حسنَهَا من أزيُعٍ وذيارٍ أضحت لباعى الأمن دارَ قرارِ
وجبالٍ عِزًّا لا تذلُّ أنوفُهَا إلا لعز الواحد القهارِ
ومقر^(١) توحيدٍ وأُسْ خلافةِ آثارُهَا تُنبئُ عن الأخبَارِ
ما كنتُ أحسبُ أنَّ أنهارَ النَّدى تجري بها في جملة الأنهارِ
ما كنتُ أحسبُ أنَّ أنوارِ الحِجَا تلتاح في قُننٍ وفي أحجارِ
مَجَّتْ جوانبُهَا البرودُ وإن تكن شَبَّتْ بها الأعداءُ جَدوة نارِ
هدتْ بناها في سبيلٍ وفأها فكأنَّهَا صرعى بغير عُقَارِ
لما توعَّدها على المجد العدا رضيتْ بعَيْثِ النارِ لا بالعارِ
عَمَرَتْ بِجِلَّةِ^(٢) عامرٍ وأغزَّهَا عبد العزيزِ بمُرَهَفٍ بِنَارِ
فَرَسَا رِهَانٍ أحرزا قَصَبَ النَّدى والبأسَ في طَلَقٍ وفي مِضَارِ
وَرِثَا عن النَّدْبِ الكبيرِ أيهما محضَ الوفاءِ ورفعَةَ المِقدَارِ^(٣)
وكذا الفروع تطول وهي شبيهة بالأصلِ في وَرَقٍ وفي أثمارِ
أزرتْ وجوهُ الصَّيدِ من هنتاة في جوَّهَا بمطالع الأقدارِ
لله أَى قبيلة تركت لها النظراء دَعَوَى الفخرِ يومِ نِخَارِ
نصرتْ أميرَ المسلمين^(٤) وملكه قد أسلمته عزائمُ الأنصارِ
وارتْ عليًّا عندما ذهب الرَّدى والروعُ بالأسماعِ والأبصارِ
وتخاذل الجيشِ اللهم وأصبح الأبطال بين تقاعُدٍ وفِرَارِ

(١) في ط : « ومحل » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين والساوى : « بجلة » . ويريد بعامه :
عامر بن محمد الهنتاني .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأقدار » .

(٤) في ط : « المؤمنين » .

كُفِرَتْ صنائعه فيم دارها
وأقام بين ظهورها لا يتقى
فكانها الأنصارُ لَمَّا آنت
لما غدا لحظاً وهم أجفانه
حتى دعاه الله بين بيوتهم
لو كان يمنع من قضاء الله ما
قد كان يأمل أن يكافئ بعض ما
ما كان يقنعه لو امتد المدى
فيعيد ذاك الماء ذائباً فضة
حتى تفوز على النوى أوطانها
حتى يلوح على وجوه وجوههم
ويُسَوِّغَ الأملَ القصى كرامها
ما كان يَرْضَى الشمسُ أوبدر الدجى
أو أن يُتَوَجَّجَ أو يقدِّها مهابها
حقاً على المولى ابنه^(٤) إشاراً ما
فمثلها ذخر الجزاء ومثله
وهو الذى يقضى الديون وبره

مُسْتَظْهِراً منها بعز جوار
وقع الردى وقد ارتقى بشرار
فيما تقادم^(١) غربة المختار
نابت شيفارهم عن الأشفار
فأجاب مُتَمَثِّلاً لأمر البارى
خلصت إليه نوافذ الأقدار
أولوّه لولا قاطع الأعمار
إلا القيام بحقها من دار
ويعيد ذاك التراب تير^(٢) نضار
من ملكه بجلائل الأوطار
أثرُ العناية ساطع الأنوار
من غير ما تُثْنِي ولا استعصار^(٣)
عن درهم فيهم ولا دينار
ونحوها بأهله ودرارى
بذلوله من نصر ومن إشار
من لا يُضَيِّعُ صنائع الأحرار
يُرضيه فى علن وفى إسرار

(١) فى ط ونفع الطيب : « تقدم » .

(٢) فى نفع الطيب والسلاوى : « ذوب » .

(٣) الثنيا : الاستثناء . والاستعصار : استفعال من العصر بمعنى المنع . ولم ترد صيغة

« استفعال » من العصر فى المعاجم التى بأيدينا .

(٤) يريد بالمولى : ابنه السلطان أبا سالم بن أبى الحسن المرينى .

[٢٠١] حتى تَحَجَّ مَحَلَّةَ رَفَعُوا بِهَا عِلْمَ الْوَفَاءِ لِأَعْيُنِ النَّظَارِ
 فيصير منها البيتُ بيتاً ثانياً للطائفين إليه أي بدار
 تغني قلوب القوم عن هدى به ودموعهم تكفي لرمي حجار
 حُبَيْتٍ من دار تكفل سعيها السَّحْمُودِ بِالزُّنْبِي وَعُقْبِي الدَّارِ
 وَضَفَّتْ عَلَيْكَ مِنَ الْإِلَهِ عَنَايَةَ مَا كَرَّرَ لَيْلٌ فِيكَ إِثْرَ نَهَارِ

وقال رحمه الله ، حين زار بخارجِ أغماتِ قبر المعتمد بالله أبي القاسم
 ابن عَبَّاد ، أميرِ حَمَصٍ^(١) وقرطبة والجزيرة ، وما إلى ذلك الصُّقْعِ الْغَرْبِيِّ ،
 ونص كلامه الذي رتبته في ذلك أنه قال :

وقفت على قبر المعتمد بالله بمدينة أغمات ، في حركة راحة أعملتها إلى
 الجهات المراكشية ، باعثها لقاء الصالحين ، ومشاهدة الآثار عام واحد وستين
 وسبع مئة ، وهو بمقبرة أغمات ، في نَشْرٍ مِنَ الْأَرْضِ ، قد حَفَّتْ بِهِ سِدْرَةٌ ، وإلى
 جنبه قبر اعتاد حَظِيَّتَهُ مَوْلَاةَ رَمِيكَ ، وعليهما هيئة^(٢) التَّغْرِبِ ، ومعاماة الحَوْلِ
 من بعد الملك ، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما ، فأنشدت في الحال :

قد زُرتِ قَبْرَكَ عَنْ طَوْعِ بَأْغَمَاتِ رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَوْلَى الْمَهْمَاتِ
 لِمَ لَا أُرْزُوكَ يَا أُنْدَى الْمُلُوكِ يَدَا وَيَا سِرَاجَ اللَّيَالِي الْمُدْلَهَمَّاتِ
 وَأَنْتِ مَنْ لَو تَخَطَّيَ الدَّهْرُ مَضْرَعَهُ إِلَى حَيَاتِي لَجَدْتِ فِيهِ أَيْبَاتِي
 أَنْافِ قَبْرِكَ فِي هَضْبٍ يَمِيزُهُ فَتَنْتَحِيهِ حَفِيَّاتِ التَّحِيَّاتِ
 كَرُمْتِ حَيًّا وَمَيْتًا وَاشْتَهَرْتَ عَلًّا فَأَنْتِ سُلْطَانُ أَحْيَاءِ وَأَمْوَاتِ

(١) يريد بحمص (هنا) : مدينة إشبيلية بالأندلس ، لأن العرب الذين نزلوها عند الفتح
 أسموها باسم بلدكم في الشرق .
 (٢) في نفع الطيب : « أثر » .

مارى^(١) مثلك في ماضٍ، ومُعْتَقْدِي أن لا يُرَى الدهرَ في حالٍ ولا آتِي
وقال رحمه الله مخاطباً أحمد بن يوسف حفيد الولي الصالح سيدي أبي محمد
صالح النَّاسِمِ في ظل صديته ، رحمه الله :

شعر له
في مخاطبة
ابن يوسف

يا حفيدَ الوليِّ يا وارثَ الفخرِ الذي نال في مقال^(٢) وحالٍ
لك يا أحمد بن يوسف جُبنا كل قفر^(٣) يعي أ كف الرحال
ولما خرج رحمه الله من آسِقِ^(٤) سار إلى منزل ينسب لأبي خدو^(٥) ؛ فيه [٢٠٢]
رجل من بني المنسوب إليه ، اسمه يعقوب ، قال في نفاضة الجراب ، فألطف
وأجزل وآنس في الليل ، وطلبني بتذكرة تثبت عندي معرفته ، فكتبت له :

نزلنا على يعقوبَ نجلِ أبي خَدُو فمررنا الفضل الذي ماله حدُّ
وقابلنا بالبشر واحتفل القرى فلم يبق لحم لم ننله ولا زُبد
يحق علينا أن نقوم بحمته ويلقاه منا البر والشكر والحمد
وقال يخاطب السلطان :

وله في مخاطبة
السلطان

أنت للمسلمين خير عماد وملاذ وأمي حِرْزِ حريزِ
لو رأى ما شرعت للخلق فيه عمرُ الفاضلِ ابن عبد العزيزِ
لجزى ملكك المبارك خيرا وقضى بالشفوف^(٦) والتبريزِ
فاشكر الله ما استطعت بفعل وبقول مُطَوَّلٍ أو وجيزِ

(١) رىء : أصله (رئى) بالبناء للمجهول ، قدمت اللام على العين .

(٢) في ت : « مقام » .

(٣) في نفع الطيب : « قطر » .

(٤) آسقى : من الثغور المراكشية .

(٥) في نفع الطيب : « خدو » .

(٦) يريد بالشفوف (هنا) : الزيادة .

كل ملكٍ يُرى بضحبة أهل العلم قد باء بالحل العزيز
فإذا ما ظفرت منهم يا كسير ملأت البلاد من إبريز
والبريا تبيد والمالك ينفى أين كسرى الملوك مع أبرويز

وقال : أنشدت ابني عبد الله وقد وصل لزيارتي من الباب السلطاني ،
حيث [جرابته ووظيفته ، وانجر حديث] ^(١) ما فُقد بفرناطة في شجون الكلام :

يا بنى عيـد الإله احتسابا عن أثار ومـنزلٍ وعقارٍ
كيف يأتى على خسارة جزء من يرى الكل في سبيل الخسار
هدف لا تنى سهام الليالى عن سباق تجاهه وبدار
واحد طائش وثان مصيب ليس ينحى منها اشتال حذار
غير ذى الدار صرّف الهم فيها فنفاخ الرحيل ليس بدار

وقال : أنشدته وأمرته بحفظه ، والتأدب به ، واللهج بحكمته :

إذا ذهبت يمينك لا تضيع زمانك في البكاء على المصيبة
ويُسراك اغتتم فالقوس ترمى وما تدرى أرشقتها قريبه
وما بغريبة نوب الليالى ولكن النجاة هي الغريبة

[٢٠٣]

وقال رحمه الله :

يأهل هذا القطر ساعده القطر بليت فذلوني لمن يرفع الأمر
تشاغلتم بالدنيا ونمت مفرطا وفي شغلي أو نومتي سرق العمر

وقال رحمه الله :

مالي أهدبُ نفسي في مطالبي والنفس تأنفُ تهديبي وتهدي بي

(١) ما بين القوسين تكملة عن ت .

وله في مخاطبة
ابنه وقد وصل
لزيارته

بعض
مقطوعات له

إذا استعنتُ على دهرى بتجربة تأبى المقاديرُ تجريبى وتجرى بى
وقال رحمه الله مَوْرِيَا حين أكل مُشرف الدار القابض^(١) ، أى أخذ ماله :

وله فى مشرف
الدار حين أكل
القابض

مُشْرِفِ دار الملك ما باله منتفخ الجوف شكاً نافضاً
فقل لى ليس به علة لكنه قد أكل القابض
وقال رحمه الله :

يا نفس لا تُصغى إلى سلوة كم أخلف الموعدَ عُقوبُ
وأنت يا قلبى وَصَّاك إبراهيم بالحزن ويعقوب
قال : وقلت فى رأس الغادر بالدولة حين عرض على :

وله فى رأس
الغادر بالدولة

فى غير حفظ الله من هامة هام بها الشيطان فى كل وادٍ
ما تركتُ حمداً ولا رحمة فى فم إنسان ولا فى فؤادٍ
وقال رحمه الله :

وله فى الغزل

يا كوكب الحسن يا معناه يا قررة يا روضه المتناهى الرِّيع يا ثمره
أمرتنى بِسُلُوِّ عنك ممتنع مأمور حسنك لما يقض ما أمره
| وقال رحمه الله فى السعيد أبى بكر ابن السلطان أبى عنان :

شعر له فى
السعيد أبى بكر

أميراً كأن قَمِيرِ الدجى أفاض الضياء على صفحتيه
تملاً قلبى من حبه غداة نظرت بعينى إليه
فلا بسط الدهر كفاء الردى لذاك الشخيص وذاك الوجيه^(٢)

(١) القابض : من الألفاظ الأندلسية ، وهى هنا بمعنى المال المأخوذ .

(٢) ما بين القوسين ساقط فى ت .

وله في توديع
ابنه لما انصرف
عنه إلى فاس

وقال عند ما انصرف عنه ابنه إلى مدينة فاس ، لإقامة رسمه من الخدمة ،
قال : وأشجاني انصرافه لوقوع قرحه على قرح ، والمستعان الله :

بان^(١) يوم الخميس قرّة عيني حسبي الله أي موقف بين !
لوجني موقف التوى حين حيي حان يوم الوداع والله حيني
ضايقتني صروف هذى الليالي وأطالت همي وألوت بديني
وطن نازح وشمل شتيت كيف يبقى مُعذّب بين ذين ؟
يا إلهي أدرك بلطفك ضعفي إن ما أشتكيه ليس بهين

[٢٠٤]

وله في السيادة
الخطيبية

قال : وخاطبت السيادة الخطيبية^(٢) مع طيفور طعام :
تعلّم طيفوري خلال سميّه^(٣) وإن كان منسوباً إلى غير بسطام
وجاء فقير الوقت لابس خرقه فليس براض غير صحبة صوام
فديتك لا تردده عنك محيياً ودرّسه يا مولاي قصة بلعام^(٤)

قال : وكتبت إلى السيادة الخطيبية ، ووصل ولدها إلى سلا ، ومنعني عن
لقائه عذر من مرض ، وكان نزوله بزواية النساك :

صدّني عن لقاء نجلك عذر يمنع الجسم عن تمام العبادة
واختصرت القرى لأن حطّ رحلا في محل الغنى ودار الزّهاده

(١) في ت : « فات » .

(٢) يريد بالسيادة الخطيبية ، الخطيب ابن مرزوق حاجب الدولة الغرناطية .

(٣) طيفوري : يريد طبقاً عليه مأكول . وسميه : يريد به القطب طيفور بن عيسى
ابن سروشان ، المكنى بأبي يزيد البسطامي ، شيخ الصوفية ، وصاحب الأحوال
المشهوره . (انظر شرح القاموس) .

(٤) لعله يريد بلعام بن باعوراء من بني إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، وله قصة
مشهوره .

وَلَوْ أَنِّي احْتَفَلْتُ لَمْ يُعِينِ الدَّهْرُ وَلَا نِلْتُ بَعْضَ بَعْضِ أَرَادِهِ
وعلى كل حالة فقُصُورِي عادة إذ قُبُولِكَ العَدْرَ عَادَهُ
لا عدمتَ الرضا من الله والحُسْنَى كَمَا نَصَّ وَحْيُهُ وَالزِّيَادَةَ
وقال يخاطبه من ضريح السلطان أبي الحسن بشالة ، لاستنهاض غريمته
في قضاء غرضه :

برئتُ لله من حولي ومن حَيْبِي إن نام عني وَرَأْيِي فَهوَ خَيْرُ وَاوَلِي
أصبحتُ مَالِي من عَطْفِ أَوْمَلِهِ من غيره في مُهْمَاتٍ وَلَا بَدَلٍ
ما كنتُ أَحْسِبُ أَنْ أُرْمَى بِقَاصِيَةِ للهجرِ أَفْطَعُ فِيهَا جَانِبَ الأَمَلِ
من بعد ما خَلَصْتُ نَحْوَى الشَّفَاعَةِ مَا بين الفلا^(١) والدَّجَى والبِيضِ والأَسَلِ
إن كنتُ لَسْتُ بِأَهْلٍ لِلذِي طَمَحْتُ إِلَيْهِ نَفْسِي وَأَهْوَى نَحْوَهُ أَمَلِي
فكَيْفَ يُلْغَى وَلَا تُرْعَى وَسِيَلَتُهُ دَخِيلُ قَبْرِ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ عَلِيٍّ
من بعد ما اشْتَهَرَتْ حَالِي بِهِ وَسَرَّتْ بِهَا الرُّكَّابُ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلِ
والرَّسَلُ تَتْرَى وَلَا تَخْفَى نَتَائِجُهَا عِنْدَ التَّأَمُّلِ مِنْ قَوْلٍ وَلَا عَمَلِ
ولا لِلْيَلِيٍّ مِنْ صُبْحِ أَطَالَعِهِ كَأَنَّ هَمِّيَ قَدْ مَدَّ الدُّجْنَ سَةَ لِي
لو أَنْتِي بَابِنِ مَرْزُوقٍ عَقَدْتُ يَدِي وَكَانَ مَحْتَكِمًا فِي خَيْرَةِ الدُّوَلِ
لَكَانَ كَرْبِي قَدْ أَفْضَى إِلَى فَرَجِ وَكَانَ حُزْنِي قَدْ أَوْفَى عَلَى جَدَلِ
أَلْمَمْتُ^(٢) بِالْعَتَبِ لَمْ أَحْذَرْ مَوَاقِعَهُ «أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ البَلَلِ»
ولسْتُ أَجْجِدُ مَا خَوَّلْتُ مِنْ نِعَمٍ [٢٠٥] لَكِنهَا النَفْسُ لَا تَنْفَكُ عَنِ أَمَلِ
ولسْتُ أَيَّاسُ مِنْ وَعْدٍ وَعُدَّتْ بِهِ وَإِنَّمَا «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ»

(١) في نفع الطيب : « الغلا » .

(٢) في نفع الطيب : « ألحت » .

وقال رحمه الله يخاطب السلطان أبا الحجاج :

وله في مخاطبة
السلطان
أبي الحجاج

أمولاي إن الشعرَ ديوانَ حكمة
وقد وُجدَ المختارُ في الحفلِ مُنصِتًا
وفيما رواه الناقلون وأثبتوا
بأن أبا بكر خليفته الرضا
وأن عليا قدس الله جمعهم
لهم في ضروب القول إذ هم فحولُه
وفاض على أهل القريض نوالهم
وأنت أحقُّ الناس أن تفعل التي
فما زلت تهدي في البرية هديه
وإن قيل قدر المرء ما هو محسنٌ

يفيد الغنى والعزَّ والجاه مَنْ كانا
له وَحبا كَمَا عليه وَحسانا
بذلك ديوانًا صحيحًا فديوانا
وفاروقه الأدنى إليه وعثمانا
وكرمنا بالقرب منهم وحيثانا
خطاب وشعر يستقران تبيانًا
فروض روض القول سحًا وتهتانًا
بها^(١) فعل المختار دينًا وإيمانًا
وتقضى بما يُرضيه سرًّا وإعلانًا
فصنعة نظم القول أرفعه شانا

وقال رحمه الله في فن التورية :

وله في التورية

بنفسى حبيب في ثناياه « بارق »
إذا كان لي منه عن الوصل « حاجر »

ولسكنها للواردين عذاب
فدمعى « عقيق » بالجفون مذاب

وقال :

عذبت قلبي بالهوى ققيامه
ولقد عهدت القلب وهو موحد

في نار هجرك دائماً وقعوده
فعلام يُقضى في العذاب خلوده

وقال في التجنيس :

دَعَوْتُكَ للود الذى جَنَّبَاته
تداعتُ مبانِها وهَمَّتْ بأن تهَيَّ

وله في التجنيس

(١) في نفع الطيب : « الذى به » .

وقلتُ لههد الوصل والقرب بعد ما تناءى أسلو عن حياتي^(١) وأنت هي
ومن شام من جو الشبيبة بارقا ولم تنه عنه النهي كيف ينتهي ؟
وقال أيضاً :

ناديتُ دمعى إذ جدَّ الرحيلُ بهم والقلبُ من فرَّق التوديع قد وجبا
سَقَطَتْ يادمعُ من عيني غداة نأى عنى الحبيبُ ولم تقض الذى وجبا
وقال مُورّياً :

وله في التورية
أيضاً

كتبتُ بدمع عيني صفحَ خدى وقد منَع السكرى هجرُ الخليل
وراب الحاضرين فقلت هذا كتاب « العين » ينسب للخليل
وتذكرت بهذا قول الشيخ أبي حيان :

سبقَ الدمع بالسير المطايا إذ نوى من أحب عني نُقله
وأجاد السطور في صفحة الخدِّ ولمْ لا يجيد وهو ابن مُقله

والبیت الثاني أردت ، ولكن ابن الخطيب قد قصد تورية أخرى لم يقصدها
أبو حيان ، وكلاهما قد أحسن في توريته .

وقال ابن الخطيب :

بعض شعره

ولم أرأت عنى حثيثاً على السرى وقد راهاها صبرى على موقف البين
أنت بصحاح الجوهرى دموعها فعارضت من دمعى بمختصر العين
وقال أيضاً :

بحق ما بيننا يا ساكني القصبه رُدُّوا على حياتي فهى مغتصبه
ماذا جنيتم على قلبى ببينكم وأتمُّ الأهلُ والأحباب والعصبه

(١) في نوح الطيب : « وهل أسلو حياتي » .

وقال عفا الله عنه :

مَضْجَمِي فِيكَ عَنْ قَتَادَةَ يَرْوِي وَرَوَى عَنْ أَبِي الزَّنَادِ فُوَادِي
وَكَذَا النُّومِ شَاعِرُ فِيكَ أُمْسِي مِنْ دَمُوعِي يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادِي
وقال رحمه الله :

حِينَ سَارُوا عَنِّي وَقَدْ خَنَقْتَنِي عَبَّرَاتٍ قَدْ أَعْرَبْتَ عَنْ وُلُوعِي
صَحَّتْ مِنْ يَنْصُرِ الْغَرِيبِ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ نَاصِرًا بَلَغْتَ دَمُوعِي
وقال عفا الله عنه :

قَالَ لِي وَالِدُ الدَّمُوعِ تَهَلَّلْ سُحْبًا فِي عِرَاضٍ ^(١) مِنَ الْخُدُودِ مُحُولٍ
بِكَ مَا بِي فَجَلَّتْ مَوْلَايَ عَافَا كَ الْمَعَانِي مِنْ عَبْرَتِي وَنُحُولِي
أَنَا جَفْنِي الْقَرِيحُ يَرْوِي عَنِ الْأَعْمَشِ وَالْجَفْنُ مِنْكَ عَنْ مَكْحُولِ
وقال ، وقد جلس السلطان في يوم شديد البرد للسلام :

جَلَسَ الْمَوْلَى لِتَسْلِيمِ الْوَرَى وَتَقْصَلِ الْبَرْدِ فِي الْجَوِّ احْتِكَامٍ
فَإِذَا مَا سَأَلُوا عَنْ يَوْمِنَا قَلْتَ هَذَا الْيَوْمُ بَرْدٌ وَسَلَامٌ
وقال رحمه الله تعالى :

بِأَبِي بَدْرٍ ^(٢) غَزَانِي مَسْتَبِيحًا سَرَّحَ ^(٣) صَدْرِي
فَأَنَا الْيَوْمَ شَهِيدُ السَّحْبِ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ

وقال :

أَشْكُو لِمَا بَسِمَهُ الْحَرِيقَ وَقَدْ حَمَى عَنِّي لَمَاءَ الْمَشْتَمَى وَرَحِيقَهُ
يَا رَيْقَهُ حَيْرَتَنِي وَمَطْلَتَنِي مَا أَنْتَ ^(٤) إِلَّا بَارِدٌ يَا رَيْقَهُ

(١) كذا في الأصلين ونفع الطيب ، ونعيل إلى أن هذه الكلمة محرفة عن «عراض»

بالصاد المهملة ، فهي أليق بهذا المقام .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : «ظي» .

(٣) كذا في ت . والسرْح : فناء الدار . وفي ط : «صرح» . والصرح : القصر .

(٤) في ط : «ما كنت» .

وله في جلوس
السلطان في يوم
برد للسلام

وله في الغزل

[٢٠٧]

أبيات له
في الحشرات
البديعة

وقال فيمن ركب البحر وماد :
ركب السفينة واستقلَّ بأفتها
فكأنما ركب الهلالَ الفَرقدُ
وشكوا إلى بئيدهم فأجبتهم^(١)
لا غرو أن ماد القضيب الأملد
وقال أيضاً :

يا مالكي بخللال تَهْدِي إلى الفكر^(٢) حَيْرَة
أضرمت قلبي نارا يا مالكُ بنَ نُويرَة

وقال عند ما خرج السلطان ابن الأحمر من فاس متوجهاً إلى الأندلس
اطلب حقه :

ولما حثت السيرَ والله حاكم
حكى فرسَ الشَّطرنجِ طرفك لا يرى
لملكك في الدنيا بعزٌّ وفي الأخرى
يُنْقَلُ من بيضاء إلا إلى حمرا
وقال رحمه الله تعالى :

تعجلتُ وخطَّ الشَّيبُ في زمن الصبا
فهما رأيتم شَيْبَة في مفارقي^(٣)
لخوضي غمارَ الهمِّ في طلب المجدِ
وقال رضى الله عنه :

يا من تقلد للعلاء سلوكا
كاتبتي متفضلاً فلكتني
والفضلُ أضحى نهجه مسلوكا
لا زلتُ منك مكاتباً مملوكا

(١) كذا ورد هذا الشطر في ط . وفي ت : « وشكا إلى بئيدهم فأجبتهم » ؛ وفي هج

الطيب : « وشكوا إليه بئيدهم فأجبتهم » .

(٢) في نفع الطيب : « القلب » .

(٣) في نفع الطيب : « فوق مفريقي » .

وقال عفا الله عنه :

أجاد يراع الحسن خَطَّ عِذارِهِ وأودَّعه السرَّ المصون الذي يَدْرِي
ولم يفتقر فيهِه نختم وطابع فبسمه أغناه عن طابع السر
وقال في رجل حلف وأقسم أنه ذو مال وأمانة ، وطلب من السلطان الخدمة :

[٢٠٨]

حلفت لهم بأنك ذو يسار وذو ثقة وبر في اليمين
ليستندوا إليك بمخفظ مال فتأكل باليسار وباليمين
وقال في الفخر :

ما ضرنى أن لم أكن^(١) متقدما فالسبق يُعرف آخرَ المضارِ
ولئن غدا رُبَّع البلاغة بلقعا فلربَّ كنزٍ في أساس جِدارِ
وقال في مديح السلطان أبي الحجاج :

في مصر قلبي من خزائن يوسفِ حَبَّ وعيرُ مدامحي تمتاره
حليت شعري باسمه فكأنه في كل قطر حله ديناره
وقال يخاطب ابنه السلطان أبا عبد الله :

قالوا لخدمته دعاك محمدُ فكرهتها وزهدتُ في التنويهِ
فأجبتهم أنا والمهيمينِ كاره في خدمة المولى مُحِبِّ فيه
ومن قوله في غرناطة :

أحِبُّكَ يامعنى^(٢) الكمالِ بواجب^(٣) وأقطع في أوصافك الغرُّ أوقاتي
تقسّم منك التربّ قومي وجيرتي ففي الظهور أحيائي وفي البطن أمواتي

(١) كذا في الأصلين ؛ وفي نفع الطيب : « أن لم أجي » .

(٢) في نفع الطيب : « أحبيك يامعنى » .

(٣) الواجب : القلب .

وقال في غرض ينحو به نحو المشاركة :

رَمَوْا بالسُّلُوِّ حليف الغرامِ وأدمعه كالحيا الهاطلِ
أعوذُ بعزك يا سيدي لئلا من دعوة الباطلِ
وقال أيضاً :

يا ليلُ طُلْتَ ولم تجدِ بتبسُّمِ وأرَيْتني خُلُقَ العَبُوسِ النادمِ
هلاً رحمتَ تغرُّبِي وتفرُّقِي لله ما أقساك يا ابن الخادمِ

وقال في سكين الأضاحي للسلطان أبي الحجاج رحمه الله :

لى الفضلُ أن شاهدتني واختبرتني على كل مصتول الغرارين مرهفِ
كفاني فخراً أن تراني قائماً بسنة إبراهيم في كف يوسفِ

وقال في مروحة سلطانية :

كأني قوس^(١) الشمس عند طلوعها وقد قدمت من قبلها نسمة الفجرِ
وإلا كما هبت بمحتدم الوغى بنصرٍ ولسكن من بنود بني نصر^(٢)

وقال يخاطب شيخه ابن الجياب :

بين السهام وبين كُتُبِكَ نسبة فيها يُصاب من العدو المقتلُ
وإذا أردت لها زيادة نسبة هذى وهذى في الكِنانة تُجَعَلُ

وقال يتغزل ، وفيه معنى غريب :

إن الأحاظ هي السيوف حقيقة ومن استراب فحجتي تكفيه
لم يدعُ غمدُ السيف جَفناً باطلاً إلا لشبه اللحظ يُغمد فيه

قيل : وأحسن منه قول غيره :

إن العيون النُّجَلُ أمضى موقعا من كل هندی وكل يمانِ

(١) في ت : « ظل » .

(٢) بنو نصر : هم بنو الأحمر ملوك غرناطة .

فضل العميون على السيوف بأنها^(١) قَتَلْتُ ولم تحرُج من الأجنان
وأصل ما قال ابن الخطيب قول الآخر :

بين السيوف وعينه مشاركة^(٢) من أجلها قيل للأعماد أجنانُ

وقال ابن الخطيب أيضا في البراغيث :

بِتْنَا نَكَابِدُ هَمَّ الْقَحْطِ لِيَلْتَنَا وَأُنْجِدَ الشَّهْدَ وَالْكَرْبَ الْبِرَاغِيثَا^(٣)

وَكَانَ يُحْمَلُ مَا كُنَّا نَكَابِدُهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ لَوْ أَنَّ الْبِرَاغِيثَا^(٤)

وقال في خالد البلوي صاحب الرحلة ، وقد استكثر من سرقة كتاب

« البرق الشامي » للعماد الأصهباني :

خَلِيْلِي إِنْ يُلْفِ اجْتِمَاعَ بِخَالِدٍ فَقُولَا لَهُ قُولَا وَلَنْ تَعْدُوا الْحَقَا

سَرَقَتَ الْعِمَادَ الْأَصْهَبَانِيَّ بَرْقَهُ وَكَيْفَ تَرَى فِي شَاعِرِ سَرَقَ الْبِرْقَا؟

وقال في المنجاة :

تَأْمَلِ الرَّمْلَ فِي الْمَنْجَانِ مَنْقَطَعًا يَجْرِي وَقَدَّرَهُ عَمْرًا مِنْكَ مِنْهِيَا

وَاللَّهِ لَوْ كَانَ وَادِي الرَّمْلِ يُنْجِدُهُ مَا كَانَ^(٥) كَامِلُهُ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَا

وقال :

أَقُولُ لِعَاذِلِي لِمَا نَهَانِي وَقَدْ وَجَدَ الْمَقَالَةَ إِذْ جَفَانِي

عَلِمْتَ بِأَنَّهُ مُرُّ التَّجْنِي وَفَاتَكَ أَنَّهُ حُلُوُّ اللِّسَانِ

(١) في ت : « لأنها » .

(٢) في ط : « بين الحياض وعينه مناسبة » .

(٣) رواية هذا البيت في نفع الطيب :

بِتْنَا نَظَارِحَ هَمِّ الْقَحْطِ لِيَلْتَنَا وَأَيَّدَ الْهَمَّ وَالسَّهْدَ الْبِرَاغِيثَا

(٤) البري : التراب . ورسمت (البري) بالألف ليم الجناس بين البيتين . وغيث :

أصابه الغيث .

(٥) في ت : « ما طال » .

وله في البراغيث
أيضا

وله في خالد البلوي

وله في المنجاة

وله في الغزل

وله في التصوف

وقال في غرض صوفي :

لا تنكروا أن كنتُ قد أحببتكم
طوعاً وكرهاً ما ترون فإني
أو أنى استولى على هواكم
طُفُّ الوجود فما وجدتُ سواكم

[٢١٠]

وله في المدح
موريا

وقال يمدح وفيه تورية :

وإن نظرتَ إلى الألاء غرته
يوم الهياج رأيت الشمس في الأسدِ

شعر له يشك
أنه للمشاركة

ونسب إليه الحافظ أبو عبد الله التنسي رحمه الله ، قصيدة يخرج منها أكثر
من ثلاث مئة بيت ، ونسبها غير التنسي إلى بعض المشاركة ، فالله أعلم ، وهي :

دائلاً نوى بفؤادي شفه سقم^(١)
بأضلعي لهب تذك^(٢) شرارته
يوم النوى حل في قلبي له ألم^(٤)
توجي من جوي شبت حرارته
أصل الهوى ملبسى وجداه به عدم
تنبغي وجه^(٥) من تزهو نصارته
مهدي الجوى مولع بالهجر منتقم
لمصرعي معتد تحلو مزارته
قلبي كوى ملك في النفس محتكم
مروعي قمر تسمى بي إشارته
لمحنتي من دواعي الهم والسكد
من الضنى في محل الروح من جسدي^(٣)
وخرقتي وبلائي فيه بالرصد
مع العنا قد رنى لي فيه ذو الحسد
لمهجتى من رشاً بالحسن منفرد
إذا انثى قاتلي عمداً بلا قود
ما حيلتي قد كوى قلبي مع الكيد
يا قومنا^(٦) آخذ نحو الردى بيدي
لقصتي فهو سؤلى وهو معتمدى
إذا رنا ساطع الأنوار في البلد

(١) في ت هنا : « ألم » .

(٢) في ط : « تدو » .

(٣) في ت هنا : « ... الروح والجسد » .

(٤) في ت : « يوم النوى ظل في قلبي به ألم » .

(٥) في ت : « وجد » .

(٦) في ط : « يا قومنا » .

هَذَا الْقَوَى حَسَنَ كَالْبَدْرِ مَبْتَسِمٍ لَفِتْنَتِي مُوهِنَ عِنْدَ النَّوَى جَلْدِي
 مُودِّعِي النَّارَ قَدْ شَبَّتْ زِيَارَتُهُ لَمَّا جَنَى مُورثِي وَجَدَا مَعَ الْأَبْدِ
 قلت : وعندي أنها بعيدة من نفس ابن الخطيب ، مع أن الحافظ التنسي
 نسبها له ، وغيره نسبها لبعض المشاركة ، وذكر التنسي أنه يخرج منها ثلاث مئة
 بيت ونيف وستون بيتاً^(١) ، والله ولي التوفيق .

ثم وقفت بعد هذا على كراسة من بعض تأليف الصَّفَدِيِّ بخطه ، عبر^(٢) فيها
 أنها لبعض المشاركة ، وأورد القطعة مع تقديم وتأخير ، فأردت أن أذكره إتماماً
 للفائدة ؛ ونصه :

صالح بن أحمد بن عثمان صلاح الدين القَوَّاس الشاعر الخِلاطِي ثم البعلبكي ،
 توفي سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، كان رجلاً خبيراً متواضعاً ، صحب
 الفقراء ، وسافر الكثير ، وكان يعبرُ الرُّوْيَا ؛ قال الصَّفَدِيُّ : أنشدني من [٢١١]
 لفظه الشيخ الحافظ الذهبي ، قال : أنشدني المذكور قصيدته السائرة ذات
 الأوزان ، وهي :

دَاوَى نَوَى بَعْوَادِي شَفَّهُ سَقَمُ لِمِحْنَتِي مِنْ دَوَاعِي الِهْمِ وَالْكَمَدِ
 بِأَضْلَعِي لَهَبٍ تَذَكُّو شَرَارَتَهُ مِنْ الضَّنْيِ فِي مَحَلِّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي
 يَوْمَ النَّوَى ظَلَّ فِي قَلْبِي بِهِ أَلَمٌ وَحُرَّقَتِي وَبَلَّأَنِي فِيهِ بِالرَّصَدِ
 تَوَجَّعِي مِنْ جَوَى شَبَّتْ حَرَارَتَهُ مَعَ الْعِنَا قَدَّرْتَنِي لِي فِيهِ ذُو الْحَسَدِ
 أَصْلَ الْهَوَى مُلْبَسِي وَجَدَا بِهِ عَدَمٌ لِمَهْجَتِي مِنْ رَشَا بِالْحَسَنِ مَنفَرَدِ

(١) طريقة ذلك أن يؤخذ اشطر الأول من كل بيت كما هو أو مع تنبير في بعض كلماته ،
 ثم يوضع مع ما يناسبه معنى من الشطور الثواني في القصيدة كلها ، فتخرج من ذلك
 صور كثيرة للبيت الواحد .

(١) في ت : « عين » .

(٢) في ط : « من » .

تتبعي وَجْهَ (١) من تزهو نضارته
 هَدَّ القوي حَسَنَ كالبدر مبتسم
 لِفَتْنَتِي مُوهِنَ عند النوى جَدَى
 مُودَعِي قَمَرِ تَسْبِي إِشارته
 إِذَا رنا ساطع الأنوارِ في البَلَدِ
 ما حيلاتي قد كوى قلبي مع الكَيْدِ
 يا قومَنا آخِذْ نحو الرَدَى بيدي
 لمصرعي مُعْتَدٍ تحلو سمرارته
 لِقَضَتِي وهو سُؤْلِي وهو معتمدى
 قَلْبِي كوى مَلَائِكُ في النفس محتكم
 لما اثنتى قاتلي عمداً بلا قَوَدِ
 مولعِي النارِ قد شَطَّتْ (٢) زيارته

قال الصَّفَدِي : قلت : هذه القصيدة تقرأ على ثلاث مئة وستين وجهاً .

[وقال في المشيب :

وله في المشيب

إِنِّي لَمُبَلِّى بالهوى من بعد ما
 لَلوَخِطِ بالفودين أَى ديبِ
 لَبَسَ البياضَ وحلَّ ذِرْوَةَ مِنبرِ
 مَنِ ووالى الوعظَ فَعَلَ خطيبِ
 وكتب ببعض الحيطان لما أجاز بِسَبْتَةِ :

وله وقد أجاز
 بسبته

أَقْنَا بُرْهَةً ثم ارتحلنا
 كَذَاكَ الدهرُ حالا بعد حالِ
 وكل بداية فإلى انتهاء
 وكل إقامة فإلى ارتحالِ
 ومن سام الزمانَ دوامَ أمرِ
 فقد وقف الرجاءَ على المُحالِ

وقد قَدَّمنا بمض هذه المقطوعة على غير هذا الوجه [(٤) .

وقال مما يكتب في طاق الماء بباب القبة :

وله في طاق الماء

أنا طاق تزهو بى الأيامُ
 تَعِبْتُ في بدائعي الأفهامُ

(١) في ت : « متبعي وجد » .

(٢) في ت : « وجدى مدى » .

(٣) في ت : « مروعي سار لا شطت » .

(٤) ما بين القوسين جاء متأخرا في ط بعد قوله : « قلبي الثاني » .

وتبدّيت للنواظر محجراً بآ كان الإناء في إمام^(١)
واقف للصلاة حتى إذا ما جئت للشرب حان مني السلام
وقال في ذلك أيضاً:

ياصانعي الله ما أحكمته فلأنت بين العالمين رئيسُ
أحكمت تاجي يوم صُغت رُقوشه فصبت إليه مفارق ورءوس
وأقمت في محرابه فكأنه مجلى^(٢) إناء الماء فيه عروس

وكتب إليه شيخه ابن الجيّاب بقوله:

أيا كتابي إذا ما جئت ما لقة دار المكارم من ثني ووحدان
فلا تسلم على ربيع بذي سلم بها وسسلم على ربيع لسلمان
فأجابه ابن الخطيب بقوله:

[٢١٢]

يا ليت شعري هل يُفصى تألفنا ويثني الشوق عن غاياته الثاني
أو هل يحن على نفسي معذبها أو هل يرق لقلبي قلبي الثاني
وقال رحمه الله:

عدّ عن كيت وكيت ما عليها غير ميت
كيف تُرجى حالة البقيّة لمصباح وزيت

وقال رحمه الله:

والله ما جان على ماله أو جاهه من ذاد عن عرضه^(٣)

(١) في ط: «الإمام في قيام».

(٢) في ط: «يحكي».

(٣) في ط: «من حاط من عرضه».

والناس في خير وفي^(١) ضده هم شهداء الله في أرضه
وقال رحمه الله : ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون ،
وطمس الآن رسمها :

موشحة له في مدح
السلطان يوسف
أبي الحجاج

رُبَّ لَيْلٍ ظَفَرْتُ بِالْبَدْرِ وَنَجُومِ السَّمَاءِ لَمْ تَدْرِ
حَفِظَ اللَّهُ لَيْلِنَا وَرَعَى
أَيُّ شَمَلٍ مِنَ الْهَوَى جَمَعَا
غَفَلَ الدَّهْرُ وَالرَّقِيبُ مَعَا
لَيْتَ نَهَرَ النَّهَارِ لَمْ يَجْرِ حَكَمَ اللَّهُ لِي عَلَى الْفَجْرِ
عَلَّلَ النَّفْسَ يَا أَخَا الْعَرَبِ
بِحَدِيثِ أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ
فِي هَوَى مَنْ وَصَالُهُ أَرَبِي
كَلَّمَا مَرَّةً ذَكَرْتُ مِنْ تَدْرِي قَلْتُ يَا بَرْدَهُ عَلَى صَدْرِي
صَاحِ لَا تَهْتَمِّمْ بِأَمْرِ غَدٍ
وَأَجِزْ صِرْفَهَا يَدَا بَيْدٍ
بَيْنَ نَهْرٍ وَبَلْبَلِ غَرْدٍ
وُغْصُونَ تَمِيدَ مِنْ سُكْرِ أَعْلَنْتُ يَا غَمَامُ بِالشُّكْرِ
يَا مِرَادِي وَمَنْتَهَى أَمَلِي
هَاتِهَا عَسْجُدِيَةِ الْحُلَلِ
حَلَّتِ الشَّمْسُ مَنَزَلَ الْحَمَلِ
وَبُنُودِ الرَّبِيعِ فِي نَشْرِ وَالصَّبَا عَنْ بَرِيَةِ النَّشْرِ

[٢١٣]

غُرَّةُ الصَّبْحِ هَذِهِ وَضَحَتْ
 وَقِيَانُ الْعَصُونِ قَدْ صَدَحَتْ
 وَكَأَنَّ الصَّبَا إِذَا نَفَحَتْ
 وَهَذَا طَيْبُهَا عَنِ الْخَصْرِ مِدْحَةٌ فِي غُلَابِ بْنِ نَصْرِ
 مُهْمٌ مَلُوكِ الْوَرَى بِلَا تُنْيَا
 مَهْدُوا الدِّينَ زَيْنُوا الدُّنْيَا
 وَحَمَى اللَّهُ مِنْهُمْ الْعَلِيَا
 بِالْإِمَامِ الْمَرْفَعِ الْخَطَرِ وَالْقَامِ الْمُبَارِكِ الْقَطَرِ
 إِنَّمَا يُوسِفُ إِمَامٌ هُدَى
 حَازَ فِي الْمَعْلُوتِ كُلِّ مَدَى
 تَمَلُّ لُدْهُرٍ بِمُلْكِهِ سَعِدَا
 افْتَخَرَ جَمَلَةً عَلَى الدَّهْرِ كَافْتَخَرَ الرَّبِيعَ بِالزَّهْرِ
 يَا عِمَادَ الْعَمَلَاءِ وَالْمَجْدِ
 أَطْلَعَ الْعَيْدُ طَالِعَ السَّعْدِ
 وَوَفَى الْفَتْحُ فِيهِ بِالْوَعْدِ
 وَتَجَلَّتْ فِيهِ عَلَى الْقَصْرِ غُرَّرٌ مِنْ طَلَائِعِ النَّصْرِ
 فَتَهَنَّا مِنْ حَسَنَةِ الْبَهَجِ
 بِحَيَاةِ النُّفُوسِ وَالْمَوْجِ
 وَاسْتَمَعْنَا مَقَالَ شَجِي
 قَسَمًا بِالْهَوَى لِدَى حَجْرٍ مَا لِلدَّيْلِ الشُّوقِ نِ الْفَجْرِ
 وَمِنْ بَدِيعِ مَوْشِحَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلُهُ :

كَمْ لِيَوْمِ الْفِرَاقِ مِنْ غُصَّةٍ فِي فُؤَادِ الْعَمِيدِ
 تَرْفَعُ الْأَمْرَ فِيهِ وَالْقِصَّةَ لِلْوَلِيِّ الْحَمِيدِ

رحل الركب يقطع البيدا بسفين النِّياقِ
 كل وجناء تُتلعُّ الجيدا وتبُذُّ الرِّفاقِ
 حَسِبْتُ لَيْلَةَ اللِّقَا عِيداً فَهِيَ ذَاتُ اشْتِياقِ
 صائِماتٌ لا تقبل الرخصة قبل فِطْرٍ وعِيدِ
 فهي مذ أُمَّلْتَه مَخْتَصَه بجهاد جهيـد
 ومنها وهو آخرها :

يا إمام العُلا والفخرِ ذا السِّنا الأبهجِ
 ها كَمَا لا عَدِمْتَ في الدهرِ آمِلاً يَرْتَجِي
 عارضتُ قولَ بائعِ التمرِ بمقالِ شجِ
 غَرَّبوكِ الجِمالُ يا حَفْصَه من مكانِ بعيدِ
 من سِجْلِما سَهْ ومن قَفْصَه وبلادِ الجَرِيدِ

ومن بديع نظمه رحمه الله في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة

وله في مدح
 النبي صلى الله
 عليه وسلم

المشهوره وهي :

سَلْ ما لِسَلَّمَتِ بِنارِ الهِجرِ تَكْوِينِي
 وَفي مُناها تَمَنَّيْتُ المُنَى فَغَدَا
 وَفي قِبابِ قَبْيا قَامَتْ لَنَا بَقْيا
 لَمَّا انْتَنَتْ في الحِلي تَزْهُو بِبَهْجَتِها
 لَمَّا تَفَنَّتْ في أَفْئانِ قَامَتْها
 وَيحسبُ الصَّبُّ يُسَلِّني مُحَبَّتِها
 وَحُبُّها في الحَشَى مِنْ قَبْلِ تَكْوِينِي
 قَلْبِي كَكَيْباً بَبِلَواهُ يَنْجِينِي
 طَرارُها مُذْهَبٌ في حُسنِ تَزْيينِ
 وَبالغِزالِ تَزْرِي والسَّراحِينِ
 تَفَنَّتْ بِفُنونِ الصَّدِّ تَفْنِينِي
 هِيَّاتِ لو أَنَّ جَمَّ النارِ يُصَلِّني
 وَالقُرْبُ يَنْشُرُنِي وَالبُعدُ يَطْوِينِي
 النَارُ في كَبْدي وَالشَّوقُ يُقَلِّني

وَرُكِّنَ صَبْرِي تَخَلَّى فِي الْغَرَامِ وَقَدْ
 وَقَدْ رَأَيْتُ مَسِيرِي غَمًّا مَطْلُبُهُ
 نَصَبَتْ حَالِي لِرَفْعِ الضَّمِّ مَنْجُزِمِ
 يَأْصَاحُ عُنْجُ بِالْحَمَى وَانزَلْ بِهِمْ سَحْرًا
 وَفَوْقَ سَفْحِ عَقِيقِ الدَّمْعِ عُنْجٌ لَتَرَى [٢١٥]
 وَمِلْ عَلَى أَثَلَاتِ الْبَانِ مُنْعَطِفًا
 نَمُّ أَنْتِ جَزَعًا وَجُزْءٌ عَنِّي حَيًّا كَاطِمَةً
 مُحَمَّدَ الْمُصْطَفَى الْخِتَارَ مَنْ ظَهَرَتْ
 مِنْ حَصَّةِ اللَّهِ بِالْقُرْآنِ مَعْجِزَةً
 وَمَنْ شَهَابٌ بَدَأَ مِنْ نُورِهِ رُجِمَتْ
 وَفَوْقَ رَاحَتِهِ صُمُّ الْحَمَى نَطَقَتْ
 وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْبَارِي وَأَرْسَلَهُ
 إِنْ سَارَ فِي الرَّمْلِ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرٌ
 كَأَنَّ بَارِئًا مَلَّ مَا بِالصَّخْرِ مِنْ جَلْدٍ
 وَفِي الصَّحَائِحِينَ أَنَّ الْجِدْعَ حَنَّ لَهُ
 وَقَدْ سَمِعْنَا بَانَ الطَّيْرِ خَاطِبَهُ
 وَالظَّبْيَ وَالضَّبَّ جَاءَا يَشْهَدَانِ بَانَ
 فَكَيْفَ أَحْسَنَ مَدْحًا فِي مَحَاسِنِهِ
 أَقْبَلَ الْأَرْضَ إِجْلَالًا لِهَيْبَتِهِ
 وَقَدْ أَقُولُ ابْنَ سَمْدَانَ الْغَرِيبُ أَتَى
 يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مِنْ عُرَبٍ وَمَنْ عَجِمِ

تَمَكَّنَ الْحَبُّ فِيَّ أَيُّ تَمَكَّنِ
 وَالطَّرْفَ وَالظَّرْفَ يُبَكِّنِي وَيَكْوِينِي
 بِالْكَسْرِ عَلَّ بِرَشْفِ الضَّمِّ تُحِينِي
 وَانظُرْ لِعَجَبِ أَثِلَاتِ الْبَسَاتِينِ
 جَاذِرِ الْحَيِّ بَيْنَ الْخُرْدِ الْعَيْنِ
 وَحَيِّ سَلْعًا وَسَلَّ عَنْ حَالِ مَسْكِينِ
 وَاقْرَأِ السَّلَامَ عَلَى خَيْرِ النَّبِيِّينِ
 آيَاتِهِ فَتَسَلَّى كُلُّ مَحْزُونِ
 مَا نَالَهَا مُرْسَلٌ قَدْ جَاءَ بِالدِّينِ
 شُهْبُ الدِّيَاجِي رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ
 وَالْمَاءِ مِنْ كَفِّهِ يُزْرِئُ بِجِيحُونَ
 بَرًّا رءُوفًا رَحِيمًا بِالْمَسَاكِينِ
 وَإِنْ عَلَا الصَّخْرَ عَادَ الصَّخْرُ كَالطَّيْنِ
 شَوْقًا وَبِالصَّخْرِ مَا بِالرَّمْلِ مِنْ لِينِ
 وَالْعِدْقُ أَنْ إِلَيْهِ أَيُّ تَانِينَ
 فِي مَنْطِقِ مُفْصِحٍ مِنْ غَيْرِ تَلَسْكِينِ
 لَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْ طِهِ وَيَسِينِ
 لَكِنَّ لِي قَبُولًا مِنْهُ يَكْفِينِي
 وَالنِّمُّ التُّرْبَ عَلَّ الْوَصْلَ بِحِينِي
 مُنَادِيًا بِفَوَادٍ مِنْهُ مَحْزُونِ
 وَأَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ حُسْنِ وَتَزِينِ

إِنِّي أَتَيْتُكَ فَاقْبَلْنِي وَخُذْ بِيَدِي
 وَقَدْ مَدَحْتُكَ فَارْحَمْنِي وَجُدْ فَعَسَى
 وَكُنْ شَفِيعِي مِنَ النَّيِّرَانِ يَا أَمَلِي
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا صَدَحَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا غَرَدَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا وَفَدَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا هَطَلَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا ضَحَكَتْ
 وَأَنْفُ أَلْفِ صَلَاةٍ لَا نَفَادَ لَهَا
 عَلَيْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ قَاطِبَةً
 وَاللَّكِ الْغُرَى وَالْأَحْسَابِ كُلِّهِمْ
 مَا عَطَّرَ الرَّوْضَ فِي الْأَسْحَارِ عُرْفَ صَبَا
 وَمَا شَدَا مُنْشِدُ صَبٍّ لَفَرْطِ جَوَى
 | وقال رحمه الله :

وله في الرجوع
إلى الله

لَيْسْنَا فَلَمْ نُبَلِّ الزَّمَانَ وَأَبْلَانَا
 وَنَفْتَرُ بِالْأَمَالِ وَالْعُمُرُ يَنْقُضِي
 وَمَاذَا عَسَى أَنْ يَنْظُرَ الدَّهْرُ مَا عَسَى
 جَزَيْنَا صَنِيعَ اللَّهِ شَرًّا جَزَائِهِ
 فَيَارَبِّ عَامِلُنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
 انتهى .

وَمَنْ لَهَيْبِ لَطْفِي جِرْنِي ^(١) وَسَجِّينِ
 مِنْ هَوْلِ يَوْمِ اللَّقَا وَالْحُشْرِ تَنْجِينِي
 لَعَلَّ أَحْظَى بِأَجْرٍ غَيْرِ تَمَنُّونِ
 قُمْرِيَّةٌ فَوْقَ أَفْئَانِ الرِّيَاحِينَ
 حَامِئٌ فَوْقَ أَغْصَانِ الْبَسَاتِينِ
 نُؤْيِقَةُ لِحَمِي الْأَطْلَالِ تَبْرِينِي
 مَدَامِعِ السَّحْبِ أَوْ عَيْنِ الْمُحِبِّينِ
 مَبَاسِمِ الزَّهْرِ فِي ثَعْرِ الْأَفَانِينِ
 مَضْرُوبَةٌ فِي ثَمَانِ أَلْفِ تَسْعِينِ
 وَأَلْفِ أَلْفِ سَلَامٍ فِي ثَمَانِينَ
 وَتَابِعِيهِمْ لِيَوْمِ الْحُشْرِ وَالذِّينِ
 وَفَاحِ نَشْرِ خُزَامِي مِنْهُ نَسْرِينِ
 سَلِّ مَا لَسَلَّمِي بِنَارِ الْهَجْرِ تَكْوِينِي

[٢١٦]

يُتَابِعِ أَخْرَانَا عَلَى الْغَى أَوْلَانَا
 فَمَا كَانَ بِالرُّجْمِي إِلَى اللَّهِ أَوْلَانَا
 فَمَا انْقَادَ لِلزُّجْرِ الْحَثِيثِ وَلَا لَانَا
 فَلَمْ نَرَعِ مَا مِنْ سَابِقِ الْفَضْلِ أَوْلَانَا
 مِنْ الْعَفْوِ وَاجِبُ صَدْعِنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ^(٢)

(١) يريد : « أجرني » .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت .

ولنقتصر من نظمه على هذا القدر ، فإنه طويل عريض ، وإنما أطلت
النفسَ في ترجمة ابن الخطيب ، رحمه الله ، علماً مني بأن الذين رغبوا في تأليف
هذا الموضوع ، لم تشوف إلى أبناء ابن الخطيب ، وكلامه وجلية أحواله ليست
عندهم ، وإنما يحفظون بعضَ نظمه ونثره ، ولا يدرون ابتداء أمره وانتهاه ،
وقد حكى غير واحد أنه رىء رحمه الله بعد موته ، فمئيل له : ما فعل الله بك ؟
فقال : غفر لي بسبب بيتين ، وهما :

يامصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعد ما أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد رأيت على هذين البيتين تخميساً لا بأس به ، لأبي عبد الله بن جابر
العسائى المكناسى ، رحمه الله ، وهو :

ياسائراً لصریح خير العالمِ مُنْهِى إِلَيْهِ مَقَالَ صَبِّ هَامِ
بالله نادِ وَقُلْ مَقَالَةَ عَالِمِ يامصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له أغلاق

بِنَّاكَ قَدْ شَهِدَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَاللَّهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمَا
يَا مَجْتَبَى وَمَعْظَمَا وَمُكْرَمَا أَيْرُومِ مَخْلُوقِ ثَنَاءِكَ بَعْدَ مَا
أثنى على أخلاقك الخلاق

اتمى .

وأولاد ابن الخطيب رحمه الله ثلاثة : عبد الله ، ومحمد ، وعلى . وكلهم
حدّث عن أبيه وعن ابن الجيّاب ، وعلى منهم هو صاحب السلطان أحمد المريني
الملقب بالمستنصر . [٢١٧]

وَحُكِيَ أَنَّهُ حَضَرَ مَعَهُ فِي بَسْتَانَ ، سَحَّ فِيهِ مَاءُ الْمَذَاكِرَةِ الْهَتَّانِ ؛ وَقَدْ
أَبْدَى الْأَصِيلَ شَوَاهِدَ الْأَصْفَرَارِ ، وَأَزْمَعَ النَّهَارَ لَمَّا قَدِمَ اللَّيْلُ عَلَى الْفَرَارِ ؛
فَقَالَ الْمُسْتَنْصِرُ ^(١) لَمَّا لَانَ جَانِبَهُ ، وَسَالَتْ بَيْنَ سَرَحَاتِ الْبَسْتَانَ جِدَاوَلَهُ
وَمَذَانِبَهُ :

على بن الخطيب
والمستنصر
في بستان

يَا فَاَسُ إِنِّي وَأَيْمُ اللَّهِ ذُو شَعْفٍ فِي كُلِّ رُبْعٍ لَهُ مَعْنَاهُ يَسْبِينِي
وَقَدْ أَنْسَتْ بِقُرْبِ مَنْكَ يَا أَمَلِي وَنَظْرَةَ فَيْكُمْ بِالْأَنْسِ تَحْمِينِي
فَأَجَابَهُ عَلِيُّ بْنُ الْخَطِيبِ بِقَوْلِهِ [الْعَذْبُ الْمُصِيبُ] ^(٢) :

لَا أَوْحَشُ اللَّهَ رَبِّعًا أَنْتَ زَائِرُهُ يَا بَهْجَةَ الْمُلْكِ وَالْدُنْيَا مَعَ الدِّينِ
يَا أَحْمَدَ الْحَمْدَ أَبْقَاكَ الْإِلَهَ لَنَا نَفْرَ الْمُلُوكِ وَسُلْطَانَ السَّلَاطِينِ

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَقَدْ كَتَبَ بِالْعَدُوتَيْنِ ، عَنْ مَلُوكِ الْحَضْرَتَيْنِ . وَأَمَّا مُحَمَّدٌ فَقَدْ
نَالَ حِظًّا مِنَ التَّصَوُّفِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَى خِدْمَةِ الْمُلُوكِ تَشَوُّفٌ .

شيء عن
عبد الله ومحمد
ابن الخطيب

وَلَا بَدَأَ أَنْ تُنَلَّمَ بِوَصِيَّةِ ابْنِ الْخَطِيبِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، لِأَوْلَادِهِ الْمَذْكُورِينَ ، لَمَّا
فِيهَا مِنَ الْحِكْمِ وَالْوَصَايَا النَّافِعَةِ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَهِيَ :

وصية
ابن الخطيب
لأولاده

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَرُوعُهُ الْحِمَامُ الْمَرْقُوبُ ، إِذَا شِيمَ نَجْمُهُ الْمُتَقُوبُ ، وَلَا يَبْغَتُهُ
الْأَجَلُ الْمَسْكُوتُ ، وَلَا يَنْفَجُوهُ الْفِرَاقُ الْمَعْتُوبُ ، مُلْهِمِ الْهُدَى الَّذِي تَطْمِئِنُّ بِهِ
الْقُلُوبُ ، وَمَوْضِعِ السَّبِيلِ الْمَطْلُوبِ ، وَجَاعِلِ النَّصِيحَةِ الصَّرِيحَةِ فِي قِسْمِ الْوَجُوبِ ،
لِاسْمِ اللَّوْلِ الْحَبُوبِ ، وَالْوَالِدِ الْمَنْسُوبِ ، الْقَائِلِ فِي كِتَابِهِ الْمَعْجَزِ الْأَسْلُوبِ ، « أُمَّ
كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبُ » ، « وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بُنْيَمَهُ وَيَعْقُوبَ » ؛ وَالصَّلَاةُ

(١) في ط : « السلطان » .

(٢) زيادة عن ت .

والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زُرْتُ على نوره جُيُوب الغيوب ،
 وأشرفٍ من خُلُعت عليه حُلَل المَهابة والعصمة ، فلا تقحمه العيون ولا تَصْمُه (١)
 [٢١٨] العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب ،
 والأمل المسلوب ، والافتداء الموصل المرغوب ، والعز والأمن من اللغوب .

وبعد ، فإنني لما علاني المشيب بغمته ، وقادني الكبر في رُمته ، وادّكرتُ
 الشباب بعد أمته ؛ أسِفْتُ لِمَا أَضَعْتُ ، ونَدِمْتُ بعد الفِطام على ما رَضِعْتُ ؛
 وتأكَّد وُجُوب نُصْحِي لمن لزمني رَعِيهِ ، وتعلَّق بسعيي سَعِيهِ ، وأملت أن تتعدَّى
 إلى ثمرات استقامته ، وأنا رهين فوات ، وفي برزخ أموات ؛ ويأمن (٣) العثور
 في الطريق التي اقتضت عثاري ، إن سلك — وعسى ألا يكون ذلك — على
 آثارى : فقلت أخاطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخلد ؛ بعد الضراعة إلى الله
 في توفيقهم (٤) ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ؛ وأن يَمَنَّ عليّ فيهم بحسن
 الخلف ، والتلافي من قبل التلّف ، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف ؛
 فهو ولي ذلك ، والهادي إلى خير المسالك .

اعلموا هداكم مَنْ بأنواره يَهْتدي الضلال ، وبرضاه تُرفع الأغلال ، وبالتماس
 قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأخلفت الآمال ، وتبرأت من يمينها
 الشّمال ؛ أنى مودعكم وإن سالمى الردى ، ومُفارقكم وإن طال المدى ، وما عدا

(١) كذا في نفع الطيب ؛ وفي ط : « ولا تصفه » ، وهو تحريف .

(٢) في ط : « الهرم » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وليأمن » .

(٤) في ط : « تفضيلهم » .

(٥) في نفع الطيب : « هداكم الله تعالى الذي بأنواره ... الخ » .

مما بدأ^(١) ؛ فكيف وأدوات السفر تُجمع ، ومنادى الرحيل يُسمع ؛ ولا أقل للحبیب المودّع من وصية محتضّر ، وعُجالة مقتصر ؛ ورتيمة تُعقد في خنصر ، ونصيحة تكون نسيده واعٍ ومُبصر ؛ تتكفل لكم بحُسن العواقب من بعدى ، وتوضّح لكم في الشفقة والحنو قُصدي ، حسبما تضمن وعدُّ الله من قبل وعدى ؛ فهي أربكم الذي لا يتغيّر وقفه ، ولا ينالكم المكروه ما رَفَّ عليكم سَقفه ؛ وكأني [٢١٩] بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ؛ وبنشاطكم قد كسل ، واستبدل الصاب من المسأل ، ونُصول الشيب ترُوع بأَسَل ، لا بل [السام] ^(٢) من كل حَدَب قد نَسَل ، والمعاد اللّحد ولا تَسَل ؛ فبالأمس كنتم فراخ حَجْر ، واليوم آباء ^(٣) عَسكر حَجْر ، وغدا شيوخ مَضِيعة وهَجْر ؛ والقبور فاعره ، [والنفوس عن المآلوفات صاعره] ^(٤) ؛ والدنيا بأهلها ساخره ، والأولى تعقبها آخره ؛ والحازم من لم يُتَعَمَّظ به في أمر ، وقال : بيدي لا بيد عمرو ؛ فاقتنوها من وصيته ، ومرام في النصح قَصيه ؛ وحُصّوا بها أولادكم إذا عَقَلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا ؛ وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملا ، ولكن ليبلوهم أيّهم أحسن عملا ؛ ولا رضي الدنيا منزلا ، ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا ؛ ولتلقنوا تلقينا ، وتعلّموا علما يقينا ؛ أنكم لن تجدوا بعد أن أنفردَ بذنبي ، ويفترش التراب جنبي ؛ ويسُح انسكابي ، وتهرول عن المصلّى ركابي ؛ أحرص مني على سعادة إليكم تُجلب ، أو غاية كمال بسببكم تُرتاد وتطلب ؛ حتى لا يكون في الدين والدنيا أوْزَف

(١) ماعدا مما بدأ : أي ما الذي يصرف الإنسان عن إتمام ما بدأ منه . يريد أنه لا يمنعه

من الزحيل عن هذه الدنيا مانع .

(٢) زيادة عن نفع الطيب . والسام (بتخفيف الميم) : الموت .

(٣) في نفع الطيب : « أبناء » .

(٤) زيادة عن نفع الطيب .

منكم ظلاً ، ولا أشرف محلاً ، ولا أغبط نهلاً وعلاً ؛ وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولى الآذان ، وتتلجوا صُبح نصحى فقد بان ، وسأعيد عليكم وصية لقمان :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » . « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » . [٢٢٠]

وأعيد وصية خليل الله وإسرائيله ، حسبما تضمنه محكم تنزيله : « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » . والدين الذى ارتضاه واصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرره مصطفاه ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أعمل فيه افتقاد ، فهو عمل واعتقاد ؛ وكلاهما مقرر ، ومستمد من عقل أو نقل محرر ؛ والعقل متقدم ، وبنائه مع رفض أخيه متهدم ؛ فالله واحد أحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ؛ تنزهه عن المكان والزمان ، وسبق وجوده وجود الأكواف ؛ خالق الخلق وما يعملون ، والذى لا يسأل عن شىء وهم يسألون ؛ الحى العليم المدبّر القدير ، ليس كمثل شىء وهو السميع البصير ؛ أرسل الرسل رحمة لتدعو العباد^(١) إلى النجاة من الشقاء ، وتوجه^(٢) الحجة فى مصيرهم

(١) فى ط : « توجب » .

(٢) فى نفتح الطيب : « الناس » .

إلى دار البقاء ، مؤيَّدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ؛ ثم ختم ديوانهم بنبيِّ ملتنا المرعية للهمل ، الشهادة على الملل ، فتلخَّصت الطاعة ، وتبينت^(١) له الإمرة المطاعه ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة ؛ ثم إن الله قبضه إذ كان بشرا ، وترك دينه يضم من الأمة نشرًا ؛ فمن اتبعه لحق به ، ومن حاد عنه تورط في مُنتسبه^(٢) ، وكانت نجاته على قدر سببه .

روى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم^(٣) تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتي ، فعصوا عليهما بالنواجذ » . [٢٢١]

فاعلموا يا بنيِّ بوصيةٍ من ناصح جاهد ، ومُشفق شفقة والد ؛ واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه ، وعُوا مرآشد هديه فيافوز واعيه ؛ وصلوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به محملا [أو مفصلا]^(٤) على حسبه ، وأوجبوا التجلَّة لصحبه ؛ الذين اختارهم الله لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من تواب محبته ؛ واشملوهم بالتوقير ، وفضلوا منهم أولى الفضل الشهير ؛ وتبرءوا من العصبية التي لم يدعكم إليها داع ، ولا تع التشاجر بينهم أذنُ واع ؛ فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ؛ ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملل ، وأتمتها الحلية ؛ فهم صقلَّة نصولهم ، وفروع ناشئة عن أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم ؛ واعلموا أني قطعت في البحث زماني ، وجعلت النظر شاني ، منذ براني الله وأنشاني ، مع نبيل يعترف به الشاني ، وإدراك يسلمه العقل الإنساني ؛ فلم أجد خابط ورق ، ولا مصيب عرق ؛ ولا

(١) كذا في ط . وفي ت : « تيقنت » . وفي نفع الطيب : « تعينت » .

(٢) كذا في الأصلي . وفي نفع الطيب : « ومن تركه نوط عنه في منسبه » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « لن تضلوا » .

(٤) زيادة عن نفع الطيب .

نازع خِطَام ، ولا متكلف فِطَام ، ولا مقتحم بجر طَام ؛ إلا وغايته التي يقصدها
 قد فضلتها الشريعة وسبقتها ، وفرّعت ثنيتها وارتقتها ؛ فعليكم بالترام جادتها
 السابله ، ومصاحبة رُفقتها الكافله^(١) ، والاهتداء بأقارها غير الآفله ؛ والله يقول وهو
 أصدق القائلين : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ » ؛ وقد علت^(٢) شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ؛ فلا تستنزلكم
 الدنيا عن الدين ، وابدلوا دونه النفوس فعل المهتمدين ، فلن ينفع متاع بعد الخلود
 في النار أبد الأبدين ، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ،
 ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلغت ، فأنت
 خير الشاهدين ؛ فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعي شوه
 الوجوه ونُضج الجلود ؛ واستمعيذوا^(٣) برضا الله من سُخطه ، واربثوا بنفوسكم عن
 غمطه ؛ وارفعوا آمالكم عن الفنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمّدوا على
 جيفة العرض الزائل ائتلافكم ؛ واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا على ما فات
 وتعذر ؛ فإنما هي دُجنة^(٤) ينسخها الصباح ، وصفقة يتعقبها الحسار والرياح ؛
 ودونكم عميدة الإيمان ، فشدّوا بالنواجذ عليها ، وكفكفوا الشبه أن تدنو إليها ؛
 واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه عمل ، وكل ما سوى الراعي
 همل ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أمل ؛ وتمسكوا بكتاب الله حفظاً وتلاوه ،
 واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوه ؛ وتذكروا في آياته ومعانيه ، وامثلوا
 أوامره وانتهوا عن مناهيه ، ولا تتأولوه ولا تغلّوا فيه ؛ وأشرّبوا قلوبكم حب

[٢٢٢]

(١) في نفع الطيب : « الكاملة » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « علت » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « واستمعيذوا » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « دجية » .

من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حبه ؛ ووصونوا شعائر الله صون المحترم ، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا ينخرم .

الله في الصلاة ذريعة التجلّه ، وخاصة الله ، وحاقنة الدم ، وغنى المستأجر المستخدم ؛ وأم العباد ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ؛ والناهية عن الفحشاء والمنكر مهما^(١) عرض الشيطان عرضهما ، ووطأ للنفس الأمارة سماءها وأرضها ؛ والوسيلة إلى بلّ الجوانح ببرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ؛ وضابطة^(٢) حسن العشرة من الجار ، وداعية المسالمة

من الفجار ؛ والواسمة بسمّة السلامه ، والشاهدة للعقد برفع الملامه ؛ وغاسول الطبع [٢٢٣] إذا شانه طمع ، والخير الذي كل خير له تبع ؛ فاصبروا النفس على وظائفها بين إبداء وإعاده ، [فالخير عاده] ^(٣) ؛ ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنيه ، [وتؤثروا على العلية الدتية] ^(٤) ؛ فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تنبّس^(٥) ، والفلك بها من أجلكم لا يحبس ؛ وإذا قرنت^(٦) بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذي لا يغيره الغدو ولا الأصيل ؛ والوظائف بعد أدائها لا تفوت ، وأين حق من يموت ، من حق الحى الذى لا يموت ؟ وأحكوا أوضاعها إذا أقمتموها ، وأتبعوها النوافل ما أقمتموها ؛ فبالإتيان تفاضلت الأعمال ، وبالمرعاة استُحق^(٧) الكمال ،

(١) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « وإن » .

(٢) في نفع الطيب : « ضامنة » .

(٣) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٤) زيادة عن نفع الطيب .

(٥) تنبّس : تسمع .

(٦) في ط : « قورنت » .

(٧) في نفع الطيب : « استحققت » .

ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح مع إضاعة رأس المال ؛ وثابروا^(١) عليها في الجماعات ،
وبيوت الطاعات ؛ فهو أرفع للام ، وأظهر لشرائع الإسلام ؛ وأبرّ بإقامة
القرض ، وأدعى إلى مساعدة البعض البعض .

والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطها محصل ؛
فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهاها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها ؛
والحجول والغرر فأطيلوها ، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها ؛ فالبناء بأساسه ،
والسيف برئاسه^(٢) . واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور ، وذكر مجهور
وغير مجهور ؛ تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر المفترقات ؛ فلا يضبطها
إلا من ضبط نفسه بعقل ، وكان في درجة الرجولة ذا انتقال^(٣) ، واستعاض
صدأه بصقال ؛ وإن تراخى تهقر الباع ، وسرقته الطباع ، وكان لما سواها أضيع
فشمّل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، ولدتها القريبة ؛ مفتاح الساحة بالعرض الزائل ،
وشكران المسئول على الضد من درجة السائل ؛ وحق الله في مال من أغناه ،
لمن أجهده في المعاش وعناه ؛ من غير استحقاق ملء يده وإخلاء يد أخيه ، [٢٢٤]
ولا علة القدر الذي يخفيه ، وما لم ينله حظ الله فلا خير فيه ؛ فاسمجوا بتفرقتها
للحاضر لإخراجها ، واختيار عرضها ونتائجها ؛ واستحيوا من الله أن تبخلوا
عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عدل ؛ واذكروا خروجكم إلى
الوجود لا تميلكون ، ولا تدرن أن تسلكون ؛ فوهب وأقدر ، وأورد

(١) العبارة عن قوله : « وثابروا » إلى قوله : « وأبر » ساقطة في نفع الطيب .

(٢) في نفع الطيب : « برئاسه » .

(٣) هذه الجملة ساقطة في نفع الطيب .

بفضله وأصدر ؛ ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ؛ فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتمموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زُلْفَى ، المحووضة لمن يعلم السر وأخفى ؛ مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ؛ والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ؛ وإن وَسِعَ الاعتكافُ فهو من سننه [المرعيه ، ولواحقه]^(١) الشرعيه ؛ فبذلك تَحَسَّنُ الوجوه ، وتحصل النفوس من الرقة على ما ترجوه ؛ وتهذب الطباع ، ويمتد في ميدان الوسائل إلى الله الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ؛ وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنَّه ، وقال : ليس له جزاء عند الله إلا الجنة .

ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ؛ فكونوا ممن يسمع تغيَّره ويُطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه .

هذه عمُد الإسلام وفروضة ، ونقود مَهْره وعُرُوضه ؛ فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يُناوئكم ظاهرين ، وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيِّعوا حقوق الله قتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تُستكملُ وظائف هذه الألقاب ، وتُجلى محاسنها من

بعد الانتقاب ؛ فمليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدي الشافع ؛ فالعلم مفتاح هذا [٢٢٥] الباب ، والموصِّل إلى اللباب ؛ والله عز وجل يقول : « هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » . والعلم وسيلة النفوس

الشريفه ، إلى المطالب المُنيّفه ، وشرطه الخشية لله والخيفه ؛ وخاصة الملائ
الأعلى ، وصفه الله في كتبه التي تُتلى ؛ والسبيل في الآخرة إلى السعادة ،
وفي الدنيا إلى التَّجَلَّة عاده ؛ والدُّخْر الذي قليله يشفع وينفع ، وكثيره يُعْلِي
ويرفع ؛ لا يغصبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ؛ ولا يبتزه الدهر إذا مال ،
ولا يستأثر به البحر إذا هال ؛ من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل
وإن جَمَّ ماله ؛ وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطَّى حسابكم ؛ فالتسوه
لبنيكم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ؛ وأحلوهم على جمعه ودرسه ،
واجعلوا طباعهم تُرعى لغرسه ؛ واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جزاه ، وسهر يهجر
له الجفن كراه ؛ تَعَقِدُوا لهم ولاية عَزَّ لا تُعزل ، وتُحَلِّوهم مَثَابَةَ رُفْعَةِ لا يُحيط فارعا
ولا يستنزل ؛ واختاروا من العلوم التي يُنْفِقُها الوقت ، ما لا يناله في غيره المقت ؛
وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجم بمنابها المرعبة ؛ من علوم لسان لا تستغرق
الأعمارَ فصولها^(١) ، ولا يضايق ثمرات المعاد محصولها ؛ فإنما هي آلات لغير ،
وأسباب إلى خير منها وخير ؛ فمن كان قابلا منها لازدياد ، وألني فهمه ذا انقياد ؛
فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيميه ؛
ثم الشروع في أصول الفقه ، فهو العلم العظيم اللته ، المُهْدِي كَنُوزِ الكِتَابِ
والسُنَّةِ ؛ ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجله ، والتدرب في طرق النظر وتصحيح
الأدلّه ، وهذه هي الغاية القصوى في اللّه ؛ ومن قصّر إدراكه عن هذا المرعى ،
وتقاعد عن التي هي أسمى ؛ فليزو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه ،
وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ؛ وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون
المهجورة الذميمة ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا ، ورأيا ركيكا ؛ ولا يثمر في

[٢٢٦]

العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ؛ وتطويق الاحتقار ، وسمية الصغار ،
 ونحول الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار ؛ وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال ،
 وأوفق^(١) من قطع العمر في الجدال ؛ هذا ابن رشد قاضي المصّر^(٢) ومفتيه ، وملتمس
 الرشد ومؤتبه ؛ عادت عليه بالسّخطة الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ؛ فلا سبيل
 إلى اقتحامها ، والتورّط في ازدحامها ، ولا تخطوا سامكم بحامها ؛ إلا ما كان من
 حساب ومساحه ، وما يعود بجدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم
 براحه ؛ وما سوى ذلك فحججور ، وضّرّم مسجور ، وممقوت مهجور .

وأمروا بالمعروف أمراً رقيقاً ، وانّهوا عن المنكر نهياً حرياً بالاعتدال حقيقاً ،
 وأغبطوا من كان من سنّة الغفلات مُفقيماً ، واجتنبوا ما تُهون عنه حتى لا تسلكوا
 منه طريقاً ؛ وأطيعوا أمر من ولّاه الله من أموركم أمراً ، ولا تقرّبوا من الفتنة
 جبراً ، ولا تدخلوا في الخلاف زيدياً ولا عمراً .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرم عليه الآباء السنة البنين ؛
 وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عرف به . وإياكم والكذب
 فهو العورة التي لا توارى ، والسوءة التي لا يُرتاب في عارها ولا يُتبارى ؛ وأقل
 عقوبات الكذاب ، بين يدي ما أعدّ الله له من العذاب ، ألا يُقبل صدقه إذا
 صدق ، ولا يعوّل عليه إن كان بالحق قد نطق .

[٢٢٧]

وعليكم بالأمانة فالخيانة لوم ، وفي وجه الديانة كلّوم ؛ ومن الشريعة التي

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وأشفق » .

(٢) كان ابن رشد قاضي الجماعة بقرطبة .

(٣) يقال : أضراه بالشيء إذا أمرأه به وعوده إياه ، وكأنه ضمن الفعل معنى : صرّنه

على الشيء .

لا يُعَدَّرَ بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ؛ وحافظوا على الحِشْمَةِ والصِيَانَةِ ،
ولا تَجْزُوا من أقرضكم دِينَ الخِيَانَةِ ؛ ولا توجِدُوا للغدر قَبُولًا ، ولا تَقْرُوا عليه
طَبَعًا مَجْبُولًا ؛ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولًا ؛ ولا تستأثروا بكنز ولا
خَزْنًا ، ولا تَذْهَبُوا لغير مناصحة المسلمين في سَهْلٍ ولا حَزْنٍ ، ولا تَبَخَّسُوا
الناس أشياءهم في كيل أو وزن ؛ واللهُ اللهُ أن تعينوا في سفك الدماء ولو
بالإشارة أو بالكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ؛ واعلموا أن الإنسان في
فُسْحَةٍ ممتدَّة ، وسبيل الله غير منسدَّة ؛ ما لم يَنْبِذِ إلى الله بأمانِهِ ، وينغمس في الدم
الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به سَدَنًا قويمًا ، وجَلَى
من الجهل والضلال ليلًا بهيما : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ
خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » .

واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه ، وامتد في سبيل
السعادة باعه ، ولو لم تتلق (١) نور الله الذي لم يهد (٢) شعاعه ، فالخلال لم تضق
عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه ؛ ومن غلبت عليه غرائز جهله ، فليُنظر
هل يجب أن يُزَنَى بأهله ؟ والله قد أعد للزاني عذابًا وبيلا ، وقال : « وَلَا
تَقْرُبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » .

والخمر أُم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ؛ واللهم لم يجعله الله في الحياة
شرطًا ، والحرم قد أغنى عنه بالخلال الذي سَوَّغَ وأعطى ؛ وقد تركها
في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضرة في مَرَضَةِ

(١) في ط : « تتلو » .

(٢) في ت : « يهد » .

الأجساد ، والله قد جعلها رجساً محرماً على العباد ، وقرّنها بالأنصاب والأزلام في مباينة السداد .

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهي الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِن لَّمْ تَقْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » في الكتاب المبين . ولا تأكلوا مال أحد [بغير حق يبيحه] ^(١) ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه ؛ واتمسوا الحلال يسمى فيه أحدكم على قدمه ، ولا يَكَلِّ اختياره إلا للثقة من خدمه ، ولا تَلَجَّجُوا إلى المتشابه إلا عند عدمه ؛ فهو في السلوك إلى الله أصل مشروط ، والمحافظ عليه مغبوط .

وإياكم والظلم ، فالظالم ممقوت بكل لسان ، مجاهر لله بصريح العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصّحاح الحسان ؛ والنميمة فساد وشتات ، لا يبقى عليه مُتَات ، وفي الحديث : « لا يدخل الجنة قَتَات » . واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغيبة فباب الخير عنها مسدود ، والبخل فما رُئى البخيل وهو مودود ^(٢) ؛ وإياكم وما يُعتذر منه ، فواقف الحزى لا تستقل عثراتها ، ومظنّات الفضائح لا تؤمن عَمَرَاتِهَا ؛ وتفقّدوا أنفسكم مع الساعات ، وأفشوا السلام في الطرق والجماعات ، وريقوا على ذوى الزمانات والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يُربحكم في البضاعات ؛ وعوّلوا عليه وحده في الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائد ؛ وتقربوا إليه باليسير من ماله ، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله ؛ وازعوا حقوق الجار ، [٢٢٩]

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) كذا في نفع الطيب وفي الأصلين : « إلا وهو مردود » .

واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار ؛ وتعاهدوا أولى الأرحام ، والوشائج البادية
 الالتحام ؛ واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر ، وتفسد السر والجهر ؛
 والرِّشَاءَ فإنها تحطُّ الأقدار ، وتستدعى المذلة والصغار ؛ ولا تسامحوا في لُعبة
 قَمَرٍ ، ولا تشاركوا أولى البطالة في أمر ؛ وصونوا المواعد من الإخلاف ،
 والأيمان من حنث الأوغاد والأجلاف ، وحقوق الله من الازدراء والاستخفاف ،
 ولا تلهجوا بالآمال العجاف ، ولا تسكفوا بالكهانة والإرجاف ؛ واجملوا العمر
 بين معاش ومعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله بمرصاد ، وأن الخلق
 بين زرع وحصاد^(١) ؛ وأقلِّدوا بغير الحالة الباقية المموم ، واحذروا القواطع عن
 السعادة كما تحذر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم ؛
 وقابلوا بالصبر أذية المؤذنين ، ولا تقارضوا^(٢) مقالات الظالمين ، فالله لمن بُغى
 عليه خير الناصرين ؛ ولا تستعظموا حوادث الأيام كما نزلت ، ولا تضجوا^(٣)
 للأمراض إذا أعصَلتْ ؛ فكل منقرض حقير ، وكل منقضٍ وإن طال
 فقصير ؛ وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جناب الله الأرج ؛ وأوسعوا بالرجاء
 الجوانح ، [واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبى لعبد إليه جانح]^(٤) ،
 وتضرعوا إلى الله بالدعاء ، والجمئوا إليه في البأساء والضراء ؛ وقابلوا نعم الله
 بالشكر الذي يقيد منها الشارد ، ويُعذب الموارد ؛ وأمهَموا منها للمساكين ،
 وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ؛ فمن الآثار : « يا عائشة أحسنى جوار

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وأن الخلق زرع حصاد » .

(٢) في نفع الطيب : « ولا تعارضوا » .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « تضجروا » .

(٤) زيادة عن نفع الطيب .

نِعَمَ اللهُ ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم » . ولا تُطغِعكم النعم فتقصرُوا في^(١) [٢٣٠] شكرها ، وتلفكم الجهالة بسكرها ؛ وتتوهموا أن سعيكم جَلَبها ، وجِدَّكم حَلَبها ؛ فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فعل إلا الله إذا نظر بعين اليقين . والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تُذهبوا بذهابه زِينكم ؛ وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ؛ بما أمكنه من إخلاص وبر ، ومراعاة في علانية وسر ؛ وللإنسان مزية لا تُجْهَل ، وحق لا يُهْمَل ؛ وأظهروا التعاضد والتناصر ، وصلُّوا التعاهد والتزاور ؛ ترُغموا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوداء ؛ ولا تنافسوا في الحظوظ السخيفة ، ولا تَهَارَشُوا تَهَارُش السباع على الجيفة ؛ واعلموا أن المعروف يُكَدَّر بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ؛ فإذا أسديتم معروفاً فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساء أمراً فاحقره ؛ والله الله لا تنسوا مقارضة سَجَلِي ، وبرِّوا أهل مودتي من أجلى ؛ ومن رُزق منكم مالا بهذا الوطن القَلِق المهاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ؛ فلا يستهلكه أجمع في العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه إن تغلَّب العدو على بلده في الافتضاح والافتقار ؛ ومُعَوِّقاً عن الانتقال ، أمام النُوب الثقال ؛ وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال في الطلب أولى ؛ وازهدوا جُهدكم في مصاحبة أهل الدنيا ، نخيرها لا يقوم بشرها ، ونفعها لا يفي بضرها ؛ وأعقاب من تقدم شَاهِدَه ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضده ؛ ومن يُبلي منكم بها فليستظهر بسعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، ويحذر مُعاداة الرجال ، ومزلات الإذلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ؛ وإفشاء الأسرار ، وسكر الاغترار^(٢) ؛ [٢٣١]

(١) في نفع الطيب : « ولا تطغوا في النعم فتقصرُوا عن شكرها » .

(٢) في نفع الطيب : « وإفشاء السر ، وسكر الاغترار ، فإنه دأب الفر » .

وليصن الديانه ، ويؤثر الصمت ويلزم الأمانه ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق ؛ وليقف في التماس أسباب الجلال ، وسمو القدر ورفعة الحال دون الكمال ، فما بعد الكمال غير النقصان ، والزراع تسالم اللذن اللطيف من الأغصان . وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الحظوظ^(١) وغلاباً ؛ فذلك ضرر بالمروءات والأقدار ، داع إلى الفضح^(٢) والعار ؛ ومن أمتحن منكم بها اختياراً ، أو جبر عليها إكراهاً وإشاراً ؛ فليتلق وظائفها بسعة صدره ، وليبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ؛ فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنه ؛ وهي بين إخطاء سعادته ، وإخلال بعاده ؛ وتوقع عزله ، وإدالة رخاء بأزل ، وبيع جد من الدنيا بهزل ؛ ومزلة قدم ، واستنباع ندم ؛ ومآل العمر كله قوت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ؛ جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، وممن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه أسعدكم الله وصيتي التي أصدرتها ، وتجارتي التي لربحكم أدزتها ؛ فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ؛ وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغشيت من دروعها ؛ اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلت على سعادة الدنيا والآخرة ؛ وبقدر ما أضعت من لآلئها النفيسة القيم ، استكثرت من بواعث الندم ؛ ومهما سئمت إطالتها ، واستغزرت مقاتلتها ؛ فاعلموا أن تقوى الله فذلكم الحساب ، وضابط هذا الباب ؛ كان الله خليفتي عليكم في كل حال ، فالدنيا مَنَاح ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ؛ فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ؛

[٢٣٢]

(١) في نفع الطيب : « الحطوب » .

(٢) في نفع الطيب : « الفضيحة » .

جعلها^(١) الله من وراء خطبة^(٢) النجاء ، ونَفَقَ بضائعها المُرْجَاه ، بلطائفه المرتجاء ؛
والسلام عليكم من حبيبكم المودِّع ، والله يَلَامُهُ^(٣) حيث شاء من شمل متصدِّع ؛
والدِّم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته .

انتهت الوصية ، وهي غريبة في معناها .

قلت : ولأجل ذلك كان شيخ شيخنا الفقيه الإمام القاضي العلامة سيدي
عبد الواحد الوانشريشي رحمه الله ، كثيراً ما يُدْخِلُ منها في خطبه ، على ما لا
يخفى على من طالعها ، وإلى الله ترجع الأمور .

وإذ بلغنا في ترجمة ابن الخطيب إلى هذا الحد الذي يستطيله الناظر فيه ،
وهو والله لا يتم التعريف بابن الخطيب ولا يوفيه ، فلنذكر القاضي النبأه
والكاتب ابن زَمْرُك ، اللذين كان لهما مع ابن الخطيب أول الأمر مصافاة
ومُتَمَات ، ثم استحال إلى ما علمت من العداوة ذات البتات .

انتهى الجزء الأول من أزهار الرياض في أخبار عياض
ويليه الجزء الثاني ، وأوله : أخبار القاضي النبأه

(١) في ط : « جعله » ، وفي نفع الطيب : « جعل » .

(٢) في نفع الطيب : « خطبه » .

(٣) كذا في نفع الطيب . ولأم الصدع من باب منع : أصلحه . وفي الأصلين : « يله » .



فهارس الكتاب

- | | |
|-----------|------------------------|
| ٣٤٨ — ٣٣٩ | ١ — فهرس الأعلام |
| ٣٥٠ — ٣٤٩ | ٢ — فهرس الشعراء |
| ٣٥٢ — ٣٥١ | ٣ — فهرس القبائل |
| ٣٥٧ — ٣٥٣ | ٤ — فهرس الأماكن |
| ٣٦١ — ٣٥٨ | ٥ — فهرس الكتب |
| ٣٦٦ — ٣٦٢ | ٦ — فهرس الفوائ |
| ٣٦٧ | ٧ — فهرس أنصاف الأبيات |
| ٣٧١ — ٣٦٨ | ٨ — فهرس الموضوعات |

فهرس الأعلام

ابن الحسن النباهى : ٣٧ ، ٣٨ ، ٢٢٣ ،
٢٢٤ ، ٣٦٦

ابن حيان : ٣٤

ابن خاتمة أبو جعفر : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦٥

ابن الخطيب : ٥ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢

٣٣ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩

٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٧٩

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٠١

٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٦١ ، ٢٦٢

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧

٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣١١ ، ٣١٩

٣٢٠ ، ٣٦٦

ابن خلدون الحضرمى : ٢٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٢

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٤

٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٩

٢٩١

ابن خلكان : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧

ابن داود (الإمام) : ١٠٣

ابن الدراج = أبو على الصدق

ابن دراج القسطلى : ١٢٠

ابن ذنون = ابن ذنون

ابن ذنون : ١٢٢

ابن ذى يزن : ٤٧

ابن الريب : ٢٧٥

ابن رشيد : ٣٥

ابن رضوان عبد الله : ١٢٤

(١)

آدم (عليه السلام) : ٢ ، ٨٨

إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلى : ١٧١

إبراهيم الموصلى : ٩

أبرويز : ٢٩٩

ابن الأبار : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

ابن أبي الأحوس : ١٨٨

ابن أبي دينار : ٣٧

ابن أبي عامر = المنصور محمد بن أبي عامر

ابن أبي العيش : ٢١٧

ابن أبي يفلوسن = عبد الرحمن بن أبي يفلوسن

ابن الأجر : ٢٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩١

١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣

٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

٢٩١ ، ٣٠٦

ابن أنخلى : ١٢٤

ابن بشكوال : ٢٧

ابن بطان الصنهاجى : ١٢٣ ، ٢٨٨

ابن ثروان : ٨٥

ابن جابر : ٢٧

ابن جماعة = أبو الفضل بن جماعة

ابن الجياب = أبو الحسن بن الجياب

ابن الحاج السلمى = أبو البركات بن الحاج

البليقى السلمى

ابن حجر المستقلانى : ٢٥

ابن حجة : ٢٦٢ ، ٢٦٤

ابن الحسن = أبو الحسن بن الحسن (القاضى)

ابن الحسن المستقى : ٦٣

أبو بكر بن أبي عنان : ٣٠٠
 أبو بكر دلف بن جحدر الصوفي = الشبلي
 أبو بكر بن أبي عبد الله بن الحكيم : ١٨٨
 أبو بكر بن شيرين : ١٨٨
 أبو بكر الصديق : ٣٠٣
 أبو بكر بن عاصم : ١٧٣
 أبو بكر بن غازي : ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
 ٢٢٨ ، ٢٢٩
 أبو بكر بن قزمان = ابن قزمان
 أبو بكر بن منظور : ١٨٨
 أبو تاشفين : ٢٤٢ ، ٢٤٩
 أبو ثابت عاصم بن محمد الهنتاني = عاصم بن
 محمد الهنتاني أبو ثابت
 أبو ثور : ٢١٩
 أبو جعفر = ابن خاتمة أبو جعفر
 أبو جعفر بن جابر : ١٨٨
 أبو جعفر بن الزبير : ١٩٠
 أبو جعفر الطنجالي : ١٨٨
 أبو الحجاج المنتشافري : ١٨٨
 أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن نصر
 الخزرجي : ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٩١ ،
 ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٧٢ ،
 ٢٨٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
 أبو الحسن التلمساني : ١٨٨
 أبو الحسن بن الجياب : ١٧٩ ، ١٨٨ ،
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢١ ،
 ٢٢٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٩
 أبو الحسن بن الحسن (القاضي) : ٢١١ ،
 ٢١٢
 أبو الحسن بن سمعة : ١٤٥
 أبو الحسن الشاربي : ٣٦
 أبو الحسن علي (القاضي) : ٤٢
 أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي : ١٩
 أبو الحسن علي بن الحسن = ابن الحسن
 النباهي

ابن الزبير : ٢١٧
 ابن زرزار : ٦٢
 ابن زمرك = أبو عبد الله بن زمرك
 ابن سبعين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم :
 ١٢٤
 ابن سعيد : ٣٠
 ابن سكرة = أبو علي الصديقي
 ابن سيده : ٢٧
 ابن شجاع : ١٢٣
 ابن الصباغ العقيلي : ١٩٢ ، ١٩٣
 ابن صفوان : ١٩٠
 ابن عاصم = أبو يحيى بن عاصم
 ابن عمر : ٣٦
 ابن غازي : ٢٢٥
 ابن الغرديس التغلبي : ٢٤
 ابن فتوح = إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي
 ابن قزمان : ١٢٣
 ابن قنفذ : ٢٤
 ابن ماساي = مسعود بن ماساي
 ابن مامة كعب : ٩٥ ، ٢٥٤
 ابن ماهان علي بن عيسى : ١٢٠
 ابن مرامنة : ٣٧
 ابن مرزوق = أبو عبد الله بن مرزوق
 ابن الملجوم أبو القاسم : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ،
 ٢٧
 ابن نصر الخزرجي = أبو الحجاج يوسف
 ابن إسماعيل بن نصر الخزرجي
 ابن هذيل : ٢١٩
 أبو إسحاق = إبراهيم بن أحمد بن فتوح
 العقيلي
 أبو إسحاق إبراهيم بن هلال = الصابي
 أبو إسحاق إبراهيم بن هلال
 أبو الأصبح بن سهل : ٢٢٢
 أبو البركات بن الحاج البلقيي : ٤١ ، ١٨٨

أبو الحسن علي بن محمد = أبو حسون
 أبو الحسن علي النضري : ٦٨
 أبو الحسن علي بن يوسف بن كاشة الحضرمي :
 ٢٠١
 أبو الحسن الفيحاطي : ١٨٧
 أبو الحسن المريني : ٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢٩١ ،
 ٢٩٤ ، ٣٠٢
 أبو حسون : ٧٨
 أبو حمو موسى بن يوسف : ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
 أبو حنيفة : ٢١
 أبو حيان : ٣٠٤
 أبو خندو : ٢٩٨
 أبو الخير : ١١٨
 أبو دواد : ٩٥
 أبو زكريا يحيى بن هذيل : ١٨٩ ، ٢٠٤ ،
 ٢٠٩
 أبو زيد : ٢٢١
 أبو سالم بن أبي الحسن المريني : ٦٥ ، ٦٦ ،
 ١٩٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
 ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧٥ ، ٢٢٧٦ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦
 أبو سعيد : ٢٠٧ ، ٢٨٢
 أبو الشرف رفيع : ٤٢
 أبو الظاهر : ٤٢
 أبو الطيب أحمد بن الحسين = المتنبي
 أبو الطيب
 أبو العباس أحمد بن أبي سالم : ٢٢٦ ،
 ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠
 أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسنى
 (القاضي) : ٥٩
 أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي الخزرجمي :
 ٢٧٣

أبو العباس أحمد بن محمد السبتي القرطبي :
 ٣٢ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
 ٤٤ ، ٤٥ ، ٢٧٣
 أبو العباس البقفي : ٧٢
 أبو العباس بن العريف : ٢١
 أبو العباس العزفي : ٣٩ ، ٢٤٣
 أبو العباس بن يربوع السبتي : ١٨٨
 أبو عبد الله = ابن الخطيب
 أبو عبد الله = الشبوكي محمد بن يوسف
 أبو عبد الله بن أبي الحجاج = أبو عبد الله
 ابن الأحمر
 أبو عبد الله بن أبي الحسن : ٦٨
 أبو عبد الله بن أبي عبد الله بن عبد الملك :
 ١٨٨
 أبو عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين :
 ٢٧٦
 أبو عبد الله بن أبي الوليد بن أبي عبد الله :
 ١٩٤
 أبو عبد الله بن الأحمر : ٣٧ ، ٥٨ ، ٧٢ ،
 ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
 ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ ،
 ٢٧٢ ، ٣٠٧
 أبو عبد الله بن الأزرق : ٧١
 أبو عبد الله بن بكر : ١٨٨
 أبو عبد الله البياني : ١٤٥
 أبو عبد الله بن بيش : ١٨٨
 أبو عبد الله التلمساني : ٢٤٤
 أبو عبد الله التنسي : ١٣٤ ، ٢٤٣ ،
 ٢٥٧ ، ٣١٠ ، ٣١١
 أبو عبد الله بن حزب الله : ١٨٨
 أبو عبد الله بن زمرك : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ،
 ٢٠١ ، ٢٣٠ ، ٣٦٦
 أبو عبد الله السمرقسطي : ١٤٥
 أبو عبد الله القرمان : ١١٦ ، ١٣٣ ،
 ١٣٤

أبو عبد الله بن عبد الولي القواد : ١٨٧
 أبو عبد الله بن عسكر : ٢٢٢
 أبو عبد الله بن الفخار : ١٨٨
 أبو عبد الله محمد بن يوسف = المواق أبو
 عبد الله محمد بن يوسف
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : ٢٩٤
 أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي النصري :
 ٦٧
 أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكيلي :
 ٣٥
 أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل البسطي :
 ١٠٣
 أبو عبد الله محمد أبي محمد العقيلي : ١٠٣
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد الوادي
 آشي : ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ،
 ١٨٦ ، ١٧١
 أبو عبد الله محمد التيمي : ٢١٦
 أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي :
 ٢٣
 أبو عبد الله محمد بن حمادة البرنسي : ٣٦
 أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاي =
 ابن الأبار
 أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن فرج :
 ١٤٦
 أبو عبد الله محمد بن عياض : ٢٤ ، ٢٧
 أبو عبد الله محمد القرني : ٥ ، ١٨٨
 أبو عبد الله محمد بن يوسف بن إسماعيل
 الحزرجي = أبو عبد الله بن الأحمر
 أبو عبد الله بن مزروق : ١٩٣ ، ٢٠٧ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ،
 ٣٠٢
 أبو عبد الله المنتوري : ١٤٥
 أبو عبد الله بن نصر = أبو عبد الله بن الأحمر
 أبو عبيد : ٢٢١

أبو عبيد البكري : ٦٠
 أبو عثمان بن ليون : ١٨٨
 أبو علي : ٢٢٤
 أبو علي حسن بن يوسف : ١٨٨
 أبو علي حسين بن محمد الصدقي : ٢١
 أبو عمرو بن أبي جعفر : ١٨٨
 أبو عنان فارس المريبي : ٤٥ ، ٤٠ ، ٣٩ ،
 ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ،
 ٢٩٢
 أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريبي :
 ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
 ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ،
 ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥
 أبو الفضل بن جماعة : ١٣٤
 أبو الفضل الشيرازي = الشيرازي أبو الفضل
 أبو الفضل محمد : ٢٩٢
 أبو القاسم التلسفاني الشريف : ٢٠٣ ، ٢٠٧
 أبو القاسم بن جزي : ١٨٧
 أبو القاسم الجنيد : ٢١
 أبو القاسم الحسن بن الحسين = الواساني
 أبو القاسم الحسن بن الحسين
 أبو القاسم بن سراج : ١٤٥
 أبو القاسم بن سلمون : ١٨٨
 أبو القاسم بن محمد الغساني : ٤٥
 أبو القاسم الملاحي : ٢٣
 أبو القاسم بن الملجوم = ابن الملجوم
 أبو القاسم
 أبو مالك = عبد الواحد بن زكريا أبو مالك
 أبو محمد بن أيوب الماقي : ١٨٨
 أبو محمد بن الخطيب : ٢٨٢
 أبو محمد بن سلمون : ١٨٨
 أبو محمد صالح : ٢٩٨
 أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم = ابن سبعين
 أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم

أشج بن مروان = عمر بن عبد العزيز
 أليان : ١٢٠
 امرؤ القيس : ٧٤ ، ٩٠ ، ١٧٤
 الأمين : ١٢٠ ، ٢٦٠
 أندلس بن يافت : ٢٩ ، ٣٠
 أنو شروان : ٢٦٧
 الوطاسي : ٧٢
 أويس بن عامر القرني : ٨٩
 لياس بن معاوية : ٨٩

(ب)

بايزيد = أبو يزيد خان العثماني
 بجير بن الحارث : ٩٥
 برصيص : ١١٧
 برقان : ١٢١
 بر بن قيس : ٩٧
 بسطام (بن قيس) : ١١٩
 البسطي = أبو عبادة عمه بن أبي الفضل
 البسطي
 بلعام بن باعوراء : ٣٠١
 بلقيس : ٢٥٦
 بوران بنت الحسن بن مهمل : ١٢٢
 البوصيري : ٨٣
 بنت جزى : ٢٢١

(ت)

التنسي = أبو عبادة التنسي

(ج)

جابر بن حيان الصوفي : ١٧١ ، ٢٥٥
 الجاحظ : ٣٧
 جارية بن الحجاج = أبو دواد

أبو محمد بن عبد المهين : ١٨٨
 أبو مسلم الخراساني : ١١٩
 أبو الوليد إسماعيل بن يوسف = ابن الأحر
 أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم : ٥٥ ، ٥٥
 ١٦٣ ، ١٤٥ ، ١١٦ ، ٦٠ ، ٥٨
 ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ،
 ١٨٦

أبو يحيى بن أبي مدين : ٢١٠ ، ٢١١
 أبو يزيد البسطامي = طيفور بن عيسى
 أبو يزيد خان العثماني : ١٠٨ ، ١٠٩
 أبو يوسف : ١٢٠
 أبو يوسف = يعقوب عليه السلام
 أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني : ٦١
 أحمد بن أبي سالم = أبو العباس أحمد بن
 أبي سالم

أحمد بن جعفر السبتي = أبو العباس السبتي
 أحمد بن حرشون : ١٣٣
 أحمد بن الحسين = المتنبي
 أحمد (بن حنبل) : ٢١٩
 أحمد بن علي الأنصاري = ابن خاتمة
 أحمد بن محمد أبو سعيد الماليني = طاووس
 أحمد بن محمد الأندلسي = أبو العباس أحمد
 الدقون

أحمد المريني : ٣١٩ ، ٣٢٠
 أحمد النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي
 صلى الله عليه وسلم
 أحمد بن يوسف : ٢٩٨

إدريس (عليه السلام) : ٢٥٣
 أرسطوطاليس : ٢٥٤

إسحاق (عليه السلام) : ١٤٢
 إسحاق الموصلي : ٩

إسماعيل (عليه السلام) : ١٤٢

إسماعيل بن أبي الحجاج = ابن الأحر
 الأسود بن قنان : ٩٥

داود (عليه السلام) : ٣٠

دن بطرة : ٦٢

دن جانجة : ٦١

(ذ)

الذهبي : ٣١١

ذوالدولتين = أبو العباس أحمد بن أبي سالم

ذو الودعات = ابن ثروان

(ر)

رسول الله صلى الله عليه وسلم = محمد

النبي صلى الله عليه وسلم

الرشيد : ١٢٧ ، ٢٦٠

رضوان (الحاجب) : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦

الرضي (الشريف) : ٤١

رقاش : ٥

الرهصي : ٢٢١

(ز)

زهير بن أبي سلمى : ٨٢

زياد = النابغة الذبياني

(س)

ساسان : ٤٧ ، ١١٩

سبت بن سام بن نوح : ٢٩ ، ٣٦

سبت بن يافث : ٢٩

سراقة بن مالك الكناني : ١٤١

سعادة : ١٢٠

سعد بن عبادة : ١٦٧

جالوت : ٣٠

جالينوس : ٢٥٥

جبريل (عليه السلام) : ١٤٢ ، ٢١٨

جذيمة : ٥

جعفر بن عثمان الحاجب المصنفي : ١٩٣

جليان = أليان

(ح)

حاتم : ١٧١ ، ٢٥٤

الحاجب (ملك سبتة) : ٣٧

الحارث الأكبر الغساني : ٥٣

الحارث بن عباد : ٩٥

حبيب بن أوس الطائي : ١٧٥

الحجاج : ٨٦ ، ٨٧

الحجاري : ٢٩

الحريري : ١٢٥

الحسن بن سهل : ١٢٢

حسين الزروبي : ٢٤

حنظلة بن العرق الإيادي = أبو دواد

(خ)

خالد البلوي : ٣٠٩

خالد بن يزيد بن معاوية : ١٧١

الخطيب بن مرزوق = أبو عبد الله بن

مرزوق

خليل (بن إسحاق المالكي) : ١٣٠

خيران الصقلي : ١٢٠

(د)

دارا : ٤٧

(ض)

الضليل = امرؤ القيس

(ط)

طارق بن زياد : ٦١
 طاهر بن الحسين : ١٢٠
 طاووس : ٢٥٦
 طيفور بن عيسى : ٣٠١

(ع)

عاد : ٤٧
 عامر بن محمد بن علي الهنتاتي أبو ثابت :
 ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
 عائشة : ٣٣٣
 العباس (عم النبي) : ١١٣
 العباس بن مرداس : ٤١
 عبد الحميد الكاتب : ١١٩
 عبد الرحمن بن أبي يفلوسن : ٢١٠ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٢٩
 عبد الرحيم بن نوح : ٢٩٢ ، ٢٩٣
 عبد العزيز بن أبي الحسن = أبو فارس
 عبد العزيز بن أبي الحسن المري
 عبدالله (أبو لسان الدين بن الخطيب) : ٢٠٤
 عبدالله بن لسان الدين بن الخطيب : ٢٩٩ ،
 ٣١٩ ، ٣٢٠
 عبد الواحد بن زكرياء أبو مالك : ٢٦١ ،
 ٢٦٢
 عبد الواحد الوائشريسي : ٢٢٤ ، ٣٣٦
 عبو : ٢٨٨
 عتبية بن الحارث : ١١٩
 عثمان بن عفان : ١٢١ ، ٣٠٣

السعيد بن أبي فارس : ٢٢٦

السفاح : ١١٩ ، ٢٦٠

سفيان (بن سعيد بن مسروق الثوري) :
 ٩٦

سليمان (عليه السلام) : ٤٨ ، ٢٥٦

سليمان بن داود بن أعراب : ٢٢٩ ، ٢٣٠

سليمان بن عبد الملك : ٨٦ ، ٨٧

السموئل : ٧٤

سوسان : ١٢٣

سيف بن ذى يزن = ابن ذى يزن

(ش)

الشافعي (الإمام) : ٢١٩
 الشبلي : ٢٥٦
 الشبوكي محمد بن يوسف : ٢٩١ ، ٢٩٤
 شداد : ٤٧
 شرف الدين بن المقرئ : ١٥٨
 الشريف = أبو العباس أحمد بن محمد
 السبتي الشريف
 شمس الدين = أبو عبدالله محمد بن جابر
 الوادي آشي
 شمس الدين البغدادي : ٢٦
 شمس الدين بن جابر : ١٨٨
 شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي =
 ابن حجر المستقلاني
 شعبة : ١١٤
 الشيرازي (أبو الفضل) : ٩٤

(ص)

الصابي أبو إسحاق إبراهيم بن هلال : ١١٩
 الصفدي : ٣١١ ، ٣١٢

(ق)

- القادر (الخليفة): ٩٣
 قارون: ٤٧
 القاسم (بن موسى بن عياض): ٢٨
 قحطان: ٤٧
 القعقاع بن شور: ٩٦
 القلصادى: ١٣٣

(ك)

- كثير: ٥
 كعب = ابن مامة كعب
 كليب: ٩٥
 الكندى = المتنى

(ل)

- لبنى (بنت الحباب الكعبية): ٢١٤
 لذريق: ١٢٠
 لسان الدين = ابن الخطيب
 لقمان: ٣٢٣

(م)

- المأمون = ابن ذنون
 المأمون بن الرشيد: ٢١، ١٢٠، ١٢٢
 مارية بنت ظالم: ٥٣
 مالك (الإمام): ٣٦، ٢١٩
 مالك بن المرحل: ٣٢
 الماوردى: ٢١
 المتنى: ٧٤، ١٢٠، ١٧٥
 محمد المخلوع = أبو عبد الله بن الأحمر
 محمد بن إبراهيم = أبو عبد الله الصران
 محمد (بن أبي الحجاج) = أبو عبد الله بن الأحمر

- عثمان بن يحيى بن عمر: ٢٠٨، ٢٠٩،
 ٢٨٩
 المرينى = أبو عبد الله محمد أبي محمد العقيلي
 العزفى = أبو العباس العزفى
 هزة: ٥
 عضد الدولة بن بويه: ١١٩، ١٢٠
 على بن أبي طالب: ٣٠٣
 على بن بدر الدين: ٢١٠
 على بن عيسى بن ماهان = ابن ماهان على
 ابن عيسى
 على بن لسان الدين: ٣١٩، ٣٢٠
 العماد الأصفهاني: ٣٠٩
 عمر (بن الخطاب): ١٤١، ٣٠٣
 عمر (الفقيه): ١٣٢
 عمر بن عبد العزيز: ٨٥، ٨٩
 عمر بن عبد الله بن على: ٢٠٨، ٢٠٩،
 ٢٣٠، ٢١٠
 عمر بن عبد الله اليابانى: ٢٩٢
 عمر المالى: ١١٦
 عمرو بن العاص: ١٢٩
 عمرو بن عدى: ٥
 عمرو بن موسى: ٢٣
 عنرة: ١٢٣
 عياض بن موسى: ١٢، ١٩، ٢٣، ٢٤،
 ٢٥، ٢٦، ٣٦، ٤٤
 عيسى (بن موسى بن عياض): ٢٨
- (ف)
- الفاروق = عمر بن الخطاب
 الفتح بن خاقان: ١١٩
 الفرزدق: ٥
 فرعون موسى: ٢٥٣
 الفئس: ٦٢

صلى الله عليه وسلم
 المولى : ٧٤
 الملك الضليل = امرؤ القيس بن حبر
 المنتورى (أحمد) : ٢١
 المنذر بن ماء السماء : ٧٤
 المنصور (أبو جعفر) : ٢٦٠
 المنصور محمد بن أبي عامر : ٢٨ ، ١٢٠ ،
 ١٩٣
 المهدي : ٢٦٠
 مهلهل : ٩٥
 ميار (الديلمي) : ٤١
 المواق أبو عبد الله محمد بن يوسف : ٢١
 موسى (عليه السلام) : ٨٨ ، ٢٥٢
 موسى بن يوسف = أبو حمو موسى بن
 يوسف
 موسى بن نصير : ٦١
 ميمون : ١٢١

(ن)

النايفة الذيباني : ٧٨
 نافع : ٣٦
 النباهي = ابن الحسن النباهي
 النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي
 صلى الله عليه وسلم
 النوار : •
 نوح (عليه السلام) : ٢٩ ، ١٤٢

(هـ)

هامان : ١١٩
 هبنقة القيسي يزيد بن ثروان = ابن ثروان
 هراندة أبو شانجة = دن جانجة
 هرم بن سنان : ٨٢
 هشام بن الحكم : ٢٨

محمد بن أبي عبد الرحمن : ٦٢
 محمد بن أبي عبد الله : ٦٨
 محمد بن الأحمر = أبو عبد الله بن الأحمر
 محمد بن إسماعيل : ٢٠٢
 محمد بن حسون بن أبي العلاء : ٢٨٩
 محمد بن الحكيم : ٢٠٥
 محمد بن الخطيب : ٢٢٤
 محمد بن عبد الله = ابن الخطيب
 محمد بن عبد الله بن موسى بن عباس : ٢٤
 محمد بن عثمان : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٢٩
 محمد بن الغرديس = ابن الغرديس التغلبي
 محمد بن فرج : ١٤٦
 محمد بن لسان الدين : ٣١٩
 محمد بن محمد بن عاصم القيسي = أبو يحيى
 ابن أبي بكر بن عاصم
 محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) : ٢ ، ٨٣ ،
 ٨٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ،
 ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،
 ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ،
 ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ،
 ١٧٠ ، ١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
 ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ،
 ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،
 ٣٢١
 محمد بن يوسف = الشبوكي محمد بن يوسف
 محمد بن يوسف بن إسماعيل = أبو عبد الله
 ابن الأحمر
 مدغليس : ١٢٣
 مروان بن محمد : ١١٩
 المستنصر = أحمد المريني
 مسعود بن ماساي : ٢١٠ ، ٢٢٥
 المصطفى = جعفر بن عثمان الحاجب
 المصطفى صلى الله عليه وسلم = محمد النبي

يحبص بن مدرك : ٢٧
 اليحصي : ٢٧
 يحيى بن هذيل = أبوزكريا يحيى بن هذيل
 يزجرد : ١٢٠
 يزيد بن أبي مسلم : ٨٦
 يسار : ٩١
 يعقوب : ٢٩٨
 يعقوب : (عليه السلام) : ٨٤ ، ٩
 يليان = أليان
 يوسف (عليه السلام) : ٩
 يوسف بن أبي عبد الله : ٦٨
 يوسف بن إسماعيل = أبو الهجاج يوسف
 ابن إسماعيل
 يوسف بن يعقوب بن عبيد الحق المريني :
 ١٢٠

الهنثاتي = عامر بن محمد الهنثاتي أبو ثابت

(و)

الوادى آشى = أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
 الحناد الوادى آشى
 الوادى آشى = أبو عبد الله محمد بن جابر
 الوادى آشى
 الواساني أبو القاسم الحسين بن الحسين : ١٢٣
 الوائثيريشي (عبد الواحد) : ٦٦
 ولي الدين بن خلدون = ابن خلدون الحضرمي
 ونزمار بن عريف : ٢٢٨

(ى)

ياث بن نوح : ٢٩

فهرس الشعراء

أبو عبد الله الشران : ١٣٣ ، ١٣٤
 أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة : ٢٤٧
 أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكميلي
 ٣٥
 أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي : ٧٢ ،
 ١٠٣
 أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي =
 أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي
 أبو العتاهية : ٢١ ، ٨٧
 أبو نواس : ٢٦
 أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم : ١٤٦ ،
 ١٧٩
 أحمد المريني : ٣٢٠

(ت)

التلايسى = أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة

(ج)

جرول = الخطيئة

(ح)

الحاجري = عيسى بن سنجر
 الحارث بن عباد : ٩٥
 حسان بن ثابت : ٩٧
 الخطيئة : ٩٧

(د)

الدقون = أبو العباس أحمد الدقون

(١)

ابن الجياب = أبو الحسن بن الجياب
 ابن الحاج السلمي = أبو البركات البليقي
 ابن حجاج : ٩٤
 ابن الخطيب ٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ١٨٧ ،
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ ،
 ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٤ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٣
 ابن دراج القسطلي : ١٢٠
 ابن عاصم = أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم
 أبو البركات البليقي : ٤١ ، ٢٧٢
 أبو تمام : ٢٥٧
 أبو الحجاج المنصفي : ٣٥ ، ٣٦
 أبو الحسن بن الجياب : ١١٥ ، ١٩٢ ، ٣١٣
 أبو الحسن التهامي : ١٣٧
 أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي : ١٩
 أبو الحكم مالك بن المرحل : ٢٩
 أبو حيان : ٣٠٤
 أبو زكريا يحيى بن خلدون : ٢٣٨ ، ٢٤٦
 أبو سعيد الخزومي : ٩٩
 أبو الطيب = التنفي
 أبو الطيب صالح بن شريف الرندي : ٤٧
 أبو العباس أحمد الدقون : ١٠٤
 أبو العباس الشريف : ٣٨ ، ٤١
 أبو عبد الله = الشبوكي محمد بن يوسف
 أبو عبد الله بن جابر : ٣١٩
 أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حجاج = ابن حجاج
 أبو عبد الله بن الخطيب السلمي = ابن الخطيب

(ف)

الفرزدق : ٥

(ق)

قيس بن ذريح : ٢١٤

قيس بن عاصم : ٩٨

(م)

مالك بن المرحل = أبو الحكم مالك بن المرحل

المتنبي : ١٢٠ ، ١٢٦ ، ٢٣٧

المستنصر = أحمد المربني

المنصفي = أبو الحجاج المنصفي

(ن)

الناطقة الديقاني : ٧٨ ، ٩٨

(و)

الواساني : ١٢٣

(ي)

يحيى بن خلدون = أبو زكريا يحيى بن خلدون

يزيد بن عبد المدان : ٩٩

(ر)

الرندي = أبو الطيب صالح بن شريف الرندي

(ش)

الشبوكي محمد بن يوسف : ٢٩٢

الشران = أبو عبد الله الشران

الشريف الرضي : ٩٣

(ص)

صالح بن أحمد بن عثمان : ٣١١

صالح بن شريف الرندي = أبو الطيب صالح

ابن شريف الرندي

الصمة الفشيري : ٣

(ع)

العربي = أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي

عمر المالنقي : ١١٦ ، ١٢٥

عياض : ٣٤

عيسى بن سنجر : ٢٧٥

فهرس القبائل

بكر : ٩٥
 بنو الأحمر = بنو نصر
 بنو إسرائيل : ١١٧ ، ١٢٩ ، ٣٠١
 بنو بويه : ١١٩
 بنو الترحان : ٢٨٨
 بنو تميم : ٧٤ ، ٩٨ ، ١١٩
 بنو جريرد : ١٢
 بنو الحارث بن ثعلبة : ١٢
 بنو داود : ٧١
 بنو ذى النون : ١٢٢
 بنو زيان : ٢٥٢
 بنو الصباغ : ٢٣١
 بنو العافية : ٢٢٦
 بنو عبد الحق = آل عيد الحق
 بنو عبيد : ٢٨
 بنو العزقي : ٤٥
 بنو عسكر : ٢٢٩
 بنو القاسم : ٢٤٢
 بنو مرين : ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ،
 ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ،
 ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٧٦ ،
 ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩١
 بنو نصر : ٥٠ ، ٥٣ ، ١٦٧ ، ٢٠٤ ،
 ٢٠٥ ، ٢٧٢ ، ٣٠٨
 بنو والبة : ١٢

(ت)

التنار : ٨٩
 الترك : ١٠٩
 تغلب : ٩٥
 تميم = بنو تميم

(١)

آل شيبان : ١١٩
 آل عامر : ١٩٣
 آل عبد الحق : ٢٣٠ ، ٢٩٤
 آل محمد صلى الله عليه وسلم : ١١٣
 آل يعقوب : ١٩٧
 لارم : ٨٠
 الأسبان : ٢٨
 أشيب : ٩٦
 الأنصار : ٢٩٦
 أهل الأندلس : ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٩ ،
 ٦٨ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٨٨ ،
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٤
 أهل الجزيرة = أهل الأندلس
 أهل حمص : ٤٨
 أهل رندة : ١٨٨
 أهل سبتة : ٢٩
 أهل الصفة : ١١٧
 أهل غرناطة : ٦٩
 أهل المشرق : ٢٥ ، ١٢٢
 أهل المغرب : ٢٥
 أهل المرية : ١٨٨
 أولاد حسين : ٢٢٨
 أولاد عبد الله المهدي = الفاطميون

(ب)

البربر : ٣٠ ، ٣٦ ، ٧٧
 البرجلونيين : ١٩٦
 برنس : ٣٦

(ط)	(ث)
الطوائف : ١٢٢	نور : ٩٦
(ع)	ثمود : ١٠٠
عاد : ٨٠ ، ١٠٠	(ح)
عامر : ٢٩٥	حمير : ٢٧
عبس : ١١٨	(خ)
العجم = الفرس	الجزج : ١٦٧
العرب : ١ ، ١٢ ، ٥٣ ، ٧٢ ، ٨٧ ،	(د)
١٠٩ ، ٢٢٨ ، ٢٥٤ ، ٣١٧	الديلم : ١٠٩
عوف : ٩٦	(ذ)
(غ)	ذبيان : ١١٨
القساسنة ٧٨ ، ٩٧	(ر)
(ف)	الرياب : ٩٦
الفاطميون : ٢٨	الروم : ١١٠
الفرس : ٤٧ ، ٧٢ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ،	(ز)
٣١٧ ، ٢٤٠	زناة : ٢٢٨ ، ٢٣٠
فزارة : ١٢	(س)
(ق)	سعد : ٩٨
قريش : ١٤١ ، ٢٤٠	(ش)
القوط : ١٢٠	شيبان : ١١٩
(م)	(ض)
مسين = بنو مسين	ضبة : ٩٦
المشاركة = أهل المشرق	
الملثمون : ٧٧	
منقر : ٩٨	
(ي)	
اليين : ٤٧	

فهرس الأماكن

(ب)

باب الشريعة : ٦٨
 باديس : ٢٣٤
 بارق : ٢٣٧
 بحر الروم : ٢٢٨
 بحر الزقاق : ٦٧ ، ٢٩
 برقه : ٣٠
 بزليانة : ٤١
 بسطة : ٢٨
 البصرة : ٦٦ ، ٦٧ ، ١١٤
 البصرة : ٧٠ ، ٨٩ ، ١٢١
 بطوية : ٢٢٥ ، ٢٢٦
 بلاد العرب : ٤٧
 بلاق : ١٩٨ ، ١٩٥ ، ١٩٣ ، ١٨٨ ،
 ٢٤٩ ، ٢٢٤ ، ٢٠٢
 البلد الجديد : ٢٢٩
 بلقيق : ١١٤ ، ٤١
 بلنسية : ٤٨ ، ٤٦ ، ٣٥
 بليوناش : ٣٥ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ،
 ٣٧ ، ٣٦
 البيازين : ٧٠
 البيرة : ١١٤
 البيضاء : ٢٢٨ ، ١٩٧

(ت)

تازا : ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦
 تامستا : ٢٦٥

(١)

آحق : ٢٩٨
 آنى : ٢٨٨
 أبان : ١٢
 الأبله : ٧
 أحد : ٢٤٨
 أرغون : ٧٠
 أزمور : ٣٥
 إشبينية : ٢٩٧ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٤٨ ،
 أنمات : ٢٩٧
 إفرقية : ٢٦١ ، ١٨٩
 أيرة : ١٨٦
 أندرش : ١٩٤ ، ١١٤ ، ٦٧
 الأندلس : ٤١ ، ٣٦ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢١ ،
 ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٠ ،
 ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ،
 ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،
 ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ،
 ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٥ ، ١٨٦ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،
 ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
 ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
 ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦ ،
 أوربة : ٨٢ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٦٦ ، ٣٧ ،
 ٩٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٤
 إيوان كسرى : ٤٧

جزوى : ١٠
 الحمراء : ٦٧ ، ١٠٤ ، ١٣٠ ، ٢٠٢ ،
 ٢٠٧
 حمص = إشبيلية
 الحمة : ٦٦

(خ)

خراسان : ١١٩

(د)

دار ابن الفرديسى التفلي : ٢٤
 الدار البيضاء : ٥٩
 دار السلام : ١٢٧
 دار الكتب المصرية : ٢١ ، ٩٧ ، ٩٩ ،
 ١٩٥ ، ٢١٤ ، ٢١٥
 دار همدان : ١٢١
 دانية : ٢٤
 دجلة : ٧
 الدهناء : ١٠ ، ١٢١
 الديار المصرية = مصر

(ر)

رابطة الفصال : ٤٢
 ربض البيازين : ٦٨
 رضوى : ١٢
 رندة : ٦١ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤
 رومة : ١١٣

(ز)

زاوية المحروق : ١٢١

تلسان : ٧ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧١ ،
 ١٢٠ ، ١٧٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ،
 ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
 ٢٦٠ ، ٢٤٣ ، ٢٣٨
 تهامة : ٩٢
 الثعوتة : ٣٦

(ث)

تهلان : ٤٨

(ج)

جبل الفتاح : ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
 ٢٣٠
 جبل موسى : ٣٥
 الجريد : ٢٦٢
 الجزائر : ٦ ، ٢٤
 الجزيرة = الأندلس
 جمع : ٢٧١
 جنان المريرف : ١٢٨ ، ١٩٥
 جنة الحافة : ٣٣
 جنة المريرف = جنان المريرف
 جنة المصاراة : ٢٠١
 جيان : ٢٨ ، ٤٨
 جيون : ١٢٣

(ح)

حاجر : ٢٣٥
 حبيبة أم يحيى : ٧
 الحجون : ٩

(ط)

طليلة : ٤٦ ، ٢٢٢
طنجة : ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧

(ع)

عاج : ١٢١
العدوة : ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٧ ، ٢٠٩
العذيب : ٢٣٧
العراق : ٥٥
العقاب : ١٢٢

(غ)

الغيظ : ١١٩
غرناطة : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ،
٤٠٣ ، ٥٥٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٦ ، ١١٤ ،
١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ،
١٦١ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ،
٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ،
٢٠٩ ، ٢٢٤ ، ٢٧٢ ، ٢٩٩ ،
٣٠٨ ، ٣٠٧
غمدان : ٤٧

(ف)

فارس : ٧ ، ١٢٠
فاس : ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٦٧ ،
٦٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ١٢٠ ،
١٢١ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ،
٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠١

زرهون : ٢٢٨

زقة حجامه : ٢٤

الزيتون : ٢٢٨

(س)

سببة : ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ،
٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٤٥ ، ٤٦ ، ١٤٦ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٣١٢
سجداسة : ٢٢٨ ، ٢٢٩
سفاقس : ٢٢٥
سلا : ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧
سملع : ٣١٧
السوس : ٢٣٧

(ش)

شاطبة : ٤٨
شالة : ٢٠٨ ، ٣٠٢
شالة سلا : ٢٧٦
الشام : ٤٨ ، ٥٥
شبوكة : ٢٩١ ، ٢٩٢
شعب بوان : ٧ ، ١٢٠
شنيل = شنيل
شنجيل = شنيل
شنيل : ٢٠٤

(ص)

الصفاء : ٩
الصفارين : ٤٣
صفلية : ٤٢

١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٧٧ ،

٢٩٠ ، ٢٩٢

مريلة : ١٩٦

المرج : ٢٠٤

مرسية : ٤٦ ، ٤٨ ، ٦٦

المرية : ٢٣ ، ٤١ ، ١٢٠

مسجد النبي صلى الله عليه وسلم : ١١٧

المشارف : ٤٧

مصر : ٢٦ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٥ ،

٦١ ، ٨٢ ، ٣٠٧

المطبعة الأزهرية : ٧٥

مطبعة الفتوح : ٨٧

المعرة : ١٧٥

المغرب : ٢٨ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٩ ،

٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١١٦ ، ١٢٠ ،

١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ،

٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ،

٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ،

٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٢

مقبرة أنعام : ٢٩٧

مقبرة باب المحروق : ٢٣٠

مكناسة : ٢٨٧ ، ٢٨٨

مكة : ٩ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،

٢٦٧

ملوية : ٢٢٨

مليانة : ٦٦

مليلة : ٦٧

المنارة : ٢٨

منصف : ٣٥

منى : ٢٣٩

مناقة : ١١٤

المدية : ٣٧

منية العبا : ٣٣

فج خير : ٦٣

فلسطين : ٣٠

فيد : ١١٩

(ق)

قبر السلطان أبي الحسن : ٢٠٨

قبر المتمد بالله أبي القاسم بن عباد : ٢٩٧

قبة العرض : ٢٠١

قرطبة : ٢٨ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ١٨٦ ، ٢٩٧ ،

قسطنطينية : ١٠٩

قشتالة : ٦٢ ، ٧٠ ، ٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ،

القيروان : ٢٨

(ك)

كدية العرائس : ٢٢٨

كندة : ١٢٠ ، ١٧٥

الكوفة : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٥ ، ٢٣٧

(ل)

لطة : ٥٤

لوشة : ١٨٦ ، ٢٠٤

(م)

مالقة : ٤١ ، ٦٦ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،

١٣٠ ، ١٣٢ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤ ،

٣١٣

المحصب : ٢٣٩

المدرسة اليوسفية : ٥٥

المدية : ١٢ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٦٧ ،

مراكش : ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ١١٩ ،

وادي النجا : ٢٢٨	(ن)
الواسطة : ٧٠	نجد : ٣ ، ٩٢
وانشريس : ٦٦	(هـ)
وحرا : ١١٤	هنتاة : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤
(ي)	الهند : ٤٩
يثرب = المدينة	(و)
اليامة : ١٢١	وادي آش : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
الين : ٤٧ ، ٩٥	٢٠٧

فهرس الكتب

- بستان الدول لابن الخطيب : ١٩٠
 البستان لابن سريم : ٣٣ ، ٢٤
 بغية الرائد لما تضمنه حديث أبي زرع من
 الفوائد للقاضي عياض : ٢
 بغية الملتبس للضبي : ٢١
 البيان والتبيين للاجحاظ : ٨٧
 اليزرة لابن الخطيب : ١٨٩
 البيطرة لابن الخطيب : ١٨٩

(ت)

- تاج العروس : ٢٠ ، ٤١ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
 ٣٠١ ، ١١٩
 التاج المحلى في مساجلة القدر المعلى لابن
 الخطيب : ١٨٩
 تاريخ ابن خلدون = العبر وديوان المتبدأ
 والحبر
 تخلص الذهب في اختيار عيون الكتب
 لابن الخطيب : ١٩٠
 تقديم أبي بكر لابن حجة : ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٤
 تقرير الشبه وتحرير الشبه لابن الخطيب :
 ١٩٠
 تقويم البلدان : ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ،
 ٣٥ ، ٦٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤
 تكملة كتاب الصلة : ٦٦
 تكملة المعجم لدوزى : ٣٦ ، ٥٤ ، ٦١

(ج)

- جامع البيان والتحصيل : ١٢٩

(١)

- آداب الدين والدنيا = أدب الدنيا والدين
 أبيات الأبيات لابن الخطيب : ١٩٠
 الإحاطة لابن الخطيب : ٥٠ ، ٢٣ ، ٢٧ ،
 ٥٥ ، ٥٦ ، ١٤٥ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ،
 ٢٣٠ ، ٢٧٠
 أخبار الحقي والمغنين لابن الجوزى : ٨٥
 أخبار حمى بن يقظان = أسرار الحكمة
 المشرقية
 أدب الدنيا والدين : ٢١
 الأربعين النووية : ٨٨
 الاستبصار في عجائب الأمصار : ٣١ ، ٣٤
 أسرار الحكمة المشرقية : ١٢٤
 الاستقصا للسلوى : ٦١ ، ٦٢ ، ٧٨
 استنزال اللطف الموجود في سر الوجود
 لابن الخطيب : ١٩٠
 إعمال الأعلام في من يبيع من ملوك الإسلام
 لابن الخطيب : ١٩٠
 الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ٢١٤
 الإكليل الزاهر لابن الخطيب : ١٩٠
 الإكمال لكتاب العلم للقاضي عياض : ٢
 الأمالي للفاقي : ٩٧ ، ٩٩
 أنباء القمر : ٢٥ ، ٢٦

(ب)

- بدء ابن سبعين = بدء العارف
 بدء العارف لابن سبعين : ١٢٤
 بدعية العميان : ٢٣
 البرق الشامي للحماد الأصفهاني : ٣٠٩

- رجز السياسة لابن الخطيب : ١٨٩
 رجز الطب لابن الخطيب : ١٨٩
 رجز في أصول الفقه لابن الخطيب : ١٩٠
 الرجز في عمل الترياق لابن الخطيب : ١٨٩
 الرد على أهل الإباحة لابن الخطيب : ١٩٠
 رسالة تكون الجنين لابن الخطيب : ١٨٩
 رسالة الطاعون : ١٨٩
 رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب : ١٩٠
 الروض الأريض : ٥٨ ، ٦٠ ، ١٤٥ ، ١٧١
 الروض المعطار في أخبار الأفكار لأبي عبد الله
 الحميري : ٢
 ربحانة الكتاب ونجمة المتاب لابن الخطيب :
 ٢٨٦ ، ١٨٩

(ز)

- الزبدة المعخوضة لابن الخطيب : ١٩٠
 زهر الرياض : ١٢٤

(س)

- السحر والشعر لابن الخطيب : ١٨٩
 سد النديرة في تفضيل الشريعة لابن الخطيب :
 ١٩٠
 سراج المريدين لابن العربي : ٢
 سلوان المطاع لابن ظفر : ٢٤٩
 سند المهتدين : ٢١ ، ٢٢

(ش)

- شرح بدعية ابن حجة = تقديم أبي بكر
 شرح الشاطبية : ٢٧
 شرح الشفاء للقمهات : ٢٧
 شرح القاموس = تاج العروس
 شرح المواهب اللدنية للزرقاني : ١٤١

- الجامع الصغير للسيوطي : ٢١٣
 جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى
 لابن عاصم : ٥٠ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ،
 ١٧١
 جيش التوشيح لابن الخطيب : ١٩٠
 الجواهر اللعانة : ١٢١

(ح)

- الحلل المرقومة لابن الخطيب : ١٨٩
 حل الجمهور على السنن المشهور لابن الخطيب :
 ١٩٠

(خ)

- خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف
 لابن الخطيب : ١٩٠
 خلع الرسن في أمر القاضي ابن الحسن لابن
 الخطيب : ١٩٠

(د)

- الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة لابن الخطيب :
 ١٩٠
 دوزي = تكملة المعجمات
 ديوان الصبابة : ١٢٤

(ذ)

- الذخائر والأعلاق لأبي عبد الله الأشبيلي : ٢

(ر)

- راح الأرواح لابن الخطيب : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٥
 رجز الأغذية لابن الخطيب : ١٨٩

(ق)

القاموس : ١٢٥ ، ٣٥ ، ٥٥
القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : ٢١٥
فلاند العميان : ١١٩

(ك)

كتاب حياحب : ١٢٤
كتاب السياسة لابن الخطيب : ٧١
كتاب الوزارة لابن الخطيب : ١٩٠
الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة :
١٨٩

كشف الذك وإيضاح الشك : ١٢٣
كشف الظنون لحاجي خليفة : ١١٧ ، ٢٦ ،
١٥٨

كناسة الدكان لابن الخطيب : ١٩٠
كنز العارفين : ٢
السكواكب الوقادة : ٤٠ ، ٣٨ ، ٣٣

(ل)

لسان العرب : ٩٢ ، ٩٩ ، ٣٥
المحة البسدرية لابن الخطيب : ١٨٩ ،
١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٤

(م)

المباخر الطيبية في المفاخر الحظيية لابن
الخطيب : ١٩٠
مثلى الطريقة في ذم الوثيقة لابن الخطيب :
١٨٩

مجلة الجمع الملكي للغة العربية : ٤٦
جمع الأمثال للميداني : ٥
الحكم لابن سيده : ٢٧
مختارات ابن السجري : ٩٨

الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٩٥
شمس المعارف للبوني : ١٢٣

(ص)

صبح الأعشى للقلقشندي : ٥٤ ، ٤٦
صحيح البخاري : ٣٧ ، ٨٨
صحيح مسلم : ١٢٩ ، ٢١٦
الصلة لابن بشكوال : ٢١ ، ٢٧
الصيب والجهم والماضى والكهام لابن
الخطيب : ١٨٩

(ط)

طرفة العصر في دولة بني نصر لابن الخطيب :
١٩٠

(ع)

عائد الصلة لابن الخطيب : ١٩٠
العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٢٦ ، ٢٠٢ ،
٢٠٣

العقد الفريد : ١١٩
عمل من طب لمن حب لابن الخطيب : ١٩٠
عنوان الصرف الوافي : ١٥٨

(غ)

غمر أخبار ملوك الفرس : ١٢٠
الغنية للقاضي عياض : ٢ ، ٣٦
الغيرة على أهل الحيرة لابن الخطيب : ١٩٠

(ف)

فئات الحوان ولقط الصوان لابن الخطيب :
١٩٠
فهرسة ابن غازي : ٧١

منية الطالب لأعز المطالب : ٢
الموطأ للإمام مالك : ٢
المونس في أخبار إفريقية وتونس : ٣٧

(ن)

نثر فرائد الجمان : ١٨٦ ، ٢٩١
نزهة المشتاق لادريسي : ٣٠
نظم الدرر والعقيان : ٢٤٤ ، ٢٤٥
نظم السلوك في سياسة الملوك : ٢٤٩
نفاضة الجراب لابن الخطيب : ١٨٩ ، ٢٩٨
نفع الطيب : ٥ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٠... الخ
النهاية لابن الأثير : ٩٢
نيل الابتهاج بتطريز الديباج : ١٠٤ ،
١٣٣ ، ١٣٥

(و)

الوصول لحفظ الصحة في الفصول لابن
الخطيب : ١٨٩
وفيات الأعيان : ٢٥ ، ٩٤ ، ١١٩

(ي)

يتيمة الدهر للثعالبي : ٩٤
اليوسفي في الطب لابن الخطيب : ١٨٩

مختصر خليل : ٧١
المختصر في فقه المالكية : ١٣٠
مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية :
٢٣ ، ٢٥

مسالك الأبصار للعمري : ٣٠
المسائل الطبية لابن الخطيب : ١٨٩
المسهب : ٢٩
المصباح : ١٢٣
المضاف والمنسوب للثعالبي : ٨٥ ، ٩٢ ،
٩٥ ، ٩٦

مطمح الأنفس : ١١٩
معجم أصحاب الصدق : ٢٣
معجم البلدان : ٢٤ ، ٣٧ ، ٤١ ، ١٨٦ ،
٢٣٩

معجم دوزي = تكملة المعجم لدوزي

معجم ما استعجم : ١٢
المعلم لفوائد مسلم : ٢١٦
معيار الاختيار لابن الخطيب : ١٨٩
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب : ٣١ ،
٦٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨

مفاتيح العلوم للخوارزمي : ٢٥٥
مفاضلة مالقة وسلا لابن الخطيب : ١٨٩
مقامة السياسة لابن الخطيب : ١٩٠
المقتبس في أخبار المغرب والأندلس : ٣٦
مقدمة تاريخ ابن خلدون : ٧١
المنتقى : ٢

فهرس القوافى

طويل	سلام — خليفة : ١٠٩
»	أحيك — أوقات : ٣٠٧
بسيط	قد — المهمات : ٢٩٧
مجزوء الرمل	عد — ميت : ٣١٣
متقارب	بعدنا — صموت : ٢٣١
»	آيا — الثبوت : ٢٣١

(ث)

بسيط	بقنا — البراغيثا : ٣٠٩
كامل	زحفت — المحثوث : ٢٨٩

(ج)

بسيط	ماذا — حرج : ٢٦٥
وافر	بإسماعيل — بانبلج : ٢٧٤
خفيف	قلت — احتجاجا : ١٤٤

(ح)

كامل	عن — ويحرج : ٢٧٦
سريع	حييت — يروح : ٢٩
خفيف	بلد — مبيح : ٢٩٠
»	ما — جناح : ٢٣٧
»	ما — واقضاح : ٢٣٩

(د)

طويل	أوثك — شدوا : ٩٧
»	أما — وده : ١٤٦
»	نزلنا — حد : ٢٩٨

(ب)

طويل	بنفسى — عذاب : ٣٠٣
»	ومن — معايبه : ١٠٤
»	سلام — صحابي : ٦
»	بعثت — مرقوب : ١٤٤
»	حملنا — المصائب : ١٣
»	أمولاي — الرتب : ٢٤٦
بسيط	مالى — بي : ٢٩٩
»	قوم — السكرابا : ٩٨
»	سبحان — وجبا : ١٧٩
»	ناديت — وجبا : ٣٠٤
»	بحق — مقتصبه : ٣٠٤
مخلع البسيط	بليونش — عقاب : ٣٥
»	الطب — النجابه : ١٨٧
وافر	بنى — للخراب : ٢٧١
»	إذا — المصيبة : ٢٩٩
كامل	يا — وبطيب : ٥
»	إلى — ديب : ٣١٢
مجزوء الكامل	فيقول — انتسب : ٣
سريع	يا — عرفوب : ٣٠٠
»	انظر — كاعب : ٣٦
»	فالة — بالشارب : ٣٧
مجتث	وثقت — حسي : ٣٨
متقارب	سلام — يثرب : ٢٩

(ت)

طويل	ألا — سبت : ٩
------	---------------

بسيط	يا — ثمرة : ٣٠٠
الناس	— باختياري : ٩٤ مخلع البسيط
ما	— الزاهر : ١٥٧ مجزوء البسيط
ندمت	— نوار : ٥
وافر	
»	تتمتع — عرار : ٣
»	لقد — جزرا : ٢٦١
كامل	بلد — عذاره : ٣
»	لن — أخباره : ٢٠٨
»	في — قمتاره : ٣٠٧
»	أحياء — الأزهار : ١٦
»	ماذا — إعداره : ١٣٤
»	فالعيش — ساري : ١٣٧
»	أخليفة — البشر : ٢٤٦
»	يا — قرار : ٢٩٥
»	ما — الضمار : ٣٠٧
مجزوء الكامل	يا — حيرة : ٣٠٦
رجز	النازلون — الأزر : ٩٧
مجزوء الرجز	لي — الدرر : ٢٤٧
رمل	رب — تدري : ٣١٤
مجزوء الرمل	بأني — صدري : ٣٠٥
سريع	جئتك — معذره : ١٣٢
»	سكانها — نضره : ٢٧٢
»	عرناطة — والحضرة : ٢٧٢
منسرح	خليفة — قر : ٢٠٦
»	يا — ودرر : ١٣٢
خفيف	تناثر — بدر : ١٥٤
»	يا — وعقار : ٢٩٩
مجت	يا — أسره : ٢٤٦
»	يا — عساكر : ٢٤٦
متقارب	وقالوا — تنتظر : ٢٦١

(ز)

خفيف	فهو — لهز : ١٠١
»	أنت — حريز : ٢٩٨

طويل	عذبت — وقعوده : ٣٠٣
»	سمى — بعد : ٢٧٥
»	تعجلت — المجد : ٣٠٦
بسيط	وإنا — في الأسد : ٣١٠
»	دائي — والكمد : ٣١٠
كامل	لله — جاهد : ٢٨٨
»	ركب — الفرقد : ٣٠٦
»	ماذا — ممد : ٦٥
»	مكناسة — بريد : ٢٨٨
رجز	بحمد — اهتدى : ١٣٣
مجزوء الرجز	أنا — المعتمد : ٤٠
رمل	كم — العميد : ٣١٥
سريع	ليس — واحد : ٢٦
»	في — واد : ٣٠٠
خفيف	مضجعي — فؤادي : ٣٠٥
»	صدني — العباده : ٣٠١

(ر)

طويل	كان — سامر : ٩
»	سلا — الزهر : ١٩٦
»	كأنا — بقصر : ٢٦٥
»	أما — الضرائر : ٢٧٤
»	تقول — وآمر : ٢٩٠
»	يا أهل — الأمر : ٢٩٩
»	هي — مضمير : ١١
»	تخلصت — عامر : ١٩٣
»	على — المحاجر : ٢٧٥
»	أجاد — يدري : ٣٠٧
»	كأن — الفجر : ٣٠٨
»	للدهر — وأكبرا : ١٥
»	ولما — الأخرى : ٣٠٦
بسيط	لأنه — أسمار : ٦
»	فهو — والقمر : ١٢
»	وقلت — الضاري : ٩٨

(غ)

هذا — وبني : ١٩٢ مجزوء الرجز
وأظهر — في ارتقا : ١٩٢ »

(ف)

فبيننا — ننتصف : ٩١ طويل
» لي — مرهف : ٣٠٨ »
كامل والزهر — صافي : ٨
رجز سبحان — لا تحنى : ١٧١
سريع فكل — يسرف : ٣٦
خفيف أصبح — أنوف : ٢٧٦
» ربما — عفوفا : ١٢٦
متقارب تعود — انحراف : ٢٧٦

(ق)

كأن — زرق : ٨ طويل
» عقيدة — مخلوق : ١٣٢ »
» تذكرت — السواقي : ٢٣٧ »
» خليلي — الحقا : ٣٠٩ »
مخلع البسيط غرناطة — العراق : ٥٥
كامل عطفا — لا تفرق : ٩٣
» وإذا — يفرق : ٢٦٩
» يا — أغلاق : ٣١٩
» وترعت — أشواقي : ٩
» يمضى — الباقي : ٢٦٠
» أشكو — ورحيقه : ٣٠٥

(ك)

مولاي — فيكا : ٢٨١ كامل
» يا — مسلوكا : ٣٠٦ »

(س)

عسى — باديس : ٢٣٤ طويل
أهلا — أنسه : ١٣٣ كامل
» يا — رئيس : ٣١٣
» أطلعن — عبوسا : ٢٥٠
» أقشيب — ورسيسا : ٢٥٧

(ض)

سلام — الرياض : ١٨ وافر
» أمفتي — الرياض : ١٩
كامل والله — عرضه : ٣١٣
مجزوء الكامل سرح — الرياض : ١٨
سريع مشرف — نافضا : ٣٠٠

(ط)

رأيتي — يحاط : ١٤٤ طويل
بأهل — الفلظ : ٤٦ بسيط
مخلع البسيط بليونش — النباطا : ٣٤

(ع)

جري — متوزع : ١١ طويل
» أنبكي — طائع : ٢١٤
» إلهي — جما : ٢٧١
كامل لا — سريع : ٢٦٩
» يا — دعا : ١٤٥
سريع انظر — اللامع : ٣٧
» لم — أسماعي : ٢٦٧
خفيف يا — المنيع : ٢٧٣
» حين — ولوعي : ٣٠٥
متقارب يا — المتسع : ٢٧٤

»	إلى — الهزال : ٢٧٤
»	قد — الليالي : ٢٨٨
»	يا — وحال : ٢٩٨
»	قال — محول : ٣٠٥
»	سرق — نقله : ٣٠٤
مجت	تتاثر — الوصل : ١٥٥
متقارب	أبا — التزال : ٢٦١
»	رموا — الهاطل : ٣٠٧

(م)

طويل	وليس — وأسهم : ٩٩
»	ألا — الرسم : ٢٧٢
»	تعلم — بسطام : ٣٠١
مديد	ندد — أحكمها : ١٠٣
بسيط	مولى — الذمير : ٧٢
»	م — والنم : ٧٨
مجزوء البسيط	ما — الأليم : ١٥٦
كامل	لا — هواكم : ٣١٠
»	يا — النادم : ٣٠٨
»	يا — هائم : ٣١٩
مجزوء الكامل	لى — حيله : ١٤
رمل	جلس — أحكام : ٣٠٥
سريع	لى — التمام : ١٤٤
خفيف	أنا — الأفهام : ٣١٢
»	يا — رسمه : ٢٦١
مجزوء الخفيف	قسما — غامه : ٢٦٨

(ن)

طويل	وما — الحيوان : ١٥
»	وكانت برهان : ٢٨
»	نعال — الجديدان : ١١٧
»	أطاع — نلسان : ٢٨٦

(ل)

طويل	بلاد — شمول : ٤
»	إلى — صالحى : ١٢٥
»	فلا — مهمل : ١٣٣
بسيط	أبان — هامله : ٢٩٢
»	لا — حال : ٢١
»	قاضي — الدول : ٢٦
»	كذا — آمال : ٤١
»	ماذا — وترحال : ٤١
»	لا — وجل : ٩٩
»	أمنت — وأحوال : ١٠٤
»	يا — مقبيل : ٢٤٧
»	برئت — ولى : ٣٠٢
»	مال — حال : ٢٧٠
»	لكن — حملا : ١٥
مخلم البسيط	بليوش — الجمال : ٣٥
»	وإذا — لا يتبدل : ٢٦٢
»	الحق — لا يسأل : ٢٦٢
»	كم — منزل : ٦
»	وما — بالرجل : ٩٢
»	لك — مؤجل : ١٤٣
»	فكان — العليل : ٢٦٨
»	أفادت — حالى : ٢٧١
»	لم — المال : ٢٨٩
»	أقنا — حال : ٣١٢
»	كتبت — الخليل : ٣٠٤
»	أعيا — التفصيلا : ٢٧٥
كامل	بين — المقتل : ٣٠٨
مجزوء الكامل	والناس مثاله : ١٤
سريع	دوام — حال : ١٣٤
»	ما — النكال : ١٥٥
منسرح	بأهل — الحمل : ١٢٣
خفيف	فربا — حيارى : ٩٥

كامل	مولاي — التقصان : ٢٧٢	طويل	علقت — الحدائق : ٢٨٧
»	حيا — المسكنون : ٧	»	ولما — البين : ٣٠٤
»	أسمى — عرين : ٢٨٩	»	أمولاي — كانا : ٣٠٣
»	إن — المسكنون : ٣٠٨	»	لسنا — أولانا : ٣١٨
»	بليونش — شاننا : ٣٤	مديد	رب — فن : ٨
سريع	أخطر — حسنه : ٢٩	بسيط	لكل — إنسان : ٤٧
خفيف	عاب — وشين : ١٤٤	»	بين — أجفان : ٣٠٩
»	بان — بين : ٣٠١	»	روعت — وجيراني : ١١
	(هـ)	»	أيا — ووحدان : ٣١٣
		»	يا — الثاني : ٣١٣
		»	سل — تكويبي : ٣١٦
طويل	ندم — شكواه : ١٤	»	لا — الدين : ٣٢٠
»	لهي — إلهي : ١٤٤	»	يا — يسيني : ٣٢٠
»	دعوتك — تعي : ٣٠٣	»	تناثر — الثمين : ١٥٣
كامل	قالوا — في التنويه : ٣٠٧	مخلع البسيط	مضت — يدان : ١٤
»	إن — تكفيه : ٣٠٨	وافر	وألقى — البنان : ١٢٠
		»	ولو — الزمان : ٢٦٩
منسرح	خبر — وأجلاه : ١٠٣	»	حلقت — في اليمين : ٣٠٧
	(ي)	»	أقول — جفاني : ٣٠٩
		»	نساءل — ما عنيتنا : ١٠
طويل	أبي — ننيا : ١١٥	»	لا — فطن : ٩٨
بسيط	أمل — منتهيا : ٣٠٩	كامل	لاني — أفن : ٩٨
متقارب	أميرا — صفحتيه : ٣٠٠	»	

فهرس أنصاف الأيات

(ل)	(ا)
لك الحير قد أوفى لعهدك خيران : ١٢٠ طويل	إذا عبروا قالوا مقادير قدرت : ٨٧ طويل إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر : ٨٧ رجز
(هـ)	(س)
هي المقادير فلمنى أو فذر : ٨٧ رجز	سم العداة وآفة الجزر : ٩٧ رجز
(و)	(ش)
وطود موسى لها تاج على الراس : ٣٥ بسيط ولو ترك القفا ليلا لتاما : ٢٦٨ وافر	شم الأنوف من الطراز الأول : ٩٧ كامل

فهرس الموضوعات

صفحة	صفحة
٤٠	روضة الورد في أولية هذا الإمام الفرد
	نسب عياض... .. ٢٣
	عند الوادى آشى ٢٣
	عند ابن الأبار ٢٣
	عند ابن خاتمة ٢٣
	عند ابن الملقوم ٢٣
	نزوله بدار ابن الغرديس ٢٤
	عند ولده محمد ٢٤
	عند ابن خلكان ٢٥
	عند ابن خاتمة أيضا ٢٥
	شئء عن ابن خلكان وابن خلدون ... ٢٥
	الكلام في ضبط اليحصبي ٢٧
	محمد بن عياض يخبر عن موطن أجداده ٢٧
	شئء عن سبته ٢٩
	وصف ابن الخطيب لسبته ٣٠
	الشريف أبو العباس وحفاوته بابن الخطيب ٣٢
	شعر لابن الخطيب في بليونش ... ٣٤
	شعر لعياض فيها أيضا ٣٤
	وصف ابن حيان لها ٣٤
	شعر له تصني فيهما أيضا ٣٥
	شعر السكيلي فيها ٣٥
	شعر المصنفي فيها ٣٦
	مثل من كرم الشريف أبي العباس ... ٣٧
	ثناء أبي الحسن النباهى على الشريف } ٣٨
	وشئء عنه... .. }
	شعر للشريف ٣٨
	حفاوة أبي عنان بالشريف أبي العباس } ٣٩
	ومنزله في سبته... .. }
	وصف أحد كتاب الشريف له ... ٤٠
	دواة أبي عنان وشعر مكتوب عليها ... ٤٠
	رجع إلى ذكر الشريف
٤١	شئء من كرم الشريف وشعره ... ٤١
٤٢	أشراف سبته ٤٢
٤٢	دخل الشريف من مضرب الميناء وما كان } ٤٢
	ينفقه فيه }
٤٤	حفاوة ملوك بني مرين ٤٤
٤٤	سبب تعريف المؤلف بهذا الشريف ... ٤٤
٤٥	استيلاء العدو على سبته ٤٥
٤٦	رثاء طليطلة... .. ٤٦
٤٧	قصيدة الرندى في رثاء الأندلس ... ٤٧
٥٠	ابن عاصم وبعض ما جاء في كتابه عن } ٥٠
	انحلال أمر الأندلس }
٥٥	ذكر غرناطة ٥٥
٥٦	تفريظ لابن عاصم على كتاب الإحاطة ... ٥٦
٥٨	نبذة من كتاب الروض لابن عاصم عن } ٥٨
	ابن يوسف }
٥٩	مثال من حرص ابن الخطيب على العوائد ٥٩
٦٠	اضطراب أمر الأندلس بالخروج على } ٦٠
	القواعد }
٦٠	وصف البكرى للأندلس ٦٠
٦١	وصف ابن الخطيب للأندلس ٦١
٦١	أبو يوسف المريني ودن جائحه ومثل من } ٦١
	عز الإسلام }
٦٢	تعقيب لابن الخطيب على قصة أبي يوسف ٦٢
٦٣	بعض ما كتب في استنهاض الهمم ضد } ٦٣
	النصارى }
٦٣	لابن زمرك ٦٣
٦٤	لابن الخطيب ٦٤

- ١٥٨ موازنة بين ابن عاصم وصاحب عنوان الشرف الشامي
- ١٥٨ مختار من كتابه جنة الرضى
- ١٧١ شىء من كلام ابن عاصم عن ابن فتوح
- ١٧٢ منشور سلطاني بتولى ابن عاصم القضاء
- ١٧٩ تخميس لابن عاصم
- ١٨٦ تعريف بابن الخطيب
- ١٨٦ أوليته ونسبه
- ١٨٧ نشأته وشيوخه
- ١٨٩ مؤلفاته
- ١٩١ رأى ابن الأحمر فيه
- ١٩١ توليه الكتاتبة
- ١٩٢ { كلام لابن الصباغ عنه وعن قوة بديهته
- ١٩٣ أيام ابن الخطيب مع السلطان أبي عبدالله
- ١٩٤ { تفصيل لنكبة السلطان أبي عبدالله وذهابه إلى فاس
- ١٩٦ { قصيدة ابن الخطيب بين مدى السلطان أي سالم يستصرخه لمولاه
- ٢٠١ { انصراف السلطان أبي عبدالله إلى الأندلس
- ٢٠٢ خبر هذه القصة كما رواها ابن خلدون
- ٢٠٤ { شىء عن أحوال ابن الخطيب كما رواها ابن خلدون
- ٢١٢ كتاب القاضي أبي الحسن إلى ابن الخطيب
- ٢٢٩ نكته ووفاته
- ٢٣١ شعر له في محبته يبكي نفسه
- ٢٣١ تخميس لبعض بني الصباغ
- ٢٣٤ شعر ابن الخطيب
- ٢٣٧ قصيدة لابن الخطيب في المولد النبوي
- ٢٣٨ { قصيدة لأبي زكريا بن خلدون يحاكي بها قصيدة ابن الخطيب
- ٢٤٣ { وصف ليالى مولد النبي أيام السلطان أبي حمويه
- ٢٤٦ شعر لأبي زكريا بن خلدون في المنجاة
- ٦٥ سقوط غرناطة في يد العدو والخلاف في تاريخ ذلك
- ٦٧ { خروج أمير الحمراء ابن أبي الحسن إلى فاس
- ٦٨ وفاته وشفى عنه وعن عقبه
- ٦٨ حال المسلمين بعده بالأندلس
- ٦٩ { رسالة في ذكر ما جرى للمسلمين في الأندلس
- ٧٠ تنكيل طاغية قشتالة وأرغون بالمسلمين
- ٧١ بعض من خرج من علماء الأندلس
- ٧٢ كتاب ابن الأحمر لصاحب فاس
- ١٠٣ أبو عبدالله العزيز وشفى من نظمه
- ١٠٣ قصيدة الدقون في نذب الجزيرة
- ١٠٨ مما كتبه بعض أهل الجزيرة إلى بايزيد
- ١١٥ بلاغة أهل الأندلس
- ١١٦ { مقامة لقصيه صر : تسريح النصال إلى مقاتل الفصائل
- ١٢٥ شىء من نظمه
- ١٢٥ مقامة في أمر الوباء
- ١٣٢ بعض مقطوعاته
- ١٣٣ تعريف بالشران
- ١٣٣ شىء من نظمه
- ١٣٤ { طريقة لابن جماعة وقد تولى الشران مكانه
- ١٣٤ { شعر للشران يعاتب ابن جماعة على إهمال دعوته إلى إعدار
- ١٣٤ قصيدته اللامية
- ١٤٣ بعض شعر له
- ١٤٥ تعريف بالرئيس ابن عاصم
- ١٤٦ { قصيدة له تله بنتين فوشحتين في مدح السلطان أبي الحجاج
- ١٥٣ البنت الأولى
- ١٥٤ الموسحة الأولى
- ١٥٥ البنت الثانية
- ١٥٦ الموسحة الثانية

٢٨٦ من مخاطباته لابن مرزوق ...	٢٤٧ موشحة للتاليسي يخاطب بها أبو حمو
٢٨٧ { ... من صراحة ابن الخطيب في مجلس السلطان أبي عثمان ...	٢٤٩ عن السلطان أبي حمو ...
٢٨٨ شعر له في مكناسة ...	٢٤٩ { قصيدة ابن الخطيب للسلطان أبو حمو يستعبد به ...
٢٨٨ شعر له في مدينة آتفي ...	٢٥٧ نثر له أيضا وصل به القصيدة ...
٢٨٨ شعر له في ابن بطان ...	٢٦٠ { بعض مقطوعات لابن الخطيب في السلطان أبي حمو
٢٨٩ شعر له في البرغوث ...	٢٦١ { شعر له يودع به عبد الواحد بن سلطان إفريقية
٢٨٩ شعر له صدر به رسالته إلى ابن حسون	٢٦٢ من قصيدة المنح الغريب له ...
٢٩٠ شعر له في نذب مراکش بعد الموحدين	٢٦٥ { من مقطوعات له لما أشرف على مراكش
٢٩١ تعريف بعامر الهنتاني ...	٢٦٥ كتاب ابن خاتمة إلى ابن الخطيب ...
٢٩١ شيء عن الشريف الشبوكي ...	٢٦٧ رد ابن الخطيب على كتاب ابن خاتمة
٢٩٢ { شعر للشبوكي في مدح أبي فارس والتعريض على الهنتاني ...	٢٧٠ من رثاء السلطان أبي سالم ...
٢٩٤ { شعر لابن الخطيب على قبر السلطان أبي الحسن المريني	٢٧١ شعر له في الرغبة في الله ...
٢٩٧ شعر لابن الخطيب على قبر المعتمد ...	٢٧١ شعر له بعد عودته من رحلة المراكشية
٢٩٨ شعر له في مخاطبة ابن يوسف ...	٢٧٢ وله في مدرسة
٢٩٨ وله في مخاطبة السلطان ...	٢٧٢ وله في غرناطة
٢٩٩ وله في مخاطبة ابنه وقد وصل لزيارته	٢٧٢ وله يخاطب قبر الولي السبيقي ...
٢٩٩ بعض مقطوعات له ...	٢٧٤ وله يورى بدم الأخوين ...
٣٠٠ وله في مشرف الدار حين أكل القابض	٢٧٤ وله في اقتباس
٣٠٠ وله في رأس الغادر بالدولة ...	٢٧٤ شعر له في التورية بالطب ...
٣٠٠ وله في الغزل ...	٢٧٤ وقال يخاطب ابن مرزوق ...
٣٠٠ شعر له في السعيد أبي بكر ...	٢٧٥ شعر له في مخاطبة أحد المشرفاء ...
٣٠١ { وله في توديع ابنه لما انصرف عنه إلى فاس	٢٧٥ وقال يشكر السلطان أبا سالم على تخليصه إياه
٣٠١ وله في السيادة الخطيبية ...	٢٧٥ وله في الغزل
٣٠٣ وله في مخاطبة السلطان أبي الحجاج	٢٧٦ { من رسالة في تهنئة ابن أبي مدين بتقلد الخطبة
٣٠٣ وله في التورية ...	رسالته إلى السلطان أبي سالم مستعينا به
٣٠٣ وله في التجنيس ...	رد السلطان أبي سالم على ابن الخطيب
٣٠٤ وله في التورية أيضا ...	٢٨٤ { رد ابن الخطيب على السلطان أبي سالم شاكرا
٣٠٤ بعض شعر له ...	تهنئة للسلطان أبي سالم بفتح تلمسان

٣١٢	وله في المشيب	٣٠٥	وله في جلوس السلطان في يوم برد للسلام
٣١٢	وله وقد أجاز بسبته	٣٠٥	وله في الغزل
٣١٢	وله في طاق الماء	٣٠٦	أبيات له في المحسنات البديعية
٣١٣	بين ابن الجياب وابن الخطيب	٣٠٨	وله في سكنين الأضحى
٣١٣	بعض أبيات له	٣٠٨	وله في مروحة سلطانية
٣١٤ {	موشحة له في مدح السلطان	٣٠٨	وله يخاطب ابن الجياب
... ..	يوسف أبن الحجاج	٣٠٨	وله في الغزل
٣١٦	وله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم	٣٠٩	وله في البراغيت أيضا
٣١٨	وله في الرجوع إلى الله	٣٠٩	وله في خالد البلوى
٣١٩	تخميس للغسانى على بيتين لابن الخطيب	٣٠٩	وله في المنجاة
٣١٩	أولاد ابن الخطيب	٣٠٩	وله في الغزل
٣٢٠	على بن الخطيب والمستنصر في بستان	٣١٠	وله في التصوف
٣٢٠	شئ عن عبد الله ومحمد ابني الخطيب	٣١٠	وله في المديح موريا
٣٢٠	وصية ابن الخطيب لأولاده	٣١٠	شعر له يشك أنه للمشاركة

تصويب أخطاء مطبعية

س	ص	صواب	خطأ
٤	٥٨	محمد بن الخلفاء	محمد بن الخلفاء
١٧	٩٢	لسان العرب	لسان العربي
١٠	٩٥	الأسود بن قنان	الأسود ابن قنان
١٣	١٩٠	نظم ابن صفوان	نظم بن صفوان
١٧	٢١٠	ابن أبي يفلوسن	ابن يفلوسن
٦	٢٩٨	آسفي	آسفي